

نزلت بعد الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴾ (١) ﴿ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴾ (٢) ﴿ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ (٣)
 إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿ (٤) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
 الْمَشَارِقِ ﴾ (٥)

روى النسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : ١ [كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات] تفرد به النسائي .

روى سفيان الثوري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : ﴿ والصافات صفاً ﴾ هي الملائكة ﴿ فالزاجرات زجراً ﴾ هي الملائكة ﴿ فالتاليات ذكراً ﴾ هي الملائكة
 روى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٢ [فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً ، وجعل لنا ترابها طهوراً إذا لم نجد الماء] وقد روى مسلم أيضاً وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٣ [« ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم » ؟ قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال ﷺ : « يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف »] .

وقال السدي وغيره معنى قوله تعالى : ﴿ فالزاجرات زجراً ﴾ أنها تزجر السحاب ﴿ فالتاليات ذكراً ﴾ أي الملائكة يجيئون بالقرآن من عند الله تعالى الى الناس كقوله

تعالى : ﴿ فَاَلْمَلَقِيَّاتِ ذَكَرًا عَذْرَاءً أَوْ نَذْرًا ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ إِنْ أَلْهَمَكُمْ لَوْاحِدَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ أي من المخلوقات ﴿ وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾ أي هو المالك المتصرف في الخلق بتسخيره بما فيه من أجرام السماء التي تظهر من المشرق وتغرب من المغرب ، واكتفى بذكر المشرق عن ذكر المغرب لدلائنها عليه كقوله تعالى : ﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾ ^(١) وقوله تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ يعني شروق الشمس والقمر في الصيف والشتاء ، واختلاف مطالعتهما ^(٢)

﴿ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾ (٦) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿ (٧) لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿ (١٠) ﴿

يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا ، للناظرين إليها من أهل الأرض بزيينة الكواكب ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾ واعتدناهم عذاب السعير ﴿ وقال تعالى ها هنا ﴿ وَحِفْظًا ﴾ أي وحفظناه حفظاً ﴿ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴾ يعني المتمرد العاتي إذا أراد أن يسترق السمع أتاه شهاب فأحرقه ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ﴾ أي لئلا يصلوا إلى الملأ الأعلى وهي السموات ومن فيها من الملائكة

(١) قلت : لما خلق الله تعالى الأرض كروية فإن نصف الكرة المواجه للشمس يكون فيه اليوم نهاراً والنصف الخلفي يكون ليلاً ، ولما كانت الأرض أو الشمس تدور بقدرته تعالى من الشرق إلى الغرب ففي كل لحظة من هذا الدوران يتكون شروق وغروب لا يفتران أبداً طالما الأرض والشمس كرويتان وكذلك سائر الكواكب . إذاً فهناك مشارق ومغارب لا تنتهي إلا بانتهاء عمر الكون ولما كان الله تعالى رب كل حركة في السموات والأرض ورب كل شيء ومليكه ومحركه والمتصرف فيه بقدرته وحده لا شريك له فهو ولا شك « رب المشرق والمغرب » والله اعلم .

(٢) قلت : إن شروق الشمس في الصيف يكون من الشرق مع ميل إلى الشمال ، وغروبها يكون في الغرب مع ميل نحو الشمال . والقمر في الصيف يشرق من الشرق مع ميل نحو الجنوب ويغرب في الغرب مع ميل نحو الجنوب وأما في الشتاء : فتشرق الشمس من الشرق مع ميل إلى الجنوب وتغرب في الغرب مع ميل إلى الجنوب أما القمر في الشتاء فيشرق من الشرق مع ميل إلى الشمال ويغرب في الغرب مع ميل الشمال . وهكذا يتضح أن للشمس مشرقين ومغربين كما للقمر مشرقين ومغربين كل ذلك بقدرته الله تعالى وحده لا شريك ومن هذا يعلم أنه تعالى « رب المشرقين ورب المغربين » ورب كل شيء ومليكه لا إله غيره ولا رب سواه والله أعلم وهو الموفق للصواب .

أثناء تكلمهم بما يوحيه الله تعالى من شرعه وقدره كما تقدم ذكر ذلك عند قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ ... ولهذا قال تعالى : ﴿ وَيَقْدِفُونَ ﴾ أي يُرْمَوْنَ ﴿ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا ﴾ أي رجماً ويدحرون عن الوصول ، ويرجمون ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ أي موجه مستمر ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ ﴾ أي الكلمة التي يسمعها الشيطان من السماء فيلقبها إلى الذي تحته ويلقبها الآخر لمن تحته فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما القاهها بقدر الله قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه فيذهب بها الآخر إلى الكاهن كما تقدم في الحديث ولهذا قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ ﴾

وعن ابن عباس قال : كان للشياطين مقاعد في السماء يستمعون الوحي فينزلون إلى الأرض فزادوا في الكلمة تسعاً ... فلما كانت بعثته عليه الصلاة والسلام فمنع الشياطين مقاعدهم وأتبعهم شهابٌ لا يخطئهم حتى يحرقهم فشكوا ذلك إلى إبليس فأرسل جنوده فرأوا رسول الله ﷺ يصلي بين جبلي نخلة فرجعوا وأخبروا إبليس بما رأوا ... وقال هذا الذي حدث وستأتي إن شاء الله الأحاديث الواردة مع الآثار في هذا المعنى عند قوله تعالى اخباراً عن الجن أنهم قالوا : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاهَا مَلْتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشِهَابًا ﴾ ..

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ (١١)
 ﴿ اٰبَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ (١٢) ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴾ (١٣) ﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ (١٤) ﴿ وَقَالُوا إِن هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١٥)
 ﴿ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ؕ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ (١٦) ﴿ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ (١٧)
 ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ (١٨) ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ (١٩)

يقول تعالى : فسئل هؤلاء المنكرين للبعث أيتهما أشد خلقاً .. هم أم السموات والأرض وما بينهما من مخلوقاته ؟ ... فإنهم يقولون أنها أشد خلقاً منهم وإذا كان الأمر كذلك فلم ينكروا البعث ؟ مع مشاهدة ما هو أعظم مما أنكروا ... كما قال عز وجل : ﴿ لَخَلْقُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلٰكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ثم بين أنهم خَلِقُوا من شيء ضعيف فقال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ أي اللزج الجيد ﴿ بَلْ

عجبت ويسخرون ﴿ أي بل عجبت يا محمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث ، وأنت موثق مصدق بما أخبر الله تعالى من الأمر العجيب وهو إعادة الأجسام بعد فنائها ، وهم بخلاف أمرك من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقوله لهم من إعادة أجسامهم . ﴾ وإذا رأوا آية ﴿ أي دلالة واضحة على ذلك ﴾ يستسخرون ﴿ أي يستهزئون ﴾ وقالوا إن هذا إلا سحر مبين إذا امتناو كنا تراباً وعظاماً إنا لبعوثون أو آباؤنا الأولون ﴿ يستبعدون ذلك ويكذبون به ﴾ قل نعم وأنتم داخرون ﴿ أي تبعثون وأنتم أذلاء حقيرون كقولـه تعالى : ﴾ وكل أتوه داخرين ﴿ ثم قال جلّت عظمتـه ﴾ فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون ﴿ أي فإنما هو أمر واحد من الله عز وجل ، يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الأرض ، فإذا هم قيام بين يديه ينظرون الى أهوال يوم القيامة والله تعالى أعلم .

﴿ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ (٢٠) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿ (٢١) أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿ (٢٣) وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿ (٢٥) بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ (٢٦)



يخبر تعالى عن وضع الكفار يوم القيامة كيف أنهم يلومون أنفسهم لظلمهم بإياها في الدنيا ، وذلك عندما عاينوا أهوال القيامة فندموا حيث لا ينفعهم الندم ﴿ وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين ﴾ فتقول لهم الملائكة والمؤمنون : ﴿ هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ﴾ تقريباً وتوبيخاً ويأمر الله تعالى الملائكة بأن يفصلوا الكفار عن المؤمنين في المحشر . ولهذا قال تعالى : ﴿ أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ قال النعمان بن بشير رضي الله عنه يعني يعني بأزواجهم : أشباههم وأمثالهم ، وكذا قال ابن عباس وجماعة من التابعين . ويحشرون مع ما كانوا يعبدون من دون الله من الأصنام والأنداد تحشر معهم في أماكنهم . وقوله تعالى : ﴿ فاهدوهم الى صراط الجحيم ﴾ أي أرشدوهم إلى طريق جهنم . وقوله تعالى : ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ أي احبسوهم انهم محاسبون عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدنيا . روى ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٤ [أيما داع دعا إلى شيء كان موقوفاً معه الى يوم القيامة لا يغادره

ولا يفارقه وان دعا رجل رجلاً ثم قرأ : ﴿ وَفِيهِمْ لَهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ [ورواه الترمذي وابن جرير . ثم يقال لهم تقيعاً وتوبيخاً : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ ﴾ أي لا ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم في الدنيا ؟ ﴿ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ أي منقادون لأمر الله لا يخالفونه ولا يحيدون عنه والله أعلم .

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٢٧) قَالُوا إِنْ كُنْتُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنْ الْيَمِينِ ﴿ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنا إِنَّا لَذَاتُ قُنُونٍ ﴿ (٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَأَنْتَا لَتَّارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿ (٣٧)

يذكر تعالى ان الكفار يتلاومون في عرصات يوم القيامة ، كما يتخاصمون في دركات النار ﴿ فيقول الضعفاء للذين استكبروا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فُهِلْ أَنْتُمْ مَغْنُونٌ عَنَّا نَصِيحًا مِنْ النَّارِ ۚ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ وقالوا لهم ههنا ﴿ إِنْ كُنْتُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنْ الْيَمِينِ ﴾ قال ابن عباس : يقولون كنتم تقهرونا بالقدره منكم علينا لأننا كنا أذلاء وكنتم أعزاء ^(١) فأقنعتمونا بالكفر . كقوله تعالى : ﴿ ... بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ... ﴾ ﴿ قَالُوا ﴾ أي الذين استكبروا ﴿ بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ أي ليس الأمر كما تدعون بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان قابلة للكفر والعصيان ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ أي من حجة على ما دعوناكم إليه ﴿ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴾ أي متجاوزين عن الحق ولهذا استجبتم لنا فتركتم الحق وخالفتم الرسل ، ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنا إِنَّا لَذَاتُ قُنُونٍ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴾ أي فدعوناكم الى ما نحن فيه فاستجبتم قال تعالى : ﴿ فَلَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي

(١) لما كانت اليد اليمينية أقوى وهي المستعملة دائمة في القوة كمن سبغ يدها عن اليمين التي كانت للسادة والكبراء على العامة . والمعنى : أنهم جاعوهم عن طريق القوة والإجبار في تحييد الكفر على الإيمان .

العذاب مشتركون ﴿ أي الجميع في النار كل ﴾ بحسبه ﴿ إنا كذلك نفعل بالمجرمين إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴾ عن قولها بالمعنى الذي يقولها به المؤمنون .

﴿ ويقولون أننا لئنا تركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ يعنون رسول الله ﷺ قال الله تعالى رداً عليهم وتكذيباً لهم : ﴿ بل جاء بالحق ﴾ يعني ليس شاعراً ولا مجنوناً بل جاء بالحق الذي أرسلته به ﴿ وصدق المرسلين ﴾ الذين أخبروا بصفاته الحميدة ودينه القويم في كتبهم السماوية السابقة فكانت حاله كما أخبروا عنه من الصدق والأمانة والصراف المستقيم الذي كان ينهجه في الدعوة إلى ربه تعالٰى قدرته وجلّت عظمته .

﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴾ (٣٨) ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣٩) ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾ (٤٠) ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (٤١) ﴿ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴾ (٤٢) ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (٤٣) ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٤) ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴾ (٤٥) ﴿ بَيَضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴾ (٤٦) ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ (٤٧) ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ ﴾ (٤٨) ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ (٤٩) ﴿

يقول تعالى مخاطباً للناس : ﴿ إنكم لذائقوا العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين . كما قال تعالى : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ﴾ ولهذا قال عز وجل ههنا : ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾ أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون في الحساب بل يتجاوز عن سيئاتهم ان كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله من التضعيف . وقوله جل وعلا : ﴿ أولئك لهم رزق معلوم ﴾ يعني الجنة ثم فسره بقوله تعالى : ﴿ فواكه ﴾ متنوعة ﴿ وهم مكرمون ﴾ أي يخدمون ويرفّهون وينعمون ﴿ في جنات النعيم على سرر متقابلين ﴾ مقابلة ﴿ يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ﴾ نزّه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن ، وهو الغول وذهابها بالعقل جملة . فقال تعالى : ﴿ لا فيها غول ﴾ أي لا تغتال عقولهم . قال ابن عباس : في الخمر

أربعُ خصال : السكر ، والصداع ، والقيء ، والبول فلما ذكر خمر الجنة نزهها عن هذه الخصال . والمراد من : ﴿ لا فيها غول ﴾ ليس فيها سكر ولا صداع ولا قيء ولا بول وهذه الخصال المجموعة هي الغول . وقوله تعالى : ﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ أي عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن ﴿ عين ﴾ أي حسان الأعين جميلات المظهر عفيفات تقيات نقيات ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ وصفهن بترافة الأبدان بأحسن الألوان وقد شبههن بالبيض المكنون كيف ان البيضة المكنونة بالقشرة الخارجية لم تمشها يد فهن كذلك من حيث أنهن لم يمسن أحد وبياضهن رقيق كرقعة البيضة من الداخل بيضاء شفافة قال السدي : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ يقول بياض البيض حين ينزع قشره . واختاره ابن جرير لقوله مكنون قال والقشرة العليا يمسخها جناح الطير والعش وتناولها الأيدي بخلاف داخلها والله أعلم . روى ابن أبي حاتم عن أم سلمة : هـ [... قلت يا رسول الله اخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ قال : رقتن كرقعة الجلد التي رأسها في داخل البيضة التي تلي القشرة وهي الغرقيء ^(١)]

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿ (٥١) يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿ (٥٢) إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ؕ إِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿ (٥٦) وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَئِينَ ﴿ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿ (٥٩) إِنَّ هَٰذَا لَكُوهَا الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ (٦٠) لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿ (٦١) ﴿

ينخر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون أي عن أحوالهم وكيف كانوا في الدنيا ، وما كانوا يعانون فيها وذلك من حديثهم على شراهم واجتماعهم في تنادهم ومعاشرتهم في مجالسهم وهم جلوس على السرر ، والخدم بين أيديهم يسعون ويحيثون بكل خير عظيم من مآكل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن

(١) القشرة الملتزمة ببياض البيض أو البياض الذي يؤكل « القاموس » غرقيء .

سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ قال قائل منهم إني كان لي قرين ﴾ من الكافرين ﴿ يقول ألمنك لمن المصدقين ﴾ أي أنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء ... ؟!!!!
يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد ، والكفر والعناد ﴿ إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً إنا لمدنيون ﴾ لمحاسبون ومجزيون بأعمالنا ﴿ قال هل أنتم مطلقون ﴾ أي يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة : هل أنتم مشرفون ﴿ فاطلع فرآه في سواء الجحيم ﴾ أي في وسط جهنم قال كعب الأجار : ان في الجنة كوى إذا أراد أحد من أهلها ان ينظر إلى عدوه في النار اطلع فيها فازداد شكراً ﴿ قال تالله إن كدت لتردين ﴾ يقول المؤمن للكافر : والله ان كدت لتهلكني لو أطعته ﴿ ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ﴾ أي ولولا فضل الله عليّ لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت ، محضر معك في العذاب ، ولكنه تعالى تفضل عليّ ورحمني فهداني للإيمان وأرشدني الى توحيدهِ ﴿ وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ أفما نحن بميتين إلاّ موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين ﴾ هذا من كلام المؤمن مغتبطاً نفسه بما أعطاه الله تعالى من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة بلا موت فيها ولا عذاب ولهذا قال عز وجل ﴿ إنّ هذا هو الفوز العظيم ﴾ وقوله جل جلاله : ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ أي يقول الله تعالى لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون في الدنيا ليصبروا إليه في الآخرة .

﴿ أذلك خيرٌ نزلًا أم شجرة الزقوم ﴾ (٦٢) ﴿ إنا جعلناها فتنة للظالمين ﴾ (٦٣) ﴿ إنّها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ (٦٤) ﴿ طلعها كأنه رؤس الشياطين ﴾ (٦٥) ﴿ فإنهم لا يكلون منها فمالئون منها البطون ﴾ (٦٦) ﴿ ثم إنّ لهم عليها لشوباً من حميم ﴾ (٦٧) ﴿ ثم إنّ مخرجهم إلى الجحيم ﴾ (٦٨) ﴿ إنّهم ألقوا أباءهم ضالّين ﴾ (٦٩) ﴿ فهم على آثارهم يهرعون ﴾ (٧٠) ﴿

يقول الله تعالى أهذا الذي ذكره من نعيم الجنة ، وما فيها من المأكّل والمشرب والملاذ خيرٌ ضيافةً وعطاءً ﴿ أم شجرة الزقوم ﴾ أي تنبت في جهنم يقال أنها شجرة تمتد فروعها الى جميع محال جهنم كما أن شجرة طوبى ما من دار في الجنة إلاّ وفيها منها غصن . قال قتادة : ذكرت شجرة الزقوم فافتن بها أهل الضلالة وقانوا : صاحبكم

ينبشكم أن في النار شجرة ، والنار تأكل الشجر فأنزل الله تعالى : ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ غذيت من النار ومنها خلقت . وقال مجاهد : في قوله تعالى : ﴿ إنا جعلناها فتنه للظالمين ﴾ قال أبو جهل لعنه الله ، إنما الزقوم التمر والزبد أترقعه . قلت : ومعنى الآية : إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختباراً نختبر به الناس من يصدق منهم ممن يكذب . وإنها أي شجرة الزقوم أصل منبتها في قرار النار ﴿ طلعتها كأنه رؤوس الشياطين ﴾ تبشيع لها ، وتكريره لذكرها . وقوله تعالى : ﴿ وأنهم لا ياكلون منها فمالئون منها البطون ﴾ لأنه لا طعام لهم إلا هي . كما قال تعالى : ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يبغي من جوع ﴾

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية وقال : ٦ [اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معاشهم فكيف بمن يكون طعامه] ؟ رواه النسائي وابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح . وقوله تعالى : ﴿ ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني : شرب الحميم على الزقوم وقال في رواية عنه شوباً من حميم ، مزجاً من حميم . وقال غيره : يعني يمزج لهم الحميم بصديد وغساق مما يسيل من عيونهم وفروجهم وقوله عز وجل : ﴿ ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ﴾ ثم إن مردهم لإلى نارٍ تتأجج ، وجحيم تنوقد ، وسعير تتوهج ، فتارة في هذا وتارة في هذا . كما قال تعالى : ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ هكذا تلا فتادة هذه الآية عند هذه الآية وهو تفسير حسن قوي .

وقوله تعالى : ﴿ إنهم ألفوا آباءهم ضالين ﴾ أي إنما جازيناهم بذلك لأنهم وجدوا آباءهم على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك من غير دليل ولا برهان . ولهذا قال عز وجل : ﴿ فهم على آثارهم يُهرعون ﴾ أي يهرولون .

﴿ وَلَقَدْ صَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ أَلْوَالِينَ ﴾ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿ (٧٢) فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ

الْمُخْلِصِينَ ﴿٧٤﴾

﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾

يخبر تعالى عن الأمم الماضية ان اكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله آلهة أخرى ، وذكر سبحانه أنه أرسل فيهم منذرين يندرونهم بأس الله ، ويحذرونهم نقمته ، ممن كفر به وعبد غيره وتمادوا في تكذيب رسله فأهلك المكذبين ونجى المؤمنين ونصرهم . ولهذا قال تعالى : ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إِلَّا عباد الله المخلصين ﴾

وبعد أن ذكر تعالى أكثر الأولين اتهم ضلوا عن سبيل النجاة ، شرع ببيان ذلك فذكر نوحاً عليه الصلاة والسلام وما لقي من قومه من التكذيب ورغم ما لبث فيهم من السنين الألف إِلَّا خمسين عاماً في الدعوة إلى الله لم يؤمن منهم إِلَّا القليل . دعا ربه ﴿ إني مغلوب فانتصر ﴾ فغضب الله تعالى لغضبه عليهم ولهذا قال سبحانه : ﴿ ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ﴾ له ﴿ ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ﴾ وهو التكذيب والأذى ، ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم تبق إِلَّا ذرية نوح عليه السلام وقوله تعالى : ﴿ وتركنا عليه في الآخرين ﴾ أي يذكر بخير وبثناء حسن ولسان صدق للأنبياء كلهم . وقوله تعالى : ﴿ سلام على نوح في العالمين ﴾ مفسر لما أبقي عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم . ﴿ إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ أي هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله تعالى نجعل له لسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك ثم قال تعالى : ﴿ إنه من عبادنا المؤمنين ﴾ أي المصدقين الموحدون الموقنين ﴿ ثم أغرقنا الآخرين ﴾ أي أهلكتناهم فلم تبق منهم عين تطرف ، ولا ذكر ولا عين ولا أثر ، ولا يعرفون إِلَّا بهذه الصفة القبيحة .

﴿٨٣﴾ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ



سَلِيمٌ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَنْفَكَ آلِهَةٌ
دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لِبَرَاهِيمَ ﴾ أي من أهل دينه ومنهاجه وسنته ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ أي من الشرك ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ أنكر عليه عبادة الأصنام والأنداد ولهذا قال عز وجل ﴿ أَلِفَكَ آلِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يعني ما ظنكم أنه فاعل بكم يوم تلقونه وقد عبدتم غيره .

﴿ فَظَنَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴾ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا
عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا
تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾
قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا
أَبْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ
الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾

أزف لقوم إبراهيم أوان خروجهم إلى عيد لهم ، فأحب أن يختلي بالهتيم ليكسرها
فقال لهم كلاماً هو حق في نفس الأمر . فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه
﴿ فتولوا عنه مدبرين ﴾ قال قتادة : والعرب تقول لمن تفكر : نظر في النجوم . يعني :
أنه نظر إلى السماء متفكراً فيما يلهمهم به . فقال : ﴿ إني سقيم ﴾ أي ضعيف وأما الحديث
الذي رواه ابن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ٧ [لم
يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات : ثنتين في ذات الله تعالى : قوله :
﴿ إني سقيم ﴾ وقوله ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ وقوله في سارة هي أختي ...] . فهو حديث
مخرج في الصحاح والسنن من طرق ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم
فاعله حاشا وكلاً ، وإنما أطلق الكذب على هذا تجاوزاً وإنما هو من المعارض في الكلام
لمقصد شرعي ديني ، كما جاء في الحديث : ٨ [إن في المعارض لمدوحة عن الكذب]

ولما قال لهم : ﴿إني سقيم فتولوا عنه مدبرين﴾ أي فلما خرجوا من عنده ذهب إلى الأصنام في سرعة واختفاء، ولمّا دخل عليها وجد بين أيديها طعاماً قرباناً لتبارك لهم فيه وهي في بهو عظيم وفي الصدر صنم عظيم، إلى جانبه على الجانبين أصناماً أصغر منه فأصغر إلى باب البهو فلما نظر إبراهيم لما بين أيدي الأصنام من الطعام قال : ﴿ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾ فكسرهم جميعاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون كما تقدم في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تفسير ذلك مطوّلاً وهذه القصة ههنا مختصرة . فإنهم لما رجع قومه عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك وعرفوا أنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿فأقبلوا إليه يرفون﴾ أي يسرعون ولما بدأوا يعاتبونه أخذ يؤنبهم ﴿قال أتعبدون ما تحتون﴾ بأيديكم ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ أي خلقكم وخلق عملكم وقد روى البخاري عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً قال : ٩ [إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعه] فلما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهر فقالوا : ﴿ابنوا له بنيانا فألقوه في الحميم﴾ وكان من أمرهم ما تقدم في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونجّاه الله من النار وأظهره عليهم وأعلى حجته ونصرها. ولهذا قال تعالى : ﴿فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين﴾

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أُنْسَمَا وَلِلَّهِ الْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبْلِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

يخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام انه بعد ما نصره الله تعالى على قومه وآيس منهم ومن إيمانهم بعد ما شاهدوا من الآيات العظيمة ، هاجر من بين أظهرهم ﴿ وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين ٥ ربّ هب لي من الصالحين ﴾ يعني أولاداً مطيعين يكونون عوضاً عن قومه وعشيرته الذين فارقهم . قال الله تعالى : ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ وهو إسماعيل عليه السلام فإنه أول ولد بشر به إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب بل في نص كتابهم ان إسماعيل عليه السلام ولد لابراهيم ست وثمانون سنة وولد لإسحاق وعمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة وعندهم ان الله تعالى أمر إبراهيم ان يذبح ابنه وحيدة وفي نسخة أخرى بكره فأقحموا ههنا كذباً وبهتاناً إسحق . ولا يجوز هذا لأنه مخالف نص كتابهم وإنما أقحموا إسحق لأنه أبوهم وإسماعيل أبو العرب فحسدوهم فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى مكة وهو تأويل وتحريف باطل فإنه لا يقال وحيدك إلا لمن ليس له غيره وأيضاً فإن أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار . وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل : فإنه ذكر البشارة بغلام حليم وذكر أنه الذبيح = وذكر تسلسل قصة الذبح من ذكر المنام واستسلام اسماعيل لأمر الله ثم أمر أبيه ثم ثلثه للجين ونودي إبراهيم : ﴿ قد صدقت الرؤيا ... ﴾ إلى قوله تعالى ... ﴿ إنه من عبادنا المؤمنين ﴾ = (١) ثم قال بعد ذلك : ﴿ وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين ﴾ ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحق قالوا : ﴿ إنا نبشرك بغلام عليم ﴾ وقال تعالى : ﴿ فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب ﴾ أي يولد لهما في حياتهما ولد يسمى يعقوب ، فيكون من ذريته عقب ونسل وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير ، لأن الله تعالى قد وعدهما بأنهما سيعقب ويكون له نسل فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير . واسماعيل وُصِفَ هاهنا بالحليم لأنه مناسب لهذا المقام . وقال تعالى : ﴿ فلما بلغ معه السعي ﴾ أي كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويطبق ما يفعله أبوه من السعي والعمل ﴿ فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ﴾ إنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر صبره وجلده وعزمه في صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه ﴿ قال يا أبت افعل ما تؤمر ﴾ أي امض لما أمرك الله من ذبحي ﴿ ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ أي سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد

كما قال الله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ﴾ قال تعالى : ﴿ فلما أسلما وتلّاه للجبين ﴾ أي استسلما وانقادا ، إبراهيم امثل أمر الله تعالى ، واسماعيل طاعة لله ولأبيه ، ومعنى ﴿ تلّاه للجبين ﴾ أي صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه وكان على اسماعيل عليه الصلاة والسلام قميص أبيض فقال يا أبت ، إنه ليس لي ثوب تكفني فيه غيره ، فاخلعه حتى تكفني فيه ، فعالجه ليخلعه فنودي من خلفه : ﴿ أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾ فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن أعين . قال ابن عباس : لقد رأيتنا أن نتبع ذلك الضرب من الكباش وقوله تعالى : ﴿ وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾ أي قد حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح . وقوله تعالى : ﴿ إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ أي هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد ونجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا . كقوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا ﴾ وقد استدل بهذه الآية والقصة ، جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل ، خلافاً لطائفة من المعتزلة . والدلالة من هذه ظاهرة ، لأن الله تعالى شرع لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء ، وإنما كان المقصود من شرعه أولاً : إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك . ولهذا قال تعالى : ﴿ إن هذا هو البلاء المبين ﴾ أي الاختبار الواضح الجلي حيث أمر بذبح ولده فسارع إلى ذلك مستسلماً لأمر الله تعالى منقاداً لطاعته ولهذا قال تعالى في آية أخرى : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ قال سفيان الثوري عن علي رضي الله عنه : قال بكبش أبيض أقرن قد ربط بسمرة . وعن ابن عباس قال : فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وإن رأس الكبش المعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة حتى وحش يعني يبس . وقال ابن عباس أيضاً : خرج عليه كبش من الجنة وقد رعى قبل ذلك أربعين خريفاً .

روى ابن اسحاق عن محمد بن كعب القرظي أنه ذكر لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو خليفة إذ كان معه بالشام - قضية الذبح ومن هو ؟ - فقال له عمر ان هذا لشيء ما كنت أنظر فيه وإني لأراه كما قلت - أي اسماعيل - ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه ، وكان يرى أنه من علمائهم

فسأله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن ذلك قال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر : أي ابني إبراهيم أمر بذبحه ؟ فقال إسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به فهم يحسدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحق أبوهم .

وعلى كل فإن كلاً من إسماعيل وإسحق عليهما الصلاة والسلام كان طاهراً وطيباً ومطيعاً لله عز وجل . وقوله تعالى : ﴿ وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين ﴾ لَمَّا تقدّمت البشارة بالذبيح وهو إسماعيل (وبعد ان ترعرع إسماعيل وبلغ السعي مع أبيه وانتهت قصة الذبح والفداء وعاد إبراهيم الى بلاد كنعان جاءت إبراهيم البشرى من قبل الملائكة كما أنهم بشروا سارة كذلك فضحكت وصكّت وجهها ولم يُعلّم ان سارة أتت الى الحجاز وهذا ما يدل ان البشارة بإسحق كانت في بلاد كنعان وكما يدل سياق الآية على أن البشارة بولادة إسحق ونبوته كانت بعد قصة الذبح الخاصة بإسماعيل وفدائه وهذا أيضاً مما يدل على ان الذبيح إسماعيل لا إسحق عليهما السلام (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ﴾ كقوله تعالى : يا فوج اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب ألیم .

﴿ وَلَقَدْ مَتَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَا هَامَّ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

يذكر تعالى ما أنعم به على موسى وهارون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون وقومه ، وما كان يسيء إليهم من قتل الأبناء واستحياء النساء ، ثم بعد هذا

كله نصرهم وأقر أعينهم فغلبوهم وأخذوا كل ما جمعه طول حياتهم، ثم أنزل الله عز وجل التوراة على موسى وهي الكتاب المستبين، وقال عز وجل: ﴿وآتيناها الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم﴾ أي في الأقوال والأفعال ﴿وتركنا عليهما في الآخرين﴾ أي أبقينا لهما من بعدهما ذكراً جميلاً وثناءً حسناً ثم فسرهُ بقوله تعالى: ﴿سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين لئنهما من عبادنا المؤمنين﴾

﴿وإنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَبِأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿وان إلياس لمن المرسلين﴾ إلياس عليه الصلاة والسلام نبي رسول يقال إنه أرسل لأهل مدينة «بعلبك» غربي دمشق ﴿إذ قال لقومه ألا تتقون﴾ أي ألا تحافون من الله عز وجل في عبادتكم غيره ﴿أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين﴾

وقوله تعالى: ﴿أتدعون بعلاً﴾ أي أتعبدون صنماً ﴿وتذرون أحسن الخالقين﴾ الله ربكم ورب آبائكم الأولين ﴿أي هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له قال الله تعالى: ﴿فكذبوه فإنهم لمحضرون﴾ أي للعذاب يوم الحساب ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ أي الموحدين منهم. وقوله تعالى: ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ أي ثناءً جميلاً ﴿سلام على إلياسين﴾ يعني النبي إلياس فكما يقال في إسماعيل وإسماعين وهي لغة بني أسد ويقال ميكال وميكائيل وميكاثن وإبراهيم وإبراهام، وإسرائيل وإسرائين وطور سيناء وطور سينين، وهذا كله سائغ وقيل: ﴿سلام على آل ياسين﴾ يعني آل محمد عليهم السلام ^(١) وقوله

(١) قات: وهذا أي قولهم «آل ياسين» يعني آل محمد بعيد جداً والله أعلم والدليل: ١ - ليس من مناسبة دالة على ذلك ... فبما دخل آل محمد صلى الله عليه وسلم في ذكر النبي إلياس عليه السلام؟ ٢ - ليس «يس» إسمًا لمحمد صلى الله عليه وسلم، ففي كما هو معلوم أحرف مقطعة جاء مثلها في أوائل السور ما بين الله مراده =

تعالى : ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ تقدم تفسيره . والله أعلم .

﴿ وَإِنْ لَوْطَا لِمَنْ أَلْمُسَلِينَ ﴾ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿ (١٣٤)
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴾ (١٣٥) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿ (١٣٦) وَإِنَّمَا لَكُمْ لَئِمُّونَ
عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴾ (١٣٧) وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ (١٣٨)﴾

ينحبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام أنه بعثه إلى قومه فنجاه الله تعالى من
بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فلم تكن مع من هلك من قومها . فإن الله تعالى أهلكتهم
بأنواع العقوبات ، وجعل محللتهم من الأرض بحيرة تنتن ، قبيحة المنظر والطعم والريح . وجعلها
بسبيل مقيم ، يمر بها المسافرون ليلاً ونهاراً . ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا لَكُمْ لَئِمُّونَ عَلَيْهِمْ
مُصْبِحِينَ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي أفلا تعتبرون بهم... كيف دمر الله عليهم ، وتعلمون
أن للكافرين أمثالها .

﴿ وَإِنْ يُونُسَ لِمِنْ أَلْمُسَلِينَ ﴾ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ
الْمَشْحُونِ ﴿ (١٤٠) فَسَاءَ مَا فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ
وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي

- منها فنقول الله أعلم بمراده وكذلك « طه » فهي أيضاً من الأحرف المقطعة ، التي افتتحت بها بعض السور ،
وليست إسماء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما نقول فيها : الله أعلم بمراده .

٣- لو كانت لفظة «آل ياسين» - المحتمل ورودها في بعض القراءات - معناها آل محمد صلى الله عليه وسلم
لقال الله بعدها : إنهم من عبادنا المؤمنين . لكنه سبحانه قال : « إنه من عبادنا المؤمنين » فدل أن المعنى بالآية
شخص مفرد لا جماعة . ولما كان آل محمد صلى الله عليه وسلم جماعة... إذاً فليسا هم المراد من هذه
الآية ، إنما المراد هو : إلياس صلى الله عليه وسلم ، كما هو مفهوم من الآية الكريمة التي لا يخفى معناها على
كل ذي لب وفهم . وهكذا يتضح أن الذين فهموا أن اللفظة تعني آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قد
أغروا وأبعدوا النجمة ، وليس لهم أي دليل صحيح ، يشير إلى ما ذهبوا إليه . وإنه ليكفي آل البيت دلالة على
مقامهم الرفيع ، خطابه تعالى لهم بالآية الكريمة : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » .
وإنهم عليهم سحائب الرضوان المتابعة إلى يوم القيامة لأجل شأنهم وأرفع مقامهم ، من أن نقحمهم في آيات الله
تعالى ، دون أن يكون له سبحانه مراد بذلك . وحسبهم ما أنزلهم الله من المنزل السامية ، الكريمة ، من بين المسلمين .

بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾
وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ
يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَأَمَّا مَنُومًا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾

قد تقدمت قصة يونس عليه الصلاة والسلام في سورة الأنبياء ، وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال : ١٠ [ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى] وقوله تعالى : ﴿ إذ أبق إلى الفلك المشحون ﴾ أي المملوء أمتعة ﴿ فساهم ﴾ أي قارع ﴿ فكان من المدحضين ﴾ أي المغلوبين . وذلك ان السفينة هاج بها البحر، وأشرف من فيها على الغرق. فاقترعوا من يلقي نفسه ليخفف حمل السفينة فوقعت القرعة ثلاث مرات على نبي الله يونس عليه السلام فتجرد من ثيابه وألقى نفسه فالتقمه الحوت الذي أمره الله تعالى ألا يهشم له لحماً ولا يكسر له عظماً .

ولما استقر يونس في بطن الحوت ظن أنه قد مات ثم حرك رأسه ومد رجليه وأطرافه فاذا هو حيّ فقام فصلّى في بطن الحوت وكان من جملة دعائه : يا رب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يبلغه أحد من الناس ، واختلفوا في مقدار لبثه في بطن الحوت ، قال مجاهد : التقمه ضحى ولفظه عشية ، وقيل وقيل وقيل ... والله أعلم بمقدار ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ فلو لا انه كان من المسبّحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ أي لولا كان من المصلين وقال بعضهم المراد هو قوله عز وجل : ﴿ فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾

روى ابن أبي حاتم عن يزيد الرقاشي أنه سمع أنس بن مالك - ولا أعلم أنساً إلا يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ : ١١ [ان يونس النبي عليه الصلاة والسلام حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت ، فقال اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فأقبلت الدعوة تحن بالعرش ، قالت الملائكة : يا رب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة فقال الله تعالى : أما تعرفون ذلك قالوا : يا رب ومن هو ؟ قال عز وجل عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبّل ، ودعوة مستجابة قالوا يا رب أولاً ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه في البلاء ،

قال بلى فأمر الحوت فطرحة بالعراء^(١) وقوله تبارك وتعالى: ﴿فنبذناه بالعراء وهو سقيم﴾ أي في أرض لا نبات فيها وهو سقيم ضعيف البدن كهينة الصبي حين يولد ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ وعن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما: اليقطين هو القرع، وذكر بعضهم في القرع فوائد منها سرعة نباته وتظليل ورقه لكبره ونعومته وأنه لا يقربها الذباب ...

وقوله تعالى: ﴿وَأرسلناه الى مئة ألف أو يزيدون﴾ قال ابن جرير عن أبي بن كعب رضي الله عنه : ١٢ [انه سأل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَأرسلناه الى مئة ألف أو يزيدون﴾ وقال : يزيدون عشرين ألفاً] .

وقوله تعالى : ﴿فآمنوا﴾ أي فآمن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم يونس عليه السلام جميعهم ﴿فمتعنهم الى حين﴾ أي الى وقت آجالهم كقوله تعالى جلّت عظمتهم : ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتّعناهم الى حين﴾

﴿فَاسْتَفْتَيْهِمُ الرَّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَكَةَ إِنَانًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿(١٥٠) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾ (١٥١) وَلَدَ اللَّهِ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿(١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿(١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿(١٥٦) فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٥٧) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿(١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿(١٦٠)﴾

يقول تعالى منكرا على هؤلاء المشركين في جعلهم لله تعالى البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أي من الذكور أي يودون لأنفسهم الجيد ﴿ولإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾ أي يسوءه ذلك ولا يختار لنفسه إلا البنين. يقول عز وجل فكيف نسبوا إلى

الله تعالى ما لا يختارونه لأنفسهم؟ ولهذا قال تعالى : ﴿ فاستفتهم ﴾ أي سلهم على سبيل الإنكار عليهم : ﴿ ألربك البنات ولهم البنون ﴾ كقوله عز وجل : ﴿ ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذا قسمة ضيزى ﴾

وقوله تعالى : ﴿ أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ﴾ أي كيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم . وقوله جلت عظمته ﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون * ولد الله ﴾ أي أنهم من كذبهم ليقولون صدر منه ولد ﴿ وإنهم لكاذبون ﴾ أي لأنهم افتروا على الله ثلاث كذبات في غاية الكفر . أولاً : جعلوهم بنات لله فجعلوا لله ولداً تعالى الله وتقدس . ثانياً : وجعلوا ذلك الولد أنثى . ثالثاً : ثم عبدوهم من دون الله تعالى وتقدس . وكل منها كاف في التخليد في نار جهنم . ثم قال تعالى منكرراً عليهم : ﴿ أصطفى البنات على البنين ﴾ أي أي شيء يحمله على أن يختار البنات دون البنين . كقوله عز وجل : ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً ﴾ ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ ما لكم كيف تحكمون ﴾ أي ما فعلتم بعقولكم ...؟! أفلا تدبرون ما تقولون ؟ ﴿ أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين ﴾ أي حجة على ما تقولونه ﴿ فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين ﴾ أي إذا كان لكم مستند إلى كتاب منزل من قبل الله بما تقولون ... فهاتوا برهانكم على صدقكم .

وقوله تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ﴾ قال مجاهد : قال المشركون : الملائكة بنات الله تعالى : فقال أبو بكر رضي الله عنه : فمن أمهاتهم ، قالوا بنات سروات الجن ، ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ ولقد علمت الجنة ﴾ أي الذين نسبوا إليهم ذلك ﴿ أنهم لمحضرون ﴾ أي إن الذين قالوا ذلك لمحضرون في العذاب يوم الحساب لكذبهم في ذلك وافترائهم ، وقولهم الباطل بلا علم ﴿ سبحانه الله عما يصفون ﴾ أي تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد وعمّا يصفه به الظالمون والملاحدون علواً كبيراً . وقوله تعالى : ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾ أي استثنى من الناس ، المخلصين الذين هم متبعون للحق المنزل على كل نبي مرسل .

﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴾ (١٦٣) وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿ (١٦٦) وَإِنْ كَانُوا

لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّنَا عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ
 اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

يخاطب تعالى المشركين : ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ
 الْجَحِيمِ ﴾ أي إنما يتقاد لمقالتكم ، وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة من هو أضل
 منكم ممن ذُريء للنار ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا
 يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ فهذا الضرب من الناس
 هو الذي يتقاد لدين الشرك والضلالة كما قال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ
 يُؤَفِّكُ عَنْهُ مِنَ الْفِكْرِ ﴾ أي إنما يضل به من هو مأفوك مبطل ، ثم قال تبارك وتعالى منزهاً
 للملائكة مما نسبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات الله : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا
 لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ أي له موضع مخصوص في السموات ، ومقامات العبادات لا يتجاوزها
 ولا يتعداها . روى ابن عساکر عن العلاء بن سعد وكان ممن بايع يوم الفتح أن رسول الله قال
 يوماً لجلسائه : ١٣ [أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَفِئَ لَيْسَ فِيهَا مَوْضِعٌ قَدِمَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ
 رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ » ثم قرأ ﷺ : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ
 الْمُسَبِّحُونَ ﴾]

روى ابن جريج عن الوليد بن أبي عبد الله بن أبي مغيث . قال : كانوا لا يصفون في
 الصلاة حتى نزلت ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ أي نقف صفوفاً في الطاعة كما تقدم عند قوله
 تبارك وتعالى : ﴿ وَالصَّافَاتِ صَفًّا ﴾ وقال أبو نضرة : كان عمر بن الخطاب رضي الله
 عنه إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال : أقيموا صفوفكم استووا قياماً يريد
 الله تعالى بكم هدي الملائكة ، ثم يقول : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ تأخر يا فلان تقدم يا
 فلان ثم يتقدم فيكبّر . وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ
 مَعْلُومٌ ﴾ الملائكة ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ الملائكة ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ أي الملائكة
 تسبّح لله عز وجل . وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّا عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ *
 لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾ أي قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم بكتاب الله ، لو كان
 عندهم من يذكّرهم بأمر الله وكتابه ، حتى يتبعوه ويكونوا عباد الله المخلصين . كقوله
 تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنَ الْإِحْدَى الْأُمَمِ * فَلَمَّا
 جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ ولهذا قال تعالى هاهنا : ﴿ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾
 وعيد أكيد ، وتهديد شديد ، على كفرهم بربهم عز وجل ، وتكذيبهم رسول الله ﷺ .

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧١) ﴿لَإِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ (١٧٢) ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١٧٣) ﴿قَتُولًا عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (١٧٤) ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (١٧٥) ﴿أَفِعْذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ (١٧٦) ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (١٧٧) ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (١٧٨) ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (١٧٩) ﴿

يقول تبارك وتعالى : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾ أي تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسول وأتباعهم في الدنيا والآخرة . كما قال تعالى : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ لإنهم لهم المنصورون ﴾ أي في الدنيا والآخرة ، وتقدم خبر إهلاك الكافرين ونصر المؤمنين ﴿ وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ أي لهم العاقبة وقوله جل وعلا : ﴿ فتولَّى عنهم حتى حين ﴾ أي اصبر على أذاهم لك وانتظر إلى وقت مؤجل . فسننصرك ونظفرك بهم ، وقوله جلَّتْ عِظْمَتُهُ : ﴿ وأبصرهم فسوف يبصرون ﴾ أي انظرهم وارقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك . ولهذا قال سبحانه : ﴿ فسوف يبصرون ﴾ أي ما سيلقونه جزاء ما اقترفوا من الشرك ثم قال عز وجل : ﴿ أفبعذابنا يستعجلون ﴾ أي يطلبون إيقاع العذاب بهم بسرعة لشدة تكذيبهم وكفرهم وعنادهم ﴿ فإذا نزل بساحتهم ﴾ أي يعني بدارهم ﴿ فساء صباح المُنْذَرِينَ ﴾ أي بشس الصباح صباحهم ، ولهذا ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : ١٤ [صبح رسول الله ﷺ خيبر فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم ورأوا الجيش رجعوا وهم يقولون : محمد والله محمد والخميس فقال النبي ﷺ « الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »] ورواه البخاري .

وقوله تعالى : ﴿ وتولَّى عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون ﴾ تأكيد لما تقدم من التهديد والوعيد والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٨١) ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨٢) ﴿

ينزه الله تبارك وتعالى نفسه الكريمة ويقدها ويبرئها عما يقول الظالمون والمكذبون وتنزه وتقدس وتعالى عن قولهم علواً كبيراً . ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿سبحان ربك رب العزة﴾ أي ذي العزة التي لا ترام ﴿عما يصفون﴾ أي عن قول هؤلاء المعتدين المفتريين ﴿وسلام على المرسلين﴾ أي سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة لسلامة ما قالوه في ربهم وصحته وحقيته ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ أي له الحمد في الأولى والآخرة في كل حال ، ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص، ويستلزم إثبات الكمال ، كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال ويستلزم التنزيه من النقص يقرن بينهما في هذا الموضع وفي مواضع كثيرة من القرآن. ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ .

روى الطبراني عن زيد بن الأرقم عن رسول الله ﷺ انه قال : ١٥ [من قال دبر كل صلاة : ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ ثلاث مرات فقد اكتال بالجرب الأوفى من الأجر]

آخر اختصار تفسير سورة الصافات والله الحمد دائماً أبداً

ويليها سورة (ص)

(٣٨) سُورَةُ صَّ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأْنَاهَا بَشَارًا وَمُنَاقِبَاتٍ

نزلت بعد سورة القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ
وَشِقَاقٍ ﴿ (٢) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحِثِّ
مَنَاصٍ ﴿ (٣) ﴾

أما الكلام على الأحرف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة ، بما أغنى عن إعادته .
وقوله تعالى : ﴿ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ أي القرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد
ونفع لهم في المعاش والمعاد . وقد اختلف في جواب هذا القسم قالوا : هو كقوله تعالى :
﴿ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلِ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴾ قال قتادة جوابه : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي
عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ واختاره ابن جرير ، وقيل جوابه : ما تضمنه سياق السورة بكما لها والله
أعلم .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ أي إن هذا القرآن
لذكرى لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر ، وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم ﴿ فِي عِزَّةٍ ﴾ أي
استكبار عنه وحمية ﴿ وَشِقَاقٍ ﴾ أي ومخالفة له ومعاندة ومفارقة ، ثم خوفهم ما أهلك به
الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسول وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء فقال تعالى :
﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ أي من أمة مكذبة ﴿ فَنَادَوا ﴾ أي حين جاءهم العذاب
استغاثوا وجأروا إلى الله تعالى وليس ذلك بمجد عنهم شيئاً كما قال عز وجل : ﴿ فَلَمَّا
أَحْسَوْا بِأَسْنَائِهِمْ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكَضُونَ ﴾ أي يهربون ﴿ لَا تَرْكَضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ
وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴾ سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قول الله تبارك وتعالى :
﴿ فَنَادَوا وَلَا تَحِثِّ مَنَاصٍ ﴾ قال : ليس بحين نداء ولا نزول ولا فرار . أي نادوا النداء
حين لا ينفعهم . وقال محمد بن كعب : نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم وتابوا حين

لا تنفع التوبة . وقال قتادة : لما رأوا العذاب أرادوا التوبة في غير حين النداء . ويقول أهل اللغة : النوص التأخر ، والبوص التقدم . ولهذا قال تبارك وتعالى ﴿ ولات حين مناص ﴾ أي ليس الحين حين فرار ولا ذهاب والله الموفق للصواب .

﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (٤) أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَضْبِرُوا عَلَى آلِهَتِهِمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ ﴿٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مِمَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

يخبر تعالى عن المشركين في تعجبهم من بعثة رسول الله ﷺ بشيراً ونذيراً ، كما قال عز وجل : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عَنْهُمْ قَالِ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾ وقال جل وعلا ها هنا : ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ﴾ أي بشر مثلهم ﴿ وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً ﴾ أي أَرْحَمُ أَنْ الْمَعْبُودَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ؟ فقد تعجبوا من ترك ما كان عليه آبائهم من عبادة الأوثان ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ وانطلق الملائكة منهم ﴿ أي سادتهم وكبرائهم قائلين : ﴿ آمسوا ﴾ أي استمروا على دينكم ﴿ واضربوا على آلِهَتِكُمْ ﴾ ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ أي يريد محمد بدعوته الشرف والاستلاء عليكم .

« ذكر سبب نزول هذه الآيات الكريمات »

المطلب وغيرهم على أبي طالب فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن خيك، فمره فليكشف عن شتم أمتنا ، فبعث إليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال : يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وقد سألوك أن تكف عن شتم أمتهم ويدعوك وإهلك قال ﷺ « يا عم أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم » قال وإلى م تدعوهم ؟ قال ﷺ : أدعوهم أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم » فقال أبو جهل لعنه الله من بين القوم ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها. قال ﷺ : « تقولون لا إله إلا الله » فنفروا وقالوا : سلنا غيرها قال ﷺ « لو جئتموني بالشمس حتي تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها » فقاموا من عنده غضاباً وقالوا والله لنشتمنك وإهلك الذي أمرك بهذا ﴿ وانطلق الملا منهم أن امشوا واصبروا على آلتكم إن هذا لشيء يراد ﴾ [عن السدي مختصراً. ورواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير وزاد : ١٧] فلما خرجوا دعا رسول الله ﷺ عمه إلى قوله لا إله إلا الله فأبى وقال : بل على دين الأشياخ ونزلت : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ [. وقولهم : ﴿ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ﴾ أي ما سمعنا بهذا الذي يدعوننا إليه محمد من التوحيد في الملة الآخرة ، قالوا لو كان هذا القرآن حقاً لأخبرتنا به النصارى. ﴿ إن هذا إلاّ اختلاق ﴾ وقولهم : ﴿ أنزل عليه الذكر من بيننا ﴾ يعني أنهم يستبعدون تخصيص محمد ﷺ بإنزال القرآن عليه من بينهم كلهم كما حكى الله تعالى عنهم في الآية الأخرى : ﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ قال الله تعالى : ﴿ أ هم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم ، معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ﴾ ولهذا لما قالوا هذا الذي دلّ على جهلهم ، وقلة عقولهم في استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم قال الله تعالى : ﴿ بل لما يذوقوا عذاب ﴾ أي إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا عذاب الله ونقمته ، ثم قال الله تعالى مبيناً أنه المتصرف في ملكه الفعال لما يشاء يعز ويذل ويهدي ويضل من يشاء ويبعث رسولا ممن يشاء ، ويحتم على قلب من يشاء ولا يملك معه أحد مثقال ذرة ولهذا قال تعالى منكراً عليهم : ﴿ أم عندهم خزان رحمة ربك العزيز الوهاب ﴾ العزيز الذي لا يرام جنبه ، الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد . كقوله تعالى : ﴿ لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكنكم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً ﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿ أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرققوا في الأسباب ﴾ أي إن كان لهم ذلك فليصعدوا في الأسباب أي طرق السماء حتى السابعة . ثم قال تعالى : ﴿ جنداً ما هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾ أي هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عزة وشقاق سيهزمون ويغلبون. كقوله جلّت عظمتة : ﴿ سيهزم الجمع ويولّون الدبر ﴾ .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾ (١٢)
وَنَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿ (١٣) إِنَّ
كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ ﴿ (١٤) وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءَ إِلَّا صَيْحَةً
وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿ (١٥) وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ
الْحِسَابِ ﴿ (١٦) أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴿

يخبر تعالى عن هؤلاء القرون الماضية، وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقد تقدمت قصصهم مبسطة في أماكن متعددة . وقوله تعالى : ﴿ أولئك الأحزاب ﴾ أي كانوا أكثر منكم شدة وأكثر أموالاً وأولاداً فما دفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمره تعالى . ولهذا قال عز وجل : ﴿ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ ﴾ فجعل علة إهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر . وقوله تعالى : ﴿ وما ينظر هؤلاء إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ أي ما لها من رجعة تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها أي اقتربت ودنت وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر الله تعالى إسرائيل أن يطولها فلا يبقى أحد في السموات والأرض إِلَّا فزع ، إِلَّا من استثنى الله عز وجل .

وقوله جل جلاله : ﴿ وقالوا ربَّنَا عجل لنا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ سألوا تعجيل نصيبهم الذي يستحقونه من الخير أو الشر في الدنيا ، ولما كان هذا الكلام على وجه الاستهزاء والاستبعاد قال الله تعالى لرسوله ﷺ ، آمراً له بالصبر على أذاهم ومبشراً له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر . وقوله تعالى : ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد إِنَّهُ آوَابٌ ﴾ أي إنه كان ذا قوة في العلم والعمل والعبادة والفقه في الإسلام وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : ١٨ [أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صِيَامُ دَاوُدَ . كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيَفْطَرُ يَوْمًا وَلَا يَفْرُ إِذَا لَاقَى وَإِنَّهُ كَانَ آوَابًا] أي رجاعاً إلى الله عز وجل في جميع أموره وشؤونه .

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١٧) ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (١٨) ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ (١٩) ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ (٢٠) ﴿

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق ﴾ أي أنه تعالى سخر الجبال تسبح أي تحيي الجبال الشاخات ترجع معه وتسبح تبعاً له وقوله تعالى : ﴿ والطير محشورة ﴾ أي محبوسة في الهواء ﴿ كل له أواب ﴾ أي مطيع يسبح تبعاً له كما قال عز وجل ﴿ يا جبال أوبي معه والطير ﴾ وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيئه إذا مرَّ الطير وهو سابح في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب بل يقف في الهواء ويسبح معه وتحيي الجبال الشاخات . وقوله تعالى : ﴿ وشددنا ملكه ﴾ أي جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه الملوك . وقوله جل وعلا ﴿ وآتيناه الحكمة ﴾ أي النبوة وكل ما تقتضيه من العقل والفهم والفتنة والعدل والصواب ﴿ وفصل الخطاب ﴾ أي الإصالة في الحكم وفي كل شيء .

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبُوءُ الْخَصَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (٢١) ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَآمَدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (٢٢) ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (٢٣) ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٢٤) ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ (٢٥) ﴿

قد ذكر المفسرون هاهنا قصة ... أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن

المعصوم ﷺ حديث يجب اتباعه فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة ، وإن يردَّ علمها إلى الله عز وجل ؛ فإن القرآن حق ، وما تضمنه فهو حق أيضاً ^(١) وقوله تعالى : ﴿ ففرع منهم ﴾ إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم ، فلم يشعر إلاّ بشخصين قد تسوّرا عليه المحراب أي احتاطا به يسألانه عن شأنهما ، وقوله عز وجل : ﴿ وعزني في الخطاب ﴾ أي قهرني وغلبني ، وقوله تعالى : ﴿ وظن داود أنما فتناه ﴾ أي اختبرناه . وقوله تعالى : ﴿ وخسر راعياً ﴾ أي ساجداً ، ﴿ وأتاب ﴾ أي تاب مما كان منه ، مما يقال فيه ، إن حسنات الأبرار ، سيئات المقربين . وثبت أن السجدة التي في هذه السورة أي قوله تعالى : ﴿ وخسر راعياً ﴾ أي ساجداً فقد كان رسول الله ﷺ يسجدها . قال البخاري عند تفسيرها عن العوام قال : ١٩ [سألت مجاهداً عن سجدة ﷺ] فقال سألت ابن عباس رضي الله عنهما من أين سجدت فقال : أو ما تقرأ : ﴿ ومن ذريته داود وسليمان ﴾ ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ فكان داود عليه الصلاة والسلام ممن أمّر نبيكم ﷺ أن يقتدي به فسجدها داود عليه الصلاة والسلام فسجدها رسول الله ﷺ .]

وقد اختلف الأئمة هل هذه السجدة من عزائم السجود فمنهم من اعتبرها كذلك ومنهم من عدّها سجدة شكر . وقوله تعالى : ﴿ وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾ أي وإن له يوم القيامة لقربة يقربه الله عز وجل ، وحسن مرجع ، وهو الدرجات العالية لنبوته وعدله التام في ملكه . كما جاء في الصحيح : ٢٠ [المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين يقسطون في أهلهم وماولوا] .

﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (٢٦)

هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور ان يحكموا بين الناس بالحق المترل من عنده

(١) قلت : إن القصة الإسرائيلية التي نوه عنها المفسر رحمه الله تعالى تتلخص في أن داود أرسل أحد قواده إلى الحرب ليقتل - وقد قتل - ليضم زوجته إلى زوجاته التسع والتسعين ... هذا لا يفعله نبي معصوم عن الدنيايا ... فعاشا داود منها عليه أفضل الصلاة وآتم التسليمات وأزكى التحيات .

تبارك وتعالى ولا يشذوا عنه فيضلوا عن سبيل الله وقد أعد الله لمن ضلَّ وتناسى يوم الحساب عذاباً شديداً . قال ابن أبي حاتم عن ابراهيم ابو زرعة وكان قد قرأ الكتاب ، إن الوليد ابن عبد الملك قال له : أيحاسب الخليفة؟ فانك قد قرأت الكتاب الأول وقرأت القرآن وفقّهت . فقلت يا أمير المؤمنين : أقول؟ قال قل في أمان الله ، قلت: يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أم داود عليه الصلاة والسلام ، ان الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ، ثم توعدّه في كتابه فقال تعالى : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ الآية ... وقوله تعالى : ﴿ إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ قال السدي : أي لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب ، والله الموفق للصواب .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (٢٨) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢٩)

يخبر تعالى انه ما خلق الخلق إلا ليعبدوه ويوحدوه ، ثم يجمعهم يوم القيامة فيجزى كلّا بما يستحق ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا ﴾ أي بالبعث والمعاد ﴿ فويل للذين كفروا من النار ﴾ أي ويل لهم يوم القيامة من النار التي تنتظرهم . وقوله تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ كلاً لا يستوون عند الله . ويرشدنا سبحانه الى أنه لا بد من إثابة المطيع ومعاقبة الفاجر . وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء فالظالم الباغي في هذه الدنيا قد يموت على بغيه وظلمه ، والمطيع المظلوم يموت كمدّاً فلا بد من أن ينصف هذا من هذا، فإذا لم يقع هذا في هذه الدار ، فدل على أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة . وبهذا اقتضت حكمة العلم الخبير العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة ، وإلى هذا ارشد القرآن . فقال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ أي ذوو العقول والألباب جمع لب

وهو العقل. قال الحسن البصري : والله ما تدبرُهُ بحفظ حروفه ، وإضاعة حدوده ، حتى أن أحدهم ليقول : قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل ؛ رواه ابن أبي حاتم .

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٣٠) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿ (٣٣) ﴾

يخبر تعالى انه وهب لداود سليمان أي نبياً كما قال تعالى ﴿ وورث سليمان داود ﴾ أي في النبوة والأفقد كان له بنون غيره وقوله تعالى : ﴿ نعم العبد إنه أواب ﴾ ثناء على سليمان بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله عز وجل .

قال ابن أبي حاتم عن مكحول قال : لما وهب الله تعالى لداود سليمان قال له يا بني ما أحسن ؟ قال سكينته الله والإيمان . قال : فما أقبح ؟ قال : كفر بعد إيمان . قال : فما أجلي ؟ قال : روح الله بين عباده ، قال : فما أبرد ؟ قال عفو الله عن الناس وعفو الناس بعضهم عن بعض قال داود عليه السلام فأنت نبى .

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴾ أي اذ عرض على سليمان ﷺ في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات قال مجاهد : وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة ، والجياذ السراع ، وكانت عشرين فرساً ذات أجنحة ، كذا رواه ابن جرير .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت الصلاة صلاة العصر والذي يقطع به أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه من ذلك عن جابر رضي الله عنه قال : ٢١ [جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ويقول : يا رسول الله والله ما كدت

أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب . فقال رسول الله ﷺ « والله ما صليتها » فقال فقمنا إلى بطحان فتوضأ نبي الله ﷺ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلتى بعدها المغرب] . وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعاً فنسخ ذلك بصلاة الخوف ، وقوله تعالى : ﴿ ردوها عليّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق ﴾ قال الحسن البصري لا ، قال : والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك ، ثم أمر بها فعمرت وكذا قال قتادة وقال السدي : ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنها جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حباً لها وهذا القول اختاره ابن جرير قال لأنه لم يكن ليعذب حيواناً بالعرقبة ، ويهلك ماله من ماله بلا سبب ، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها .

﴿ وَلَقَدْ فْتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ (٣٤)
 قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ
 الْوَهَّابُ ﴿ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿ (٣٦)
 وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿ (٣٨)
 هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا
 لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿ (٤٠) ﴾

يقول تعالى : ﴿ ولقد فتننا سليمان ﴾ أي اختبرناه بأن سلبناه الملك ﴿ وألقينا على كرسيه جسداً ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن و قتادة وغيرهم يعني شيطاناً ﴿ ثم أناب ﴾ أي رجع الى ملكه وسلطانه وأبتهته ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾ أنت الوهاب ﴿ إنه سأل الله تعالى ملكاً لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله وهذا هو ظاهر

(١) قلت : يرويها هنا ابن كثير رحمه الله تعالى روايات وصفها هو نفسه بأنها قصص اسرائيلية مروية عن ابن عباس و قتادة والسدي ومجاهد . قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما - ان صح عنه - من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام والظاهر أنهم يكذبون عليه ولهذا كان في هذه القصص منكرات) ولذلك ضربت صفحاً عن ذكرها .

السياق من الآية وبذلك وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ .

روى البخاري عند تفسير هذه الآية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ٢٢ إن عفريتاً من الجن تفلّت عليّ البسارحة - أو كلمة نحوها - ليقطع على الصلاة فأمكنني الله تبارك وتعالى منه ، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان عليه الصلاة والسلام : ﴿ رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾ قال روح^(١) فردّه خاسئاً [وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به .

روى مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : ٢٣ [قام رسول الله ﷺ يصلي فسمعناه يقول : « أعوذ بالله منك - ثم قال - العنك بلعنة الله » ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال ﷺ : « ان عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجمعه في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت ان اخذه ، والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقاً يلعب به صبيان أهل المدينة »]

روى الطبراني عن رافع بن عمير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ٢٤ [قال الله عز وجل لداود عليه الصلاة والسلام ابن لي بيتاً في الأرض فبنى داود بيتاً لنفسه قبل البيت الذي أمر به فأوحى الله إليه : يا داود نصبت بيتك قبل بيتي قال يا رب هكذا قضيت : من ملك استأثر ، ثم أخذ في بناء المسجد فلما تم السور سقط ثلاثاً فشكا ذلك إلى الله عز وجل فقال : يا داود إنك لا تصلح أن تبني لي بيتاً قال ولم يا رب ؟ قال لما جرى على يديك من الدماء ، قال يا رب أو ما كان ذلك في هواك ومحبتك ؟ قال بلى ولكنهم عبادي وأنا أرحمهم فشق ذلك عليه ، فأوحى الله إليه : لا تحزن ، فإني سأقضي ببناءه على يدي ابنك سليمان فلما مات داود أخذ سليمان في بنائه ولما تم ، قرب القرابين وذبح الذبائح وجمع بني اسرائيل فأوحى الله إليه قد أرى سرورك ببنيان بيتي فسلي أعطك ، قال أسألك ثلاث خصال : حكماً يصادف حكمك ، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ، ومن أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه - قال رسول الله ﷺ - أما الثنتان فقد أعطيتهما ، وأنا أرجو أن يكون قد أعطي الثالثة]

قال الله تعالى وجلت عظمتة ﴿ فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ﴾

— كقوله تعالى — : ﴿ ولسليمان الريح غدوّها شهر ورواحها شهر ﴾ ... قال ابو القاسم ابن عساكر : والّتي بعدها — أي الآية التي بعدها — : ﴿ والشياطين كلّ بناءٍ وغواص ﴾ — فأعطاه ما أعطاه وفي الآخرة لا حساب عليه .

وقوله تعالى : ﴿ حيث أصاب ﴾ أي حيث أراد من البلاد . وقوله جل جلاله : ﴿ والشياطين كلّ بناءٍ وغواص ﴾ أي منهم ما هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب ، وقدور راسيات إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة ، التي لا يقدر عليها البشر ، وطائفة غواصون في البحار يستخرجون ما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة ، التي لا توجد إلا فيها . ﴿ وآخرين مقرنين في الأصفاد ﴾ أي موثوقون في الأغلال والأكبال ، ممن قد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى ، أو قد أساء في صنيعه واعتدى .

وقوله عز وجل : ﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾ أي هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا ، فأعط من شئت واحرم من شئت لا حساب عليك . أي مهما فعلت فهو جائز لك احكم بما شئت فهو صواب . ولما ذكر تبارك وتعالى ما أعطى سليمان عليه الصلاة والسلام في الدنيا ، نبه تعالى على أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضاً فقال تعالى : ﴿ وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾ أي في الدار الآخرة وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ خيّر بين أن يكون عبداً رسولاً وبين أن يكون نبياً ملكاً يعطي من يشاء ويمنع من يشاء بلا حساب ولا جناح ، اختار المنزلة الأولى بعدما استشار جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له تواضع فاختر المنزلة الأولى لأنها أرفع قدراً عند الله تعالى ، وأعلى منزلة في المعاد وإن كانت المنزلة الثانية وهي النبوة مع الملك عظيمة أيضاً في الدنيا .

﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ
بِنُصَبٍ وَعَذَابٍ ﴾ (٤١) ﴿ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ (٤٢)
وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٤٣)
وَأَخَذْ بِيَدِكَ ضَغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ
إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٤٤)

يذكر تبارك وتعالى عبده ورسوله أيوب عليه الصلاة والسلام وما كان ابتلاه تعالى به من الضر في جسده وماله ولم يبق له من أحد يستعين به على مرضه إلا زوجته. حفظت ودّه لإيمانها بالله تعالى ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نحواً من ثماني عشرة سنة وكان قبلاً ذا سعة في المال والولد فلما طال المطال وتم الأجل المقدر تضرع الى رب العالمين فقال : ﴿إني مني الضر وانت أرحم الراحمين﴾ وفي هذه الآية الكريمة قال : ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مني الشيطان^(١) بنصب وعذاب﴾ فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين . وأمره أن يقوم حالاً وأن يركض الأرض برجله ففعل فأنبع الله تعالى عيناً وأمره أن يغتسل منها فأذهبت ما به من الأذى ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له عيناً أخرى ، وأمره أن يشرب منها فأذهبت جميع ما كان في بطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهراً وباطناً ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٢٥ [بينما أيوب يغتسل عرياناً خراً عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يخثو في ثوبه فناده ربه عز وجل : يا أيوب ألم أكن أغيتك عما ترى ؟ قال عليه الصلاة والسلام : بلى يا رب ، ولكن لا غنى لي عن بركتك] . انفرد بإخراجه البخاري . ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب﴾ فقد رحمه الله تعالى على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته بأن وهب له أهله قال الحسن وقتادة : أحياهم الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم وقوله تعالى : ﴿وذكرى لأولي الألباب﴾ أي لأهل العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة .

وقوله جلّت عظمته : ﴿وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحث﴾ وذلك أنه كان غضب على زوجته لذنب فعلته ، وأقسم أن يجلدها مائة ، ولما شفاه الله وكانت زوجته كما تقدم مخلصه له في خدمته التامة والرحمة به والشفقة عليه والإحسان إليه ، ما رأى أن يكافئها على ذلك بالضرب فأفتاه الله عز وجل أن يأخذ ضغثاً ، وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد برّت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنذره . وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأتاب إليه . ولهذا قال جل وعلا ﴿إننا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ أي إنه رجّاع منيب .

(١) قلت : لعله قصد بقوله : « اني مني الشيطان بنصب وعذاب » أي مني المرض كقوله في الآية الأخرى : «إني مني الضر ... » فجعل الشيطان كناية عن المرض الذي انتابه .

﴿وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٤٥) ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ (٤٦) ﴿وَلَهُمْ عِنْدَنَا لِمَنْ الْمُصْطَفِينَ الْآخِيَارِ﴾ (٤٧) ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْآخِيَارِ﴾ (٤٨) ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن فضائل عباده الأنبياء والمرسلين : ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾ أي أهل العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة . وقوله تبارك وتعالى : ﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم همٌ غيرها، ويذكرون الناس بالعمل لها فكان جزاؤهم الجنة . وقوله تعالى : ﴿ولهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ أي لمن المختارين والمجتبين الأخيار فهم أخيار مختارون . وقوله عز وجل ﴿واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار﴾ قد تقدم الكلام على قصصهم وأخبارهم مستقصاة في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما أغنى عن إعادته ههنا . وقوله عز وجل : ﴿هذا ذكر﴾ أي هذا فصل فيه ذكر لمن يتذكر .

﴿وَأَنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَّآبٍ﴾ (٤٩) ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمْ﴾ (٥٠) ﴿مُتَكِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ (٥١) ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرَفِ أَتْرَابٌ﴾ (٥٢) ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (٥٣) ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (٥٤) ﴿﴾



يخبر تعالى عن عباده المؤمنين السعداء أن لهم في الدار الآخرة لحسن مآب أي لمرجع ومنقلب في : ﴿جنت عدن﴾ أي جنت إقامة مفتحة أبوابها أي إذا جاءوها فتحت لهم .

وقوله عز وجل : ﴿متكئين فيها﴾ متربعين على سرر تحت الحجال ﴿يدعون فيها بفاكهة كثيرة﴾ أي مهما طلبوا وجدوا ، وأحضر كما أرادوا . ﴿وشراب﴾ من أي أنواعه شاعوا أنهم به الخدم . ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ أي عن غير أزواجهن فلا يلتفتن

(٣٨-ص-ج ٢٣): وياشقاء أهل النار: عذاب مقيم، والشراب حميم، والأكل زقوم ٣٧

إلى غيرهم ﴿أتراب﴾ أي متساويات في السن والعمر ﴿هذا ما توعدون ليوم الحساب﴾ أي وعدا لعباده المتقين ، ثم أخبر تعالى عن الجنة انه لا زوال منها ولا انقضاء لنعيمها فقال تعالى : ﴿إن هذا لرزقنا ماله من نفاد﴾ كقوله تعالى : ﴿عطاء غير مجدوذ﴾ وكقوله تعالى : ﴿أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار﴾

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ﴾ (٥٥) ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْشَأُ مِنَ الْمُهَادِ﴾ (٥٦) ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ (٥٧) ﴿وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ (٥٨) ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ لِنَهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ (٥٩) ﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَنْشَأُ الْقَرَارُ﴾ (٦٠) ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ (٦١) ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ (٦٢) ﴿أَتَخَذْنَا هُمْ سَخَرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ (٦٣) ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ (٦٤)

لما ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء، ثنى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم، في دار معادهم وحسابهم. فقال عز وجل: ﴿هذا وإن للطاغين﴾ وهم الخارجون عن طاعة الله عز وجل المخالفون للرسول ﷺ ﴿لشر مآب﴾ أي لسوء منقلب. ثم فسره بقوله جل وعلا ﴿جهنم يصلونها﴾ أي يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم ﴿فبئس المهاد﴾ هذا فليذوقوه حميمٌ و«غساق» أما الحميم فهو الحار الذي بلغ أشد درجات الحرارة ، وأما الغساق، فهو البارد الذي لا يستطيع من شدة البرد المؤلم. ولهذا قال عز وجل : ﴿وآخر من شكله أزواج﴾ أي وأشياء من هذا القبيل: الشيء وضده يعاقبون بها كالتزمهير والسموم وشرب الحميم وأكل الزقوم، والصعود والهوي، إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتضادة، والجميع مما يعذبون به ، ويهانون بسببه .

وقوله عز وجل : ﴿هذا فوج مقتحم معكم لا مرجأ بهم لهنهم صالوا النار﴾ هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض . كما قال تعالى : ﴿كلما دخلت أمة

لعت أختها ﴿ يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض. فتقول البطائفة التي تدخل قبل الأخرى التي بعدها ﴾ هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار ﴿ فيقول الداخلون : ﴿ بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا ﴾ أي أنتم دعوتهمونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير ﴿ فيبئس القرار ﴾ أي فيبئس المنزل والمستقر والمصير ﴿ قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار ﴾ كما قال الله تعالى : ﴿ قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ أي لكل منكم عذاب بحسبه. ﴿ وقالوا مالنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار اتخذناهم سخرياً أم زأغت عنهم الأبصار ﴾ هذا إخبار عن الكفار الذين افتقدوا المؤمنين الذين كانوا يسخرون منهم في الدنيا قالوا مالنا لا نراهم معنا في النار هذا قول أمثال أبي جهل يفتقدون أمثال بلال وصهيب افتقدوهم في النار فلم يجدوهم ، فبدأوا يسألون أنفسهم بالمحال يقولون : ﴿ أم زأغت عنهم الأبصار ﴾ أي لعلهم معنا ولكن لم يقع بصرنا عليهم ... هنالك يعرفون أن من يسألون عنهم هم في الدرجات العاليات يجيبونهم كما قال تعالى : ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين - الى قوله تعالى - ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ﴾ أي أن هذا الذي أخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ولعن بعضهم لبعض . إنه لحق لا مرية فيه ولا شك .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٦٥)
 رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿ (٦٦) قُلْ هُوَ
 نَبِيُّ عَظِيمٌ ﴿ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿ (٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ
 الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿ (٦٩) إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنْتُمْ أَنَا نَذِيرٌ
 مُّبِينٌ ﴿ (٧٠) ﴾

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للكفار والمشركين ﴿ إنما أنا منذر وما من آله إلا الله الواحد القهار ﴾ أي قهر كل شيء وحده وغلبه ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما ﴾ أي هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه ﴿ العزيز الغفار ﴾ أي غفار مع عظمته وعزته

﴿ قل هو نبيّ عظيم ﴾ خبر عظيم وهو إرسالي اليكم من قبليّ تعالى بالقرآن ﴿ انتم عنه معرضون ﴾ أي غافلون . وقوله تعالى : ﴿ ما كان لي من علم بالملاّ الأعلى اذ يختصمون ﴾ أي لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملاّ الأعلى ؟ يعني في شأن آدم عليه الصلاة والسلام وامتناع إبليس من السجود له ومحاجته ربه في تفضيله عليه : ﴿ الا انما أنا نذير مبين ﴾

﴿ اذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين ﴾ (٧١)
 ﴿ فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (٧٢)
 ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ (٧٣) إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ﴿ (٧٤) قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ استكبرت أم كنت من العالين ﴾ (٧٥) قال أنا خير منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين ﴿ (٧٦) قال فاخرج منها فإنك رجيم ﴾ (٧٧) وإنّ عليك لعني إلى يوم الدين ﴿ (٧٨) قال ربّ فأنظرني إلى يوم يبعثون ﴾ (٧٩) قال فإنك من المنظرين ﴿ (٨٠) إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ (٨١) قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ﴿ (٨٢) إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ (٨٣) قال فالحقّ والحقّ أقول ﴿ (٨٤) لأملأنّ جهنم منك وامن تبعك منهم أجمعين ﴾ (٨٥)

هذه القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة ، وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر ، وسبحان ، والكهف ، وههنا . وهي ان الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه السلام بأنه سيخلق بشراً من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له ، إكراماً وإعظاماً واحتراماً ، وامثالاً لأمر الله تعالى عز وجل . فامثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنساً . كان من الجن فخان طبعه وجبلته أحوج ما كان اليه ، فاستنكف عن السجود لآدم ،

وخاصم ربه عز وجل . وادّعى انه خير من آدم فإنه مخلوق من نار و آدم مخلوق من طين ، والنار خير من الطين في زعمه ، فقد خالف أمر ربه وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل ، وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته وخضرة قدسه ، وسماه إبليس لانه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموماً مدحوراً إلى الأرض . فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه فلما أمن من الهلاك إلى يوم القيامة ترمد وطفى . وقال : ﴿ فبِعِزَّتِكَ لأَعُوْنَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قَالَ إِذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاءً مُّوْفُورًا ﴾ .

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (٨٦)

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿ (٨٧) وَلِتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿ (٨٨) ﴿

يقول تعالى ﴿ قل ﴾ يا محمد هؤلاء المشركين ﴿ ما أسألكم عليه ﴾ أي على بلاغ الرسالة ، والنصح ﴿ من أجر ﴾ من عرض الدنيا تعطونه ﴿ وما أنا من المتكلفين ﴾ أي وما أمرت بتبليغه فقد بلغت وأدبته لا أزيد عليه ولا أنقص منه ، وإنما ابتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة . قال سفيان الثوري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ، ومن لم يعلم ، فليقل : الله أعلم . فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم ، الله أعلم فإن الله عز وجل قال لنبികم ﷺ : ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴾ أخرجاه من حديث الأعمش به . وقوله تعالى : ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ يعني القرآن العظيم لجميع المكلفين من الإنس والجن ، كقوله تعالى : ﴿ لا نذركم به ومن بلغ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾ أي يوم القيامة قال الحسن : يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين .

آخر اختصار تفسير سورة ﴿ ص ﴾ والله الحمد والمنة والشكر والفضل .

(٣٩) سُورَةُ الزَّمَرِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأْنَاهَا جَنِّسٌ وَسَبْعُونَ

إِلَّا الْآيَات ٥٢ - ٥٤ فمَدَنِيَّة نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ سَبَأٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ
إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ
الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى
اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾

يخبر تعالى أن تنزيل القرآن العظيم من عنده تبارك وتعالى فهو الحق الذي لا شك فيه
كما قال تعالى : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين ﴾ . نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون
من المنذرين * بلسان عربي مبين ﴾ وقال جل وعلا ها هنا : ﴿ تنزيل الكتاب من الله
العزیز ﴾ أي المنيع الجناب ﴿ الحكيم ﴾ أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ، ﴿ إنا أنزلنا
إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ أي فاعبده وادعُ الخلق إلى عبادته وحده
لا شريك له إذ لا تصلح العبادة إلاّ له . ولهذا قال تعالى : ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ أي
لا عمل مقبولا إلاّ ما كان خالصاً لله وحده لا شريك له . ثم أخبر تعالى عن عبّاد الأصنام
من المشركين أنهم يقولون : ﴿ ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ أي إنما يحملهم
على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقرّبين في زعمهم
فعبدوا تلك الصور ، تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم

ورزقهم وما ينوبهم في أمور الدنيا فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به - وما كان الشفاء والوسطاء في نظر المشركين إلا مخلوقين لله تعالى مربوبين له ، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم لبك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك . وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه ، والرسول جاءت بردها والنهي عنها والدعوة إلى أفراد العبادة له وحده لا شريك له ، وإن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضي به ، بل أبغضه ونهى عنه . ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴿ على أن هؤلاء الذين اتخذهم المشركون شفعاء لا يستطيعون أن يشفعوا إلاّ بإذنه لمن ارتضى ، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنه فيما أحبّه الملك وأبوه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ﴾ فلا تضربوا لله الأمثال ﴿ وقوله تعالى : ﴿ إن الله يحكم بينهم ﴾ أي يوم القيامة ﴿ فيما هم فيه يختلفون ﴾ أي سيفصل بين الخلائق يوم معادهم ، ويجزي كل عامل بعمله ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿ إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ أي لا يرشد إلى الهداية من يفترون على الله الكذب ، ويكفرون بآياته . وقوله تعالى : ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصفحني مما يخلق ما يشاء ﴾ وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه ، بل هو محال . وإنما مراده تعالى تجهيلهم فيما ادّعوه وزعموه ، فجعل الله وتعالى وتقدس عن الولد والشريك . قال الله تعالى : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ كل هذا من باب الشرط ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لمقصد المتكلم . وقوله تعالى : ﴿ سبحانه هو الله الواحد القهار ﴾ أي تعالى وتتره عن أن يكون له ولد فإنه الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً .

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَورُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَورُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۝ (٥) خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ

أَمْهَاتِكُمْ خَلَقَا مِنْ بَعْدِ خَلْقِي فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتَى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾

يخبر تعالى أنه الخالق لكل شيء والمالك المتصرف بكل شيء ﴿٦﴾ يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل ﴿٦﴾ أي سخرهما بحريان متعاقبين لا يفتران كقوله تعالى : ﴿٦﴾ يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً ﴿٦﴾ وقوله تعالى : ﴿٦﴾ وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ﴿٦﴾ أي إلى مدة معلومة عنده تعالى ﴿٦﴾ ألا هو العزيز الغفار ﴿٦﴾ أي مع عزته وقوته وقدرته هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه . وقوله جلت عظمته : ﴿٦﴾ خلقكم من نفس واحدة ﴿٦﴾ أي من آدم عليه السلام ﴿٦﴾ ثم جعل منها زوجها ﴿٦﴾ وهي حواء عليها السلام كقوله تعالى : ﴿٦﴾ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً ﴿٦﴾ وقوله تعالى : ﴿٦﴾ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴿٦﴾ أي من الضأن والمعرز والإبل والبقر من كل اثنين . وقوله تعالى : ﴿٦﴾ يخلقكم في بطون أمهاتكم ﴿٦﴾ أي قدركم في بطون أمهاتكم ﴿٦﴾ خلقاً من بعد خلق نطفةً فعلقة ، فمضغةً ثم يكون لحمًا وعظماً وعصباً ، وعروفاً وينفخ فيه الروح فيصير خلقاً آخر ﴿٦﴾ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿٦﴾ وقوله تعالى ﴿٦﴾ في ظلمات ثلاث ﴿٦﴾ يعني ظلمة الرحم ، والمشيمة ، والبطن ﴿٦﴾ ذلكم الله ربكم له الملك ﴿٦﴾ أي ملك كل شيء والتصرف في جميع ذلك ﴿٦﴾ لا إله إلا هو ﴿٦﴾ أي الذي لا ينبغي العبادة إلا له لا شريك له ﴿٦﴾ فأنتى تصرفون ﴿٦﴾ أي إلى أين تصرف عقولكم فتعبدون معه غيره ... ؟

﴿٦﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ
وإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾
وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ
نِسِيًّا مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ اللَّهُ أَتَذَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾



يخبر تعالى عن نفسه تبارك وتعالى أنه الغنيُّ عما سواه . كما قال موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ وفي صحيح مسلم : ٢٦ [يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً] وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ أي لا يحبّه ولا يأمر به ﴿ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ أي يحبّه لكم ويزدكم من فضله ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي لا تحمل نفس عن نفس شيئاً بل كلُّ مطالب بنفسه ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي فلا تخفى عليه خافية .

وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ أي عند حاجته يستغيث بالله وحده لا شريك له ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ ولكن في حالة الرضاء ينسى ذلك الدعاء والتضرع ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ اللَّهُ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ أي في حالة العافية يشرك بالله ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ أي قل يا محمد لمن هذه حالته وطريقته ومسلكه تمتّع بكُفْرِكَ قَلِيلًا وهو تهديد شديد ووعيد أكيد . كقوله تعالى : ﴿ نَتَمَتَّعْهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ .

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٩)

قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا ﴾ أي أمَّنْ كان خاشعاً في جوف الليل ساجداً قائماً لله تعالى مطيعاً له ، كمن أشرك به تعالى وجعل له أنداداً ؟ لا يستوون عند الله كما قال سبحانه : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ... ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ أي في حال عبادته خائف راجع ولا بد في العبادة من الخوف والرجاء ، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب ، ولهذا قال تعالى ﴿ يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب . روى الإمام عن عبد بن حميد في مسنده

(٣٩ - الزمر - ج ٢٣) : لا يستوي الطائع والعاصي ، ولا يفرق بينهما إلاّ العاقلون ٤٥

عن أنس رضي الله عنه قال : ٢٧ [دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو في الموت فقال له : « كيف تجدك » فقال أرجو وأخاف ، فقال رسول الله ﷺ « لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلاّ أعطاه الله عز وجل الذي يرجو ، وأمنه الذي يخافه »] ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه . وقوله تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ يعني هل يستوي هذا القائم الساجد الخاشع الخائف الراجي ، مع الذي جعل الله أنثاداً ليضلّ عن سبيل الله ﴿ إنّما يتذكر أولو الألباب ﴾ أي إنّما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل ، والله أعلم .

﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠) قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه : ﴿ قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ﴾ أي لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأخراهم ، وقوله تعالى : ﴿ وأرض الله واسعة ﴾ قال مجاهد فهاجروا فيها وجاهدوا واعتزلوا الأوثان والمعاصي وهربوا منها مهاجرين إلى أرض الإسلام والطاعة . وقوله تعالى : ﴿ إنّما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ أي ليس يوزن لهم إنّما يغرف لهم غرفاً . وقوله تعالى : ﴿ قل إني أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ أي لا أشرك به أحداً ﴿ وأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) قال السدي : يعني من أمته ﷺ .

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٣) قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنِّ

(١) قلت : « وأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ » أي أول المسلمين في تنفيذ كل طاعة والأنتهاء عن كل معصية . كما أن فيها بالنسبة لباقي المسلمين معنى التصارع لتنفيذ أوامره تعالى وترك نواهيه بشكل يحاول كل أن يكون أول الجميع انتماراً وانتهاءً والله تعالى أعلم .

الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ
ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾
وأنا رسول الله ، وهذا شرط ومعناه التعريض بغيره بطريق الأولى والأخرى ، ﴿ قل ﴾
الله أعبدُ مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴿ وهذا أيضاً تهديد وتبرؤ منهم ﴾ ﴿ قل ﴾
إن الخاسرين ﴿ أي كل الخسران هم : ﴾ الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ﴿
أي تفارقوا فلا التقاء لهم أبداً . وسواء ذهب أهلوه إلى الجنة وهم إلى النار ، أو أن الجميع
أسكنوا النار ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور . ﴿ ألا ذلك هو الخسران المبين ﴾ أي الواضح
الظاهر ، ثم وصف حالهم في النار فقال : ﴿ لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم
ظلل ﴾ كما قال عز وجل ﴿ لهم من جهنم مهاد ﴾ ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين ﴿
وقوله تعالى : ﴿ ذلك يخوف الله به عباده ﴾ إنما يقص خبر ما سيقع لا محالة ليزدجروا
عن المحارم والمآثم ﴿ يا عباد فاتقون ﴾ أي اخشوا بأسي وسطوتي ونقمتي وعذابي .

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَيْهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ﴾ أي الذين اجتنبوا عبادة
الأوثان ورجعوا إلى عبادة الرحمن فهو لاء هم الذين لهم البشرى في الدنيا والآخرة ولهذا
قال جل وعلا ﴿ فبشر عباد ﴾ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴿ أي يفهمونه
ويعملون بما فيه ﴾ أولئك الذين هداهم الله ﴿ أي المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم
الله في الدارين ﴾ وأولئك هم أولوا الأبواب ﴿ أي ذوو العقول السليمة والفطر المستقيمة .

﴿ أَفَنَنْحِقَ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ ﴿١٩﴾

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقَهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ أَلْعِيعَادَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى أفمن كتب الله أنه شقي تقدر أن تنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك أي لا يهديه أحد من بعد الله ، لأنه من يضل الله فلا هادي له ، ومن يهده فلا مضل له ثم أخبر عز وجل عن عباد السعداء أن لهم غرفاً في الجنة وهي القصور أي الشاهقة ﴿ من فوقها غرف مبنية ﴾ طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات .

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ٢٨ [أن أهل الجنة ليتراءون في الجنة أهل الغرف كما تراءون الكوكب الدرّي الغارب في الأفق الطالع . في تفاضل أهل الدرجات - فقالوا يا رسول الله أولئك النبيون ؟ فقال ﷺ « بلى والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل »]

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول ٢٩ [قلنا يا رسول الله إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة . فإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد قال ﷺ : « لو أنكم تكونون على كل حال ، على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم . ولو لم تذنبوا لجاء الله عز وجل بقوم يذنبون كي يغفر لهم » قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال ﷺ « لبننة من ذهب ولبننة من فضة وملأها المسك الازفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران ، من يدخلها بنعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام ، وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب تبارك وتعالى وعزتي لأنصرك ولو بعد حين »] وقوله تعالى : ﴿ تجري من تحتها الأنهار ﴾ أي تسلك الأنهار بين خلال ذلك كما يشاؤون وأين أرادوا . ﴿ وعد الله ﴾ أي هذا الذي ذكرناه وعدٌ وعده الله عياده المؤمنين ﴿ لا يخلف الله الميعاد ﴾ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ نَزَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ

يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ
 اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ
 ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

يخبر تعالى أن أصل الماء في الأرض من السماء كما قال عز وجل: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
 السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ قال سعيد بن جبير أصله من الثلج يعني أن الثلج يتراكم على الجبال
 فيسكن في قوارها فتنبع العيون من أسافلها. وقال ابن عباس: ليس في الأرض ماء إلا أنزل
 من السماء ولكن عروق في الأرض تُغَيِّرُهُ. فهذا قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلَفًا أَلْوَانُهُ ﴾
 في أشكاله وطعومه وروائح ومنافعه ، ﴿ ثُمَّ يَهِيْجُ فَيُتْرَاةً مُّصْفَرًّا ﴾ خالطة اليبس ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ
 حُطَامًا ﴾ أي يعود يابساً يتحطم ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ أي الذين يتذكرون
 فيتعظون بأن الدنيا هكذا ، تكون خضرة حسناء ثم تعود عجوزاً شوهاء. والشاب يعود
 شيخاً ضعيفاً ثم يموت ، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير ، وكثيراً ما يضرب الله
 تعالى مثل الحياة الدنيا بالزرع، الذي يكون ناضراً ثم يكون حطاماً. كما قال تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ
 لَهُمْ مَّثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَخُتِلَتْ بِهِ بُيُوتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ
 الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ وقوله تبارك وتعالى: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ
 لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ أي هل يستوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق
 كقوله عز وجل: ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ
 فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ ولهذا قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾
 أي فلا تلين عند ذكره ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم ﴿ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ .

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ
 جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ
 هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن
 هَادٍ ﴾ (٢٣)

هذا مدح من الله عز وجل لكتابه العظيم فقال جلّ وعلا: ﴿ الله نزل أحسن الحديث

كتاباً متشابهاً مثاني ﴿ قال بعض العلماء ومنهم سفيان بن عيينة : إن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد فهذان من التشابه ، وتارة تكون بذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين ثم الكافرين ، وكصفة الجنة ثم صفة النار وما أشبه هذا ... فهذا من المثاني كقوله تعالى : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم ﴾ وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضاً فهو التشابه . وليس هذا من التشابه المذكور في قوله تعالى : ﴿ منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ ذاك معنى آخر أي ليس هذا من التشابه كقوله : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله . ﴾ كذلك التشابه الوارد في قوله تعالى ها هنا : ﴿ كتاباً متشابهاً مثاني ... ﴾

وقوله تعالى : ﴿ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ أي هذه صفة الأبرار عند سماع كلامه جل جلاله ، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد ، والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف. ﴿ ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ لما يرجون ويؤمنون من رحمته ولطفه ، فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه ... (أحدها) : ان سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات ، وسماع أولئك نغمات الأبيات من أصوات القينات (الثاني) : أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سُجداً وبُكياً بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم . كما قال تعالى : ﴿ والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً ﴾ أي إنما يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل . وتقليد أعمى ومتابعة لغيرهم . (الثالث) : أنهم يلزمون الأدب عند سماعها كما كان الصحابة رضي الله عنهم يسمعونها وتقشعر جلودهم وتلين قلوبهم إلى ذكر الله ، ولم يكونوا يتصارخون ... !! ؟ ولا يتكلفون ما ليس فيهم بل عندهم من الأدب والسكون والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك ولهذا فازوا بالرضا والمدح من الله في الدارين . بخلاف بعض الجماعات ... !! ؟ الذين تذهب عقولهم !! ويغشى عليهم ؟ ! إنما هذا في أهل البدع ، وهذا من الشيطان . وقوله تعالى : ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ﴾ أي هذه هي صفات من هداه الله ومن كان على خلاف ذلك ، فهو ممن أضله الله ﴿ ومن يضل الله فما له من هاد . ﴾

﴿...﴾ أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَاجِهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ

مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى : ﴿ أفمن يتقي بوجهه سوءَ العذاب يوم القيمة ﴾ أي أفمن يواجه يوم القيامة أعظم العذاب كمن يكون في ذلك اليوم آمناً منه ؟ ﴿ وقيل للظالمين ﴾ أي يقال له ولأمثاله من الظالمين تقریباً لهم : ﴿ ذوقوا ما كنتم تكسبون ﴾ كقوله تعالى : ﴿ يسوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسَّ سقر ﴾ واكتفى في هذه الآية بذكر العذاب عن ذكر الأمن كقول الشاعر :

فما أدري إذا يمت أرضاً . أريد الخير أيهما يليني

يعني يريد بقوله : (أيهما) أي الخير أو الشر ، وذكر تعالى ههنا : ﴿ أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ﴾ والمراد : أيستوي من يلقي العذاب بوجهه ومن يكون آمناً منه ؟ . فلم يذكر الأمن اكفاءً بذكر العذاب عنه وقوله جلَّت عظمته : ﴿ كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ أي أهلك الله القرون الماضية التي كذبت الرسل وما كان لهم من الله من واقٍ . وقوله جل وعلا : ﴿ فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ﴾ بما أوقع فيهم من النكال وتشفي المؤمنين منهم ، فليحذر المخاطبون وهم كفار قريش وغيرهم الذين كذبوا أشرف الرسل وخاتم النبيين ﷺ ، وما أعدَّه الله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظم مما أصابهم في الدنيا ، ولهذا قال عز وجل : ﴿ ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿ (٢٨) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلِ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ (٢٩) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿ (٣١)

ويقول تعالى : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ أي بينا للناس فيه بضرب الأمثال ﴿ لعلمهم يتذكرون ﴾ فإن المثل يقرّب المعنى إلى الأذهان . كما قال تبارك وتعالى : ﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم ﴾ أي تعلمونه من أنفسكم ﴿ وقوله تعالى : ﴿ قرآنًا عربيًّا غير ذي عوج ﴾ أي هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ، ولا انحراف ولا لبس بل هو بيان ووضوح وبرهان ، وإِنَّمَا جعله الله تعالى كذلك ، وأنزله بذلك . ﴿ لعلمهم يتقون ﴾ أي يحذرون ما فيه من الوعيد، ويعملون بما فيه من الوعد . ثم قال تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ﴾ أي يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم ﴿ ورجلاً سلباً ﴾ أي سالماً ﴿ لرجل ﴾ أي خالصاً لا يملكه أحد غيره ﴿ هل يستويان مثلاً ﴾ أي لا يستوي هذا وهذا كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله ، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له فأين هذا من هذا ؟ ولما كان هذا المثل ظاهراً بيّناً قال جل وعلا : ﴿ الحمد لله ﴾ على إقامة الحجة عليهم ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ أي فلجهم يشركون بالله .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ إنك ميت وأنهم ميتون ﴾ أي ستتقلون من هذه الدار لا محالة ، وستجتمعون عند الله تعالى في الدار الآخرة وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عز وجل ، فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتح العليم ، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين ، ويعذب الكافرين الجاحدين . ثم إن هذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة .

روى ابن أبي حاتم عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال : ٣٠ [لما نزلت : ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ قال الزبير رضي الله عنه : يا رسول الله أتكرر علينا الخصومة ؟ قال ﷺ : « نعم » قال رضي الله عنه : إن الأمر إذاً لشديد [وفي المسند عن أبي ذر رضي الله عنه قال : ٣١ [رأى رسول الله ﷺ شاتين يتطحان فقال : « أتدري فيما يتطحان يا أبا ذر ؟ » قلت : لا قال ﷺ : « لكن الله يدري وسيحكم بينهما »] روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ يقول يناصم الصادق الكاذب ، والمظلوم الظالم ، والمهتدي الضال ، والضعيف المستكبر .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصَّدَقِ إِذْ جَاءَهُ
 أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٣٢) وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ
 بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ
 بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

يخاطب الله عز وجل المشركين الذين افتروا على الله وجعلوا معه آلهة أخرى ، وادّعوا
 أن الملائكة بنات الله وجعلوا لله ولداً، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً . ومع هذا كذبوا
 بالحقّ إذ جاءهم على السنة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم . ولهذا قال عز وجل :
 ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصَّدَقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ أي لا أحد أظلم من هذا لأنه
 جمع بين طرفي الباطل ، كذب على الله وكذب رسول الله ﷺ . ولهذا قال جلّت عظمته
 متوعداً لهم : ﴿ أليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾ وهم الجاحدون المكذبون . ثم قال جل
 وعلا : ﴿ والذي جاء بالصديق ﴾ هو رسول الله ﷺ . ﴿ وصدق به ﴾ أي المسلمون
 ﴿ أولئك هم المتقون ﴾ أي الذين اتقوا الشرك ﴿ لهم ما يشاءون عند ربهم ﴾ يعني في الجنة
 مهما طلبوا وجَدُوا ﴿ ذلك جزاء المحسنين ﴾ ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم
 أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون ﴿ كما قال عز وجل في الآية الأخرى : ﴿ أولئك
 الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصديق
 الذي كانوا يوعدون ﴾ .

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ
 يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ
 أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ (٣٧) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ

بُضِرَ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ
قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى
مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ
وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى: ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ يعني أنه يكفي من عبده وتوكل عليه
روى بن أبي حاتم عن فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله
ﷺ يقول : ٣٢ [أفلح من هدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به] رواه النسائي
والترمذي وصححه ﴿ وتخوفونك بالذين من دونه ﴾ يعني من المشركين يخوفون رسول
الله ﷺ بأصنامهم ويتوعدونه بألتهم التي يعبدونها جهلاً وضلالاً . ولهذا قال عز وجل :
﴿ ومن يضل الله فما له من هاد * ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي
انتقام ﴾ أي منبع الجنب ، لا يضام من استند إلى جنبه فإنه العزيز الذي لا أعز منه . والمتنقم
ولا أشد انتقاماً منه ، ممن كفر به واشرك وعاند رسوله ﷺ . وقوله تعالى : ﴿ ولئن
سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ الله ﴾ يعني إن المشركين كانوا يعترفون بأن
الله عز وجل هو الخالق للأشياء كلها ، ومع هذا يعبدون معه غيره مما لا يملك لهم ضرراً
ولا نفعاً . ولهذا قال تبارك وتعالى ﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر
هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ﴾ أي لا نستطيع شيئاً
من الأمر . وذكر ابن أبي حاتم ها هنا حديثاً بسنده إلى ابن عباس مرفوعاً : ٣٣ (احفظ الله
يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، إذا سألت
فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم إن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء
لم يكتبه الله عليك لم يضروك ، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم
ينفعوك جفت الصحف ورفعت الأقلام ...] إلى آخر الحديث

وقوله تعالى : ﴿ قل حسبي الله ﴾ أي الله تعالى كافي ﴿ عليه يتوكل المتوكلون ﴾
روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : ٣٤ [من أحب
أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد
الله عز وجل أوثق منه بما في يديه ، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتنق الله عز وجل]

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ۚ أَيُّ طَرِيقْتِكُمْ ۚ وَهَذَا تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ : ﴿ إِنِّي عَامِلٌ ۚ أَيُّ عَلَىٰ طَرِيقَتِي وَمِنْهَاجِي ۚ ﴾ فسوف تعلمون ﴾ أي ستعلمون وبال ذلك ﴿ مَنْ يَأْتِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ۚ أَيُّ فِي الدُّنْيَا ۚ ﴾ ويحلّ عليه عذاب مقيم ﴾ أي دائم مستمر لا محيد عنه وذلك يوم القيامة .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (٤١) الله يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤٢)

يخاطب تعالى رسوله محمداً ﷺ : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ۚ أَيُّ لِحْمِيعِ الْخَلْقِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ لِنُنْذِرَهُمْ بِهِ ۚ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۚ أَيُّ فَإِنَّمَا يَعُودُ نَفْعُ ذَٰلِكَ إِلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ أَيُّ يَعُودُ وَبَالَ ذَٰلِكَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ، ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۚ أَيُّ بِمَوَكَّلٍ أَنْ يَهْتَدُوا ۚ ﴾ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۚ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ۚ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّهَا تَجْتَمِعُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ كَمَا وَرَدَ بِذَٰلِكَ الْحَدِيثُ الْمَرْفُوعُ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَنْدَهٍ وَغَيْرُهُ وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : [إِذَا أَوَىٰ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فَلْيَنْفِضْهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَقَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيَقُلْ : بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتَ جَنِينِي ، وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، إِنْ أَمْسَكَتْ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادُكَ الصَّالِحِينَ] وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : تَقْبِضُ أَرْوَاحَ الْأَمْوَاتِ إِذَا مَاتُوا ، وَأَرْوَاحَ الْأَحْيَاءِ إِذَا نَامُوا فَتَتَعَارَفُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَتَعَارَفَ ۚ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ۚ الَّتِي قَدْ مَاتَتْ ۚ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَيُّ إِلَىٰ بَقِيَّةِ أَجْلِهَا وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُمْسِكُ أَنْفُسَ الْأَمْوَاتِ وَيُرْسِلُ أَنْفُسَ الْأَحْيَاءِ ۚ إِنْ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ .

﴿٤٣﴾ أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُوبَهُمْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ قُلِ لِلَّهِ الشُّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٥﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٦﴾

يذمُّ الله تعالى المشركين لاتخاذهم شفعاء من دون الله وهم الذين على صورتهم هذه الأصنام التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان حذاهم على ذلك . ثم قال : عز من قائل : ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ أو لو كانوا ﴾ أي معبود وهم ﴿ لا يملكون شيئا ولا يعقلون ﴾ أي لا يملكون سمعاً ولا بصرأ ولا عقلاً ﴿ قل لله الشفاعة جميعاً ﴾ أي أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له ، فمرجعها كلها إليه ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ ﴿ له ملك السموات والأرض ﴾ أي هو المتصرف في جميع ذلك ﴿ ثم إليه ترجعون ﴾ أي يحكم يوم القيامة بينكم بعدله ويجزي كلاً بعمله ثم قال واصفاً المشركين وذاماً لهم : ﴿ وإذا ذكر الله وحده ﴾ أي إذا قيل لا إله الا الله وحده ﴿ اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ أي انقبضت ونفرت واستكبرت كفراً وعناداً عن المتابعة والانقياد لها فقلوبهم لا تقبل الخير . ومن لم يقبل الخير يقبل الشر . ولذلك قال تعالى : ﴿ وإذا ذكر الذين من دونه ﴾ أي من الأصنام والأنداد ﴿ إذا هم يستبشرون ﴾ أي يفرحون ويُسرون .

﴿٤٧﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِسْمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٩﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٠﴾

بعد ما ذمَّ الله تعالى المشركين لحبهم الشرك ونفرتهم عن التوحيد . قال جل وعلا : ﴿ قُلِ اللَّهُ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ أي أدعُ أنت الله ووحدَه فهو خالق كل شيء ويعلم السر والعلانية ﴿ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أي في دنياهم ، وستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم . روى مسلم في صحيحه عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن قال ٣٥ سألت [عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان رسول الله ﷺ يفتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل أفتح صلاته : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون إلهدي لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم »] .

روى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : ٣٦ [« من قال : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك في هذه الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا الله أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك فإنك إن تكلفني إلى نفسي تقرّني من الشروبتاعدي من الخير وإني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهداً توفينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد . إلا قال عز وجل ملائكته يوم القيامة إن عهدي قد عهد إلي عهداً فأوفوه إياه فيدخله الله الجنة » قال سهيل فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن أن عوناً أخبر بكذا وكذا فقال : ما فينا جارية إلا وهي تقول هذا في خدرها] .

وقوله عز وجل ﴿ ولو أن للذين ظلموا من المشركون وهم المشركون ﴾ ما في الأرض جميعاً ومثله معه ﴿ أي ولو أن جميع ما في الأرض وضعفه معه ﴾ لافتدوا به من سوء العذاب ﴿ أي الذي أوجبه الله تعالى لهم يوم القيامة ومع هذا لا يقبل منهم الفداء ﴾ وبداء لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴿ أي وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في حسابهم ﴾ وبداء لهم سيئات ما كسبوا ﴿ أي وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم ﴾ وحق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴿ أي وأحاط بهم من العذاب ما كانوا يستهزئون به عند ذكره لهم في الدار الدنيا .

﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤٩)

قَدْ قَالَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾
فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن الإنسان إنه في حال الضراء يتضرع إلى الله عز وجل وينيب إليه ويدعوه ، وإذا خوله نعمة منه بغى وطفى وقال : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ أي لما علم الله تعالى من استحقاق له ولولا أنني مستحق لما خولني هذا . قال تعالى : ﴿ بل هي فتنه ﴾ أي ليس الأمر كما يزعم إنما نعمتنا كانت اختباراً له أيطيع أم يعصي ونحن أعلم بما سيكون منه ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ فلهذا يقولون ما يقولون ، ﴿ قد قالوا الذين من قبلهم ﴾ أي كثير ممن سلف من الأمم ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ فما نفعهم قولهم ولا دعواهم ﴿ فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء ﴾ أي من المخاطبين من كفار قريش ﴿ سيصيبهم سيئات ما كسبوا ﴾ أي كما أصاب أولئك ﴿ وما هم بمُعْجِزِينَ ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمُعْجِزِينَ ﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ أي يوسعه على قوم ويضيقه على آخرين ﴿ إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يؤمنون ﴾ .

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿٥٣﴾
وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ

تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَ نَكَاحُكَ
إِيَّائِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾

هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة ، وإخباراً من الله تعالى بأنه يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها وإن كانت كزبد البحر . ولا يصح حمل هذه على غير توبة ، لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه . قال البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : ٣٧ [أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا ، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن ، لو نخبرنا أن لما عملنا كفارة ؟ فترل : والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون] ونزل : قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﷻ [وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن ابن عباس به والمراد من الآية الأولى ، قوله تعالى : **﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾** الآية روى الإمام أحمد عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : ٣٨ [جاء رجل إلى النبي ﷺ شيخ كبير يدعم على عصا له فقال : يا رسول الله إن لي غدرات وفجرات ، فهل يغفر لي ؟ فقال : **ﷺ** : « ألسنت تشهد أن لا إله إلا الله » قال بلى وأشهد أنك رسول الله ، فقال **ﷺ** : « قد غفر لك غدراتك وفجراتك »] .

فيتضح مما تقدم أن المراد أنه يغفر جميع الذنوب بالتوبة ، ولا يقنطن عبد من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت فإن باب الرحمة والتوبة واسع . قال عز وجل : **﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾** وقال جل وعلا في حق المنافقين **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾** إلا الذين تابوا وأصلحوا **﴿وَقَالَ جُلَّ وَعَلَا﴾** : **﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** ثم قال جلّت عظمته : **﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** وقال تبارك وتعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا...﴾** قال الحسن البصري رحمه الله عليه (انظروا إلى هذا الكرم والحدود ، قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة) . ان الله تعالى بفضله وكرمه ومنه دعا الكفار جميعاً بلا استثناء إلى التوبة حتى الذي قال أنا ربكم الأعلى ولكنه لم يؤمن إلا في حين لا تنفعه توبة وذلك عند الاحتضار إذ قال له تعالى :

﴿الآن...﴾ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل . وقال عبدالله بن مسعود لقاص يذكر الناس فقال : يا مذكر لم تقنط الناس من رحمة الله ؟ ثم قرأ : ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ رواه ابن أبي حاتم .

روى الإمام أحمد عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه انه قال حين حضرته الوفاة : ٣٩ [قدكنت كنتمت منكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ ، يقول : « لولا أنكم تذبنون لخلق الله عز وجل قوماً يذبنون فيغفر لهم »] واخرجه مسلم في صحيحه والترمذي . روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ٤٠ [كفارة الذنب الندامة] وقوله تعالى : ﴿ وأنبئوا إلى ربكم وأسلموا له ﴾ أي وارجعوا إلى الله تعالى واستسلموا له ﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ﴾ أي بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم ﴾ وهو القرآن العظيم ﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ﴾ أي من حيث لا تعلمون ولا تشعرون ثم قال عز وجل : ﴿ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ﴾ أي يتحسر المجرم الذي فرط ولم يتب ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله عز وجل . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وإن كنت لمن الساخرين ﴾ أي إنما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزئ غير مصدق ﴿ أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين ﴾ أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرامة فأكون من المحسنين ﴿ أي تود لو أعيدت إلى الدنيا لتحسن العمل فأخبر تعالى عز وجل ان لو رُدُّوا لما قدرُوا على الهدى .

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٤١ [كل أهل النار يرى مقعده من الجنة ، فيقول : لو أن الله هداني فتكون عليه حسرة ، قال ، وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هداني قال فيكون له الشكر] . ولما تمنى أهل الجرائم العود إلى الدنيا، وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رسله قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ﴾ أي قد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه - آياتي في الدار الدنيا وقامت حججي عليك ، فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها ، وكنت من الكافرين بها ، الجاحدين لها .

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٦٠) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ (٦١)﴾

يخبر تعالى عن أهل الفرقة والاختلاف أن وجوههم تسود يوم القيامة لافتراءهم على الله تعالى بأن له شريكاً وولداً ﴿ أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ أي أليست جهنم كافية سجناً وموتلاً ومستقراً لهم؟ فيها الخزي والهوان بسبب تكبرهم وتجبرهم، وإلبائهم عن الانقياد للحق . روى بن أبي حاتم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ٤٢ [إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر في صورة الناس يعلمهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجناً من النار في وادٍ يقال له بولس من نار الأنبار ويسقون من عصارة أهل النار ومن طينة الخبال] وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم ﴾ أي بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله فتبيض وجوههم ﴿ لا يمسهم السوء ﴾ أي يوم القيامة ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ أي ولا يحزنهم الفرع الأكبر بل هم آمنون من كل فرع مزحزون عن كل شر نائلون كل خير .

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿ (٦٣) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ (٦٤) وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٦٦)﴾

يخبر تعالى أنه خالق كل شيء ورب الأشياء ومليكيها والمتصرف فيها وكل تحت تدبيره وقهره وكلاءته . وقوله عز وجل : ﴿ له مقاليد السموات والأرض ﴾ أي خزائن السموات والأرض والمعنى : ان ازمة الأمور بيده تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . ولهذا قال جل وعلا ﴿ والذين كفروا بآيات الله ﴾ أي حججه وبراهينه ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ قل أفغيرَ الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ ذكروا في سبب نزولها ما رواه ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عباس رضي الله ان المشركين من جاهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم ويعبدون معه آلهه فتزلت : ﴿ قل أفغيرَ الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ . ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴿ وهذه كقولته تعالى : ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ أي أخلص العبادة لله وحده لا شريك له أنت ومن اتبعك وصدقك .

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٦٧) ﴿

يقول تبارك وتعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ أي ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره ، وهو العظيم الذي لا أعظم منه ، القادر على كل شيء المالك لكل شيء ، وكل شيء تحت قدره وقدرته . قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدره الله عليهم ، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره ، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره ، وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة ، والطريق فيها ، وفي أمثالها مذهب السلف ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف .

روى البخاري قوله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ٤٣ [جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إنا نجد ان الله عز وجل يجعل السموات على اصبع والأرضين على اصبع ، والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع فيقول أنا الملك ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ﴾ [ورواه البخاري في غير هذا الموضع والإمام أحمد ومسلم والنسائي .

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ٤٤ [سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض » [تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر .

وروى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ٤٥ [ان رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾] ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر « يمجّد الرب نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم » فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا : ليخرن به [وقد رواه مسلم والنسائي وابن ماجة من حديث عبد العزيز بن أبي حازم .

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي قِيَامٍ يَنْظُرُونَ ﴾ (٦٨) وَأُشْرِقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٧٠)

يخبر تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة. فقوله تعالى ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ هذه النفخة هي الثانية وهي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، كما جاء مصرحاً به مفسراً في حديث الصور المشهور، ثم يقبض أرواح الباقيين. وآخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولاً وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء. ويقول جل عظمته : ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول تعالت قدرته وجلت عظمته : ﴿ لله الواحد القهار ﴾ أنا الذي كنت وحدي ، وقد قهرت كل شيء ، وحكمت بالفناء على كل شيء ، ثم يحيي أول ما يحيي لإسرافيل ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى وهي النفخة الثالثة نفخة البعث. قال الله عز وجل : ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ أي أحياء بعد ما كانوا رفاتاً صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة. كما قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ . روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : ٤٦ [يخرج الدجال في أمي فيمكث فيهم أربعين لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً أو أربعين ليلة فيبعث الله

تعالى عيسى بن مريم عليها الصلاة والسلام كأنه عروة بن مسعود الثقفي فيظهر فيه لوجه الله تعالى ثم يلبث الناس بعده سنين سبعا ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله تعالى ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى ان لو كان أحدهم كان في كبد جبل لدخلت عليه ، قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرا قال فتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبيون فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها وهم في ذلك دارة أرزاقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصفى ليتا ورفع ليتا وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق ثم لا يبقى أحد إلا صعق ، ثم يرسل الله تعالى أو ينزل الله عز وجل مطرا كأنه الطل - أو الظل شك نعمان - فتلبث منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال أيها الناس هلموا الى ربكم (وقومهم منهم مسؤولون) - قال - ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال كم ؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فيومئذ تبعث الولدان شيئا ويومئذ يكشف عن ساق ، انفراد بإخراجه مسلم في صحيحه .

وقوله تعالى : ﴿ واشرقت الأرض بنور ربها ﴾ أي أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق جلّ وعلا للخلائق لفصل القضاء ﴿ ووضع الكتاب ﴾ أي كتاب الأعمال ﴿ وجيء بالنبیین ﴾ يشهدون على الأمم بأنهم بلغوا رسالات الله إليهم ﴿ والشهداء ﴾ أي من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر ﴿ وقضي بينهم بالحق ﴾ أي بالعدل ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ قال الله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ ولهذا قال عز وجل ﴿ ووفيت كل نفس ما عملت ﴾ أي من خير أو شر ﴿ وهو أعلم بما يفعلون ﴾ .

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ۖ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى

الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿ (٧٢) ﴾

يخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار سوقاً عنيماً ، يدفعون دفعاً وهم عطاش يروون من صديدها، ويحشرون على وجوههم صماً بكماً عمياً، كلما خبت نارهم زبدت سعيراً ﴿ حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ﴾ أي بمجرد وصولهم إليها فتحت أبوابها سريعاً لتعجل لهم العقوبة ﴿ وقال لهم خزنتها ﴾ الذين هم غلاظ شداد على وجه التقرير والتوبيخ : ﴿ ألم يأتكم رسل منكم ﴾ أي من جنسكم ﴿ يتلون عليكم آيات ربكم ﴾ أي يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم إليه ﴿ وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ أي ويحذرونكم من شر هذا اليوم فيقول لهم الكفار ﴿ بلى ﴾ أي نعم أنذرونا وأقاموا علينا الحجج والبراهين ﴿ ولكن حق كلمة العذاب على الكافرين ﴾ أي ولكن كذبناهم ، وخالفناهم لما سبق لنا من الشقوة . كقوله تعالى : ﴿ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ﴾ أي ما كثرت فيها لا خروج لكم منها ولا زوال لكم عنها ﴿ فبئس مثوى المتكبرين ﴾ أي بشس حال ومآل من تكبر عن اتباع الحق فهو الذي صيركم إلى ما أنتم فيه .

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حيث يساقون على النجائب وفداً إلى الجنة زمراً أي جماعات ، جماعة بعد جماعة... المقربون ثم الأبرار ، ثم الذين يلونهم ثم الذين ، يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم ، الأنبياء مع الأنبياء ، والصديقون والشهداء والعلماء كل صنف مع صنفهم ﴿ حتى إذا جاءوها ﴾ أي وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتصر لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُوا أُذِنَ لهم في دخول الجنة .

وقد ورد في حديث الصور : أن المؤمنين إذا انتهوا إلى أبواب الجنة ، تشاوروا فيمن يستأذن لهم في الدخول فيقصدون آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ، ثم عيسى ثم محمد

صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء وسلم تسليماً كثيراً، كما فعلوا في العرصات عند استشفاعهم إلى الله عز وجل أن يأتي لفصل القضاء ليظهر شرف محمد ﷺ على سائر البشر في المواطن كلها وقد ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٤٧ [أنا أول شفيع في الجنة « وفي لفظ مسلم » وأنا أول من يقرع باب الجنة]

وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ٤٨ قال رسول الله ﷺ : [آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد - قال - فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك] ورواه مسلم .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٤٩ [أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتمخضون فيها ولا يتغوطلون فيها آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوة وورشهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله تعالى بكرةً وعشيّاً] ورواه البخاري ومسلم .

وقوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ إكراماً لهم وتعظيماً وتلقئهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء أي حتى إذا كان هذا الإكرام والتعظيم ، سعدوا وطابوا وسرّوا وفرحوا بقدر كل ما يكون لهم فيه نعيم وفي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٠ [إن في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون] وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٥١ [ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلاّ فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء] .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم ﴾ أي طابت أعمالكم وأقوالكم وطاب سعيكم وطاب جزاؤكم . وقوله تعالى : ﴿ فادخلوها خالدين ﴾ أي ما كثر فيها أبداً لا يبعثون عنها حولاً ﴾ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴾ أي يقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر، والعطاء العظيم والنعيم المقيم، والملك الكبير يقولون عند ذلك : ﴿ الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴾ أي الذي كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام كما دعوا في الدنيا ﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا

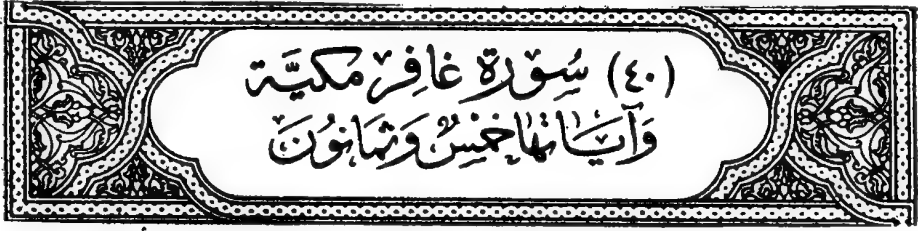
تخلف الميعاد ﴿ ويقولون في الجنة : ﴿ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ﴾ الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ وقولهم ﴿ وأورثنا الأرض ننبؤاً من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾ كقوله تعالى : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ ولهذا قالوا : ﴿ ننبؤاً من الجنة حيث نشاء ﴾ أي أين شئنا حللنا فنعم الأجر أجرنا على عملنا وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أنس رضي الله عنه في قصة المعراج قال النبي ﷺ : ٥٢ [أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذ تراؤها المسك] .

﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَتُضَيَّ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٧٥)

لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار وأنه أنزل كلاماً في المحل الذي يليق به وهو العادل الذي لا يحور ، أخبر عن ملائكته أنهم مُحدِّقون من حول العرش المجيد يسبحون بحمد ربهم ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه ويتزهونه عن النقائص والحوادث وقد فصل القضية ، وقضي الأمر ، وحكم بالعدل ولهذا قال عز وجل : ﴿ وقضي بينهم ﴾ أي بين الخلائق ﴿ بالحق ﴾ . ثم قال : ﴿ وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ أي نطق الكون أجمعه ، ناطقه وبهيمه لله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله . ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد ، قال قتادة افتتح الخلق بالحمد في قوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ﴾ واختتمه بالحمد في قوله تبارك وتعالى : ﴿ وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ .

آخر اختصار تفسير سورة الزمر والله الحمد والمنة
وبه التوفيق وله الشكر والفضل
وعليه التكلان

(٤٠- المؤمن أو غافر- ج ٢٤): الله ذو العزة التي لا ترام، والعلم الذي لا يخفى عليه شيء ٦٧



سوى الآيتين ٥٦ و ٥٧ فمدنيتان نزلت بعد سورة الزمر

* * *

روى أبو بكر البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ٥٣
[من قرأ آية الكرسي وأول: ﴿ حم ﴾ عصم ذلك اليوم من كل سوء] .

وقد كره بعض السلف أن يقال: « الحواميم » وإنما يقال « آل حم » قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: آل حم ديباج القرآن . وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ان لكل شيءٍ لُبَّاباً ولُبَّاب القرآن آل حم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حم ﴾ (١) تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ
الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُهُ
الْمَصِيرُ ﴿٣﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة ^(١) وروى أبو داود عن المهلب بن أبي صفرة قال: حدثني من سمع رسول الله ﷺ يقول: ٥٤ [إن بسم الليلة فقولوا: حم لا ينصرون] وهذا إسناد صحيح . وقوله تعالى: ﴿ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ أي تنزيل القرآن من الله ذي العزة والعلم، فلا يرام عزه ولا يخفى عليه الذر

(١) ان أصبح تفسير لهذه الأحرف المقطعة على الإطلاق أن يقال: الله أعلم بمراده منها .

وان تكاثف حجابيه . وقوله عز وجل : ﴿ غافر الذنب وقابل التوب ﴾ أي يغفر ما سلف من الذنب ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب اليه وخضع لديه . وقوله جل وعلا ﴿ شديد العقاب ﴾ أي لمن تمرّد وطفى . وهذه كقوله ﴿ نبيء عبادي أني انا الغفور الرحيم ﴾ وان عذابي هو العذاب الأليم ﴿ يقرن هذين الوصفين كثيراً في مواضع متعددة من القرآن ليبقى العبد بين الرجاء والخوف . وقوله تعالى : ﴿ ذي الطول ﴾ قال ابن عباس ذي الحسير الكثير ، والمعنى أنه المتفضل على عباده ، المتطول عليهم بما هم فيه من المن والإنعام التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها ﴿ وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ وقوله جلّت عظمته : ﴿ لا إله إلاّ هو ﴾ أي لا معبود في الأرض ولا في السماء بحق إلاّ هو ﴿ إليه المصير ﴾ أي المرجع والمآب فيجازي كلّاً بعمله ﴿ وهو سريع الحساب ﴾

روى ابن أبي حاتم عن يزيد بن الأصم قال : كان رجل من أهل الشام ذو بأس وكان يفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففقده عمر فقال : ما فعل فلان بن فلان فقالوا يا أمير المؤمنين تتابع في هذا الشراب ... قال فدعا عمر كاتبه فقال اكتب : من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان : سلام عليك فإني أحمد اليك الله الذي لا إله إلاّ هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير . ثم قال لأصحابه ادعوا الله لأخيكم أن يُقبلَ بقلبه ويتوبَ الله عليه . فلما بلغ الرجل كتاب عمر رضي الله عنه جعل يقرأه ويردده ويقول : غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب . قد حذرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي . وفي رواية أبي نعيم قال : فلم يزل يرددها على نفسه ثم بكى ثم نزع فأحسن النزاع . فلما بلغ عمر خبره قال : هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أحاً لكم زل زلةً فسددوه ووثقوه وادعوا الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوان الشيطان عليه .

﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ ﴾

فِي الْبِلَادِ ﴿ (٤) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَلْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿ (٥) وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿ (٦) ﴾

يقول تعالى : ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البرهان ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي الجاحدون لآيات الله ﴿فَلَا يَغْرُكْ تَقْلِبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ أي في أموالها ونعيمها وزهرتها . كما قال جل وعلا ﴿نَمْتَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ثم سَلَّى اللهُ نبيه مُحَمَّدًا ﷺ في تكذيبه من قَبْلُ قومه فإن من سَلَفَهُ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد كَذَبَهُم قَوْمُهُمْ ، وما آمَنَ منهم إِلَّا قَلِيلٌ ، فقال : ﴿كَذَبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمَ نُوحٍ﴾ وهو أَوَّلُ رسول بعثه الله لينهى عن عبادة الأوثان ﴿وَالْأَحْزَابِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي من كل أمة ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ أي حرصوا على قتله بكل ممكن ، ومنهم من قتل رسوله ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا الْحَقَّ﴾ أي ما حلوا بالشبهة ليردوا الحق الواضح . وعن أبي القاسم الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : ٥٥ [من أعان باطلاً ليدحض به حقاً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله ﷺ] وقوله تعالى : ﴿فَأَخَذْتَهُمْ﴾ أي أهلكتهم بذنوبهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي كان شديداً مؤلماً وقوله جل جلاله : ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أي كما حقت كلمة العذاب على كفار الأمم السابقة كذلك حقت على المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك بطريق الأولى والله تعالى أعلم .

﴿الَّذِينَ يَخْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ * (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ * (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ * (٩)

يخبر تعالى عن الملائكة حملة العرش المقرّين ومن حوله من الملائكة يسبحون بحمد ربهم أي يقرون بين التسبيح الدال على نفي النقائص ، والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي خاشعون أذلاء ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أهل الأرض ممن آمنوا بالغيب ، ففيض الله ملائكته المقرّين أن يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب ، وقد ثبت في صحيح مسلم ٥٦ [إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثله] .

قال شهر بن حوش رضي الله عنه : حملة العرش ثمانية : أربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك ، وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، ولهذا يستغفرون للذين آمنوا : ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً ﴾ أي رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم ، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم ﴿ فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ﴾ أي فاصفح عن المسيئين اذا تابوا وأنابوا واقبلوا واتبعوا ما أمرتهم وتركوا ما نهيتهم ﴿ وقهم عذاب الجحيم ﴾ أي وزحزحهم عن عذابها الموجع الأليم ﴿ ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ أي اجمع بينهم وبينهم لتقر أعينهم بالاجتماع معهم في منازل متجاورة وقوله تعالى : ﴿ إنك انت العزيز الحكيم ﴾ أي الذي لا يمانع ولا يغالب والحكيم في أقوالك وأفعالك من شرعك وقدرك ﴿ وقهم السيئات ﴾ أي فعلها أو وبالها ممن وقعت منه ﴿ ومن تق السيئات يومئذ ﴾ أي يوم القيامة ﴿ فقد رحمته ﴾ أي لطف به ونجته من العقوبة ﴿ وذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ (١٠) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا آتْنِنِي وَأَحْيَيْتَنَا آتْنِنِي فَأَعَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (١١) ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ (١٢) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (١٤)

يخبر تعالى أن الكفار لما لقوا العذاب الذي لا قبل لأحد به، مقتوا عند ذلك أنفسهم وابغضوها بسبب ما أسلفوا من الأعمال التي كانت سبب دخولهم النار. فنادتهم الملائكة بأن مقت الله تعالى لهم في الدنيا حين كان يعرض عليهم الإيمان فيكفرون ، أشد من مقتكم أنفسكم اليوم. ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ كقوله تعالى : ﴿ كيف

(٤٠- المؤمن - ج ٢٤): أخلصوا العبادة لله ولو كره الكافرون، أدعوه وأنتم موقنون بالإجابة ٧١

تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴿ قاله ابن مسعود . والمعنى: أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي الله عز وجل في عرصات يوم القيامة فلا يجابون لأن الله علم منهم أنهم ولو رجعوا لعادوا إلي كفرهم. وذلك كقوله تعالى: ﴿ ولو ردُّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ ولما قالوا: ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ وفي هذه الآية تطفوا في السؤال أي أنهم قالوا: يا رب إن قدرتك عظيمة فإنك أحييتنا بعد ما كنا أمواتاً ثم أمتنا ثم أحييتنا فأنت قادر على كل شيء ، وقد اعترفنا بذنوبنا وإنا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا ﴿ فهل إلى خروج من سبيل ﴾ أي فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا فإنك قادر على ذلك لنعمل غير الذي كنا نعمل فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإننا ظالمون فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك. ثم علل المنع بأن سجاياكم لا تقبل الحق بل تمجته وتنفيه . ولهذا قال تعالى: ﴿ ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يَشْرِكْ به تومنون ﴾ أي أنتم هكذا تكونون. وإن رُدِّدتم إلى الدنيا، كما قال عز وجل ﴿ ولو ردُّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ وقوله جل وعلا ﴿ فالحكم لله العلي الكبير ﴾ أي هو الحكم العدل الذي لا يجوز، فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء، لا إله إلا هو . وقوله جل جلاله: ﴿ هو الذي يريكم آياته ﴾ أي يظهر قدرته خلقه بما يشاهدون في خلقه العلوي والسفلي، من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها. ﴿ وينزل لكم من السماء رزقاً ﴾ وهو المطر الذي يخرج به من الزروع والثمار ما هو مشاهد بالحس، من اختلاف طعومه وروائح، وأشكاله وألوانه، وهو ماء واحد، وبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء. ﴿ وما يتذكر ﴾ أي يستدل بها على عظمة خالقها ﴿ إلا من ينيب ﴾ أي من هو بصير راجع إلى الله تبارك وتعالى . وقوله عز وجل: ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ﴾ أي أخلصوا العبادة لله تعالى وخالفوا المشركين في مسلكهم . وقد ثبت في الصحيح عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ٥٧ [كان يقول عقب الصلوات المكتوبات: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ٥٨ [أدعوا الله تبارك وتعالى وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب لاه] .

﴿ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١٧)

يخبر تعالى عن عظيمته وكبريائه ، وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته كالسقف لها. كما قال تعالى : ﴿ ... من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ ولهذا قال عز وجل : ﴿ لينذر يوم التلاق ﴾ أي يوم القيامة حذر الله منه عباده ، وإن كل عامل سيلقي فيه ما عمله من خير وشر . وقوله جل وعلا : ﴿ يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء ﴾ أي ظاهرون لا يسترهم شيء ، والجميع في علمه سواء . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ أي هو وحده الذي قهر كل شيء وغلبه . وقوله تعالى : ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ﴾ يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه، أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر، بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها وبالسيدة واحدة . ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ لا ظلم اليوم ﴾ كما ثبت في الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل انه قال : ﴿ ٥٩ [يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا] - إلى أن قال - : يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله تبارك وتعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه] . وقوله تعالى ﴿ إن الله سريع الحساب ﴾ أي يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفساً واحدة، كما قال تعالى : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ وقال جل وعلا ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ .

﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (١٨) يَعْظُمُ خَائِفَتَهُ الْأَعْيُنِ وَمَا

تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

يوم الآزفة اسم من اسماء يوم القيامة وسميت بذلك لاقترابها . كما قال تعالى : ﴿ اقرب للناس حسابهم ﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿ إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ﴾ قال قتادة : وقفت القلوب في الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها ومعنى كاظمين أي ساكتين لا يتكلم أحد إلاّ بإذنه ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلاّ من أذن له الرحمن وقال صواباً ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ أي ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ولا شفيع يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير ، وقوله تعالى : ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ يخبر عز وجل عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء ، ليحذر الناس علمه فيهم فيستحيوا من الله تعالى ويتقوه ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه ، فإنه عز وجل يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة ، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور . وقال عز وجل : ﴿ والله يقضي بالحق ﴾ أي يحكم بالعدل ﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ أي من الأصنام والأوثان والأنداد ﴿ لا يقضون بشيء ﴾ أي لا يملكون شيئاً ولا يحكمون بشيء ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ أي سميع لأقوال خلقه بصير بهم ، فيهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحكم العدل في جميع ذلك .



﴿٢١﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَرًا فِي الْأَرْضِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى : ﴿ أولم يسيرا ﴾ أي هؤلاء الكفار ﴿ في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ﴾ أي من الأمم المكذبة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما حلّ

بهم من العذاب مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة ﴿ وآثاراً في الأرض ﴾ . من المعالم العظيمة ، فمع هذه القوة ، والبأس الشديد أخذهم الله بذنوبهم ﴿ وما كان لهم من الله من واق ﴾ أي ما وقاهم من عذاب الله من واق ﴿ ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ﴾ أي بالآيات الواضحات ﴿ فكفروا ﴾ رغم هذا البيان والبرهان ، ﴿ فأخذهم الله ﴾ أي أهلكهم ودمر عليهم وللكافرين أمثالها ﴿ إنه قوي شديد العقاب ﴾ أي عقابه أليم شديد وجيع ، أعاذنا الله تبارك وتعالى منه .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿ (٢٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿ (٢٦) وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿ (٢٧) ﴾

يقول تعالى مسلماً لنبيه محمد ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه ، ومبشراً له بأن العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة كما نصر موسى عليه السلام وأرسله بالآيات البينات ، ولهذا قال تعالى : ﴿ بآياتنا وسلطان مبين ﴾ والسلطان هو الحجة والبرهان ﴿ إلى فرعون ﴾ وهو ملك القبط بمصر ﴿ وهامان ﴾ وزيره ﴿ وقارون ﴾ أغنى أهل زمانه ﴿ فقالوا ساحر كذاب ﴾ أي كذبوه واتهموه بالجنون والسحر ﴿ فلما جاءهم بالحق من عندنا ﴾ أي بالبرهان الدال على رسالته إليهم ﴿ قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم ﴾ وهذا أمر ثان بقتل ذكور بني إسرائيل. أما الأول للاحتراز من وجود موسى أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم ، والثاني للتشاور بموسى عليه السلام ولهذا قالوا : ﴿ أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وما كيد الكافرين إلا في ضلال ﴾

أي وما مكرهم إلا ذاهب وهالك ﴿ وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه ﴾ أي لا أبالي منه وهذا في غاية الكفر والجحود والتجهرم والعناد . وقوله تعالى : ﴿ إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ﴾ أي يخشى فرعون أن يضل موسى الناس ويغير دينهم كما يقال في المثل : صار فرعون مذكراً وواعظاً يشفق على الناس من موسى عليه السلام !! ﴿ وقال موسى إني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ﴾ أي لما بلغه قول فرعون : ﴿ ذروني أقتل موسى ﴾ قال موسى عليه السلام استجرت بالله وعدت به . ولهذا قال : ﴿ إني عدت بربي وربكم ﴾ وفي الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ، كان إذا خاف قوماً قال : (اللهم انا نعوذ بك من شرورهم ونندراً بك في نحورهم .

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ

رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴾ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (٢٩)

المشهور أن هذا الرجل المؤمن قبطي من آل فرعون وليس إسرائيلياً . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وأمرأة فرعون وهو الذي قال : ﴿ يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ﴾ وقد كان يكتم إيمانه عن قومه فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون : ﴿ ذروني أقتل موسى ﴾ فأخذت الرجل غضبةً لله عز وجل كما ثبت بذلك الحديث : ٦٠ [وأفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر] ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي قوله : ﴿ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ﴾ أي كيف تقتلون رجلاً لكونه يقول ربي الله وقد أقام لكم البرهان تلو البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق ؟ ثم تنزل معهم في المخاطبة فقال : ﴿ وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ يعني إذا لم يظهر لكم

صحة قوله . فالعقل ان تركوه ونفسه فلا تؤذوه ، وإن يك كاذباً فيعاقبه الله في الدنيا والآخرة وإن يك صادقاً وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يهددكم به من العذاب في الدنيا والآخرة . وهكذا أخبر الله عز وجل عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه طلب من فرعون وقومه المودة في قوله تعالى : ﴿ ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدوا إلي عباد الله إني لكم رسول أمين ۝ وأن لا تغلوا على الله إني آتيكم بسultan مبین ۝ وإني عذت بربي وربكم أن ترجموني ۝ وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلوني ۝ ﴾ وكذلك قال رسول الله ﷺ لقريش أن يتركوه يدعو إلى الله تعالى عباد الله ، ولا يمسوه بسوء ويصلوا ما بينه وبينهم من القرابة في ترك أذيته . قال الله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى ﴾ أي أن تؤذوني فيما بيني وبينكم من القرابة ، واتركوا بيني وبين الناس . وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية وكان فتحاً مبيناً . وقوله جل وعلا : ﴿ إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ﴾ أي لو كان هذا الذي يدغوكم إلى الله من المسرفين الكذابين لما هداه الله وأرشدته إلى ما تترون من انتظام أمره وفعله ومنهجه المستقيم . ثم قال المؤمن محذراً قومَه زوال نعمة الله عنهم ، وحلول نقمته بهم : ﴿ يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض ﴾ أي لكم الملك والكلمة النافذة والجاه فقابلوا نعمه بشكره وتصديق رسوله واحذروا نقمته إن كذبتموه ﴿ فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ﴾ أي لا تغني عنكم هذه الجنود والعساكر إن أرادنا الله بسوء ... قال فرعون رآدأً على ما أشار به هذا الرجل المؤمن الرشيد ﴿ ما أريكم إلا ما أرى ﴾ أي لا أرى لكم إلا ما أرى لنفسي . وقد كذب فرعون لأنه كان متحققاً صدق موسى برسائلته ، كقوله تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً ﴾ وقوله : ﴿ وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ أي إلى الطريق الحق وسبيل الهدى وقد كذب أيضاً في ذلك وغش قومَه . وفي الحديث : ٦١ [ما من إمام يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام] والله الموفق للصواب .

﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ

الْأَحْزَابِ ﴾ (٣٠) مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ

بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ ﴾ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ (٣٢) يَوْمَ تُولُثُونَ مُذِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ

وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾

قال مؤمن آل فرعون : ﴿ يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ﴾ كقوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم ، كيف حل بهم بأسُ الله وما رده عنهم راداً ﴿ وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾ أي إنما أهلكهم الله بتكذيبهم رسله عليهم الصلاة والسلام ثم قال : ﴿ يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد ﴾ يعني القيامة ينادي الناس بعضهم من الهول ، وقيل مناداة أهل الجنة لبعضهم ، وكذلك أهل النار . وقوله تعالى : ﴿ يوم تولّون مدبرين ﴾ أي هاربين ﴿ ما لكم من الله من عاصم ﴾ أي مانع يمنعكم من بأسه ﴿ ومن يضلّ فما له من هاد ﴾ أي لا هادي لمن أضلّه الله . وقوله : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ﴾ يعني بعث الله في أهل مصر يوسف قبل موسى عليهما السلام فما أطاعوا يوسف إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي . ولهذا قال تعالى : ﴿ فما زلتم في شكٍّ مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعثَ الله من بعده رسولاً ﴾ أي يشتم فقلتم طامعين لن يبعث بعده رسولاً وذلك لكفرهم وتكذيبهم ﴿ كذلك يضلّ الله من هو مسرف مرتاب ﴾ كحالكم هذا يكون حال من يضلّه الله لإسرافه في أفعاله ، وارتباب قلبه . ثم قال عز وجل : ﴿ الذين يجادلون في آياتِ الله بغير سلطانِ أتاهم ﴾ أي الذين يدفعون الحق بالباطل بلا دليل ولا حجة ، فإن الله عز وجل يمقت على ذلك أشد المقت . ولهذا قال تعالى : ﴿ كبير مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا ﴾ أي والمؤمنون أيضاً يبغضون من تكون هذه صفته وإن الله يطبع على قلوبهم ، جزاء ما فعلوا فلا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً . ولهذا قال تعالى : ﴿ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر ﴾ أي متكبر على اتباع الحق ﴿ جبار ﴾ قال قتادة : آية الجبابة : القتل بغير حق والله تعالى أعلم .

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كِيدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

يخبر تعالى عن عتو فرعون وتكذيبه موسى عليه الصلاة والسلام أنه أمر وزيره هامان ان يبني له قصرًا شاهقًا ﴿لعلِّي أبلغُ الأسبابَ * أسبابَ السموات﴾ أي أبوابها وطرقها ﴿فأطلعَ إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبًا﴾ أي أنه كذبَ موسى عليه الصلاة والسلام في أن الله تعالى أرسله إليه ﴿وكذلك زينَ لفرعون سوءَ عمله وَصُدَّ عن السبيل﴾ أي بفعله هذا الذي أراد أن يوهم رعيته ليصرفهم الى تكذيب موسى عليه السلام ولكن . ﴿وما كيد فرعون إلا في تباب﴾ أي في خسران .

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾

يقول مؤمن آل فرعون لقومه : ﴿يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد﴾ أي أنا الذي اهداكم سبيل الرشاد لا فرعون الذي كذب عليكم ثم بدأ يزهدهم في الدنيا التي صدتهم عن الايمان بموسى عليه الصلاة والسلام فقال : ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ قليل زائل ﴿وإن الآخرة هي دار القرار﴾ لا زوال لها فلما نعيم أو جحيم . ولذا قال تعالى : ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثله﴾ أي واحدة ﴿ومن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ أي لا يتقدّر بجزاء بل يشبه من فضله بلا انقضاء ولا نفاد والله الموفق للصواب .

﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴾ (٤١)
 تَدْعُونِي لِأَكْفَرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى
 الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي
 الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ
 النَّارِ ﴾ (٤٣) فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ
 بِالْعِبَادِ ﴿ (٤٤) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ
 الْعَذَابِ ﴿ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
 أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (٤٦)

يقول لهم المؤمن من آل فرعون ما بالي أدعوكم إلى النجاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله ﷺ الذي بعثه إليكم ﴿ وتدعونني إلى النار ﴾ تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم ﴿ أي على جهل بلا دليل ﴾ وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ﴿ أي هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه ﴾ لا جرم أنما تدعونني إليه ﴿ أي حقاً إن الذي تدعونني إليه من عبادة الأصنام ﴾ ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة ﴿ أي هذه الأنداد لا تجيب داعيها لا في الدنيا ولا في الآخرة . وهذا كقوله تعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ﴾ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴿ وقوله تعالى : ﴿ وأن مردنا إلى الله ﴾ أي في الدار الآخرة فيجازي كل بعمله . ولهذا قال : ﴿ وأن المسرفين هم أصحاب النار ﴾ أي خالدين فيها بإسرافهم وهو شركهم بالله عز وجل : ﴿ فستذكرون ما أقول لكم ﴾ أي سوف تعلمون صحة ما أقوله لكم ﴿ وافوض أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾ أي وأتوكل على الله وأستعينه وأقاطعكم ﴿ إن الله بصير بالعباد ﴾ أي هو بصير بهم تعالى وتقدس فيهدي من يستحق الهداية، ويضل من يستحق الإضلال، وله سبحانه الحجة البالغة والحكمة التامة والقدر النافذ. وقوله تعالى : ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُوا ﴾ أي وقاه في الدنيا أي نجاه تعالى مع موسى عليه السلام من الغرق وفي الآخرة فوقاه النار وأدخله الجنة ﴿ وحاق بآل فرعون سوء العذاب ﴾ وهو الغرق ثم الانتقال منه إلى الجحيم ، فإن النار يعرضون عليها

صباحاً مساءً إلى قيام الساعة فإذا كان يوم القيامة انتقلوا من عذاب القبر إلى عذاب جهنم. ولهذا قال تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب ﴾ واستدل أهل السنة والجماعة بهذه الآية على عذاب البرزخ في القبور وهي قوله تعالى : ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ﴾ .

وقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها : ٦٢ [أن يهودية دخلت عليها فقالت : نعوذ بالله من عذاب القبر ، فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال ﷺ : « نعم عذاب القبر حق » قالت عائشة رضي الله عنها : فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاةً إلا تعوذ من عذاب القبر [وأحاديث عذاب القبر كثيرة جداً . وروى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضي الله عنه - في جملة ما قال : ... وإن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها فذلك عرضها ... وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال فيه : ٦٣ [... ثم انطلق بي إلى خلق كثير من خلق الله رجال كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم مصفدون على سابلة آل فرعون ، وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً ﴾ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ وآل فرعون كالإبل المسمومة يخبطون الحجارة والشجر ولا يعقلون] .

﴿ وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَبَلَّ أَنْتُمْ مَغْنُومَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴾ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴾ (٤٩) قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (٥٠)

يخبر تعالى عن تحاج أهل النار في النار وتخاصمهم ، وفرعون وقومه من جملتهم فيقول الضعفاء وهم الأتباع للذين استكبروا وهم القادة والسادة والكبراء ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾ أي أطعناكم في الكفر ﴿ فَبَلَّ أَنْتُمْ مَغْنُومَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴾ أي قسطاً تحمّلونه

عَنَّا ۖ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا ﴿١﴾ أَي كَفَىٰ مَا حَمَلْنَا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٢﴾ إِنْ اللَّهَ قَدْ
حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٣﴾ أَي قَسَمَ بَيْنَنَا الْعَذَابَ بِقَدْرِ مَا يَسْتَحِقُّهُ كُلُّ مَنَّا ﴿٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ
لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٥﴾ فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ مِنْهُمْ
وَلَا يَسْتَمِعُ لِدَعَائِهِمْ بَلْ قَدْ قَالَ : ﴿٦﴾ لِإِخْسَافٍ فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ ﴿٧﴾ سَأَلُوا الْخِزْنَةَ أَنْ يَدْعُوا لَهُمْ
تَخْفِيفَ الْعَذَابِ وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا فَرَدَّوْا عَلَيْهِمْ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴿٩﴾ أَي
أَلَمْ تَقُمْ عَلَيْكُمْ بِالْحَجِجِ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ ؟ ﴿١٠﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا ﴿١١﴾ أَي ادْعُوا أَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ
فَنَحْنُ بَرَاءٌ مِنْكُمْ وَلَوْ دَعَوْتُمْ فَلَنْ يَسْتَجَابَ لَكُمْ ﴿١٢﴾ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٣﴾
أَي لَا يَقْبَلُ وَلَا يَسْتَجَابُ .

﴿١﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ
يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٢﴾ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٣﴾ (٥٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
الْكِتَابَ ﴿٤﴾ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥﴾ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعُشِيِّ
وَالْأَبْكَارِ ﴿٦﴾ (٥٥) إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
أَتَاهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٧﴾ (٥٦)

قوله تعالى : ﴿١﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٢﴾
فقد أورد ابن جرير رحمه الله عند هذه الآية سؤالاً فقال : قد علم أن بعض الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام قتله قومه بالكلية : كيحیی وزكريا وشعيا ، ومنهم من خرج من
بين أظهرهم مهاجراً كإبراهيم ، ومنهم رفع إلى السماء كعيسى فاين النصرة في الدنيا ... ؟
ثم أجاب عن ذلك بجوابين : أحدهما : أن يكون الخبر عاماً والمراد به البعض قال وهذا
سائق في اللغة . والثاني : ان يكون المراد بالنصر الانتصار لهم ممن آذاهم سواء كان ذلك
بمحضرهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم كما فعل بقتله يحيى وزكريا وشعيا سلط الله عليهم
من أعدائهم من أهائهم وسفك دماءهم . وقد ذكر ان النمرود أخذه الله تعالى أخذ عزيز

مقتدر وأما الذين راموا صلب المسيح عليه السلام من اليهود فسلط الله عليهم الروم فأهانوهم وأذلّوهم وأظهرهم الله عليهم، ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الحزبية، فلا يقبل إلاّ الإسلام وهذه نصرّة عظيمة. وهذه سنّة الله في خلقه أن ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقر أعينهم ممن آذاهم؛ وهكذا نصر الله نبيه محمداً ﷺ وأصحابه على من خالفه وناوأه وكذّبه وعاداه، فجعل كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر على سائر الأديان ودانت له الجزيرة العربية كلها ودخل الناس في دين الله أفواجا. ثم من بعده خلفاؤه فبلغوا عنه دين الله عز وجل ودعوا عباد الله إلى الله تعالى، وفتحوا البلاد والقلوب حتى بلغت الدعوه المحمدية مشارق الأرض ومغاربها وسيبقى هذا الدين ظاهراً منصوراً إلى يوم القيامة. ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرَ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ أي يوم القيامة تكون النصرّة أعظم وأكبر وأجل وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَتُهُمْ﴾ أي لا يقبل منهم عذر ولا فدية ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ أي الإبعاد والطرّد من الرحمة ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ أي بشس المنزل والمقيل والعاقبة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْثَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ وهو ما بعثه الله عز وجل به من الهدى والنور ﴿وَأَوْثَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ أي جعلنا لهم العاقبة وأورثناهم بلاد فرعون وأمواله بما صبروا على طاعة الله واتباع رسوله موسى ﷺ. وفي الكتاب الذي أورثوه وهو التوراة: ﴿هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ وهي العقول السليمة. وقوله عز وجل: ﴿فَاصْبِرْ﴾ أي يا محمد ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي وعدناك أن نجعل العاقبة لك ولن اتبعك والله لا يخلف الميعاد. وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْبِكَ﴾ هذا حض للأمة على الاستغفار ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعُشِيِّ﴾ أي في أواخر النهار وأوائل الليل ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾ وهي أوائل النهار وأواخر الليل ﴿وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ أي يدفعون الحق بالباطل بلا برهان ولا حجة من الله ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ أي ما في صدورهم إلاّ كبر على أتباع الحق وليس ما يرومونه إلاّ إعلاء للباطل وما ذلك بحاصل لهم ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ من حال مثل هؤلاء ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ هذا تفسير ابن جرير (ملخصاً).

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ * (٥٧) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ * (٥٨) إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ * (٥٩) ﴿

يَنْبَغِي تَعَالَى عَلَى أَنَّهُ يَعْبُدُ الْخَلْقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنَّ ذَلِكَ سَهْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ، فَمَنْ قَدَّرَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى مَا دُونَهُ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فَلِهَذَا لَا يَتَدَبَّرُونَ هَذِهِ الْحُجَّةَ وَلَا يَتَأَمَّلُونَهَا فَالَّذِي يَعْتَرِفُ بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ثُمَّ يُنْكِرُ الْمَعَادَ فَقَدْ اعْتَرَفَ بِمَا هُوَ أَوْلَىٰ مِمَّا أَنْكَرْتُمْ. وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴾ أَيُّ كَمَا لَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ بَلْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ عَظِيمٌ كَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُونَ الْأَبْرَارُ بِالْمُسِيئِينَ الْكَافِرَةَ الْفَجَارَ ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴾ أَيُّ مَا أَقَلُّ مَا يَتَذَكَّرُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ﴾ أَيُّ الْوَاقِعَةِ ﴿ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أَيُّ لَا يَصْدَقُونَ بِهَا بَلْ يَكْذِبُونَ بِوُجُودِهَا .

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ * (٦٠) ﴿

هَذَا مِنْ فَضْلِهِ سُبْحَانَهُ وَكِرَمِهِ ، أَنَّهُ نَدَبَ عِبَادَهُ إِلَى دَعَائِهِ وَتَكْفَلَ لَهُمْ بِالْإِجَابَةِ ، كَمَا كَانَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ : يَا مَنْ أَحَبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سَوَّأَلَهُ ، وَيَا مَنْ أَبْغَضُ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ كَذَلِكَ غَيْرَكَ يَا رَبَّ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ .

رَوَى أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيَمَا يَرَوَى عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : ٦٤ [أَرْبَعُ خِصَالٍ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ لِي ، وَوَاحِدَةٌ لَكَ ، وَوَاحِدَةٌ فِيَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَوَاحِدَةٌ فِيَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عِبَادِي . فَأَمَّا الَّتِي لِي فَتَعْبُدُنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا ،

واما التي لك عليّ فما عملت من خير جزيتك به ، وأما التي بيني وبينك فممنك الدعاء وعليّ الإجابة ، وأما التي بينك وبين عبادي فأرض لهم ما ترضى لنفسك [وروى الإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٦٥] «ان الدعاء هو العبادة» ثم قرأ : ﴿ ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ [ومن رواية أحمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : ٦٦] «من لم يدع الله عز وجل غصب عليه» [وقوله عز وجل : ﴿ ان الذين يستكبرون عن عبادتي ﴾ أي عن دعائي وتوحيدي ﴾ سيدخلون جهنم داخرين ﴾ أي صاغرين حقيرين .

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٦١) ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ تَوْفَكُونَ ﴾ (٦٢) ﴿ كَذَٰلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَمْحَدُونَ ﴾ (٦٣) ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦٤) ﴿ هُوَ الْخَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦٥) ﴿

يَمُنَّ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ بِمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ الَّذِي يَسْكُنُونَ فِيهِ ، وَيَسْتَرِيحُونَ مِنْ حَرَكَاتِ الْمَعَايِشِ بِالنَّهَارِ ، وَجَعَلَ النَّهَارَ مُبْصِرًا أَيَّ مَضِيئًا لِيَنْصَرِفُوا فِيهِ بِالْأَسْفَارِ وَالْعَمَلِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ أي لا يقومون بواجب الشكر على النعمة . ثم قال عز وجل : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي الذي فعل هذه الأشياء وخلقها لا إله غيره ولا رب سواه ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ تَوْفَكُونَ ﴾ أي فكيف تعبدون من لا تخلق شيئاً بل هي مخلوقة منحوتة . وقوله عز وجل ﴿ كَذَٰلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَمْحَدُونَ ﴾ أي كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله كذلك أفك الذين من قبلهم فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان ، إِنَّمَا بِمَجْرَدِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى ، وَجَحَدُوا حُجُجَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ . وقوله تعالى :

﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قراراً ﴾ أي جعلها لكم مستقراً ﴿ والسماء بناءً ﴾ أي سقفاً للعالم محفوظاً ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾ أي فخلقكم في أحسن تقويم ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ أي من المأكّل والمشارب في الدنيا فهو الخالق الرازق ﴿ ذلكم الله ربكم فتبارك الله ربّ العالمين ﴾ أي تعالى وتقدس وتنزه ثم قال تعالى : ﴿ هو الحي لا إله إلا هو ﴾ أي هو الأوّل والآخِر والظاهر والباطن الذي لا معبود إلا هو سبحانه. ﴿ فادعوه مخلصين له الدين ﴾ أي موحدين له مقرّين بألوهيته وربوبيّته ثم روى ابن عباس قال : من قال لا إله إلا الله فليقلّ على أثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله تعالى : ﴿ فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾ .



﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦٦)
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٦٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٦٨)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ، إن الله عز وجل ينهي أن يعبد سواه إذ لا يستحقّ العبادة غيره ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ﴾ أي هو الذي يخلقكم في هذه الأطوار كلها وحده لا شريك له ، وعن أمره وتديره وتقديره يكون ذلك كله ﴿ ومنكم من يتوفى من قبل ﴾ أي من قبل أن يوجد ويخرج إلى هذا العالم يسقط سقطاً ومنهم يتوفى صغيراً وشاباً وكهلاً . وقال سبحانه : ﴿ ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون ﴾ أي تتذكرون البعث ﴿ هو الذي يحيي ويميت ﴾ أي هو المتفرد بذلك لا يقدر على ذلك أحد سواه ﴿ فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ أي لا يخالف ولا يمانع بل ما شاء كان لا محالة .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يَصْرَفُونَ﴾
 (٦٩) الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
 ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾
 فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا
 كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ
 نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكَم
 بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾
 أَذْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ

﴿٧٦﴾

ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله ويجادلون في الحق بالباطل كيف
 يصرفون عقولهم عن الهدى إلى الضلال ﴿الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسَلنا به رسلنا﴾
 من الهدى والبيان ﴿فسوف يعلمون﴾ هذا تهديد ووعد من الرب جل جلاله لهؤلاء كما
 قال تعالى : ﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾ وقوله تعالى : ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل﴾
 أي متصلة بالأغلال بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة إلى الحميم وتارة إلى
 الحميم ولهذا قال تعالى : ﴿يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون﴾ كما قال تعالى :
 ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون ، يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ وقوله تعالى :
 ﴿ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله﴾ أي أين الأنداد التي كنتم تعبدونها من
 دون الله هل ينصرونكم اليوم . ﴿قالوا ضلوا عنا﴾ أي ذهبوا فلم ينفعونا ﴿بل لم نكن
 ندعوا من قبل شئاً﴾ أي جحدوا عبادتهم كقوله جلّت عظمتة : ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلاّ
 أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ ولهذا قال عز وجل : ﴿كذلك يضل الله الكافرين﴾
 وقوله تعالى : ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تَمْرَحون﴾ أي
 تقول لهم الملائكة هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ومرحكم
 وأشركم وبطركم ﴿أدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مَثْوَى المتكبرين﴾ أي فبئس

المتزل والمقيل الذي فيه الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله وحججه . والله تعالى أعلم .

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّنَكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٧٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولِكَ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٧٨)

يقول تبارك وتعالى أمراً رسوله ﷺ بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه فإن الله تعالى سينجز لك ما وعدك من النصر والظفر على قومك، وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة ﴿ فَإِمَّا نُرَبِّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ أي في الدنيا ... وكذلك وقع فقد أقر الله عين نبيه ﷺ والمسلمين يوم بدر وأبىد رؤوس الشرك ، ثم فتح الله على نبيه مكة وسائر جزيرة العرب في حياته ﷺ . وقوله عز وجل : ﴿ أَوْ نَتَوَفَّنَكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي فنذيقهم العذاب الشديد في الآخرة ، ثم قال تعالى مسلماً لنبيه ﷺ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾ أي أوحينا إليك خبرهم ، وقصصهم مع أقوامهم كيف كذبوهم ثم كانت العاقبة والنصرة للرسول ﷺ . ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف . كما تقدم التنبيه على ذلك في سورة النساء والله الحمد والمنة ^(١) وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أي ليس لأحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق العادات إلا أن يأذن الله له في ذلك، فبدل ذلك على صدقه فيما جاءهم به : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ وهو عذابه ونكاله المحيط بالمكذبين ﴿ قُضِيَ بِالْحَقِّ ﴾ فينجي المؤمنين ويهلك الكافرين ولهذا قال عز وجل : ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ .

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾

يمنّ الله على عباده بما خلق لهم من الأنعام المختلفة فمنها ركوبهم ومنها يأكلون كالإبل والبقر والحيل والغنم وما يشبه ويستفّع بلحومها ولبنها وحمل الأثقال ويلبس صوفها ووبرها ولذا قال تعالى ﴿لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾ ولكم فيها منافع ولتبغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ﴿وقوله جل وعلا : ﴿ويريكم آياته﴾ أي براهينه في الآفاق وفي أنفسكم ﴿فأيّ آيات الله تنكرون﴾ أي لا تقدروا على إنكار شيء من آياته إلا أن تعاندوا وتكابروا .

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسل في قديم الدهر وما حل بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم وأثارهم في الأرض فما أغنى عنهم ذلك ولا منعهم من بأس الله وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل ولم يفتتوا لحججهم وبراهينهم ، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم

عما جاءتهم به الرسل . قال مجاهد : قالوا نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نعذب . ﴿ وحاق بهم ﴾ أي أحاط بهم العذاب ﴿ ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي الذي كانوا يكذبون به ﴿ فلما رأوا بأسنا ﴾ أي عاينوا وقوع العذاب بهم ﴿ قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ﴾ أي وحدوا الله عز وجل وكفروا بالطاغوت ولكن حيث لا تقال العثرات ولا تنفع المexcuse . وهذا كما قال فرعون لعنه الله حين أدركه الغرق : ﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ قال الله تبارك وتعالى ﴿ الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ ^(١) أي فلم يقبل الله منه لأنه قد استجاب لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام دعاءه عليه حين قال : ﴿ واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ وكذلك قال تعالى ههنا ﴿ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد دخلت في عباده ﴾ أي هكذا حكم الله في جميع من تاب عند معاينة العذاب أنه لا يقبل منه . ولهذا جاء في الحديث : ٦٧ [إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر] أي فإذا غرغروا وبلغت الروح الحنجرة وعان الملك فلا توبة حينئذ . ولهذا قال تعالى : ﴿ وخسر هنالك الكافرون ﴾ .

آخر اختصار تفسير سورة المؤمن « غافر » والله الحمد
والمنة والفضل والشكر وحده

(١) قلت : هذه الآية وما بعدها من التفسير... لدليل واضح جلي ، على أن فرعون عليه لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ، لم يقبل إيمانه . لأنه تأخر إلى حين معاينة العذاب الذي كان يتوعد به موسى عليه الصلاة والسلام ولذلك قال له الله تعالى : « آلآن ... ؟ ! » وقد عصيت قبل... وكنت من المفسدين » ولكن ما تزال طائفة من المسلمين - زعموا - يشفقون على فرعون ويقولون بإيمانه ونجاته فسأله تعالى أن يهديهم إلى الحق وإن أبوا فالهم أحشرهم معه .

(٤١) سُورَةُ فَصَّلَتْ مُكَيَّةٌ وَأَيَّانَهَا اِثْنَعِشْرُونَ

نزلت بعد سورة المؤمن « غافر »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حم * ﴾ (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * ﴿ (٢) كِتَابٌ
فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * ﴿ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * ﴿ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ
وَفِي أَذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فاعْمَلْ إِنَّا عامِلُونَ
* ﴿ (٥) ﴾

يقول تعالى : ﴿ حم * ﴾ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴿ يعني القرآن منزل من الرحمن
الرحيم كقوله تعالى : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ وقوله تبارك وتعالى :
﴿ كتاب فصلت آياته ﴾ أي بينت معانيه ، وأحكمت أحكامه ، ﴿ قرآنًا عربيًّا ﴾ أي
بينًا واضحًا فمعانيه مفصلة ، وألفاظه واضحة غير مشككة . كقوله تعالى : ﴿ كتاب
أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ أي هو معجز بلفظه ومعناه . وقوله تعالى :
﴿ لقوم يعلمون ﴾ أي إنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون ﴿ بشيرًا ونذيرًا ﴾
بشيرًا للمؤمنين ونذيرًا للكافرين ﴿ فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴾ أي أكثر قريش
لا يفهمون منه شيئاً مع بيان وضوحه ﴿ وقالوا قلوبنا في أكنة ﴾ أي مغطاة ﴿ مما تدعونا
إليه وفي أذاننا وقر ﴾ أي صمم عمّا جئتنا به . ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ فلا يصل إلينا
شيء مما تقول ﴿ فاعمل إننا عاملون ﴾ أي أعمل أنت على طريقتك ونحن على طريقتنا لا

تتابعك . روى الإمام العالم عبد بن حميد في مسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : ٦٨ [اجتمعت قریش يوماً فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه فقالوا ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة ، فقالوا أنت يا أبا الوليد فأثابه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ . فقال : أنت خير أم عبد المطلب ، فسكت رسول الله ﷺ . فقال : إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك ، فقد عبدوا الآلهة التي عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا وشتت أمرنا ، وعبت ديننا وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم أن في قریش ساحراً ، وأن في قریش كاهناً والله ما نتظر إلاً مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفاني ، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة ، جمعنا لك حتى تكون أغنى قریش رجلاً واحداً . وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قریش شئت فلنزوجك عشراً . فقال رسول الله ﷺ : « فرغت » ^(١) قال نعم ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم - حتى بلغ - فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . ﴾ فقال عتبة : حسبك حسبك ما عندك غير هذا فقال رسول الله ﷺ « لا » فرجع إلى قریش فقالوا ما وراءك؟ قال ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمون به إلاً كلمته . قالوا فهل أجابك؟ قال : نعم ... لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئاً مما قاله ، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟ قال . لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة]

وهذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده مثله سواءً ، وقد ساقه البغوي في تفسيره بسنده عن جابر بن عبد الله فذكر الحديث إلى قوله تعالى ٦٩ [...] مثل صاعقة عاد وثمود ﴿ فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ، ورجع إلى أهله ، ولم يخرج إلى قریش واحتبس عنهم . فقال أبو جهل يا معشر قریش والله ما نرى عتبة إلاً قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلاً من حاجة أصابته فانطلقوا بنا إليه . فقال أبو جهل : يا عتبة ما حسبك عنا إلا أنك صبأت إلى محمد وأعجبك طعامه ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك

(١) قلت : وقوله / ص / « فرغت » فيه دليل على مراعاة أدب المناظرة أي يظل المناظر ساكناً حتى تنتهي محادثة .

من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، فغضب عتبة ، وأقسم أن لا يكلم محمداً أبداً وقال : والله لقد علمتم أني من أكثر قریش مالا ، ولكني أتيت وقصصت عليه القصة ، فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ، وقرأ السورة إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثَمُودَ ﴾ فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخشيت أن ينزل بكم العذاب وجاء في رواية محمد بن اسحق... ٧٠ [قالوا ما وراكم يا أبا الوليد؟ قال ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة ، يا معشر قریش أطيعوني واجعلوها لي ، خلوا ما بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكون لقوله الذي سمعت نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به . قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم .]

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۚ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۚ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ﴿

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المكذبين المشركين ﴿ إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد . لا كما تعبدون من الأصنام والأنداد ، إنما الله إله واحد . فاستقيموا إليه ﴾ أي اخلصوا له العبادة كما أمركم به على ألسنة الرسل . ﴿ واستغفروه ﴾ أي من سالف الذنوب ، ﴿ وويل للمشركين ﴾ أي دمار لهم وهلاك عليهم ﴿ الذين لا يؤتون الزكاة ﴾ المراد هنا بالزكاة الزكاة التي هي طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك . وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام ، وتكون سبباً لزيادته وبركته ، وتوفيقاً لاستعماله في الطاعات وهكذا فهي تشمل الطهارتين طهارة النفس من الشرك وطهارة المال من حق المستحقين منه . ثم قال جل جلاله : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴾ أي غير منقطع فهو أجر متصل لا ينقطع أبداً كقوله تعالى : ﴿ ما كثر فيها أبداً ﴾ وذلك من فضل الله ومنه وكرمه .

﴿ قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقَهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لَيْنٌ ﴿ (١٠) ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿ (١٢) ﴾

هذا انكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره وهو الخالق لكل شيء ، القاهر لكل شيء ، المقتدر على كل شيء فقال : ﴿ قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ﴾ أي نظراء وأمثالاً تعبدونها معه ﴿ ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي الخالق لكل شيء وهنا تفصيل لقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ^(١) ففصل ما يختص بالأرض مما اختص بالسماء فذكر أنه خلق الأرض فسواهن سبع سموات ﴿ الآية فأمّا قوله تعالى : ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ، ومرعاها * والجبال أرساها * متاعاً لكم ولأنعامكم ﴿ ففي هذه الآية أن الدحو أي دحو الأرض كان بعد خلق السموات واما خلق الأرض فقبلها بالنص وبهذا أجاب ابن عباس رضي الله عنهما فيما ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية في صحيحه - نقطف منه ما يختص بالموضوع ... (وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ، ثم دحى الأرض ، ودحيتها أن أخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام ، وما بينهما في يومين آخرين فذلك

(١) جاءت في أربعة مواضع في القرآن وذلك كما يلي : في الأعراف الآية /٥٤/ ، ويونس /٣/ وهود /٧/ والحديد /٤/ .

قوله تعالى : ﴿ دحاها ﴾ وقوله تعالى : ﴿ خلق الأرض في يومين ﴾ أي خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام وخلق السموات في يومين ... (وقوله تعالى : ﴿ خلق الأرض في يومين ﴾ يعني يوم الأحد ويوم الإثنين ﴿ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها ﴾ أي جعلها مبركة ، قابلة للخير ، والبذر والغراس وقدّر فيها أقواتها وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس ، يعني يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع اليومين السابقين أربعة ^(١) ولهذا قال : ﴿ في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ أي لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه . وقوله تعالى : ﴿ وقدّر فيها أقواتها ﴾ أي جعل في كل أرض ما لا يصلح في غيرها . وقوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ وهو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض ﴿ فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً ﴾ أي استجبيا لأمري طائعتين أو مكرهتين ﴿ قالتا أتينا طائعين ﴾ أي بل نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ أي في يومين آخرين بعد خلق الأرض في يومين . ﴿ وأوحى في كل سماء أمرها ﴾ أي ما تحتاج إليه من مخلوقات كالملائكة وغيرهم من لا يعلمهم إلا هو سبحانه ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ وهي الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض ﴿ وحفظاً ﴾ أي حرساً من الشياطين أن تستمع من الملائكة الأعلى ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ أي عزّ كل شيء فغلبه وقهره . والعليم بحركات مخلوقاته وسكناتهم جميعاً ، سبحانه وتعالى وتبارك وله الحمد دائماً .

(١) قلت : على فرض ثبوت تعيين أسماء الأيام التي خلق الله فيها الأرض والسماء - مع أنني أرجح العكس - فإن قول المفسر الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى (أن خلق الأرض كان في يومين يعني الأحد والأثنين ، و « جعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها » أي جعلها مباركة قابلة للخير وقدّر فيها أقواتها وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس يعني يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع اليومين السابقين أربعة) فيلزم من قوله هذا أن الدحو كان بعد خلق الأرض وقبل خلق السماء لأن الأرض في يومي الأحد والأثنين وتعيين الأرزاق والزرع الذي يستلزم الماء والرعي في يومي الثلاثاء والأربعاء . بينما يقول الله تعالى ... أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها « فثبت بهذه الآية أن الله تعالى أخرج من الأرض ماءها ومرعاها وأرزاقها بعد خلق السماء فعلى أساس ترتيب أسماء الأيام الذي ذكره ابن كثير رحمه الله يلزم أن يكون خلق السماء يوم الثلاثاء والأربعاء أي بعد خلق الأرض الذي كان في يومي الأحد والأثنين لا يوم الخميس والجمعة ، وأن يكون دحو الأرض وإخراج ماؤها ومرعاها يوم الخميس والجمعة لا يوم الثلاثاء والأربعاء لأن الله أخبرنا : « والأرض بعد ذلك دحاها » أي بعد خلق السماء . لا شك أن التمسك بأسماء الأيام هو الذي أحدث هذه البلبلة والتناقض . مع أن ذكر الأسماء يظهر أنه من أخبار بني إسرائيل ولم تثبت به الأحاديث عن المعصوم صلى الله عليه وسلم بل هي نقل عن كعب الأحبار . والله الموفق .

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ﴾ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿ (١٤) فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَتٍ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿ (١٦) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿ (١٨) ۞

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق، إن أعرضتم عما جئكم به من عنده تعالى فإني أنذركم حلول نقمة الله بكم كما حلت بالأمم الماضية المكذبين بالمرسلين . ﴿ صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود ﴾ أي ومن كان على ما هم عليه من التكذيب ﴿ إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ﴾ أي في القرى المجاورة لهم بعث الله إليهم الرسل يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له مبشرين ومنذرين، ومع هذا لم يؤمنوا بل كذبوا وجحدوا وقالوا : ﴿ لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴾ أي لكانوا رسلاً من الملائكة ﴿ فإنما بما أرسلتم به ﴾ يا أيها البشر ﴿ كافرون ﴾ أي لا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا . قال الله تعالى : ﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض ﴾ أي بغوا وعتوا وعصوا ﴿ وقالوا من أشد منا قوة ﴾ أي متوا بشدة تركيبهم وقواهم ، وأنهم يمتنعون بها من بأس الله ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ أي أن الذي خلق قوتهم لهم وخلق كل شيء أليس هو أقوى منهم ؟ ومن البدهي أن يكون الذي خلق أقوى من

المخلوق فبارزوا الجبار، وجحدوا آياته، وعصوا رسله. فلهذا قال: ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصرًا﴾ وهي شديدة المهبوب باردة لها صوت مزعج لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم. وقوله تعالى: ﴿في أيام نحسات﴾ أي متتابعات ﴿سبع ليال وثمانية أيام حسوما﴾ حتى أبادهم عن آخرهم، واتصل بهم خزي الحياة الدنيا بعذاب الآخرة. ولهذا قال تعالى: ﴿لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشدّ خزيًا لهم﴾ وهم لا ينصرون ﴿أي في الأخرى كما لم ينصروا في الدنيا وما كان لهم من الله من يقيهم العذاب والنكال. وقوله تعالى: ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره بيّنا لهم. وقال الثوري دعوناهم ﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾ أي وضّحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه السلام فخالفوه وكذبوه وعقروا ناقة الله التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم ﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ أي بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلاً وهواناً وعذاباً ﴿بما كانوا يكسبون﴾ أي من التكذيب والجحود ﴿ونجينا الذين آمنوا﴾ أي من بين أظهرهم لم يمسّهم سوء ولا نالهم من ذلك ضرر بل نجاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام بإيمانهم وتقواهم لله عز وجل.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ * (١٩)
 حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاثَوْهَا رَبِّهِمْ سَمِعَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وُجُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * (٢٠) وَقَالُوا لَلْجُلُودِ هُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ * (٢٤) ﴿

يقول تعالى: ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون﴾ أي أذكر هؤلاء المشركين يوم يحشرون إلى النار يوزعون أي تجتمع الزبانية أولهم على آخرهم كما

قال تبارك وتعالى : ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ﴾ أي عطاشاً وقوله عز وجل ﴿ حتى إذا ما جاؤوها ﴾ أي وقفوا عليها ﴿ شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ أي مما قدموه وأخروه لا يكتم منه حرف ﴿ وقالوا الجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ أي لاموا أعضاءهم وجلودهم حين شهدوا عليهم فأجابتهم الأعضاء : ﴿ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة ﴾ أي فهو لا يخالف ولا يمانع وإليه ترجعون .

روى الحافظ أبو بكر البزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ٧١ [ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم وتبسم فقال ﷺ « ألا تسألوني عن أي شيء ضحكت » قالوا : يا رسول الله من أي شيء ضحكت ؟ قال ﷺ « عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول أي ربّي أليس وعدتني أن لا تظلمني ، قال بلى فيقول فإني لا أقبل علي شاهداً إلاّ من نفسي ، فيقول تبارك وتعالى أوليس كفى بي شهيداً وبالملائكة الكرام الكاتبين - قال - فيردّد هذا الكلام مراراً - قال - فيختم على فيه وتكلم أركانه بما كان يعمل ، فيقول : بعداً لكن وسحقاً ، عنكنّ كنت أجادل] وقد أخرجه مسلم والنسائي جميعاً عن أبي بكر بن أبي النضر وقوله تعالى : ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ أي تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم ما كنتم تكتُمون ممّا الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي ولا تبالون منه في زعمكم لأنكم كنتم لا تعتقدون انه يعلم جميع أفعالكم ولهذا قال تعالى : ﴿ ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً ممّا تعملون . وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ﴾ أي هذا الظن الفاسد، وهو اعتقادكم أن الله تعالى لا يعلم كثيراً ممّا تعملون، هو الذي أتلّفكم وأرداكم عند ربّكم. ﴿ فأصبحتم من الخاسرين ﴾ أي في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم. روى الإمام أحمد عن عبد الله قال : ٧٢ [كنت مستتراً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر ، قرشي وختناه ثقفيان - أو ثقف وختناه قرشيان - كثيرٌ شحم بطونهم قليلٌ فقه قلوبهم ، فنكلموا بكلام لم أسمعهم ، فقال أحدهم : أترون الله يسمع كلامنا هذا ، فقال الآخر ، إنّنا إذا رفعنا أصواتنا سمعهم، وإذا لم نرفعه لم يسمعه. فقال الآخر إن سمع منه شيئاً سمعه كله. قال فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله عز وجل : ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم - إلى قوله - من الخاسرين ﴾ [وهكذا رواه الترمذي وأخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود به . وروى الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ٧٣ [لا يموت أحد منكم إلاّ وهو يحسن بالله

الظن، فإن قوماً قد أرادهم سوء ظنهم بالله. فقال الله تعالى : ﴿ وذلکم ظنکم الذی ظننتم بربکم أرداکم فاصبحتم من الخاسرين ﴾ . [

وقوله تعالى : ﴿ فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين ﴾ أي سواء عليهم صبروا أم لم يصبروا هم في النار لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها ، وإن طلبوا أن يستعتبوا ويبدوا أعذاراً فما لهم أعذار ولا تقال لهم عثرات .

قال ابن جرير : ومعنى قوله تعالى : ﴿ وإن يستعتبوا ﴾ أي يسألوا الرجعة إلى الدنيا فلا جواب لهم قال وهذا كقوله تعالى إخباراً عنهم : ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون . قال اخسأوا فيها ولا تكلمون ﴾



﴿ وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ (٢٥) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ (٢٦) فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ (٢٧) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿ (٢٨) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿ (٢٩)

يذكر تعالى أنه هو الذي أضل المشركين وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته وهو الحكيم في أفعاله بما قيض لهم من القرناء من شياطين الأنس والجن ^(١) ﴿ فزيتوا لهم ما بين أيديهم

(١) قلت : إن قول المفسر الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى ، (أن الله تعالى هو الذي أضل المشركين وإن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته) ليس معنى ذلك أنهم أي المشركون امتجابوا لداعي الحق ولكن الله شاء لهم الضلال ... لا ... فإن الله سبحانه وتعالى منزه عن أن يفعل ذلك كقوله تعالى « وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسه للعسرى » يعني من أراد العسرى واختارها واستغنى عن الحق وكذب به فجزاء ذلك أن ييسره الله للعسرى حتى يكون الجزاء من نوع العمل وإن المشركين ما أضلهم الله إلا جزاء بما عرضوا =

وما خلفهم ﴿ أي حسنوا لهم أعمالهم فلم يروا أنفسهم إلاّ محسنين كما قال تعالى : ﴿ ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وحق عليهم القول ﴾ أي كلمة العذاب كما حقَّ على أمم قدخلت من قبلهم ممن فعل كفعلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين أي استووا وإياهم في الخسار والدمار . وقوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن ﴾ أي تواصوا فيما بينهم أن لا يطيعوا القرآن ولا يتقادوا لأوامره ﴿ والغوا فيه ﴾ أي إذا تلى لا تسمعوا له والغوا فيه يعني بالمكاء والتصدية أي الصفير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ ﴿ لعلكم تغلبون ﴾ هذا حال هؤلاء الجهلة والكفرة عند سماع القرآن ، أمّا المؤمنون فهم يمتثلون أمر الله وقوله تعالى : ﴿ إذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ ثم قال عز وجل منتصراً لكتابه ومنتقماً من أعدائه الكفرة : ﴿ فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ﴾ أي في مقابلة ما فعلوه عند سماعهم القرآن ﴿ ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون ﴾ أي بشرّ أعمالهم ﴿ ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلّنا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴿ قال هما إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه - روي ذلك عن علي رضي الله عنه وروى السدي عن علي رضي الله عنه فإبليس يدعو به كل صاحب شرك وابن آدم يدعو به كل صاحب قتل كما ثبت في الحديث : ٧٤ [ما قتلت نفس ظملاً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل] . وقولهم : ﴿ نجعلهما تحت أقدامنا ﴾ أي أسفل منا في العذاب ليكونا أشد عذاباً منا ولهذا قالوا : ﴿ ليكونا من الأسفلين ﴾ أي في الدرك الأسفل من النار كما تقدم في الأعراف - / ٣٨ / في سؤال الأتباع من الله تعالى أن يعذب قاداتهم أضعاف عذابهم ﴿ قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ أي أنه تعالى قد أعطى كلاً منهم ما يستحقه من العذاب بحسب

= وقالوا : « ... قلوبنا في اكنة ما تدعوننا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون » وقول رسول الله صل الله عليه وسلم مبلغاً لهم عن رب العالمين : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما يحكم إليّ واحد فاستقيموا إليه واستغفروا وويل للمشركين » وقوله تعالى : « فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » فلما ظلّوا بعد كل هذا التهديد والدعوة إلى الله تعالى ، على ما هم عليه من الشرك والعناد والكفر ، واختيار هذه الصفات الخبيثة بعد الإنذار والبلاغ وصمموا على الكفر رغم ما تقدم من البيان والإنذار ، فإن الله تعالى أضلّهم وأركسهم جزاء ما اختاروا لأنفسهم من الشرك والكفر والمصيان فكان إضلال الله لهم جزاء وفاقاً وذلك كقوله تعالى : « فلمّا زاغوا الله قلوبهم » وحاشاه سبحانه من أن يضلهم بعد إذ هداهم فيما إذا سلّكوا الصراط المستقيم ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً . ولا شك أن مراد المفسر رحمه الله هو هذا الذي قلناه ولا ريب ، والحمد لله رب العالمين .

عمله كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ * (٢٠)
نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي
أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ * (٣١) نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ * (٣٢) ﴿

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ اي أخلصوا العقيدة والعمل
لوجه الله تعالى على ما شرع سبحانه وتعالى لهم وبقوا على ذلك حتى لقوا الله . كما روى
الحافظ أبو يعلى الموصلي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ٧٥ [قرأ علينا رسول الله
ﷺ هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم
فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها .] وكذا رواه النسائي في تفسيره والبزار وابن جرير
عن عمرو بن علي الفلاس عن مسلم بن قتيبة به ، كذا رواه ابن أبي حاتم عن الفلاس به .
ثم قال ابن جرير عن سعيد بن عمران قال : قرأت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه
هذه الآية ... قال (هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً) وعن ابن أبي حاتم بسنده عن عكرمه
قال سئل ابن عباس رضي الله عنهما : أي آية في كتاب الله تبارك وتعالى أرخص ؟ قال
قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ على شهادة ان لا اله الا الله (وعن
ابن عباس رضي الله عنهما : (﴿ قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ على أداء فرائضه .)

وروى مسلم في صحيحه والنسائي عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال ٧٦ [قلت يا رسول
الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال ﷺ : « قل آمنت بالله ثم استقم »
قلت يا رسول الله : ما أكثر ما تخاف عليّ ؟ فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان نفسه ثم
قال : « هذا »] .

وقوله تعالى : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ قال مجاهد وغيره : يعني عند الموت قائلين :
﴿ أَنْ لَا تَخَافُوا ﴾ قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة
﴿ وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ على ما خلقتهم من أمر الدنيا ﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾
فيبشرونهم بذهاب الشرّ وحصول الخير ، وهذا كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه

قال ٧٧ [إن الملائكة تقول لروح المؤمن أخرجي أيتها الروح الطيبة، في الجسد الطيب، كنت تعمريه أخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان] وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث، رواه ابن أبي حاتم، وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً وهو الواقع.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ أي تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار نحن كنّا أولياءكم أي قرناءكم في الحياة الدنيا نسدّدكم ونوفّقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم. ﴿ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم﴾ أي في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهي النفوس وتقربه العيون ﴿ولكم فيها ما تدعون﴾ أي مهما طلبتم وجدتم، وحضر بين أيديكم كما اخترتم ﴿نزلاً من غفور رحيم﴾ أي ضيافة وعطاء، وإنعاماً من غفور لذنوبكم رحيم رؤوف حيث غفر وستر ورحم ولطف. وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ٧٨ [من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قلنا يا رسول الله: كلنا نكره الموت قال ﷺ ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر إليه فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله تعالى فأحب الله لقاءه. قال وإن الفاجر - أو الكافر - إذا حضر جاءه بما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقي من الشر فكره لقاء الله فكره لقاءه] وهذا حديث صحيح. وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ * (٣٣) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ إِذْفَعُ بِاللَّيْ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * (٣٥) وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * (٣٦) ﴿٣٦﴾

يقول عز وجل: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾ أي دعا عباد الله إليه

﴿ وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ أي هو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ، ولا يأتونه ، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل ياتمر بالخير، ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى . وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك وقيل أن هذه الآية نزلت في المؤذنين الصالحاء. والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم . فأما حال نزول هذه الآية فإنه لم يكن الأذان بالكلية لأنها مكية والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة حين أريته عبد الله بن عبد ربه الأنصاري رضي الله عنه في منامه فقصه على رسول الله ﷺ ، فأمره أن يلقيه على بلال رضي الله عنه فإنه أُنْدى صوتاً كما هو مقرر في موضعه ، فالصحيح إذاً أن هذه الآية الكريمة عامة .

على أن للمؤذنين لفضلاً وأجرأً عظيمين كبيرين كما ثبت في صحيح مسلم ٧٩ [المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة] وفي السنن مرفوعاً ٨٠ [الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن فأرشد الله الأئمة وغفر للمؤذنين] روى ابن أبي حاتم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال [سهام المؤذنين عند الله تعالى يوم القيامة كسهام المجاهدين وهو بين الأذان والإقامة كالتشحط في سبيل الله تعالى في دمه] ^(١) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٨١ [لو كنت مؤذناً لكمل أمري ، وما باليت أن لا انتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار سمعت رسول الله ﷺ « اللهم أغفر للمؤذنين » ثلاثاً ، قال فقلت : يا رسول الله تركتنا ونحن نجتهد على الأذان بالسيوف قال ﷺ كلاً يا عمر إنه سيأتي على الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم وتلك لحوم حرمها الله عز وجل على النار لحوم المؤذنين] وقوله تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ﴾ أي فرق عظيم بين هذه وهذه ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ أي من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه . وقوله عز وجل : ﴿ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ وهو الصديق إذا أحسنت إلى من أساء إليك قاداته تلك الحسنة إلى مصافاتك حتى يصير كأنه ولي حميم أي قريب إليك . ثم قال عز وجل : ﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ أي ذو نصيب وافر من السعادة ، لأنه صبر على الأذى في سبيل الله ، فهو سعيد في الدنيا والآخرة . قال ابن عباس في تفسير هذه الآية : أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم .

وقوله تعالى : ﴿ وإما يترغبنك من الشيطان نزع فاستعذ بالله ﴾ ، إن شيطان الجن لا حيلة

(١) ان هذا الحديث في حكم المرفوع لأن مثل هذا التقرير لا يمكن ان يقوله الصحابي برأيه والله أعلم .

فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك فإذا استعذت بالله منه كفه عنك بعكس شيطان الإنس فقد تخدعه بالإجسان إليه وقد كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يقول : ٨٢ [أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه]

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾
 * (٣٧) فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ * (٣٨) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (٣٩)

ينبّه تعالى خلقه على قدرته العظيمة فلا نظير له ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر﴾ أي خلق الليل والنهار متعاقبين لا يفتران والشمس والقمر ليعرف باختلاف سيرهما مقادير الليل والنهار والجمع والشهور والأعوام ويتبين أوقات حلول الحقوق والعبادات والمعاملات ، ثم لما كانا أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي نبه سبحانه أنهما مخلوقان عبادان من عبيده تحت قهره وتسخيره. فقال : ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾ أي ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادة غيره فإنه لا يغفر أن يشرك به. ولهذا قال تعالى : ﴿فإن استكبروا﴾ عن إفراده تعالى بالعبادة ﴿فالذين عند ربك﴾ يعني الملائكة ﴿يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾ كقوله عز وجل : ﴿فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين﴾ وروى الحافظ أبو يعلى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ [لا تسبوا الليل ولا النهار ولا الشمس ولا القمر ولا الرياح فإنها ترسل رحمة لقوم وعذاباً لقوم] وقوله تعالى : ﴿ومن آياته﴾ أي على قدرته على إعادة الموتى ﴿أنك ترى الأرض خاشعة﴾ أي هامة لا نبات فيها بل هي ميتة ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ أي أخرجت من جميع الألوان من الزروع والثمار ﴿إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير﴾ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَنُيْلَقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٤٠) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (٤١) ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٤٢) ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٤٣)

قوله تبارك وتعالى : ﴿ان الذين يلحدون في آياتنا﴾ قال ابن عباس : الإلحاد وضع الكلام على غير مواضعه . وقال قتادة هو الكفر والعناد . وقوله عز وجل : ﴿لا يخفون علينا﴾ فيه تهديد شديد ووعد أكيد أي انه تعالى عالم بمن يلحد في آياته واسمائه وصفاته وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال . ولهذا قال تعالى ﴿أفمن يلقي في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة ؟ أي أيسوي هذا وهذا ؟ لا يستويان . ثم قال عز وجل تهديداً للكفرة : ﴿إعملوا ما شئتم﴾ أي من خير أو شر إنه عالم بكم ، بصير بأعمالكم . ولهذا قال تعالى : ﴿إنه بما تعملون بصير﴾ ثم قال جل جلاله : ﴿إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم﴾ أي القرآن ﴿وإنه لكتاب عزيز﴾ أي منيع الجانب لا يرام أن يأتي أحد بمثله ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ أي ليس للباطل أن إليه سبيل لأنه : ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ أي حكيم في أقواله وأفعاله حميد أي محمود في جميع ما يأمر به وينهى عنه ، الجميع محموده عواقبه وغاياته . ثم قال عز وجل : ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ أي ما يقال لك من التكذيب إلا كما قيل للرسل من قبلك فكما كُذِّبَتْ كُذِّبُوا وكما صبروا على الأذى فاصبر أنت كذلك على أذى قومك لك . وقوله تعالى : ﴿إن ربك لذو مغفرة﴾ أي لمن تاب إليه ﴿وذو عقاب أليم﴾ أي لمن استمر على كفره وطغيانه ومخالفته .

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَعْجَبِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي

أَذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ
لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾

لما ذكر الله تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته وأحكامه في ألفاظه ومعانيه ومع هذا لم يؤمن به المشركون ، نبه على أن كفرهم به كفر عناد وتعنت كما قال عز وجل : ﴿ ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ﴾ وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا على وجه التعنت والعدا : ﴿ لولا فصلت آياته أعجمي وعربي ﴾ أي لقالوا هلاً أنزل مفصلاً بلغة العرب ، ولأنكروا ذلك فقالوا أعجمي وعربي أي كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه ؟ هكذا روي هذا المعنى عن ابن عباس وغيره . ثم قال عز وجل : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ﴾ أي قل يا محمد هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب ^(١) والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر ﴾ أي لا يفهمون ما فيه ﴿ وهو عليهم عمى ﴾ أي لا يهتدون إلى ما فيه من البيان ﴿ أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ قال ابن جرير : معناه كأن من مخاطبهم يناديه من مكان بعيد لا يفهمون ما يقول . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلّف فيه ﴾ أي كُذّب وأوذي ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من

(١) : إلا ما ورد فيه النص ، كالفاحة للديبغ ، والمؤذنين للسحور والمعيون ...

وهذا رد على من يعتقد انه شفاء للأعراض الجسدية فيتحذون من آياته ثمائم وحجبا ، يزعمون أنها تشفي أمراضهم . ولا يتخذون الوسائل التي أمر الله بأخذها كالادوية والعقاقير فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ٥٤٦ » (ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء) ويروى عنه صلى الله عليه وسلم ٥٤٧ (تداوى عباد الله فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء) ولا شك أن الدعاء جيد ومطلوب ، والتوسل بكلام الله تعالى رجاء الشفاء مع الأخذ بالأسباب كالدواء جيد والله سبحانه يأذن بالشفاء إن شاء وقدر . أما أن نجعل القرآن تمام وعزائم فإله سبحانه ما أنزله إلا ليكون دستوراً ينشئ دولة إسلامية عظمى . يقر حكم الله على الأرض ، كما يحب ويرضى . ولو كان القرآن وآياته شفاءً للأجساد دون الأرواح ، لكان يشفي صدور وأجساد غير المؤمنين لأن الأجساد إن كان أصحابها مؤمنين أو غير مؤمنين هي هي وتركيبها واحد لا يتبدل ولا ولا يتغير فالشيء الذي يكون سبباً لشفاء جسد المؤمن يكون في الوقت نفسه سبباً لشفاء جسد غير المؤمن ولكن الله تعالى قال : « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء » وقال أيضاً سبحانه « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً » فعلم ان الشفاء معنوي أي من الشرك والشك والكفر بما فيه من الحجج الدامغة والأدلة الواضحة على وجود الله تعالى وإرسال رسله وأنبيائه بالشرع القويم والصراط المستقيم وإنه هو الدواء الناجح لإنقاذ القلوب والنفوس من الضلال ، الهدى وإنقاذ الأمم من الدل إلى العز الدائم في ظلال أحكامه التي لا يأتيها الباطل . ولو أن الأمة الإسلامية ظلت متمسكة بالقرآن وآياته لظلت غير أمة أخرجت للناس ، ولما ضاعت أندلس الأمس ... مثلاً ضاعت أندلس اليوم فلسطين . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

الرسول ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ إلى أجل مستمى بتأخير الحساب إلى يوم المعاد ﴿ لقضي بينهم ﴾ أي لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلاً ﴿ ولأنهم لفي شك منه مريب ﴾ أي وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا: بل كانوا شاكين فيما قالوه غير محققين لشيء كانوا فيه، والله أعلم .

﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ

لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٤٦) إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْثَامِهَا

وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا

أَذْنَاكَ مَا مِثْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ

قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ حَيَصٍ ﴾ (٤٨)

يقول تعالى : ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ﴾ أي إنما يعود نفع ذلك على نفسه ﴿ ومن أساء فعليها ﴾ أي إنما يرجع وبال ذلك عليه ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ أي لا يعاقب أحداً إلاّ بذنبه ولا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه ثم قال جل وعلا : ﴿ إليه يرد علم الساعة ﴾ أي لا يعلم ذلك أحد سواه . كما قال جل جلاله : ﴿ لا يحلّيها لوقتها إلاّ هو ﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلاّ بعلمه ﴾ أي الجميع بعلمه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . وقوله تعالى : ﴿ ويوم يناديهم أين شركائي ﴾ ؟ أي يوم القيامة ينادي الله المشركين أين شركائي الذين عبدتموهم معي ﴿ قالوا أذنّاك ﴾ أي أعلمناك ﴿ ما منا من شهيد ﴾ أي ليس أحد منا يشهد اليوم أن معك شريكاً ﴿ وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل ﴾ أي ذهبوا فلم ينفعوهم ﴿ وظنوا ما لهم من محيص ﴾ الظن هنا بمعنى اليقين، أي لا محيد لهم من عذاب الله . كقوله تعالى : ﴿ ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً ﴾ .

﴿ لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ

قَنُوطٌ ﴾ (٤٩) وَلَئِنْ أَذْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّهُ لَيَقُولَنَّ

هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ

(٤١- فصلت - ج ٢٥): إذا أصاب الإنسان ضررٌ دعانا. فلما كشفناه عنه، بطر وكفر ١٠٧

لِلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ
• (٥٠) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ
فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ • (٥١)

يقول تعالى لا يعمل الإنسان من دعاء ربه بالخير وهو المال والصحة ، وغير ذلك وإن
مسه الشر وهو البلاء أو الفقر ﴿ فيؤوس قنوط ﴾ أي يقع في ذهنه أنه لا يتهيأ له بعد هذا
خير ﴿ ولئن أذقناه رحمةً منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ﴾ أي إذا أصابه رزق
بعد ما كان في شدة ليقولن هذا لي إني كنت استحقته عند ربي ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾
أي يكفر بقيام الساعة أي لأجل أنه خول نعمةً يبطر ويفخر ويكفر. كما قال تعالى : ﴿ كلا
إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى ﴾ ﴿ ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى ﴾ أي
ولئن كان ثم معاد فليحسننَّ إليَّ ربي كما أحسن إلي في هذه الدار. يتمنى على الله عز وجل ،
مع إساءته العمل وعدم اليقين. أقال الله تبارك وتعالى: ﴿ فلننَّبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا
ولَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ يتهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده، بالعقاب والنكال.
ثم قال تعالى : ﴿ وإذا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾ أي أعرض عن الطاعة
واستكبر عن الانقياد لأوامر الله عز وجل ﴿ وإذا مسه الشر ﴾ أي الشدة ﴿ فذو دعاء
عريض ﴾ أي يطيل المسألة في الشيء الواحد، فالكلام العريض: ما طال لفظه وقل معناه .
والوجيز عكسه، وهو ما قل ودل. وقد قال تعالى: ﴿ وإذا مس الإنسان الضرُّ دعانا لجنبه
أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مرَّ كأن لم يدعنا إلى ضرِّ مسه ﴾ الآية .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِنْ هَؤُلَاءِ
هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ • (٥٢) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ
حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ
• (٥٣) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
مُحِيطٌ • (٥٤)

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن ﴿ أرأيتم إن كان القرآن ﴾ من عند الله ثم كفرتم به ﴿ أي كيف حالكم عند الذي أنزله على رسوله ؟ ولهذا قال عز وجل ﴾ من أضلّ ممن هو في شقاق بعيد ﴾ ؟ أي في كفر وعناد ومشاقة للحق، ومسلّك بعيد من الهدى . ثم قال عز وجل : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ﴾ أي سنظهر لهم دلائلنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله ، على رسوله ﷺ بدلائل خارجية : ﴿ في الآفاق ﴾ من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائير الأديان، ودلائل في أنفسهم مثل وقعة بدر وفتح مكة، ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم، نصر الله فيها محمداً ﷺ وصحبه، وخذل فيها الباطل وحزبه . ويحتمل أن يكون المراد من قوله تعالى : ﴿ وفي أنفسهم ﴾ ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والاختلاط والهيات العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى ، وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة من حسن وقبح وغير ذلك وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحذره أن يجوزها ولا يتعدها . وقوله تبارك وتعالى :

﴿ حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ أي كفى بالله تعالى شهيداً على أفعال عباده وأقوالهم وهو يشهد أن محمداً ﷺ صادق فيما أخبر به عنه . كما قال تعالى : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه ﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿ ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ﴾ أي في شك من قيام الساعة والحساب . ولهذا لا يتفكرون فيه، ولا يعملون له ولا يحذرون منه، مع أنه كائن لا محالة . ﴿ ألا إنه بكل شيء محيط ﴾ أي بال مخلوقات كلها . وهي تحت قهره وفي قبضته، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه، وحده لا شريك له ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا إله إلا هو وحده لا شريك له ولا ند ولا مثيل له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . .

آخر اختصار تفسير سورة فصلت ولله الحمد والمنة .

(٤٢) سُورَةُ الشُّورَى مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ

إِلَّا الْآيَاتِ ٢٣ وَ ٢٤ وَ ٢٥ وَ ٢٧ فَمَدْنِيَّةٌ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ فَصَلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ عَسَىٰ ۖ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ بِتَفْطَرَنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾

روى مالك رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها قالت : ٨٤ [ان الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ « أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيتُ ما قال . وأحياناً يأتيني الملك رجلاً ، فيكلمني فأعي ما يقول .] قالت عائشة رضي الله عنها فلقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ﷺ ليتفصد عرقاً] كذا في يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ﴿ أي كما أنزل إليك هذا القرآن كذا أنزل الكتب والصحف على الانبياء قبلك

وقوله ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(١) كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ وقوله عز وجل: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ أي فرقاً من العظمة والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ﴿كقوله جل وعلا: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ وقوله ﴿إِنَّا إِنَّا اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ إعلام بذلك وتنويه به . وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني المشركين ﴿اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي شهيد عليهم ، وعلى أعمالهم يحصيها ويعدها عذاباً ، وسيجزئهم بها أوفر الجزاء ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أي إنما أنت نذير ، والله على كل شيء وكيل .

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (٧) ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٨)

يقول تعالى وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنًا عربيًّا﴾ أي واضحاً جليًّا بيناً ﴿لتنذر أُمَّ القُرَى﴾ وهي مكة ﴿ومن حولها﴾ أي من سائر البلاد شرقاً وغرباً وسميت مكة أُمَّ القُرَى لأنها أشرف من سائر البلاد لأدلة كثيرة. وأوجزها ، وأدلهما ما روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو واقف بالجزورة في سوق مكة : ٨٥ [والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت] هكذا رواية الترمذي وقال حسن صحيح وكذا رواه النسائي وابن ماجة ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ وهو يوم القيامة. وقوله تعالى: ﴿لا ريب فيه﴾ أي لا شك في وقوعه وقوله جل وعلا: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ كقوله تعالى: ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن﴾ أي يغيب أهل الجنة أهل النار^(٢) ، روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : ٨٦ [خرج علينا رسول الله ﷺ ، وفي يده كتابان فقال : «أتدرون ما هذان الكتابان»

(١) قلت : اي علي على خلقه بائن عنهم . وإنه عظيم لا يجاريه في علوه وعظمته أحد ، ليس كمثل شي وهو السميع البصير .

(٢) قلت : أي يغيب المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم في الجنة لو آمنوا .

قلنا لا إلاً ان تخبرنا يا رسول الله . قال رسول الله ﷺ للذي في يمينه « هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم » ثم أجمل على آخرهم - « لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً » - ثم قال للذي في يساره « هذا كتاب أهل النار بأسمائهم ، وأسماء آبائهم وقبائلهم » ثم أجمل على آخرهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً » فقال أصحاب رسول الله ﷺ فلا شيء نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه قال رسول الله ﷺ « سدّدوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل ، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل » ثم قال ﷺ بيده فقبضها ثم قال : « فرغ ربكم عز وجل من العباد » ثم قال باليمين فنبد بها فقال فريق في الجنة « ونبد باليسرى وقال « فريق في السعير » [وهكذا رواه الترمذي والنسائي .

* * *

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ﴾ أي إما على الهداية أو على الضلالة ولكنه تعالى فاوت بينهم فهدى من يشاء إلى الحق وأضل من يشاء عنه وله الحكمة والحجة البالغة . ولهذا قال عز وجل : ﴿ ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ﴾ أي يدخل خلقه كلهم الجنة إلا ما لا خير فيهم .

﴿ أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ﴾ * (٩) وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربّي عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ * (١٠) فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذروكم فيه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ﴾ * (١١) له مقاليد السموات والأرض ينسبط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم ﴾ * (١٢)

ينكر تعالى على المشركين ، اتخاذهم آلهة من دون الله ، ويخبر انه هو الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده فإنه هو القادر على إحياء الموتى وهو على كل شيء قدير . ثم قال عز وجل ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ أي في كل ما اختلفتم فيه من الامور

وهذا عام في الأشياء كلها ﴿ذلكم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب﴾ أي أرجع إليه ، في جميع الأمور . وقوله جل جلاله : ﴿فاطر السموات والأرض﴾ أي خالقهما وما بينهما ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ أي وخلق لكم من جنسكم وشكلكم منةً عليكم وتفضلاً جعل من جنسكم ذكراً وأنثى ﴿ومن الأنعام أزواجاً﴾ أي وخلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج . وقوله تبارك وتعالى : ﴿يذروكم فيه﴾ أي يخلقكم فيه أي في الرحم جيلاً بعد جيل ، ونسلاً بعد نسل من الناس والأنعام ﴿ليس كمثل شيء﴾ في الخلق وفي سائر صفاته العلى لأنه لا نِدْ لَهُ ولا نظير له. ﴿وهو السميع البصير﴾ وقوله تعالى : ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ أي أنه المتصرف فيهما وتقدم تفصيل ذلك في سورة الزمر ﴿يسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي يوسع ويضيق له الحكمة والعدل التام ﴿لأنه بكل شيء عليم﴾ .



﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٣) ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْرُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ (١٤)

يقول تعالى لهذه الأمة ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك﴾ فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهم إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية الأحزاب عليهم في قوله تبارك وتعالى : ﴿وإذ أخذنا من النبيين ...﴾ والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له . كما قال عز وجل : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ . وقوله تعالى : ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ أي وصى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف . وقوله تعالى : ﴿كبر

على المشركين ما تدعوهم إليه ﴿ أي شق عليهم وأنكروا ما تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد. ثم قال تعالى : ﴿ الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ أي هو الذي يقدر الهداية لمن يستحقها، ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشاد ولهذا قال تعالى : ﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ﴾ أي خالفوا الحق بعد قيام الحجة عليهم بدافع البغي والمشاقة. ثم قال عز وجل ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مستى ﴾ أي لولا الكلمة السابقة من الله تعالى بتأجيل العباد لإقامة حسابهم إلى يوم المعاد لعجل عليهم العقوبة في الدنيا سريعاً . وقوله جلت عظمتهم ﴿ وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم ﴾ يعني الجيل المتأخر المكذب بالحق ﴿ لفي شك منه مريب ﴾ أي ليسوا على يقين من أمرهم وإيمانهم وإنما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا برهان ، وهم في حيرة من أمرهم وشك مريب وشقاق بعيد .

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (١٥)

اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات ، كل منها منفصلة عن التي قبلها حكم برأسها قالوا : لا نظير لها إلا آية الكرسي ، فإنها عشرة فصول كهذه . وقوله تعالى : ﴿ فلذلك فادع ﴾ أي فللذي أوحينا إليك مما وصينا به قبلك من المرسلين فادع الناس إليه ، وقوله تعالى : ﴿ واستقم كما أمرت ﴾ أي واستقم أنت ومن اتبعك في حدود أوامر الله تعالى بلا زيادة أو نقص ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تتبع أهواءهم ﴾ يعني المشركين فيما كذبوه وافتروه من عبادة الأوثان . وقوله عز وجل : ﴿ وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ﴾ أي جميع الكتب المنزلة . وقوله تعالى : ﴿ وأمرت لأعدل بينكم ﴾ أي في الحكم كما أمرني الله ، وقوله جلت عظمتهم : ﴿ الله ربنا وربكم ﴾ أي هو خالقنا وخالقكم ولذلك فهو وحده يستحق العبادة لا معبود إلا هو . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ أي كما قال تعالى : ﴿ وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لا حجة بيننا وبينكم ﴾ أي لا

خصومة وذلك قبل نزول آية السيف لأن هذه الآية مكية ، وآية السيف بعد الهجرة .
وقوله عز وجل ﴿ الله يجمع بيننا ﴾ أي يوم القيامة . وقوله تعالى : ﴿ وإليه المصير ﴾ أي
المرجع يوم الحساب .

﴿ وَالَّذِينَ يُتَّخِجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ (١٦)
الله الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ (١٨)

يتوعد الله الذين يصدّون المؤمنين به عما سلكوه من الهدى . هؤلاء ﴿ حجتهم داحضة عند ربهم ﴾ أي باطلة ﴿ وعليهم غضب ﴾ منه ﴿ ولهم عذاب شديد ﴾ يوم القيامة قيل هؤلاء هم المشركون وقيل اليهود والنصارى ، وقد ضل الجميع سواء السبيل . ثم قال تعالى : ﴿ الله الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ يعني الكتب المنزلة على أنبيائه ﴿ والميزان ﴾ وهو العدل والإنصاف . أي كقوله تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وما يدريك لعلَّ الساعة قريب ﴾ فيه ترغيب فيها وترهيب منها وتزهد في الدنيا . وقوله عز وجل : ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴾ أي يقولون متى هذا الوعد ، وإنما يقولون ذلك تكذيباً وكفراً ﴿ والذين آمنوا مشفقون منها ﴾ أي خائفون من وقوعها ﴿ ويعلمون أنها الحق ﴾ أي لا محالة واقعة ومستعدون عاملون من أجلها . وقد روي حديث متواتر في الصحاح والسنن والمسانيد ؛ وفي بعض الفاظه : ٨٧ [أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ بصوت جهوري وهو في بعض أسفاره فناداه فقال : يا محمد فقال له رسول الله ﷺ نحواً من صوته « هاؤم » فقال له : متى الساعة ؟ فقال رسول الله ﷺ « ويحك إنها كائنة فما أعددت لها ؟ فقال : حب الله ورسوله فقال ﷺ « أنت مع من أحببت » [فقوله ﷺ « المرء مع من أحب » هذا متواتر لا محالة والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة بل أمره بالاستعداد لها .

وقوله تعالى : ﴿ألا إن الذين يمارون في الساعة﴾ أي يجادلون في وجودها ويدفعون وقوعها ﴿لفي ضلال بعيد﴾ أي في جهل بين ، لأن الذي خلق السموات والأرض قادر على إحياء الموتى بطريق الأولى والأخرى. كما قال تعالى : ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ .

﴿الله لطيفٌ بعباده يرزقُ من يشاءَ وهو القويُّ العزيزُ﴾ * (١٩)
 مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ
 حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ * (٢٠)
 أَمْ لَهُمْ شِرْكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا
 كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * (٢١)
 تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقَعُ فِيهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ
 ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * (٢٢) ﴿﴾

يخبر تعالى عن لطفه بخلقه أنه لا ينسى أحداً من رزقه ويستوي البر والفاجر كقوله تعالى : ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ...﴾ وقوله جل وعلا : ﴿يرزق من يشاء﴾ أي يوسع على من يشاء ﴿وهو القوي العزيز﴾ أي لا يعجزه شيء . ثم قال عز وجل ﴿من كان يريد حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أي عمل الآخرة ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ أي تقويه ونعينه ونكثر نماءه ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى ما يشاء الله ﴿ومن كان يريد حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ أي ومن كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا وليس له إلى الآخرة همٌّ البتة بالكلية ، حرمه الله الآخرة والدنيا ، إن شاء أعطاه منها ، وإن لم يشأ لم يحصل له لا هذه ولا هذه . كما قال تعالى : ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً﴾ . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴿﴾ .

وروى الثوري عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٨٨ [بشر هذه الأمة بالسوء والرفعة والنصر والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب] وقوله جل وعلا : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ أي هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم الحلال وتحليل الحرام وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله ﷺ قال : ٨٩ [رأيت عمرو بن لحي بن قمعة يجر قصبه في النار] وكان أحد ملوك خزاعة وهو الذي حمل قريشاً على عبادة الأصنام لعنه الله وقبحه . ولهذا قال تعالى : ﴿ ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم ﴾ أي لعوجلوا بالعقوبة لولا إنظارهم إلى يوم المعاد . ﴿ وإن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ أي شديد موجه .

ثم قال تعالى : ﴿ ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا ﴾ أي في عرصات القيامة ﴿ وهو واقع بهم ﴾ أي الذين يخافونه واقع بهم لا محالة ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ﴾ فأين هذا من هذا ؟ أي أين من هو في الذل والخوف والهوان ممن هو في روضات الجنات مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؟ ولهذا قال تعالى : ﴿ ذلك هو الفضل الكبير ﴾ أي الفوز العظيم والنعمة السابغة الشاملة .

﴿ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٢٣) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٢٤) ﴿

يقول تعالى لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات : ﴿ ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي هذه بشارة من الله تعالى حاصلة لهم لا محالة ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم ما لا تعطونه وإنما اطلب منكم ان تكفوا شركم

عني وتذروني أبلغ رسالات ربي ، ان لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة . قال البخاري عن طاووس يحدث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ الا المودة في القربى ﴾ فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد فقال ابن عباس عجلت ... ان النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة . انفرد به البخاري . ورواه الإمام أحمد وغيره وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم .

وروى البخاري أيضاً عن سعيد بن جبير ما معناه أنه قال معنى ذلك أن تؤذوني في قرابتي أي تحسنوا إليهم وتبرؤهم ... والحق تفسير هذه الآية بما فسر بها به حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما كما رواه عنه البخاري - آنفاً - ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم . فإنهم من ذرية طاهرة من اشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً ، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة ، الواضحة الجلية ، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعليّ وأهل ذريته رضي الله عنهم أجمعين وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خم ٩٠ [إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وانهما لم يفرقا حتى يردا عليّ الحوض] وروى الإمام أحمد عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه ، قال : ٩١ [قلت يا رسول الله إن قريشاً إذا لقي بعضهم بعضاً لقوهم ببشر حسن ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها قال : فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً وقال « والذي نفسي بيده لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم الله ورسوله »] وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : أرقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته وفي الصحيح أن الصديق رضي الله عنه قال لعليّ رضي الله عنه قال والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي . وقال عمر بن الخطاب للعباس رضي الله عنهما : والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب فحال الشيخين رضي الله عنهما هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك ، ولهذا كانوا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين رضي الله عنهما وعن سائر الصحابة أجمعين . ولقد أوردنا أحاديث أخر وخاصة عند قوله تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ الأحزاب / ٣٣ / بما أغنى عن إعادتها هنا ، والله الحمد والمنة .

وقوله عز وجل : ﴿ ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسناً ﴾ أي ومن يعمل حسنة

نزد له فيها حسناً أي أجراً وثواباً ، كقوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكْ حَسَنَةٌ يَضَاعَفُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ أي يغفر الكثير من السيئات ، ويكثر القليل من الحسنات ، فيستر ويغفر . ويضاعف فيشكر ؛ وقوله جل وعلا : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يَحْتَمِلْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ أي لو افتريت عليه كذباً كما يزعم هؤلاء الجاهلون ﴿ يَحْتَمِلْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ أي يطبع على قلبك ويسلبك ما كان آتاك من القرآن . كقوله جل وعلا : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۚ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۚ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ أي لا نتقمنا منه أشد الانتقام . وما قدر أحد من الناس أن يحجز عنه . والشرط لا يقتضي الوقوع وقوله جلت عظمتة : ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ ليس معطوفاً على قوله تعالى : ﴿ يَحْتَمِلْ ﴾ فيكون مجزوماً بل هو مرفوع على الابتداء . كما حذفت من قوله تعالى : ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ وَيَحْقُ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾ معطوف على : ﴿ وَيَمْحُ ﴾ أي يحققه ويثبت ويوضحه بكلماته ، أي بحججه وبراهينه ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي بما تكنه الضمائر وتنطوي عليه السرائر .

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢٥) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿ (٢٦) وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿ (٢٧) وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدٍ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿ (٢٨)﴾



يتمن الله على عباده بقبول توبتهم إذا تابوا ورجعوا إليه أن من كرمه وحلمه انه يعفو ويصفح ويستر ويغفر كقوله تعالى ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ وقد ثبت في صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ٩٢ [لله تعالى أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كانت راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى

شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح [. وقد ثبت في الصحيح من رواية ابن مسعود ذلك .. وقوله ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ أي يقبل التوبة في المستقبل ، ويعفو عن السيئات في الماضي ﴾ ويعلم ما تفعلون ﴾ أي هو عالم بجميع ما فعلتم وقلتم وهو مع هذا يتوب على من تاب إليه . وقوله تعالى : ﴿ ويستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات ﴾ يعني يستجيب لهم الدعاء لأنفسهم ولأصحابهم وهي كقوله عز وجل : ﴿ فاستجاب لهم ربهم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ أي يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك . ولهذا روى ابن أبي حاتم عن عبدالله رضي الله عنه قال : ٩٣ [قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ قال « الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليهم معروفاً في الدنيا »] وقوله عز وجل : ﴿ والكافرون لهم عذاب شديد ﴾ موجه مؤلم يوم معادهم وحسابهم . وقوله تعالى : ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ﴾ أي لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم على بعض أشراً وبطراً . وذكر قتادة حديث : ٩٤ [إنما أخاف عليكم ما يخرج الله تعالى من زهرة الحياة الدنيا] وقال قتادة : كان يقال : خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك .

وقوله عز وجل : ﴿ ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ﴾ ولكن يرزقهم مما يختاره لهم ، بما فيه صلاحهم ، فيغني من يستحق الغنى ويفقر من يستحق الفقر كما في الحديث المروي : ٩٥ [ان من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه]

وقوله تعالى : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ﴾ أي من بعد يأس من نزول المطر ، ينزل عليهم في وقت حاجتهم إليه . كقوله عز وجل : ﴿ وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾ وقوله جل جلاله ﴿ وينشر رحمته ﴾ أي يعم بها الوجود على أهل ذلك القطر وتلك الناحية . وقوله تعالى : ﴿ وهو الولي الحميد ﴾ أي هو المتصرف وحده بخلقه بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم وهو المحمود العاقبة في جميع ما يقدره ويفعله .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ (٢٩) وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ

مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

يقول تعالى : ﴿ ومن آياته ﴾ الدالة على عظمته وقدرته وسلطانه ﴿ خلق السموات والأرض وما بثّ فيهما ﴾ أي ذرأ فيهما ﴿ من دابة ﴾ يشمل كل ذي رُوح على اختلاف أجناسهم وأنواعهم وقد فزقهم في أرجاء أقطار السموات والأرض ﴿ وهو ﴾ مع هذا كله ﴿ على جمعهم إذا يشاء قدير ﴾ أي قادر على جمع كافة الخلق يوم القيامة في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق .

وقوله عز وجل : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ أي مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنها هي عن سيئات تقدّمت لكم ﴿ ويعفو عن كثير ﴾ من السيئات فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ وفي الحديث الصحيح ٩٦ [والذي نفسي بيده ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا همّ ولا حزن إلا كفر الله عنه بها من خطاياها حتى الشوكة يشاكها] .

وروى ابن أبي حاتم عن علي رضي الله عنه قال ٩٧ [ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عز وجلّ وحدثنا به رسول الله ﷺ] : قال : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ، وسأفترها لك يا عليّ : ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله تعالى أحلم من أن يثني عليه العقوبة في الآخرة ، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله تعالى أكرم من أن يعود بعد عفوّه » [.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (٣٢) إِنَّ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِنَنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ ﴿٣٥﴾

ومن آياته على قدرته وسلطانه تسخير البحر لتجري فيه الفلك بأمره وهي الجواري

في البحر كالجبال، ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنَ الرِّيحَ﴾ التي تسير بالسفن في البحر حتى لا تتحرك بل تبقى راكدة واقفة على ظهره: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أي في الشدائد ﴿شُكُورٍ﴾ في الرخاء وقوله عز وجل ﴿أَوْ يُوبِقْهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ أي ولو شاء لأهلك السفن وأغرقها بمن فيها بذنوبهم. ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ أي من ذنوبهم، ولو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب البحر. ولكن من لطفه تعالى ورحمته أن يرسل الريح بحسب الحاجة كما يرسل المطر بقدر الكفاية. وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾ أي لا محيد لهم عن بأسنا ونقمتنا فانهم مهجورون بقدرتنا.

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾

يحقّر الله شأن الحياة وزينتها وما فيها من النعيم الفاني. بقوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي مهما حصلتم وجمعتم فلا تغرّوا به فإنما هو متاع الحياة الدنيا الزائلة ﴿وما عند الله خير وأبقى﴾ أي وثواب الله تعالى خير من الدنيا - وما فيها - فلا تقدّموا الفاني على الباقي. ولهذا قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي صبروا على ترك ملاذ الدنيا ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات وترك المحرّمات.

ثم قال تعالى: ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾ وقد قدّمنا الكلام على الإثم والفواحش في سورة الأعراف ^(١) ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ أي يغفون ويصفحون بسجيتهم عن الناس وقد ثبت في الصحيح: ٩٨ [أن رسول الله ﷺ ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله] . وقال ابن أبي حاتم عن إبراهيم: كان المؤمنون يكرهون أن يستدلّوا وكانوا إذا قدروا عفوًا . وقوله عز وجل: ﴿والذين استجابوا

لربهم ﴿ أي اتَّبَعُوا رسلَهُ وأطاعوا أمره واجتنبوا زجره ﴾ وأقاموا الصلاة ﴿ وهي أعظم العبادات لله عزَّ وجلَّ ﴾ وأمرهم شورى بينهم ﴿ أي لا يرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه ، ويتساعدوا في كل أمر . كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ الآية ... ولهذا كان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها ليُطَيَّبَ بذلك قلوبهم وهكذا فقد جعل عمر الأمر بعده شورى ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ وذلك بالإحسان إلى خلق الله الأقرب إليهم منهم فالأقرب .

وقوله تعالى : ﴿ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾ أي فيهم قوة الانتصار من ظلمهم واعتدى عليهم ليسوا بالعاجزين ولا الأذليين . بل يقدرّون على الانتقام ممن بغي عليهم ، وإن كانوا مع هذا إذا قدرّوا عفوًا . كعفوهِ ﷺ عن غورث بن الحارث الذي أراد الفتك به ﷺ وهو نائم . فاستيقظ ﷺ وفي يد غورث السيف مصلّتا فانتهره فوضعه من يده ، وأخذ رسول الله ﷺ السيف في يده ، ولكنه عفا عنه . وكذلك عفا ﷺ عن لبيد ابن الاعصم الذي سحره ومع هذا لم يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه ، وكذلك عفوهُ عن اليهودية زينب أخت مرحب اليهودي الحيري التي سمت الذراع يومَ خيبر ، ولكن لما مات من السم بشر بن البراء رضي الله عنه قتلها به . وكعفو يوسف عليه السلام عن إخوته وقوله لهم : ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ﴾ والأمثلة على ذلك كثيرة جداً والله تعالى أعلم .

﴿ وَجَزَاوُا سَيِّئَةَ سَيِّئَةٍ مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤٠) وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿ (٤٣) ﴾

قوله تبارك وتعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئةً مثلها ﴾ كقوله تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ الآية ، فشرع العدل وهو القصاص ، وندب إلى الفضل وهو العفو ، ولهذا قال تعالى ها هنا : ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ أي لا يضيع ذلك عند الله كما

صح ذلك في الحديث : ٩٩ [وما زاد الله تعالى عبداً بعفوٍ إلاّ عزاً] ﴿إنه لا يحب الظالمين﴾ أي المتبدئين بالسيئة . ثم قال جل وعلا ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ أي ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم . وقوله عز وجل : ﴿إنما السبيل﴾ أي الحرج والعنت ﴿على الذين يظلمون الناس ويبيغون في الأرض بغير الحق﴾ أي يبدؤون الناس بالظلم ﴿أولئك لهم عذاب أليم﴾ أي شديد موجه . ثم إن الله تعالى لما ذم الظلم وأهله ، وشرع القصاص ، قال نادباً العفو والصفح . ﴿ولمن صبر وغفر﴾ أي صبر على الأذى ، وسرّ السيئة . ﴿إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ قال سعيد بن جبير : يعني لمن حق الأمور التي أمر الله تعالى بها ، أي لمن الأمور المشكورة ، والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ١٠٠ [إن رجلاً شتم أبا بكر رضي الله عنه والنبي ﷺ جالس ، فجعل النبي ﷺ يعجب ويتبسم ، فلما أكثر رد عليه بعض قوله ، فغضب النبي ﷺ وقام ، فلحقه أبو بكر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله انه كان يشتمني وأنت جالس ، فلما رددت عليه بعض قوله ، غضبت وقمت قال : «إنه كان معك ما لك يرد عنك ، فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان — ثم قال — يا أبا بكر : ثلاث كلهن حق : ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضي عنها الله ، إلا أعزه الله تعالى بها ونصره ، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة ، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة ، إلا زاده الله عز وجل بها قلة»] وهذا الحديث في غاية الحسن في المعنى ، وهو مناسب للصدوق رضي الله عنه .

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٤٤) ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ (٤٥) ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ

يخبر تعالى عن نفسه الكريمة انه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وانه من يهده فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . ثم أخبر عن الظالمين وهم المشركون بالله : ﴿ لما رأوا العذاب ﴾ أي يوم القيامة تمنّوا الرجعة إلى الدنيا ﴿ يقولون هل إلى مردٍ من سبيل ﴾ كما قال عز وجل ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ ﴿ وتراهم يعرضون عليها ﴾ أي على النار ﴿ خاشعين من الذل ﴾ أي الذي قد اعتراهم بما اسلفوا من عصيان الله تعالى ﴿ ينظرون من طرف خفي ﴾ أي مسارقةً خوفاً منها والذي يحذرون منه واقع بهم لا محالة ، وما هو أعظم مما في نفوسهم ، أجارنا الله من ذلك ﴿ وقال الذين آمنوا ﴾ أي يقولون يوم القيامة ﴿ إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ﴾ أي ذهب بهم إلى النار خسروا أنفسهم وخسروا أحبائهم وأصحابهم ﴿ ألا إن الظالمين في عذاب مقيم ﴾ أي دائم سرمديّ أبديّ . وقوله تعالى : ﴿ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ﴾ أي ينقذونهم مما هم فيه من العذاب والنكال ، ﴿ ومن يضلل الله فما له من سبيل ﴾ أي ليس له خلاص .

﴿ اَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِلَّا أَلْبَاسًا وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ (٤٨)

لما ذكر الله تعالى أهوال يوم القيامة ، حذر منه وأمر بالاستعداد له فقال تعالى : ﴿ استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله ﴾ أي إذا أمر بكن يكون كلمح البصر . وقوله عز وجل ﴿ ما لكم من ملجأ يومئذٍ وما لكم من نكير ﴾ أي ليس لكم ما تتحصنون فيه ولا ما يستركم وتتنكرون فيه فتغيبون عن بصره تبارك وتعالى ، بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته ، فلا ملجأ منه إلا إليه ﴿ فإن أعرضوا ﴾ يعني المشركين ﴿ فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ أي لست عليهم بمصيطر . كقوله تعالى : ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ وقال جل وعلا ها هنا ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ أي إنما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرحَ بِهَا ﴾ أي إذا أصابه رخاء ونعمة فرح ﴿ وَإِن تَصْبِهِم سَيْئَةً ﴾ أي تصب الناس نقمة وشدة ﴿ بِمَا قَدَّمْت إِيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ - أي بما أذنبوا يمحذون ما تقدم من النعم إلا من هداهم الله وكانوا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات . فالؤمن كما قال ﷺ ١٠١ : [إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن]

﴿ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَوْرَ ﴾ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِثَاءً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيْمًا إِنَّهُ عَلِيْمٌ قَدِيْرٌ ﴿ (٥٠) ﴾

يخبر تعالى أنه المتصرف في السموات والأرض وله المشيئة في خلقه منعاً وعطاءً ﴿ يهب لمن يشاء إناثاً ﴾ أي يرزقه بنات كلوط عليه السلام ﴿ ويهب لمن يشاء الذكور ﴾ أي البنين فقط كإبراهيم عليه السلام ﴿ أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ﴾ أي يعطي لمن يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى كمحمد ﷺ ﴿ ويجعل من يشاء عقيماً ﴾ أي لا يولد له كيعقوب وعيسى عليهما الصلاة والسلام . قاله البغوي ﴿ إنه عليم قدير ﴾ أي عليم بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام قدير على تفاوت الناس في ذلك فسبحان العليم القدير .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِّنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُوْلًا فَيُوحِي بِآذِنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيْمٌ ﴾ (٥١) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيْمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيْرُ الْأُمُورِ ﴾ (٥٣) ﴾

هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عز وجل فتارة يقذف في روع النبي ﷺ

شيئاً لا يتمارى فيه أنه من الله جل وعلا كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال ١٠٢ [إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب] وقوله تعالى : ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام . وقوله عز وجل : ﴿أَوْ يَرْسَلْ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على نبينا والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فهو عليٌّ عليمٌ خبيرٌ حكيمٌ . وقوله عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ يعني القرآن ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي على التفصيل الذي شرع لك في القرآن ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ كقوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ الآية ...

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ﴾ أي يا محمد ﴿لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي تدل ، ثم فشره بقوله تعالى : ﴿صِرَاطُ اللَّهِ﴾ أي شرعه الذي أمر به الله ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي ربهما ومالكهما والمتصرف فيهما والحاكم الذي لا معقب لحكمه ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ أي ترجع الأمور فيفصلها ويحكم فيها سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً . آخر اختصار تفسير سورة الشورى والله الحمد والمنة ، والشكر والفضل ، وبه التوفيق وعليه التكلان .

(٤٣) سُورَةُ الزَّخْرَفِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأْنَاهَا نِسْجَ وَثَمَانُونَ

إِلَّا الْآيَةَ ٥٤ فَمَدْنِيَّةٌ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الشُّورَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمَّ﴾ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا
عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ
حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا
مُسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍِّّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا
يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍِّّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ
مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

يقول تعالى : ﴿ حم ﴾ والكتاب المبين ﴿ أي الواضح الجلي المعاني والألفاظ ، لأنه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس . ولهذا قال تعالى : ﴿ انما جعلناه ﴾ أي انزلناه ﴿ قرآنًا عربيًّا ﴾ أي بلغة العرب ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أي تفهمونه وقوله تعالى : ﴿ وإنه في أم الكتاب لدينا لعليٌ حكيم ﴾ أي بين شرفه في الملأ الأعلى فقال تعالى : ﴿ وإنه ﴾ أي القرآن ﴿ في أم الكتاب ﴾ أي اللوح المحفوظ ﴿ لدينا ﴾ أي عندنا ﴿ لعلي ﴾ أي ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل ، ﴿ حكيم ﴾ أي محكم بريءٌ من اللبس والزيف ، وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين ﴿ ولهذا استنبط العلماء رضي الله عنهم من هاتين الآيتين ان المحدث لا يمس المصحف كما ورد به الحديث ان صح لأن الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القرآن في الملأ الأعلى ، فأهل الأرض

بذلك أولى وأحرى ، لأنه نزل عليهم ، وخطابه متوجه إليهم ، فهم أحق أن يقابلوه بالإكرام والتعظيم ، والإنقياد له بالقبول ، والتسليم ، لقوله تعالى : ﴿ وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿ أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين ﴾ اختلف المفسرون في معنى هذه الآية فقيل وقيل ... والطف قول : انه تعالى من لطفه ، ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير وإلى الذكر الحكيم وهو القرآن وإن كانوا مسرفين معرضين عنه بل أمر به ليهتدي به من قدّر هدايته ، وتقوم الحجة على من كتب شقاوته ثم يسألني تعالى نبيه ﷺ بقوله عز وجل : ﴿ وكم أرسلنا من نبي في الأولين ﴾ أي في شيع الأولين ﴿ وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون ﴾ أي يكذبونه وبه يسخرون ﴿ فأهلكنا أشد منهم بطشاً ﴾ أي فأهلكنا المكذبين بالرسول وقد كانوا أشدّ بطشاً من قومك يا محمد كقوله تعالى : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدّ قوة ﴾ والآيات في ذلك كثيرة . وقوله جلّ وعلا ﴿ ومضى مثل الأولين ﴾ أي جعلناهم عبرة لمن بعدهم من المكذبين أن يصيبهم ما أصابهم . كقوله تعالى في آخر هذه السورة ﴿ فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴾ .

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿ (١٢) لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا أَنْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿ (١٤) ﴾

يقول تعالى : ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين : ﴿ من خلق السموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم ﴾ أي ليعترفن بأن الخالق لذلك هو الله وحده لا شريك له وهم

مع هذا يعبدون معه غيره ثم قال تعالى : ﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً﴾ أي قراراً ثابتةً تسرون عليها وتقومون وتنامون مع أنها مخلوقة على تيار الماء ، لكنه أرساها بالجبال لثلاث تميده هكذا وهكذا، ﴿وجعل فيها سبلاً﴾ أي طرقاً بين الجبال والأودية ﴿لعلكم تهتدون﴾ أي في سيركم من بلد إلى بلد ﴿والذي نزل من السماء ماءً بقدر﴾ أي بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم لأنفسكم ولأنعامكم .

وقوله تعالى وتبارك : ﴿فأنشرونا به بلدةً مبيتاً﴾ أي أرضاً مبيتاً فلما أمطرت أنبتت من كل زوج ، ثم نبه تعالى بإحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد . فقال : ﴿كذلك تخرجون﴾ ثم قال عز وجل : ﴿والذي خلق الأزواج كلها﴾ أي مما تنبت الأرض من سائر أصناف الزروع والثمار وغير ذلك . ومن الحيوانات على اختلاف اجناسها ﴿وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾ أي السفن وذل الأنعام وسخرها أكلاً وشراباً وركوباً ولهذا قال جل وعلا : ﴿لستؤوا على ظهوره﴾ أي لتعتلوا متمكنين ﴿على ظهوره﴾ ثم تذكروا نعمة ربكم ﴿فيما سخر لكم﴾ إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴿أي مقاومين﴾ ، ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه ﴿وإننا إلى ربنا لمقلبون﴾ أي لصائررون إليه بعد مماتنا وإليه سيرنا الأكبر ، وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة ، كما نبه بالزاد الدنيوي على الزاد الآخروي في قوله تعالى : ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ وباللباس الدنيوي على الآخروي في قوله تعالى : ﴿وريشاً ولباس التقوى ذلك خير﴾ .

روى الإمام أحمد عن علي بن ربيعة قال ١٠٣ رأيت علياً رضي الله عنه أتى بدابة فلما وضع رجله في الركاب قال : بسم الله فلما استوى عليها قال الحمد لله ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ . وإننا إلى ربنا لمقلبون ﴿ثم حمد الله تعالى ثلاثاً وكبر ثلاثاً ثم قال : سبحانك لا إله إلا انت قد ظلمت نفسي فاغفر لي ثم ضحك ، فقلت له : ميم ضحكك يا أمير المؤمنين فقال رضي الله عنه : رأيت رسول الله ﷺ فعل مثل ما فعلت ثم ضحك ، فقلت ميم ضحكك يا رسول الله ؟ فقال ﷺ « يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده اذا قال رب اغفر لي ، ويقول علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري » [وهكذا رواه ابو داود والترمذي ، والنسائي وقال الترمذي حسن صحيح .

روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ١٠٤ [إن النبي ﷺ كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثاً ثم قال : ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإننا إلى ربنا لمقلبون﴾ - ثم يقول - « اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ما

ترضى ، اللهم هَوِّنْ علينا السفر واطوِّرْ لنا البعيد ، اللهم أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا فِي سَفَرِنَا وَاخْلُقْنَا فِي أَهْلِنَا وَكَانَ ﷺ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ قَالَ : « آيُونَ تَائِبُونَ أَنْ شَاءَ اللَّهُ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ » [وهكذا رواه مسلم وابو داود والنسائي والترمذي .

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانُ لَكَفُورٌ ﴿١٦﴾ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مِنْ يَنْشُوا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْتَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْمُشْرِكِينَ فِيمَا افْتَرَوْهُ وَكَذَّبُوهُ فِي جَعْلِهِمْ بَعْضَ الْأَنْعَامِ لَطَوَاغِيَتِهِمْ وَبَعْضُهَا اللَّهُ تَعَالَى ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ : ﴿ وَجَعَلُوا اللَّهَ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلُوا لَهُ مِنْ قِسْمِي الْبَنَاتِ وَالْبَنِينَ أَحْسَهُمَا وَأَرَادَهُمَا وَهُوَ الْبَنَاتُ . كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى • تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا مَا هُنَا ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانُ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴾ ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴾ وَهَذَا إِنكَارٌ عَلَيْهِمْ غَايَةُ الْإِنكَارِ ثُمَّ ذَكَرَ عَامَ الْإِنكَارِ فَقَالَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ أَيُّ إِذَا بُشِّرَ بِالْأُنْثَى أَنْفَ غَايَةِ الْأَنُفَةِ وَيَكْتَسِبُ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ وَيَتَوَارَى خَجَلًا مِنْ قَوْمِهِ يَقُولُ تَعَالَى وَتَبَارَكَ فَكَيْفَ تَأْنِفُونَ مِنْ ذَلِكَ وَتَنْسُبُونَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ أَوْ مِنْ يَنْشُوا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ أَيُّ الْمَرْأَةِ نَاقِصَةً يَكْمَلُ نَقْصَهَا بِلِبْسِ الْحُلِيِّ مِنْذُ طُفُولَتِهَا وَإِذَا خَاصَمْتَ فِيهَا عَاجِزَةً عَيْيَةً كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ وَقَدْ بُشِّرَ بِنْتٍ : مَا هِيَ بِنَعْمِ الْوَلَدِ ،

نصرها بكاء وبرها سرقة . فكيف بمن هذا حالها، ينسب إلى جناب الله العظيم ؟ ! ! ! .
 وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ﴾ أي اعتقدوا فيهم ذلك فأنكر تعالى عليهم فقال سبحانه : ﴿ أشهدوا خلقهم ﴾ أي شاهدوه وقد خلقهم إناثاً ... ؟ ! ﴿ ستكتب شهادتهم ﴾ أي بذلك ﴿ ويسألون ﴾ عن ذلك يوم القيامة وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ﴾ أي لو أراد الله لحال بيننا وبين عبادة هذه الأصنام التي هي على صور الملائكة التي هي بنات الله فإنه عالم بذلك وهو يقرنا عليه فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ . ١ - : جعلوا لله تعالى ولداً ٢ - : دعواهم انه اصطفى البنات على البنين وجعلوا الملائكة بناته ٣ - : عبدوها بلا دليل بل بمجرد الهوى وتقليد الآباء ٤ - : احتجاجهم بأن الله قدّر ذلك وشاء لهم ولو كانت عبادتهم غير صحيحة ما عبدوا هذه الأصنام التي هي صور الملائكة وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلاً كبيراً . فان الذين يحتجون بمشيئة سبحانه وتعالى قد أنكر عليهم أشد الإنكار، فإنه منذ بعثة الرسل وانزال الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وينهى عن عبادة ما سواه . كما قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ وقال جل وعلا في هذه الآية بعد أن ذكر حجّتهم هذه : ﴿ ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون ﴾ أي يكذبون ويتقولون .

﴿ أَمْ أَتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿ (٢٣) قَالَ أُولَؤُ هُمْ أَجْنُحَكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿ (٢٥)

ينكر تعالى على المشركين شركهم بلا برهان ﴿ أم آتيناهم كتاباً من قبله ﴾ أي من قبل أن يشركوا ﴿ فهم به مستمسكون ﴾ كقوله تعالى : ﴿ أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ﴾ أي ليس الأمر كذلك ﴿ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة

وإنّا على آثارهم مهتدون ﴿ أي ليس لهم من مستند في شركهم إلاّ تقليد آبائهم ودعوى بلا دليل . ثم بين جل جلاله أن مقالاتهم سبقهم إليها أشباههم من الأمم السابقة المكذبة للرسول فقال تعالى : ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلاّ قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنّا على آثارهم مقتدون ﴾ ثم قال جلّ وعلا ﴿ قل ﴾ يا محمد للمشركين ﴿ أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ أي ولو علموا وتيقنوا صحة ما جئتكم به لما انقادوا لذلك لسوء قصدهم ومكابرتهم . قال الله تعالى : ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ أي من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب كما فصله تبارك وتعالى في قصصهم ﴿ فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ من الهلاك وكيف نجّى الله المؤمنين .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ (٢٦)
إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿ (٣٠) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿ (٣١) أَهُم يَفْسِمُونَ بِرَبِّكَ يُحْنُ قَسَمِنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمُ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبُّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿ (٣٢) وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكَبَّرُونَ ﴿ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿ (٣٥)

يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم عليه السلام إمام الخفاء أنه تبرأ من أبيه

وقومه في عبادتهم الأوثان ، فقال : ﴿إني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾ هذه الكلمة هي لا إله إلا الله أي جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداية الله تعالى من ذريته عليه الصلاة والسلام ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي إليها أي إلى لا إله إلا الله وهي أفراد العبادة لله تعالى وخلع ما سواه من الأوثان .

وقوله تعالى : ﴿بل متعت هؤلاء﴾ يعي المشركين ﴿وآباءهم﴾ أي فتناول عليهم العمر في ضلالهم ﴿حتى جاءهم الحق ورسول مبين﴾ أي - حتى جاءهم القرآن والذي أنزل عليه وهو محمد ﷺ - ﴿ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون﴾ أي كابروه وعاندوه كفرا وحسداً وبغياً ﴿وقالوا﴾ معترضين على الذي أنزله تعالى وتقدس ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ أي هلاً كان إنزال هذا القرآن على رجل كبير من القريتين ؟ يعنون مكة والطائف كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي أو أي رجل من أي القريتين كان ، فردّ الله تبارك وتعالى عليهم : ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ ؟ أي ليس الأمر مردوداً إليهم بل إليه عز وجل وحده والله أعلم حيث يجعل رسالته فإنه لا ينزلها إلا على أذكى الخلق قلباً ونفساً وأشرفهم بيتاً ، وأظهرهم أصلاً .

ثم بين تعالى أنه فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة . فقال جل وعلا : ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ الآية وقوله جلت عظمتة : ﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾ أي ليسخر بعضهم بعضاً في الأعمال ، لاحتياج هذا إلى هذا وهذا إلى هذا . ثم قال عز وجل : ﴿ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ أي رحمة الله بخلقهم خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا . ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ أي ولولا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة ان إعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه ، فيجتمعوا على الكفر لأجل المال ! ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج﴾ أي سلام ودرجاً من فضة قاله ابن عباس وغيره ﴿عليها يظهرون﴾ أي يصعدون ﴿ولبيوتهم أبواباً﴾ أي أغلاقاً على أبوابهم . ﴿وسرراً عليها يتكئون﴾ أي جميع ذلك يكون فضة ﴿وزخرفاً﴾ أي وذهباً . قاله ابن عباس وغيره .

ثم قال تبارك وتعالى : ﴿وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا﴾ أي إنما ذلك كله من متاع الحياة الدنيا الزائلة ، أي يعجل لهم بحسناتهم التي يعملونها في الدنيا ما كل ومشارب ومساكن ليوافوا الآخرة ، وليس لهم عند الله تبارك وتعالى حسنة يجزيهم بها ، كما ورد به

الحديث الصحيح . وورد في حديث آخر ١٠٥] لو أن الدنيا ترن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء [أسنده البغوي عن سهل بن سعد رضي الله عنه . ثم قال تعالى : ﴿والآخرة عند ربك للمتقين﴾ أي هي لهم خاصة لا يشاركهم فيها أحد غيرهم . وفي الصحيحين ١٠٦] أن رسول الله ﷺ قال : لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة] وإنما خولهم الله تعالى في الدنيا لحقارتها .

وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ * (٣٧) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ * (٣٨) وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * (٣٩) أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * (٤٠) فَإِنَّمَا نَذْهَبُ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ * (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ * (٤٢) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ * (٤٤) وَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ * (٤٥)

يقول تعالى : ﴿ومن يعش﴾ أي تعامت بصيرته عن القرآن وهو المراد من قوله تعالى : ﴿عن ذكر الرحمن﴾ ﴿نقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ كقوله تعالى : ﴿وقبضنا لهم قرناء﴾ فزيناو لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴿الآية ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ولأنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا﴾ أي هذا الذي تعامت بصيرته عن الحق وجاءنا يوم القيامة ومعه قرينه يتبرم بالشيطان الذي وكل به﴾ قال يا

ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴿ ثم قال تعالى : ﴿ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ﴾ أي لا ينفعكم اجتماعكم في النار واشتراككم في العذاب الأليم .

وقوله جلّت عظمته : ﴿ أفأنت تسمع الصمّ ﴾ أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين ﴿ أي ليس ذلك إليك إنما عليك البلاغ وليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحكم العدل في ذلك . ثم قال تعالى : ﴿ فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون ﴾ أي لا بد أن نتقم منهم ونعاقبهم ولو ذهب أنت ﴿ أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون ﴾ أي نحن قادرون على هذا وعلى هذا ولم يقبض الله تعالى رسوله ﷺ حتى أقر عينه من أعدائه وحكمه في نواصيهم ومذّكه ما تضمنته صياصيمهم . ثم قال عز وجل : ﴿ فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم ﴾ أي خذ بالقرآن المنزل على قلبك فإن هذا الحق وما يهدي إليه هو الحق المفضي الى صراط الله المستقيم الموصل إلى جنّات النعيم والخير المقيم . ثم قال جل جلاله : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ قيل معناه لشرف لك ولقومك . قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ، واختاره ابن جرير ولم يحكّ سواه . وأورد الترمذيّ ههنا حديثاً بسنده إلى معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ١٠٧ [إن هذا الأمر لا ياتزعههم فيه أحد إلا أكبّه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين] رواه البخاري ومعه أنه شرف لهم من حيث أنه أنزل بلغتهم فهم أفهم الناس له فينبغي أن يكونوا أقوم الناس وأعملهم بمقتضاه وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخلص من المهاجرين السابقين الأولين ومن شابههم وتابعهم وقيل إن معنى الآية عام يشمل العرب وغيرهم ﴿ وسوف تسألون ﴾ أي عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به ، والاستجابة له . وقوله تعالى ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ أي جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت إليه من عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد . كقوله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ
إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا
يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا

وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ
ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام انه ابتعثه إلى فرعون
وملئه من الأمراء والوزراء والقادة، والرعايا من القبط وبنى اسرائيل، يدعوهم الى عبادة الله
وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه. وانه بعث معه آيات عظيماً: كيدِه
وعصاه، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، ومن نقص
الزروع والأنفس والثمرات. ومع هذا كله... استكبروا عن اتباعها والانقياد لها،
وكذبوها وسخروا منها وضحكوا ممن جاءهم بها ﴿وما نريهم من آية إلا هي أكبر
من أختها﴾ ومع هذا ما رجعوا عن غيهم وضلالهم وجهلهم وخبالهم. وكلما جاءتهم
آية من هذه الآيات يضرعون إلى موسى عليه الصلاة والسلام ويتلطفون له في العبارة
بقولهم: ﴿يا أيها الساحر﴾ وليست هذه التسمية على سبيل الانتقاص منهم لأن الحال حال
ضرورة منهم إليه لا تناسب الانتقاص وإنما هو التعظيم في زعمهم، ففي كل مرة يعدون
موسى عليه السلام إن كشف عنهم هذا، أن يؤمنوا به ويرسلوا معه بني اسرائيل،
وفي كل مرة ينكثون ما عاهدوه عليه. وهذا كقوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين. ولما وقع
عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن
لك ولنرسلن معك بني اسرائيل. فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم
ينكثون﴾

وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ
مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا
خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ
عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ • (٥٤) فَلَمَّا
آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ • (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا
وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ • (٥٦)

يقول تعالى مخبراً عن فرعون وكفره وعناده وتمردّه ، انه جمع قومه فتادى فيهم متبجحاً مفتخراً بملك مصر وتصرفه فيها : ﴿ أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ﴾ أي أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك ، يعني وموسى واتباعه ضعفاء فقراء . كقوله تعالى : ﴿ فحشر فتادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ﴾ وقوله : ﴿ أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ﴾ وأم ههنا بمعنى بل ويعني فرعون لعنه الله بقوله انه خير من موسى عليه الصلاة والسلام وقد كذب كذباً بيناً واضحاً فعليه لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة . ويعني بقوله مهين أي حقير ولا ملك له ولا سلطان ولا مال ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ أي لا يكاد يفهم وهذا الذي قاله فرعون لعنه الله كذب واختلاق فقوله لعنه الله : ﴿ مهين ﴾ كذب بل هو المهين الحقير خلقة وخلقاً وديناً وموسى هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد. وقوله ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ افتراء أيضاً فقد كان موسى عليه الصلاة والسلام من الجلالة ، والعظمة والبهاء في صورة يبهز أبصار ذوي الأبواب وانه قد أصاب لسانه في حال صغره شيء ومن جهة تلك الحمرة ، فقد سأل الله عز وجل أن يحلّ عقدة من لسانه ليفقهوا قوله ، وقد استجاب الله تبارك وتعالى له. ذلك في قوله عزّ من قائل : ﴿ قد أوتيت سؤالك يا موسى ﴾ ولكن فرعون عليه لعائن الله يعلم هذا اي أنه يكذب على موسى عليه أفضل الصلاة والسلام ، إنما أراد الترويج على رعيته فانهم كانوا جهلة أغبياء . وهكذا أيضاً قوله : ﴿ فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب ﴾ وهي ما يجعل في الأيدي من الخلي ، قاله ابن عباس وغيره . ﴿ أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴾ أي يخدمونه ويصدقونه ، إستخفافاً بشعبه الجاهل. ولهذا قال تعالى : ﴿ فاستخفَّ قومه فأطاعوه ﴾ أي استخف عقولهم فدعاهم الى الضلالة فاستجابوا له ﴿ إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ قال الله تعالى : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴾ ومعنى آسفونا أي أسخطونا . انتقمنا منهم بالغرق إجماعاً فلا يفرّ إنسان اذا أعطي ما يشاء وهو ما يزال مقيماً على معاصيه فإنما هذا استدراج من الله تعالى . وقوله سبحانه ﴿ فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴾ اي سلفاً لمن عمل بعملهم وعبرة لمن بعدهم والله سبحانه وتعالى أعلم .



﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ (٥٧) ﴿وَقَالُوا إِلَهِنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (٥٨) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٥٩) ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ﴾ (٦٠) ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٦١) ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٦٢) ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (٦٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٦٤) ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ﴾ (٦٥)

يخبر تعالى عن تعنت كفار قريش في كفرهم وتعمدهم العناد والجدل . : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ أي يضحكون وأعجبوا بذلك قاله : ابن عباس وغيره . وكأن السبب في ذلك ما ذكره محمد بن اسحق في السيرة حيث قال : « وجلس رسول الله ﷺ فيما بلغني يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ الآيات ...

ثم قام رسول الله ﷺ ، وأقبل عبدالله بن الزبيري التميمي حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبدالله بن الزبيري : أما والله لو وجدته لخصمته ، سلوا محمداً ... أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ، فنحن نعبد الملائكة ، واليهود نعبد عزيراً ، والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم فعجب

الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبيري ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم^(١) فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال ١٠٨ [كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته] فأنزل الله عز وجل : ﴿إن الذين سبق لهم منّا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ أي عيسى وعزير ومن عبد معهما من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله عز وجل فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله . روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ١٠٩ يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير « فقالوا له : ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً فقد كان يعبد من دون الله ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون﴾ [قال مجاهد : قالت قريش إنما يريد محمد أن نعبد كما عبد قوم عيسى عليه السلام . ونحو هذا قال قتادة .

وقوله تعالى : ﴿وقالوا آلهتنا خير أم هو﴾ أي آلهتنا خير منه وقال قتادة : قرأ ابن مسعود رضي الله عنه : - وقالوا آلهتنا خير أم هذا ، يعنون محمداً ﷺ . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ما ضربه لك إلاّ جدلاً﴾ أي مرأى وهم يعلمون أنه ليس بوارد .. لأنها لما لا يعقل ، وهي قوله تعالى : ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ فإن « ما » لغير العاقل ثم هي خطاب لقريش ، وهم إنما كانوا يعبدون الأصنام والأنداد ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يورده ، فتعين أن مقالتهم إنما كانت جدلاً منهم ليسوا يعتقدون صحتها .

روى الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ١١٠ [ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلاّ أوثوا الجدل] ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ما ضربه لك إلاّ جدلاً بل هم قوم خصمون﴾ وقد رواه الترمذي وابن ماجه وابن جرير وصححه الترمذي . وقوله تعالى : ﴿إن هو إلاّ عبد أنعمنا عليه﴾ يعني عيسى عليه الصلاة والسلام ما هو إلاّ عبد من عباد الله عز وجل أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة ﴿وجعلناه مثلاً لبي إسرائيل﴾ أي دلالة وحجة وبرهاناً على قدرتنا على ما نشاء . وقوله تعالى :

(١) قلت : ذكر عبد الله بن الزبيري هذا ... وإنه قد أسلم فيما بعد ... وكان من الشعراء المشهورين . وقد كان بهاجي المسلمين أولاً ... ثم تاب وقال معتزلاً بعد إسلامه : يا رسول الملك إن لساني • رائق ما فقت إذ أنا بور • إذ أجاري الشيطان في سنن النبي م ومن مال ميله مشبور • .

﴿ولو نشاء لجعلنا منكم﴾ أي بدلاً منكم ﴿ملائكة في الأرض يخلفون﴾ أي يخلفونكم فيها . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿وانه لعلم للساعة﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : هو خروج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قبل يوم القيامة .. كما قال تعالى : ﴿وان من اهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بتزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً .

وقوله تعالى : ﴿فلا تمترنَّ بها﴾ أي لا تشكّوا فيها انها واقعة وكائنه لا محالة . ﴿واتبعون﴾ أي فيما أخبركم به ﴿هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان﴾ أي عن اتباع الحق ﴿انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة﴾ أي بالنبوة ﴿ولأبين لكم بعض الذين تختلفون فيه﴾ قال ابن جرير يعني من الأمور الدينية لا الدنيوية وهذا الذي قاله حسن جيد . وقوله عز وجل : ﴿فاتقوا الله﴾ أي فيما أمركم به ﴿وأطيعون﴾ فيما جئتكم به ﴿ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ أي هو عبادة الرب جل وعلا وحده ، وقوله سبحانه : ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ أي منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله وهو الحق ، ومنهم من يدعي أنه ولد الله ومنهم من يقول أنه الله ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ولهذا قال تعالى : ﴿فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم﴾

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٦٦) ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٧) ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٦٨) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٦٩) ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ (٧٠) ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٧١) ﴿وَبَلَدِكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٧٢) ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٧٣)

يقول تعالى : ﴿هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ أي إنها

واقعة لا محالة ، وهؤلاء المشركون غافلون عنها فستأتيهم فجأة ، عندها يندمون على عدم إيمانهم ، ولكن في الوقت الذي لا ينفع الندم . وقوله تعالى : ﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ أي كل محبة لغير الله تنقلب إلى عداوة إلا ما كان منها لله عز وجل ، فإنها دائمة بدوامه فالخليلان في الله إذا مات أحدهما قبل الآخر فيذكر خليله عند الله بخير ويدعو له : اللهم كما أمرني بطاعتك وطاعة رسolk وأخبرني ببقائك هذا اللهم فلا تضله بعدي حتى تريبه ما أرييني وترضى عنه كما رضيت عني فيبشره الله بخليله خيراً ، أما الخليلان الكافران ، فبعكس ذلك تماماً . ملخصاً عن علي رضي الله عنه من رواية عبد الرزاق .

وروى ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [١١١] لو أن رجلين تحابا في الله ، أحدهما بالشرق والآخر بالمغرب ، لجمع الله تعالى بينهما يوم القيامة يقول هذا الذي أحببته في [وقوله تبارك وتعالى : ﴿ يَا عِبَادِي لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ ثم بشرهم فقال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ أي آمنت قلوبهم وبواطنهم ، وانقادت لشرع الله جوارحهم وظواهرهم . ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ أي يقال لهم ذلك : ﴿ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ ﴾ أي نظرائكم ﴿ تَجْرُونَ ﴾ أي تتعمون وتسعدون ﴿ يَطَافُ عَلَيْهِمْ بِصُحُفٍ مِنْ ذَهَبٍ ﴾ أي آتية الطعام ﴿ وَأَكْوَابٍ ﴾ أي آتية الشراب ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ أي طيب الطعام والريح ، وحسن المنظر . وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ فِيهَا ﴾ أي في الجنة ﴿ خَالِدُونَ ﴾ أي لا تخرجون منها ولا تبغون عنها حولا . ثم قيل لهم على وجه الفضل والامتنان : وتلك الجنة التي أورشتموها بما كنتم تعملون ﴿ أي أعمالكم الصالحة كانت سبباً لشمول الجنة وإياكم ، فإنه لا يُدْخِلُ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ وَلَكِنْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ ، وَإِنَّمَا الدَّرَجَاتُ يُنَالُ تَفَاوُتُهَا بِحَسَبِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ ﴾ أي من جميع الأنواع ﴿ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ أي مهما اخترتم وأردتم . ولما ذكر الطعام والشراب ذكر بعده الفاكهة لئتم به النعمة والغبطة ، والله تعالى أعلم .

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (٧٤) لَا يُفْتَرُّ

عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ

الظَّالِمِينَ ﴿ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ

مَا كُتِبَ لَهُ • (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ
كَارِهُونَ • (٧٨) أَمْ أُبْرِمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ • (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ
أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ • (٨٠)

لما ذكر تعالى حال السعداء ثنّى بذكر الأشقياء فقال : ﴿ إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ ﴾ ولا لحظة واحدة ﴿ وهم فيه مبلسون ﴾ أي آيسون من كل خير ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ﴾ أي بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجة عليهم ، وإرسال الرسل إليهم فكذبوا وعصوا فجوزوا بذلك جزاءً وفاقاً ، وما ربك بظلام للعبيد ﴿ ونادوا يا مالك ﴾ وهو خازن النار ﴿ ليقض علينا ربك ﴾ أي يقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه فانهم كما قال تعالى : ﴿ لا يقضى عليهم فيموتوا ، ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾ فأجابهم مالك : ﴿ قال إنكم ما كنتم ﴾ أي لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها ثم ذكر سبب شقوتهم ، وهو مخالفتهم للحق فقال : ﴿ لقد جئناكم بالحق ﴾ أي بيناه لكم ووضحناه وفسرناه ﴿ ولكن أكثركم للحق كارهون ﴾ أي ولكن كانت سجاياءكم لا تقبله ، إنما كانت تنقاد للباطل وتصد عن الحق ، فلوموا أنفسكم ولكن هيهات أن ينفع الندم أو يجدي اللوم . ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ أم أبرموا أمراً فإِنَّا مبرمون ﴾ كما قال تعالى : ﴿ ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون ﴾ لانهم كانوا يتحيلون في رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه . فكادهم الله تعالى ورداً وبأهملهم عليهم . ولهذا قال تعالى : ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ﴾ أي سرهم وعلانيتهم ﴿ بلَىٰ ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ أي نحن نعلم ما هم عليه ، والملائكة يكتبون أعمالهم صغيرها وكبيرها .

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ • (٨١)
سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ • (٨٢)
فَذَرَهُمْ يَخْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ • (٨٣)
وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ • (٨٤)
وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ

السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ خَلَقْنَاهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قَائِنُ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ أي لو فرض هذا لعبده على ذلك ، لأني عبد من عبده مطيع لجميع ما يأمرني به ، ليس عندي استكبار ولا إباء عن عبادته ، فلو فرض هذا لكان هذا ، ولكن هذا ممتنع في حقه تعالى ، والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضاً . كما قال عز وجل : ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء . سبحانه هو الله الواحد القهار ﴾ . ولهذا قال جلّت عظمتة ﴿ سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون ﴾ أي تعالى وتقدس وتنزه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد فإنه فرد أحد صمد لا نصير له ولا كفء له فلا ولد له .

وقوله تعالى : ﴿ فذرهم يخوضوا ﴾ أي في جهلهم وضلالهم ﴿ ويلعبوا ﴾ في دنياهم ﴿ حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾ وهو يوم القيامة أي فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ أي هو المعبود من أهل السماء والمعبود من أهل الأرض وكلهم خاضعون له أذلاء بين يديه ﴿ وهو الحكيم العليم ﴾ وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ وهو الله في السموات والأرض يعلم سرهم وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴾ أي هو المدعو في السموات والأرض ﴿ وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما ﴾ أي هو خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما فسبحانه وتعالى عن الولد ، وتبارك أي استقر له السلامة من العيوب والنقائص بيده ملكوت كل شيء نقضاً وإبراماً ﴿ وعنده علم الساعة ﴾ أي لا يحلّيها لوقتها إلا هو . ﴿ وإليه ترجعون ﴾ فيجازي كلاً بما يستحق ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه ﴾ من الأصنام والأوثان ﴿ الشفاعة ﴾ أي لا يقدرّون على الشفاعة لهم ﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ أي لا تنفع الشفاعة إلا

لمن شهد بالحق عن علم وبصيرة . ثم قال عز وجل : ﴿ وَلئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله فأنى يؤفكون ﴾ أي لئن سألت المشركين من خلقهم ليقولنَّ أي يعترفون أنه تعالى الخالق لكل شيء ومع كل ذلك يعبدون معه غيره ممن لا يملك شيئاً ولا يقدر على شيء ، فإنهم في غاية الجهل والسفاهة والسخافة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فأنى يؤفكون ﴾

وقوله جل وعلا ﴿ وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون ﴾ أي شكّا محمد ﷺ إلى ربّه أنّ قومه الذين كذبوه قوم لا يؤمنون . وقوله تعالى : ﴿ فاصفح عنهم ﴾ أي المشركين ﴿ وقل سلام ﴾ أي لا تجاوبهم بمثل ما يُخاطبونك من الكلام السيء ولكن تألفهم واصفح عنهم فعلاً وقولاً . ﴿ فسوف يعلمون ﴾ هذا تهديد من الله تعالى لهم ، أحل بهم بأسه الذي لا يرد وأعلى دينه وكلمته ، وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً ، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب ، والله اعلم .

آخر اختصار تفسير سورة الزخرف بمنّه وكرمه وتوفيقه سبحانه وتعالى فله الحمد والشكر والفضل وعليه التكلان .

(٤٤) سِوْرَةُ الدِّخَانِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأَ نَهَا تِسْعَ وَخَمْسِينَ

نزلت بعد سورة الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُسِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُخَيِّئُ رُبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

يخبر تعالى عن القرآن العظيم أنه أنزل في ليلة مباركة وهي ليلة القدر . كما قال عز وجل ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تعالى : ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ومن قال أنها ليلة النصف من شعبان فقد أبعد النجعة فإن نص القرآن أنها في رمضان ^(١) وقوله عز وجل : ﴿إنا كنا منذرين﴾ أي معلمين الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعاً لتقوم حجة الله على عباده .

وقوله تعالى : ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ أي في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكعبة أمر السنة ، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها .

(١) وفي هذا دليل واضح على الخطأ الفادح الوارد في دعاء نصف شعبان ، وهو قوله : (إلهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شعبان المعظم التي يفرق فيها كل أمر حكيم، فكيف نتقرب إلى الله، بدعاء يخالف كلام الله...؟؟!! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ...

وقوله جل وعلا ﴿ حَكِيمٌ ﴾ أي محكم لا يبدل ولا يغير ، ولهذا قال جل وعلا : ﴿ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا ﴾ أي جميع ما يوحيه ويقدره فأمره وإذنه وعلمه . ﴿ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ أي إلى الناس رسولا يتلو عليهم آيات الله لمسيس الحاجة . ولهذا قال تعالى : ﴿ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ أي الذي أنزل القرآن رحمةً هو الله رب السموات والأرض ﴿ إِن كُنتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ اي إن كنتم متحققين . ثم قال تعالى : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴾ وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ الآية ...

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾ (٩) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿ (١٢) أَنَّى لَّهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿ (١٤) إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿ (١٦) ﴾

يقول تعالى : بل هؤلاء المشركون في شك يلعبون ، أي قد جاءهم الحق اليقين وهم يشكون فيه ويمترون ولا يصدقون به . ثم قال عز وجل متوعداً لهم ومهدداً : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ قال ابن مسعود ومن وافقه : أن الدخان مضى أي ظهر ومضى ... وهو كما وصفه خيال رآه في أعينهم جماعة قريش لما دعا عليهم الرسول ﷺ بسنين كسني يوسف فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة وجعلوا يرفعون أبصارهم الى السماء فلا يرون إلا الدخان ، وفي رواية : فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد .

وقال آخرون لم يمضِ الدخان بعد بل هو من آمارات الساعة . كما تقدم من حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال ١١٢] أشرف علينا رسول الله ﷺ من عرفة ، ونحن نتذاكر الساعة . فقال ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج

عيسى بن مريم ، والدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس - أو تحشر الناس - تبیت معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا] . تفرد به مسلم في صحيحه . وفي الصحيحين : ١١٣ [ان رسول الله ﷺ قال لابن صياد : « إني أخبأت لك خبأ » قال : هو الدخ ، فقال ﷺ له « اخسأ فلن تعدو قدرك » وخبأ له رسول الله ﷺ : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ [. روى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ١١٤] يهيج الدخان بالناس ، فأما المؤمن فيأخذه كالزكمة وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه [وهناك كثير من الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما التي وردت مما يقنع ويدل دلالة ظاهرة على ان الدخان من الآيات المنتظرة ، فهو أيضا ظاهر القرآن ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ أي بين واضح يراه كل أحد ، وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد ، وهكذا قوله تعالى : ﴿ يغشى الناس ﴾ أي يتغشاهم ويغمهم ، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه ﴿ يغشى الناس ﴾

وقوله تعالى : ﴿ هذا عذاب أليم ﴾ أي يقال لهم ذلك ، تقرعاً وتوبيخاً . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ يوم يدعون الى نار جهنم دعاء هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ﴾ أي يقول الكافرون هذا القول عند معاناة العذاب . فرد عليهم تعالى : ﴿ أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولّوا عنه وقالوا معلّم مجنون ﴾ يقول : كيف لهم بالتذكر وقد أرسلنا إليهم رسولا بين الرسالة والندارة ؛ ومع هذا تولّوا عنه وكذبوه وقالوا . متهمين الرسول أنه معلّم من قبل آخرين . وكذلك هو مجنون أيضا - والمراد لما أتاكم الرسول في الدنيا كفرتم به وكنتم على ذلك ، ثم بعد أن عاينتم العذاب آمنتم به؟ أو هذا ينفعكم...؟ هيهات هيهات... حتى ولو أرجعناكم الى الدنيا لكفرتم به أيضا - ولهذا قال تعالى ههنا : ﴿ إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون ﴾ أي لو كشفنا عنكم العذاب وأرجعناكم الى الدار الدنيا ، لعدتم الى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب ، كقوله تعالى : ﴿ ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾

وقوله عز وجل : ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ﴾ فسرها ابن مسعود رضي الله عنه بيوم بدر والظاهر أن ذلك يوم القيامة وإن كان يوم بدر يوم ببطشه أيضاً

قال ابن عباس رضي الله عنهما : قال ابن مسعود رضي الله عنه : البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة وهذا إسناد صحيح عنه .

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾
 أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا
 عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ
 أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا
 رَبَّهُ أَنْ هَوِّلَ قَوْمُ ثَمُودَ ﴿٢٢﴾ فَاسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ
 مُتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾
 كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾
 وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا
 آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا
 مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾
 مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ
 عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَاتٍ مَا فِيهِ
 بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى : ولقد اخترنا قبل هؤلاء المشركين ، قوم فرعون ﴿ وجاءهم رسول كريم ﴾ أي موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ أن أدوا إلي عباد الله ﴾ كقوله عز وجل ﴿ أن أرسل معنابني إسرائيل ولا تعذبهم وقد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ﴾ وقوله جل وعلا : ﴿ إني لكم رسول أمين ﴾ أي مأمون على ما أبلغكموه . وقوله تعالى : ﴿ وأن لا تعلوا على الله ﴾ أي لا تستكبروا عن اتباع آياته والإيمان بها والانقياد لبراهينه .

وقوله تعالى : ﴿إني آتيتكم بسلطان مبين﴾ أي بحجة ظاهرة وهي المعجزات التي أرسل بها ﴿وإني عذت بربّي وربكم أن ترجمون﴾ أي بالشم أو تصلوا إلي بسوء من رجم بالحجارة أو غيرها ﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعترفون﴾ فلا تتعرضوا لي وسالموني إلى أن يقضي الله بيننا ، فلما طال مقامه ﷺ بين أظهرهم وأقام الحجج عليهم وكل ذلك ما زادهم إلا كفرًا وعناداً ﴿فدعا ربّه أن هؤلاء قوم مجرمون﴾ وهذه كقوله تعالى : ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . قال قد أجيبنا دعوتكما فاستقيما﴾ فعند ذلك أمره تعالى : ﴿فأسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون﴾ كما قال تعالى : ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فأسرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾

وقوله عز وجل وهنا : ﴿واترك البحر رهواً أنهم جند مغرقون﴾ وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاوز هو وبني اسرائيل البحر ، أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان ، ليصير حائلاً بينه وبين فرعون فلا يصل إليهم ، فأمره تعالى أن يتركه على حاله ساكناً وبشره أنهم جند مغرقون فلا تخش منهم ، ولا تأمر البحر يرجع كما كان ماءً بل اتركه يبساً حتى يدخل فيه آخر جند فرعون ثم أمره ان يعود كما كان فيكون فرعون وجنوده من المغرقين جزاء كفرهم وعنادهم . وهكذا كان والحمد لله رب العالمين .

ثم قال تعالى : ﴿كم تركوا من جنات وعيون﴾ أي كم تركوا من بساتين وأنهار ﴿وزروع ومقام كريم﴾ أي ومزروعات خصبة ومساكن طيبة أنيقة ﴿ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾

كانت الجنات بحاقي نهر النيل من أوله إلى آخره على الطرفين ما بين أسوان إلى رشيد متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء وكانوا في عيشة يتفكهون فيها من مأكّل ومشرب وملبس وأموال وجاهات وحكم في البلاد فسلموا كل ذلك دفعةً واحدة وتركوا كل ذلك ، وصاروا إلى جهنم وبئس المصير ، واستولى بنو اسرائيل على كل ما ذكر من النعم كما قال تعالى : ﴿كذلك أورثناها بني اسرائيل﴾ وقال عز وجل ها هنا : ﴿كذلك وأورثناها قومًا آخرين﴾ وهم بنو اسرائيل كما تقدم ...

وقوله تعالى : ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ أي لم تكن لهم اعمال صالحة

تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدانهم ، ولأهلهم في الأرض بقاع عبدوا الله فيها ففقدتهم ، فلهذا استحقوا أن لا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم وعتوهم وعنادهم روى ابن جرير عن شريح بن عبيد الحضرمي قال : قال رسول الله ﷺ [١١٥] أن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ . ألا لا غربة على مؤمن ، ما مات مؤمن في غربة ضلّت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض » ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ ثم قال : « انهما لا يبكيان على الكافر » [وقوله تعالى : ﴿ وما كانوا منظرين ﴾ أي ما كانوا مؤخرين عن العذاب .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين ﴾ يمتن عليهم تعالى بذلك حيث أنقذهم مما كانوا فيه من إهانة فرعون وإذلاله لهم ، وتسخيره إياهم في الأعمال المهينة الشاقة . وقوله تعالى : ﴿ إنه كان عالياً من المسرفين ﴾ أي كان مستكبراً جباراً عنيداً مسرفاً في أمره سخيلاً في رأيه على نفسه . وقوله جل جلاله : ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ أي على أهل زمانهم ﴿ وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ﴾ أي آتيناهم من الحجج والبراهين والمعجزات ما فيه اختبار ظاهر جلي لمن اهتدى به .

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴾ (٣٤) إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى
وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴾ (٣٥) فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣٦)
أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعِ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا
مُجْرِمِينَ ﴾ (٣٧)

ينكر الله تعالى على المشركين في إنكارهم البعث والمعاد وأنه ما ثم إلا هذه الحياة الدنيا ولا حياة بعد الممات ولا بعث ولا نشور ، ويحتجون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا فإن كان البعث حقاً ﴿ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة فإن المعاد إنما هو يوم القيامة لا في الدار الدنيا ، ثم قال تعالى متهدداً ، ومنذراً بأسه الذي لا يرد . كما حل من النكال بأشباههم من قوم تبع وهم سبأ حيث أهلكهم وفرقهم شذر مذر ، كما تقدم في سورة سبأ . وكذلك هؤلاء الذين يجب أن يتعظوا بما حل بأولئك وكلاهما عرب . وتبع لقب لكل من يملك في اليمن كما يقال كسرى لمن ملك

(٤٤- الدخان - ج ٢٥): أسلم تبع وقومه، وارتدّ وأبعدّه، حجّ البيت، توفي عام ٧٠٠ ق. ب ١٥١

الفرس، وقبصر لمن ملك الروم. وهكذا كان من التبابعة تبع اسمه أسعد بن كريب بن مليكرب اليماني وقد تهوّد ودعا أهل اليمن الى اليهود معه وكان اذ ذاك دين موسى عليه الصلاة والسلام وقد وصل تبع هذا إلى مكة وعظم الكعبة وطاف بها وكساها الملا والوصائل والحجر. ووصل الى سمرقند واشتد ملكه وعظم سلطانه واتسعت مملكته، وهو الذي مضى الحيرة. وذكر ابن عساكر انه ملك دمشق، انه ملك على قومه ثلاثمائة وستاً وعشرين سنة ولم يكن في حمير أطول مدة منه، وتوفي قبل مبعث رسول الله ﷺ بنحو من سبعمائة سنة. وكان لديه حيران من اليهود أخبروه لما مر بالمدينة المنورة ان هذه البلدة مهاجر نبي آخر الزمان اسمه أحمد. وقال شعراً في ذلك، واستودعه عند أهل المدينة. فكانوا يتوارثونه ويروونه خلفاً عن سلف، وكان ممن يحفظه أبو أيوب خالد بن زيد الذي نزل رسول الله ﷺ في داره. وهو:

شهدت على أحمد أنه	رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره	لكنّ وزيراً له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه	وفرجت عن صدره كل غم

وذكر ابن أبي الدنيا أنه حفر قبر بصنعاء في الإسلام فوجدوا فيه امرأتين صحيحتين، وعند رأسيهما لوح فضة مكتوب فيه بالذهب،: هذا قبر حبيّ وتميس وروي: حبيّ وثماضر ابنتي تبع، ماتتا وهما شهدان أن لا إله إلا الله ولا تشركان به شيئاً وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما. وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال ١١٦ [لا تسبوا تبعاً فإنه قد أسلم] وروى عبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ١١٧ [وما أدري تبع نبياً كان أم غير نبي] وكانت عائشة تقول لا تسبوا تبعاً فإنه قد كان رجلاً صالحاً. وقد حج البيت زمن الجرهمين وكساه الملاء والوصائل والحجر، ونحر عند البيت ستة آلاف بدنة وعظمه وأكرمه ثم عاد إلى اليمن - من رواية ابن عساكر - وإن تبعاً هذا المشار إليه في القرآن الكريم أسلم قومه على يديه ثم لما توفي عادوا بعده إلى عبادة التيران والأصنام فعاقبهم الله تعالى ما ذكره سبحانه في سورة سبأ.

قال قتادة: ذكر لنا أن كعباً كان يقول في تبع نعت الرجل الصالح: ذم الله تعالى قومه ولم يذمه.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾
مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ
الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾

يخبر تعالى عن عدله وتزويجه نفسه عن اللعب والعبث والباطل . كقوله جل وعلا : ﴿ وما
خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من
النار ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ﴾ وهو يوم القيامة ، وقوله عز
وجل : ﴿ ميقاتهم أجمعين ﴾ أي أولهم وآخرهم ﴿ يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ﴾
أي لا ينفع قريب قريباً . كقوله تعالى : ﴿ ولا يسأل حميم حميماً ﴾ . أي لا يسأل أخاه
عن حاله وهو يراه عياناً !!! وقوله جل وعلا : ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ لا يتناصرون
ولا يأتيهم النصر من خارج ، ثم قال جل جلاله : ﴿ إلا من رحم الله ﴾ أي لا ينفع
يومئذ إلا رحمة الله عز وجل بخلقه ﴿ إنه العزيز الرحيم ﴾ أي هو عزيز وذو رحمة
واسعة .

﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي
فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى
سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾
ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ
تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

يخبر تعالى عما يعذب به الكافرين ﴿ إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ﴾ أي الكافر . وقيل
أنه أبو جهل ، ويدخل غيره من الكفار وهذه الشجرة لو وقعت قطرة منها في الأرض
لأفسدت معاش أهلها وقد تقدم نحو هذا القول مرفوعاً ^(١) . وقوله تعالى : ﴿ كالمهل ﴾

قالوا كعكر الزيت ﴿ يغلي في البطون كغلي الحميم ﴾ من حرارتها ورداءتها ، وقوله تعالى : ﴿ خذوه ﴾ أي الكافر ﴿ فاعتلوه ﴾ أي سوقوه سحباً ودفعاً في ظهره ﴿ إلى سواء الحميم ﴾ أي وسطها ﴿ ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ﴾ فإن الملك يضربه بمقعدة من حديد فتفتح دماغه ثم يصب الحميم على رأسه فينزل في بدنه فيسلت ما في بطنه من امعائه حتى تترق من كعبيه . أعاذنا الله تعالى من ذلك ، وقوله تعالى : ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ وقد قال الأموي في مغازيه عن عكرمة قال ١١٨ [لقي رسول الله ﷺ أبا جهل لعنه الله فقال : «ان الله تعالى أمرني أن أقول لك : ﴿ أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى ﴾ قال فترع ثوبه من يده وقال : ما تستطيع لي انت ولا صاحبك من شيء ولقد علمت أي أمتع أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم قال فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وغيره بكلمته وأنزل : ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ أي تقول له الزبانية في جهنم ذلك على وجه التهكم والتقريع أي لست بعزيز ولا كريم . ولهذا قال تعالى : ﴿ إن هذا ما كنتم به تمترون ﴾ .

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ (٥١) ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ (٥٣) ﴿ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ (٥٤) ﴿ يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾ (٥٥) ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (٥٦) ﴿ فَضَلَا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٥٧) ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٥٨) ﴿ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾ (٥٩)

لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر السعداء ولهذا سمي القرآن مثالي. فقال سبحانه ﴿ إن المتقين ﴾ أي لله في الدنيا ﴿ في مقام أمين ﴾ أي في الآخرة هو الجنة قد آمنوا فيها الموت والخروج ومن كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب ومن الشيطان وكيدته وسائر الآفات والمصائب ﴿ في جنات وعيون ﴾ وهذا في مقابلته ما أولئك فيه من شجرة الزقوم وشرب الحميم وقوله تعالى : ﴿ يلبسون من سندس ﴾ وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوه

﴿ واستبرق ﴾ وهو ما فيه بريق ولبعان وذلك كالرياش وما يلبس على أعالي القماش ﴿ متقابلين ﴾ أي على السرر لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره. وقوله تعالى : ﴿ كذلك زوجناهم بحور عين ﴾ أي هذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحسان الحور العين اللاتي ﴿ لم يطمثن إنس قبلهم ولا جان ﴾ ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾

وقوله تعالى : ﴿ يدعون فيها بكل فاكهة آمنين ﴾ أي مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر ، وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه ، بل يحضر إليهم كلما أرادوا. وقوله تعالى : ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾ التي فارقوا فيها الدنيا أما في الآخرة وفي الجنة لا يذوقون فيها الموت أبداً كما ثبت في الصحيحين: إن رسول الله ﷺ قال ١١٩] ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت [. روى عبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه وأبي سعيد رضي الله عنه قالاً : قال رسول الله ﷺ ١٢٠] يقال لأهل الجنة إن لكم أن تصحبوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تياسوا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً [رواه مسلم .

روى ابو القاسم الطبراني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال ١٢١] سئل النبي ﷺ أينام أهل الجنة ؟ فقال ﷺ النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون [

وقوله تعالى : ﴿ ووقاهم عذاب الجحيم ﴾ أي مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم الله وسلمهم وزحزحهم عن العذاب الأليم في دركات الجحيم فحصل لهم المطلوب ، ونجاهم من المرهوب بفضلله ومنه وكرمه وإحسانه. ولهذا قال تبارك وتعالى جده : ﴿ فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم ﴾ وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : ١٢٢] اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً لن يدخله عمله الجنة « قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ﷺ « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل » [وقوله تبارك وتعالى ﴿ فإنما يسرناه وبلسانك لعلهم يتذكرون ﴾ أي يسرنا القرآن بلسانك الذي هو لسان قومك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها سهلاً واضحاً بيناً جليلاً ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ أي يتفهمون ويعملون . ومع هذا الوضوح والجلء فكان من الناس من كفر وخالف وعاند. فقال الله تعالى لرسوله ﷺ مسلماً له وواعداً له بالنصر ، متوعداً لمن كذبه بالعطب والهلاك. : ﴿ فارتقب ﴾ أي انتظر ﴿ إنهم مرتقبون ﴾ أي فسيعلمون لمن

تكون النصرة والظفر وعلو الكلمة في الدارين فانها لك يا محمد ولاخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار . ﴾

آخر اختصار تفسير سورة الدخان والله الحمد والمنة والشكر والفضل
وبه التوفيق والعصمة وعليه التكلان .

(٤٥) سُورَةُ الْجَاثِيَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا سَبِّحْ وَتَلَاوُثْ

إِلَّا الْآيَةَ / ١٤ / فمدنية ، نزلت بعد سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ • (٢)
إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ • (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ
وَمَا يَبْكُ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ • (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ • (٥) ﴿٦﴾

يرشد تعالى خلقه إلى التفكير في آلائه ونعمه . وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات والأرض ، وما ومن فيهما من المخلوقات المختلفة ، والأجناس المتنوعة في السموات وطباقها ، والأرض برها وبحرها وجوها وما بينهما ، وتعاقب الليل والنهار وما ينزل من السحاب من الأمطار فتحيي الأرض بعد موتها ، وتصريف الرياح المتنوعة لسوق المطر وتلقيح الثمار وغذاء الأرواح ومنها ما هو عقيم لا ينتج ، كل ذلك آيات ودلالات تزيد المؤمنين إيماناً و يقيناً ، والعقول إدراكاً لصفات الله العلي ومعرفته به سبحانه . فيزداد الحب والطاعة والرضا والاستسلام لجلاله العظيم و ما ينبغي للمؤمن ان يتخلق به ، حتى يكون قريباً من الله بما يحتوي قلبه من إسلام وإيمان وإحسان .

﴿٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ

اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ • (٦) وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ • (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشْرُهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ • (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ • (٩) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ • (١٠) هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ • (١١)

يقول تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ أي القرآن ذو الحجج والبراهين ﴿ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾ الذي ما بعده إلا الضلال ﴿ فَبَأَي حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ إذا لم يؤمنوا وينقادوا إليها ثم قال تعالى : ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ أي كذاب في قوله أنهم في فعله وقلبه ، كافر بآيات الله ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ﴾ أي تقرأ عليه ﴿ ثُمَّ يُصِرُّ عَلَى كُفْرِهِ عِنَادًا ﴾ كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم ﴿ أَي أَخْبَرَهُ أَن لَّهُ عَذَابًا مُّوجِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ﴾ وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هُزُوًا ﴿ أَي كَفَرَ بِهَذَا الشَّيْءِ وَاتَّخَذَهُ سَخِرَةً ﴾ أولئك لهم عذاب مهين ﴿ أَي فِي مَقَابِلِ مَا اسْتَهَانَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاسْتَهْزَأَ بِهَا . وَهَذَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ ١٢٣ [نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَسَافِرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ خَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ] ثُمَّ فُسِّرَ الْعَذَابُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ﴾ أي كل من اتصف بذلك سيصيرون إلى جهنم ﴿ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا ﴾ أي لا تنفعهم أموا لهم ولا أولادهم ﴿ وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي ولا تغني عنهم ألفتهم التي عبدوها من دون الله شيئاً ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ هَذَا هُدًى ﴾ يعني القرآن ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ ﴾ وهو المؤلم الموجه ، والله تعالى أعلم .



اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِي أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ • (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا

فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ
اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً
فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾

يذكر تعالى نعمه على عبده فيما سخر لهم من البحر ﴿ لتجري الفلك ﴾ وهي السفن
فيه بأمره تعالى ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ أي في المتاجر والمكاسب ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾
أي على حصول المنافع المجلوبة إليكم من البلاد النائية . ﴿ وسخر لكم ما في السموات
وما في الأرض ﴾ من الكواكب والجبال والبحار والأنهار وما تنتفعون به كل ذلك من
إحسانه ولهذا قال : ﴿ جميعاً منه ﴾ وحده لا شريك له لا ينازعه فيه أحد ﴿ إن في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام
الله ﴾ أي الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين أن يصفحوا عنهم ويتحملوا الأذى
منهم وكان هذا في ابتداء الإسلام تألفاً لقلوبهم ثم لما أصروا على العناد شرع الله الجهاد
والجهاد ﴿ ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون ﴾ أي اذا صفح المؤمنون عنهم في الدنيا فإن
الله مجازيهم بأعمالهم السيئة في الآخرة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن
أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ أي تعودون اليه وتعرض أعمالكم عليه فيجزيك
بها خيراً أو شراً والله تعالى أعلم .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ
يَسِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً
يَنْهَنَّهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾
ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

يذكر تعالى نعمه على بني اسرائيل من إنزال الكتب وإرسال الرسل ، وجعل الملك فيهم . ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات ﴾ أي من المآكل والمشارب والملابس والمساكن ﴿ وفضلناهم على العالمين ﴾ أي في زمانهم ﴿ وآتيناهم بيّنات من الأمر ﴾ حججاً قاطعة قامت عليهم ، ثم اختلفوا بعد ذلك بغياً منهم على بعضهم بعضاً ﴿ إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ أي سيفصل الله بينهم بحكمه العدل ، وهذا فيه تحذير لهذه الأمة من أن تسلك مسالكهم . ولهذا قال تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ انهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ﴾ أي اتبع ما أنزل إليك ، وأعرض عن المشركين فإنهم لا يغنوا عنك بل ولا عن بعضهم بعضاً ولا يزيدون أنفسهم إلاّ خساراً ودماراً وهلاكاً . ﴿ والله وليّ المتقين ﴾ والكفار لا مولى لهم إلا الطواغيت الذينهم يخرجونهم من النور إلى الظلمات . ثم قال تعالى : ﴿ هذا بصائر للناس ﴾ يعني القرآن ﴿ وهدى ورحمة لقوم يوقنون ﴾ .

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٢١)
وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات ﴾ أي عملوها وكسبوها ﴿ أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ﴾ أي نساويهم بهم في الدنيا والآخرة ﴿ ساء ما يحكمون ﴾ أي ساء ما ظنوا بنا وبعد لنا أن نساوي بين الأبرار والفجار

في الدارين !؟ وقد ذكر محمد بن اسحق في كتاب السيرة : أنهم وجدوا حجراً بمكة في أمس الكعبة مكتوب عليه : تعملون السيئات ، وترجون الحسنات ، أجل .. كما يُجنى من الشوك العنب ! وقال جل وعلا ﴿ وخلق الله السموات والارض بالحق ﴾ أي بالعدل ﴿ ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ ثم قال جل وعلا : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ أي إنما ياتمر بهداه فمهما رآه حسناً فعله ، ومهما رآه قبيحاً تركه . وقوله تعالى : ﴿ وأضلّه الله على علم ﴾ أي لعلمه إن هذا العمل يستلزم ذاك العقاب من الله تعالى ثم عمله رغم ذلك ، فكان الجزء من نوع العمل فأضلّه الله جزاء عمله بعد علم ! . ﴿ وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ﴾ أي فلا يسمع ما ينفعه ، ولا يعي شيئاً يهتدي به ، ولا يرى حجة يستضيء بها . ولهذا قال تعالى : ﴿ فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ كقوله تعالى : ﴿ من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ .

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ • (٢٤) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا آتُونَا بِبَآئِنَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • (٢٥) قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُم ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ • (٢٦) ﴾

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾ أي ما ثم إلا هذه الدار ، يموت قوم ويعيش آخرون ، وليس من معاد ولا قيامة ، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد وتقوله الفلاسفة الدهريون المنكرون للصانع ، فكابروا العقول وكذبوا المنقول . ولهذا قالوا : ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ قال الله تعالى : ﴿ وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾ أي يتوهمون ويتخيلون ، فأما الحديث الذي أخرجه صاحبنا الصحيح وابسو داود والنسائي ... عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [١٢٤] يقول

(٤٥ - الجاثية - ج ٢٥) : من سبَّ الدهر لمصيبة أصابته فقد سبَّ الله الذي فعلها ١٦١

تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب ليله ونهاره [. وفي رواية : ١٢٥] لا تسبوا الدهر فإن الله تعالى هو الدهر [.

قال الشافعي وابو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله : ﷻ « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة ، قالوا يا خيبة الدهر ، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه وإنما فاعلها هو الله تعالى فكأنهم إنما سبوا الله عز وجل لأنه فاعل ذلك في الحقيقة ، فلهذا نهي عن سب الدهر بهذا الاعتبار ، لأن الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال . هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد والله تعالى أعلم . وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدوم الدهر من الأسماء الحسنى أخذاً من هذا الحديث !!! .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ أي إذا استدل عليهم وبَيِّن لهم الحق ، وإن الله قادر على إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها ﴿ مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي أحيوهم إن كان ما تقولونه حقاً . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ اللَّهُ يَحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ أي كما يشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود . كقوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَحْيِيكُمْ ﴾ أي الذي قدر على البدأة قادر على الإعادة بطريق الأولى والأخرى . كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ ثم قال ها هنا ﴿ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي لا شك فيه ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي فلهذا ينكرون المعاد ويستبعدون قيام الأجساد . قال الله تعالى : ﴿ لَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَرَأَوْا قَرِيبًا ﴾ .

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
يَوْمَ تَنْفِرُ الْغَافِلُونَ • (٢٧) وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَانِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ
إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ
عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • (٢٩)

ينجر تعالى أنه مالك السموات والأرض والحاكم فيهما في الدنيا والآخرة . ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾ أي يوم القيامة وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَنْفِرُ الْغَافِلُونَ ﴾

المبتلون ﴿ وهم الكافرون بما أنزل الله على رسله من الآيات البينات . وقوله تعالى : ﴿ وترى كل أمة جاثية ﴾ على ركبها من الشدة والهول ، ويقال ان هذا إذا جيء بهم فإنها تزفر زفرة ، لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه حتى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام يقول : نفسي نفسي نفسي ! لا أسألك اليوم إلا نفسي وحتى أن عيسى عليه الصلاة والسلام ليقول : لا أسألك اليوم إلا نفسي ، لا أسألك مريم التي ولدني . وقوله عز وجل ﴿ كل أمة تدعى إلى كتابها ﴾ يعني كتاب أعمالها كقوله جل جلاله : ﴿ ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ﴾ ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ اليوم تجزون ما كنتم تعملون ﴾ أي تجازون بأعمالكم خيرها وشرها كقوله تعالى : ﴿ ينبا الإنسان بما قدم وأخر ﴾ ولهذا قال جلّت عظمتة : ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ﴾ أي يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص كقوله تعالى ﴿ ... ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ أي نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم .

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿ (٣١) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ السَّاعَةَ آتَتْ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ ﴿ (٣٢) وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنفَاكُم كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿ (٣٤) ذَلِكُمْ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿ (٣٥) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ • (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • (٣٧)

يخبر تعالى عن حكمه في خلقه يوم القيامة فقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أي آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة الموافقة للشرع ﴿ فَيَدْخُلُهُمْ رَحْمَتِي ﴾ وهي الجنة كما ثبت في الصحيح ١٢٦ [أن الله تعالى قال للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشياء] ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ أي البين الواضح ، ثم قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتلى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ أي يقال ذلك تقريعاً لهم وتوبيخاً ، ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مَّجْرُمِينَ ﴾ أي في أفعالكم مع ما اشتملت عليه قلوبكم من التكذيب ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ أي إذا قال لكم المؤمنون ذلك ﴿ قُلْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ ﴾ أي لا نعرفها ﴿ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾ أي نتوهم وقوعها توهماً ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْتَبِقِينَ ﴾ أي بمتحققين وقوله تعالى : ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا ﴾ أي وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ ﴾ أي أحاط بهم ﴿ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ أي من العذاب والنكال ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ ﴾ أي نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم ﴿ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ أي فلم تعملوا له ، لأنكم لم تصدقوا به ﴿ وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ .

وقد ثبت في الصحيح ١٢٧ [أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة ألم أزوجك؟ ألم أكرمك ، ألم أسخر لك الخيل والإبل ، وأذرك ترأس وتربع ، فيقول : بلى يا رب فيقول أظننت أنك ملاقي فيقول : لا . فيقول الله تعالى : فاليوم أنساك كما نسيتني]

وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَمُ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ﴾ أي إنما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم حجج الله سخرية واستهزاء ﴿ وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ أي خدعتكم فاطمأنتم إليها فأصبحت من الخاسرين ، ولهذا قال عز وجل : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا ﴾ أي من النار ﴿ وَلَا هُمْ لَا يَسْتَعْتَبُونَ ﴾ أي لا يعاتبون بل يعدّون بغير حساب ، كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم لما ذكر تعالى حكمه في المؤمنين والكافرين قال جل جلاله : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ ﴾ أي المالك لهما وما فيهما . ولهذا قال سبحانه : ﴿ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ثم قال جل وعلا : ﴿ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي العظيم الممجّد الذي كل شيء خاضع له فقير إليه ، وقد ورد في الحديث

١٦٤ (٤٥- الجاثية -ج٢٥) : العظمة والكبرياء لله وحده . فمن نازعه فيهما ، أسكنه النار

الصحيح ١٢٨ [يقول الله تعالى : العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحداً منهما أسكنته نارى] ورواه مسلم وقوله تعالى : ﴿ وهو العزيز ﴾ أي الذي لا يغالب ولا يمانع ﴿ الحكيم ﴾ في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره تعالى .

آخر اختصار تفسير سورة الجاثية والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

(٤٦) سُورَةُ الْأَحْقَافِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأْنَاهَا جَنِّسٌ وَتَبْلَاوُنًا

نزلت بعد سورة الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾
مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى
وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي
السَّمَوَاتِ أَتَتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ يَمُنَّ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا
يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا
حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾

يخبر تعالى أنه أنزل الكتاب على عبده ورسوله محمد ﷺ ، ووصف نفسه بالعزة التي لا ترام ، والحكمة في الأقوال والأفعال . ثم قال تعالى : ﴿ ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾ أي لا على وجه العبث والباطل ﴿ وأجل مسمى ﴾ أي إلى مدة معينة مضروبة لا تزيد ولا تنقص ، وقوله تعالى : ﴿ والذين كفروا عما أُنذروا معرضون ﴾ أي لاهون عما يراد بهم ، وقد أنزل الله تعالى إليهم كتاباً وأرسل إليهم رسولاً ، وهم معرضون عن ذلك كله وسيعلمون مغبة ذلك . ثم قال تعالى : ﴿ قل ﴾ أي هؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره ﴿ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ أي أرشدوني إلى المكان الذي استقلوا بخلقه من الأرض ﴿ أم لهم

شرك في السموات ﴿ أي ولا شرك لهم في السموات ولا في الأرض وما يملكون مسن قطمير ، إن الملكُ والتصرف كله إلا لله عز وجل . فكيف تعبدون معه غيره وتشركون به سواه ؟ من أرشدكم إلى هذا...؟! من دعاكم إليه؟ الله أمركم به؟ أم هو شيء اقترحموه من عند أنفسكم ؟ ولهذا قال تعالى : ﴿ إئتوني بكتاب من قبل هذا ﴾ أي هاتوا كتاباً من كتب الله المنزلة على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام يأمركم بعبادة هذه الأصنام ﴿ أو إثارة من علم ﴾ أي دليل بين على هذا المسلك ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ أي لا دليل لكم عقلياً كان أو نقلياً على ذلك وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ﴾ أي لا أضل ممن يدعو أصناماً ويسألها وهي لا تستطيع شيئاً ، وهي لا تسمع ولا تبصر ولا تعي ولا تبطش لأنها جماد . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ كقوله عز وجل : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهةً ليكونوا لهم عزاً . كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً ﴾ أي سيخوفونهم وهم أحوج ما يكونون إليهم .

﴿ وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٧) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِّنْ آلَهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٨) ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنِ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٩)

يخبر تعالى عن المشركين وكفرهم وعنادهم أنهم إذا تلى عليهم آيات القرآن الواضحات قالوا : ﴿ هذا سحر مبين ﴾ أي ظاهر وقد كذبوا وضلوا ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ يعنون محمداً ﷺ ﴿ قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً ﴾ أي لو نقولته لا يقدر أحد قط ان يجبرني من عقابه . كقوله تعالى : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ وقوله جل وعلا : ﴿ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بيني وبينكم ﴾ هذا وعيد أكيد وترهيب شديد .

وقوله تعالى : ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ ترغيب لهم بالتوبة والعتو والمغفرة . وقوله تعالى : ﴿ قل ما كنت بدعاً من الرسل ﴾ أي ما أنا بأول رسول . وقوله تعالى : ﴿ وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما وكذا قال عكرمة بن الحزن وقتادة : أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أمّ العلاء قالت ١٢٩ [... فاشتكى عثمان بن مظعون رضي الله عنه عندنا فمرضناه حتى إذا توفي أدرجناه في أثوابه فدخل علينا رسول الله ﷺ فقلت : رحمة الله عليك أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله عز وجل فقال رسول الله ﷺ « وما يدريك أن الله تعالى أكرمه ؟ » فقلت لا أدري بأبي أنت وأمي ، فقال رسول الله ﷺ « أمّا هو فقد جاءه اليقين من ربه وإنني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي » قالت فقلت والله لا أزكي أحداً بعده أبداً ، وأحزني ذلك فنمت فرأيت لعثمان رضي الله عنه عينا تجري ، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فقال رسول الله ﷺ « ذاك عمله » [انفرد باخراجه البخاري دون مسلم وفي لفظ له ١٣٠] وما أدري وأنا رسول الله ﷺ ما يفعل به [وهذا شبه ان يكون هو المحفوظ ، بدليل قولها فأحزني ذلك ، وفي هذا الحديث وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعين بالجنة إلاّ الذي نصّ الشارع الحكيم على تعيينهم ، كالعشرة ، وابن سلام والعميصاء وبلال ، وسراقة ، وعبدالله والد جابر بن عبدالله والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة وزيد بن حارثة ، وجعفر ، وابن رواحة وما شبه هؤلاء رضي الله عنهم . وقوله تعالى : ﴿ ان اتبع إلاّ ما يوحى إلي وما أنا إلاّ نذير مبين ﴾ أي ما اتبع إلاّ ما ينزل عليّ من الوحي ، وما أنا إلاّ مبلغ عن ربي من النذارة الواضحة لكل ذي عقل . والله أعلم .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَأَنْتَ كَبُرْتُمْ إِنْ أَلَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٠) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ ﴿ (١١)

وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ
عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ
قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد للكافرين بالقرآن ﴿ أرأيتم إن كان ﴾ القرآن ﴿ من
عند الله وكفرتم به ﴾ ما ظننكم ان الله صانع بكم ... ؟ ﴿ وشهد شاهد من بني اسرائيل ﴾
وهو عبد الله بن سلام /رض/ ﴿ على مثله ﴾ أي على مثل ما في التوراة بصدق القرآن لمعرفته
بحقيقته من التوراة ﴿ فآمن ﴾ أي هذا الشاهد بنبيّه وكتابه ﴿ واستكبرتم ﴾ أنتم عن اتباع
القرآن فكفرتم بنبيكم وكتابكم . روى مالك عن سعد قال : ١٣١ [ما سمعت رسول
الله ﷺ يقول لاحد يمشي على وجه الأرض ، إنه من اهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام
رضي الله عنه . قال : وفيه نزلت ﴿ وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله ﴾ [رواه
البخاري ومسلم والنسائي وقال ابن عباس وجماعة من التابعين أنه عبد الله بن سلام ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه ﴾ أي
قال الكفار لو كان في القرآن خير ما سبقنا اليه أمثال المستضعفين كعمّار وبلال وصهيب
وخباب رضي الله عنهم وأشباههم من المستضعفين والعبيد والإماء . كقوله تعالى : ﴿ وكذلك
فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ﴾ أي يتعجبون كيف اهتدى
هؤلاء دونهم لأنهم يعتقدون في أنفسهم انهم وجيّهون عند الله ، وله بهم عناية . وهذا هو
الخطأ الفاحش ، الذي دعاهم يقولون : ﴿ لو كان خيراً ما سبقونا إليه ﴾ وأما أهل السنة
والجماعة فيقولون : كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم هو بدعة لأنه
لو كان خيراً لسبقونا اليه لأنهم لم يتركوا خصلةً من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها .
وقوله تعالى : ﴿ وإذ لم يهتدوا به ﴾ أي بالقرآن ﴿ فسيقولون هذا إفاك قديم ﴾ أي كذب
قديم مأثور عن الأقدمين ، انتقاصاً للقرآن وأهله وهذا هو الكبر الذي حدث عنه رسول

(١) قلت : ويحاج على ما يقال : «من ان السورة مكية وانما أسلم عبد الله بن سلام في المدينة» ، فلعل الآية
نزلت في المدينة ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن توضع هنا في هذه السورة المكية . ومثل هذا موجود في
القرآن كما هو معلوم .

الله ﷻ [بطل الحق وغمط الناس] ثم قال تعالى : ﴿ ومن قبله كتاب موسى ﴾ وهو التوراة ﴿ إماماً ورحمة وهذا كتاب ﴾ يعني القرآن ﴿ مصدق ﴾ أي لما قبله من الكتب ﴿ لساناً عربياً ﴾ أي فصيحاً بيناً واضحاً ﴿ لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ﴾ أي مشتمل على النذارة للكافرين والبخشارة للمؤمنين . وقوله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ تقدم تفسيرها في سورة حم السجدة ... وقوله تعالى : ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ أي فيما يستقبلون ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ على ما خلفوا ﴿ أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴾ أي الأعمال سبب لنيل الرحمة لهم وسبوغها عليهم ، والله أعلم .

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَلُّهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١٥) ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (١٦)

لما ذكر تعالى في الآية الأولى التوحيد له وإخلاص العبادة له سبحانه عطف بالوصية بالوالدين كما هو مقرون في غير ما آية من القرآن : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾ وقال تعالى ها هنا : ﴿ ووصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ أي أمرناه بالإحسان إليهما والحنو عليهما . وقوله تعالى : ﴿ حملته أمه كرها ﴾ أي قاست بسببه في حال حملة مشقة وتعباً من وحم وغثيان وثقل وكرب إلى غير ذلك مما تنال الحوامل ... ﴿ ووضعته كرها ﴾ أي بمشقة أيضاً من الطلق وشدته ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ وقد استدلل علي رضي الله عنه بهذه الآية مع التي في لقمان : ﴿ وفصاله في عامين ﴾ . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم

الرضاعة ﴿ على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر. وهو استنباط قوي صحيح، ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم . قال محمد بن اسحق بن يسار عن معمر بن عبد الله الجهني قال : تزوج رجل منّا امرأة من جهينة فولدت له لتمام ستة أشهر ، فانطلق زوجها إلى عثمان رضي الله عنه فذكر ذلك له فبعث إليها فلما قامت لتلبس ثيابها بكّت أختها فقالت : وما يبكيك ؟ فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله تعالى غيره قط ، فيقضي الله سبحانه وتعالى فيّ ما شاء . فلما أتى بها عثمان رضي الله عنه أمر برجمها ، فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه فأتاه فقال له : ما تصنع ؟ قال ولدت تماماً لسته أشهر ، وهل يكون ذلك ؟ فقال له علي رضي الله عنه : أما تقرأ القرآن ؟ قال : بلى . قال : أما سمعت الله عز وجل يقول : ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ وقال : ﴿ حولين كاملين ﴾ فلم نجد بقي إلا ستة أشهر قال : فقال عثمان رضي الله عنه والله ما فطنت بهذا، علي بالمرأة ، فوجدوها قد فرغ منها قال فقال معمر فوالله ما الغراب بالغراب ولا البيضة بالبيضة بأشبه منه بأبيه ؛ فلما رآه أبوه قال : أبني والله لا أشك فيه . قال وابتلاه الله تعالى بهذه القرحة بوجهه الآكلة ، فما زالت تأكله حتى مات رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا وضعت المرأة لتسعة أشهر كفاه من الرضاع أحد وعشرون شهراً ، وإذا وضعت لسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهراً ، وإذا وضعته لسته أشهر فحولين كاملين لأن الله تعالى : يقول : ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده ﴾ أي قوي وشب وارتجل . ﴿ وبلغ أربعين سنة ﴾ أي تنهى عقله وكمل فهمه .

روى الحافظ أبو يعلى الموصلي : عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ١٣٢ [العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله تعالى حسابه ، وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الإنابة إليه ، وإذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء ، وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله تعالى حسناته ومحا سيئاته وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه الله تعالى في أهل بيته وكتب في السماء أسير الله في أرضه] .

﴿ قال ربّ أوزعني ﴾ أي ألهمني ﴿ أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه ﴾ أي في المستقبل ^(١) ﴿ وأصلح لي في ذريتي ﴾ أي نسلي

(١) قلت : لا يقبل الله عملاً ولا يرضاه إلا إذا كان خالصاً لوجهه ، مطابقاً لشريعته . فإذا كان عملاً يبتغي فيه رضا الناس... ولو كان في حد ذاته صالحاً، فلا يتقبله الله ولا يرضاه. وقد يكون قاصداً به وجه الله ومخلصاً، ولكنه عمل بدعي غير مشروع. فكذا لا يتقبله ولا يرضاه أما إذا كان خالصاً لوجه الله ذي الجلال

وعقبي ﴿إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾ وهذا فيه ارشاد لمن بلغ الأربعين ان يجدد التوبة اليه تعالى ويعزم عليها. ثم قال تعالى : ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة﴾ أي هؤلاء المتصفون بما ذكرنا التائبون إلى الله المنيبون اليه المستدركون ما فات بالتوبة والاستغفار هم الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فيغفر لهم الكثير من الزلل ويتقبل منهم اليسير من العمل ، ويدخلون في جملة من يدخلون الجنة كما وعد الله التائبين ﴿وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ عن الروح الأمين عليه الصلاة والسلام قال : ١٣٣ [يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فيقتص بعضها ببعض ، فإن بقيت حسنة وسع الله تعالى له في الجنة] .

﴿وَالَّذِي قَالَ لَوَالِدَيْهِ أَفِّ لَكُمْ أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (١٧) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ سَحَقَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ (١٨) ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ عَمَلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١٩) ﴿وَيَوْمَ يُغْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ (٢٠)

قوله تعالى : ﴿والذي قال لوالديه أف لكما﴾ فبعد أن ذكر سبحانه وتعالى حال الداعين للوالدين ، البارين بهما وما لهم عنده تعالى من الفوز والنجاة، عطف بحال الأشقياء

والإكرام، وطبق ما في كتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، فهذا هو العمل الصالح الطيب الذي يتقبله ويرضاه، ويجزى عليه أضعافاً مضاعفة تفضلاً منه وتكرماً. فإذا كان العمل هكذا تم به شكر النعمة ، وشكر النعمة طاعته كما أمر . « فاستقم كما أمرت » اللهم جنبنا ما لا ترضى وسلكننا صراطك المستقيم .

العاقين للوالدين . وهذه الآية عامة في كل من قال هذا لوالديه ولا عبرة لقول من خصصها بأحد أبناء أبي بكر الصديق فلم يصح شيء من هذا البتة . وإنما هذا عام في كل من عقر والدیه وكذب بالحق . والذي صح من رواية البخاري والنسائي وابن أبي حاتم تبرئة عبد الرحمن بن أبي بكر من ذلك ذكرنا هذا كي لا يخوض بذلك خائض - وقوله تعالى : ﴿ أتعذاني أن أخرج ﴾ أي أبعث ... ! ﴿ وقد خلت القرون من قبلي ﴾ أي قد مضى الناس فلم يرجع منهم مخبر ﴿ وهما يستغيثان الله ﴾ أي يسألان الله فيه أن يهديه ويقولان لولدتهما : ﴿ وبلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الأولين ﴾ قال الله تعالى : ﴿ أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجسن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾ أي دخلوا في زمرة أشباههم وأضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وهذه الآية تؤيد ما ذهبنا إليه من ان قوله تعالى : ﴿ والذي قال لوالديه اف لكما ... ﴾ عام في كل من عقر والدیه وكذب بالحق . وقوله تعالى : ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ أي لكل عذاب بحسب عمله ﴿ وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ﴾ أي لا يظلمون مثقال ذرة فما دونها وقوله عز وجل ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾ أي يقال ذلك لهم تقريباً وتوبيخاً ﴿ فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ فعاقبهم الله من جنس أعمالهم . فكما منعوا أنفسهم واستكبروا عن اتباع الحق وتعاطوا الفسق والمعاصي . جازاهم الله تبارك وتعالى بعذاب الهون ، وهو الإهانة والحزى والآلام الموجهة . والحسرات المتتابة والمنازل في الدركات المفزعة المفضعة . أجازنا الله سبحانه وتعالى والمؤمنين من ذلك كله .



وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ
النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنِ الْهَيْئَةِ
فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ
عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْظَرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى مسلماً لنبيه ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه : ﴿واذكر أخا عاد﴾ وهو هود عليه الصلاة والسلام بعثه الله الى عاد الأولى وكانوا يسكنون الأحقاف : وهي الجبال من الرمل من بلاد حضرموت مشرفة على البحر ، وقوله تعالى : ﴿وقد خلت النذر من يديه ومن خلفه﴾ يعني وقد أرسل الله تعالى إلى من حولهم في القرى مرسلين ومنذرين ﴿ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ أي قال لهم هود ذلك، فأجابه قومه : ﴿أجئتنا لنأفكنا عن آلهتنا﴾ أي تصدنا عن آلهتنا ﴿فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين﴾ استعجلوا عذاب الله وعقوبته استبعاداً منهم وقوعه . كقوله تعالى : ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ ﴿قال إنما العلم عند الله﴾ أي هو أعلم بكم ان كنتم مستحقين تعجيل العذاب فما أنا إلا رسول بما أرسلت به ﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ أي لا تعقلون ولا تفهمون . قال الله تعالى : ﴿فلما رآوه عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ أي لما رأوا العذاب يستقبلهم ، اعتقدوه بشيء مطر فاستبشروا به ، وقد كانوا محلين بحاجة إلى المطر . قال الله تعالى : ﴿بل هو ما استعجلتم به ريحٌ فيها عذاب أليم﴾ أي هو العذاب الذي قلتم : فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ﴿تدمر﴾ أي تخرب ﴿كل شيء﴾ من بلادهم ﴿بأمر ربها﴾ أي بإذنه تعالى ، كقوله سبحانه : ﴿ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾ أي كالشيء البالي . ولهذا قال عز وجل : ﴿فأصبحوا لا يرى إلا مساكينهم﴾ أي قد بادوا كلهم عن آخرهم ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ أي هذا حكمنا فيمن كذب رسلنا وخالف أمرنا .

روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ١٣٤] ما رأيت رسول الله ﷺ مستجعماً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته ، إنما كان يبتسم . وقالت : كان رسول الله ﷺ إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف ذلك في وجهه . قالت يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم ، فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر ، وأراك إذا رأيتته عرفت في وجهك الكراهية

فقال رسول الله ﷺ : « يا عائشة ما يؤمنني ان يكون فيه عذاب . قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب وقالوا هذا عارض ممطرنا ، وأخرجناه

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : ١٣٥] كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال : « اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به » قالت : وإذا تخبلت السماء تغير لونه وخرج ودخل ، وأقبل وأدبر ، فإذا أمطرت سُرِّي عنه ، فعرفت ذلك عائشة رضي الله عنها فسألته فقال رسول الله ﷺ « لعله يا عائشة كما قال قوم عاد » : ﴿ فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾ [وقد ذكرت قصة هلاك قوم عاد في سورتي الأعراف و هود .

وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْتِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْتِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ • (٢٦) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرْيَةِ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ • (٢٧) فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِنْكَهَرُوا وَمَا كَانُوا يُقَرِّئُونَ • (٢٨)

يقول تعالى : ولقد مكنا الأمم السالفة في الدنيا من الأموال والأولاد ، وأعطيناهم منها ما لم نعطكم مثله حتى ولا قريباً منه ﴿ وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه . والمراد تحذير المخاطبين المشركين ان يكونوا مثلهم فيصيبهم مثل ما أصابهم من العذاب في الدارين . وقوله تعالى : ﴿ ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى ﴾ يعني أهل مكة ، وقد أهلك الأمم المكذبة بالرسول مما حولها ، كعاد بالأحقاف بحضرموت وثمود ما

بينهم وبين الشام ، وسبأ باليمن ، ومدین فی طریقهم الى غزة وكذلك بحيرة قوم لوط كانوا يَمْرُونُ بها أيضاً . وقوله عز وجل : ﴿ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ ﴾ أي أوضحناها ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة ﴿ أي فهل نصرهم عند احتياجهم إليهم ﴾ بل ضلّوا عنهم ﴿ أي بل ذهبوا عنهم أحوج ما كانوا إليهم ﴾ وذلك إفكهم ﴿ أي كذبهم ﴾ وما كانوا يفترون ﴿ في اتخاذهم إياهم آلهة وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها واعتمادهم عليها والله تعالى أعلم .

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ (٢٩)
قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿ (٣٢) ﴾

روى الإمام أحمد عن الزبير ١٣٦] ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ﴾ قال بنخلة ، ورسول الله ﷺ يصلّي العشاء الآخرة ﴿ كادوا يكونون عليه لبدا ﴾ قال سفيان ألبد بعضهم على بعض كاللبد بعضه على بعض]

روى الإمام الشهير ابو بكر البيهقي في كتابه دلائل النبوة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ١٣٧] ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم . انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وارسلت عليه الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم ، فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء قد حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين

خبر السماء . فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة، عامداً إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر . فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء . فهناك حين رجعوا إلى قومهم ، ﴿ فقالوا : إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحداً ﴾ وأنزل الله على نبيه ﷺ : ﴿ قل أوحى إليّ أنه استمع نفرٌ من الجن ﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن . رواه البخاري عن مسدد بنحوه ، وأخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن أبي عوانة ، ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث أبي عوانة .

روى أبو بكر بن أبي شيبة عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال ١٣٨ [هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة ، فلما سمعوه قالوا : أنصتوا قال : صه وكانوا تسعةً أحدهم زوبعة . فأنزل الله عز وجل : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولّوا إلى قومهم منذرين - إلى - ضلال مبين ﴾] فهذا .. مع رواية ابن عباس رضي الله عنهما يقتضي أن رسول الله ﷺ لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وإنما استمعوا قراءته ثم رجعوا إلى قومهم ، ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسالاً قومًا بعد قوم وفوجاً بعد فوج ، كما ستأتي بذلك الأخبار في موضعها .

قال الحافظ البيهقي : وهذا الذي حكاه ابن عباس رضي الله عنهما إنما هو أول ما سمعت الجن قراءة رسول الله ﷺ ، وعلمت حاله ، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ، ولم يرههم ، ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى الله عز وجل كما رواه عبدالله بن مسعود ، رضي الله عنه .

روى الإمام أحمد عن علقمة قال : ١٣٩ [قلت لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه : هل صحب رسول الله ﷺ ليلة الجن منكم أحداً ؟ فقال : ما صحبه منا أحد ولكننا فقدناه ذات ليلة بمكة ، فقلنا اغتيل ؟ استطير ؟ ما فعل ؟ قال : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم . فلما كان في وجه الصبح - أو قال - في السحر إذا نحن به يحيى من قبل حراء ، فقلنا يا رسول الله : فذكروا له الذي كانوا فيه فقال : « إنه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم » قال : فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم قال : قال الشعبي : سألوه الزاد ، قال عامر : سألوه بمكة وكانوا من جن الجزيرة فقال : « كل عظم ذكر اسم الله عليه

يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً ، وكل بعرة أوروثة علف لدوابكم - قال - فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن] « . هكذا رواه مسلم في صحيحه .

(طريق أخرى) فيها إنه - إلى ابن مسعود - كان معه ليلة الجن . روى ابن جرير رحمه الله تعالى عن أبي عثمان بن شيبه الخزاعي وكان من أهل الشام قال : أن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه وهو بمكة ١٤٠ [من أحب منكم أن يحضر أمر الجن الليلة فليفعل] فلم يحضر منهم أحد غيري . قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة ، خطّ لي برجله خطأً ، ثم أمرني أن أجلس فيه . ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيت أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ، حتى بقي منهم رهط ، ففرغ رسول الله ﷺ مع الفجر فانطلق فتبرّز ثم أتاني فقال : « ما فعل ال رهط ؟ » قلت : هم أولئك يا رسول الله فأعطاهم عظماً وروثاً زاداً . ثم نهى أن يستطيب أحد بزوثٍ أو عظم .]

= يتضح ممّا تقدم من أحاديث ، أن رسول الله ﷺ استمع إليه نفر من الجن دون أن يعلم بهم وقد أخبره بذلك ثم تبين من حديث علقمة وحديث عثمان بن شيبه الخزاعي كلاهما عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ ذهب إلى الجن قصداً ، فتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله عز وجل . وكان ابن مسعود معه ولكن أمره أن يجلس بعيداً بعد أن خط له خطأً أمره ﷺ أن لا يجتازه خشية أن تخطفه الجن . وكل هذا كان بمكة أما الجن الذين لقوه بنخلة ، فجن نينوى . وأما الجن الذين لقوه بمكة بالحبجون ، فجن نصيبين .

على أن ابن عباس الذي روي عنه أنه نفى أن يكون عليه الصلاة والسلام اجتمع بالجن إنما هم اجتمعوا إليه ، وسمعوا منه القرآن دون أن يعلم . فقد روي عنه أيضاً أنه ﷺ اجتمع بهم ، كما قال ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن ﴾ قال كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين ، فجعلهم رسول ﷺ رسالة إلى قومهم .

فهذا يدل على أن ابن عباس رضي الله عنهما قد روى القصتين . نفيًا وإثباتاً . وقد اختلف بعدد الجن الذين وفدوا على رسول الله ﷺ ، ف قيل تسعة أتوه من أصل نخلة ، وقيل خمسة عشر ، وقيل ثلثائة ، وقيل اثني عشر ألفاً . فلعل هذا الاختلاف دليل على

تكرار الوفاة عليه ﷺ من قبلهم . كما ان وفود الجن كانت تأتيه ﷺ الى المدينة . كما روي ذلك عن ابن مسعود والزبير بن العوام . ولكن في رواية ابن مسعود مجهولاً ورواية الزبير ابن العوام بقية بن الوليد وهو مدلس مما دعانا أن نضرب صفحاً عن تسجيل الحديثين وقد اخترنا من الأحاديث الواردة ما يفي بالمراد بغية الاختصار غير المخل وأهملتنا ما لا كبير أهمية بذكره لبعض أخبار عن الجن ذكرها ابن كثير رحمه الله استطراداً^(١) . =

وقوله تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن ﴾ أي طائفة منهم ﴿ يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا ﴾ أي استمعوا ... وهذا أدب منهم .

وقد روى الحافظ البيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : ١٤١ [قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال : « ما لي أراكم سكوتاً ؟ لتلججن كانوا أحسن منكم رداً ، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴾ فبأي آلا ربكما تكذبان ﴾ إلا قالوا : ولا بشيء من آلائك أو نعمك ، ربنا نكذب فلك الحمد »] ورواه الترمذي .

وقوله عز وجل : ﴿ فلما قُضِيَ ﴾ أي فرغ كقوله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة ﴾ ﴿ ولتوا إلى قومهم منذرين ﴾ أي رجعوا الى قومهم فأنذروهم ما سمعوه من القرآن من فم رسول الله ﷺ كقوله جل وعلا : ﴿ ليتفقها في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ وقد استدل بهذه الآية على انه في الجن نذر وليس فيهم رسل ، أنبياء - ولا شك أن الجن لم يبعث الله تعالى منهم رسولا لقوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى ﴾ فأما قوله تعالى : ﴿ يا معشر الجن والأنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ فالمراد من مجموع الجنسين فيصدق على احدهما وهو الإنس كقوله ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ أي أحدهما .

ثم انه تعالى فسر انذار الجن لقومهم فقال مخبراً عنهم : قالوا ﴿ يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى ﴾ ولم يذكر عيسى ، لأن عيسى عليه الصلاة والسلام أنزل عليه الإنجيل فيه مواعظ ورقائق وقليل من التحليل والتحريم وهو في الحقيقة كالمتنم لشريعة التوراة فالعمدة هو التوراة . فلهذا قالوا : ﴿ أنزل من بعد موسى ﴾ ﴿ مصداقاً لما بين يديه ﴾ أي من الكتب المنزلة على الأنبياء قبله . وقوله تعالى : ﴿ يهدي إلى الحق ﴾ أي في الاعتقاد والأخبار ﴿ وإلى طريق مستقيم ﴾ في الأعمال فإن القرآن مشتمل على شيئين : خبر وطلب ، فخبيره صدق وطلبه عدل .

(١) ما بين المساوين من كلامي لا من كلام المفسر رحمه الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ . وقوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾ فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الثقلين الجن والإنس . حيث دعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم ، وهي سورة الرحمن . ولهذا قال : ﴿ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمَنُوا بِهِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرِمَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ أي وبيكم من عذابه الأليم ، وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية إلى أن الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة وإنما جزاء صالحهم أن يجاز من عذاب النار يوم القيامة وهذا قول فيه نظر ، والحق أن مؤمنهم كؤمني الأنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف بدليل : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فقد آمن الله تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الأنس فقالوا : ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد . فلم يكن تعالى ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم ، وإذا كان يجازي كافرهم بالنار وهو مقام عدل فلأن يجازي مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الأولى والأخرى . ومما يدل أيضاً على ذلك عموم قوله تعالى : ﴿ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ وما أشبه ذلك من الآيات ثم قال مخبراً عنهم ﴿ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ بل قدرة الله شاملة له محيطة به ﴿ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ﴾ أي لا يجيرهم منه أحد ﴿ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ وهذا مقام تهديد وترهيب فدعوا قومهم بالترهيب والترهيب ، ولهذا نجع في كثير منهم وجاءوا إلى رسول الله ﷺ وفوداً وفوداً كما تقدم بيانه والله الحمد والمنة والله أعلم .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّئَ الْمَوْتَى بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿ (٣٤) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ

يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَمَنْ
يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى : أولم ير هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة المستبعدون لقيام الأجساد يوم المعاد ﴿ أن الله خلق السموات والأرض ولم يعنى بخلقهن ﴾ أي ولم يكن شديداً عليه ذلك بل قال لها : كوني فكانت بلا ممانعة ولا مخالفة، بل طائعة مجيبة خائفة وجلّة. أفليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟ ﴿ بلى إنه على كل شيء قدير ﴾

ثم قال جل جلاله متهدداً لمن كفر به: ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق ﴾ أي يقال لهم أما هذا حق ، أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ؟ ﴿ قالوا بلى وربنا ﴾ أي لا يسعهم إلا الاعتراف ﴿ قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ ثم أمر تعالى رسوله ﷺ بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ أي على تكذيب قومهم لهم وأشهر الأقوال أن أولي العزم هم : نوح إبراهيم موسى ، عيسى ، محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام .

وقد روى ابن أبي حاتم عن مسروق قال ١٤٢] قالت لي عائشة رضي الله عنها : ظلّ رسول الله ﷺ صائماً ثم طواه ثم ظل صائماً ثم طواه ثم ظل صائماً ثم قال : « يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد ، يا عائشة إن الله تعالى لم يرخص من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهاها والصبر على محبوبها ثم لم يرخص مني إلا ان يكلفني ما كلفهم فقال : ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ وإني والله لأصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة إلا بالله » [﴿ ولا تستعجل لهم ﴾ أي لا تستعجل لهم حلول العقوبة بهم كقوله تعالى : ﴿ فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً ﴾

وقوله تعالى : ﴿ كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ﴾ كقوله تعالى : ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾ وقوله تعالى : ﴿ بلاغ ﴾ أي هذا القرآن بلاغ وقوله تعالى : ﴿ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾ أي وهذا من عدله عز وجل أنه لا يعذب إلا من يستحق العذاب والله أعلم .

آخر اختصار تفسير سورة الأحقاف والله الحمد
والمنة وبه التوفيق والعصمة والساداد

(٤٧) سُورَةُ مُحَمَّدٍ مَدَنِيَّةٌ وَأَنبَأْنَا هَٰذَا نَزَّلْنَاهُ وَتَبْلَاوُنَ

إِلَّا الْآيَةَ / ١٣ / فقد نزلت في الطريق أثناء الهجرة . نزلت بعد سورة الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (١)
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ
كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ (٣)

يقول تعالى : ﴿ الذين كفروا ﴾ أي بآيات الله ﴿ وصدوا ﴾ غيرهم ﴿ عن سبيل الله ﴾ أضلَّ أعمالهم ﴿ أي أبطلها . كقوله تعالى : ﴿ وقدّمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ ثم قال جل وعلا : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي آمنت قلوبهم بالله وانقادت جوارحهم لشرعه باطناً وظاهراً ﴿ وآمنوا بما نزل على محمد ﴾ عطف خاص على عام وهو دليل على أنه شرط في صحة الايمان بعد بعثته ﷺ . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وهو الحق من ربهم ﴾ جملة معترضة حسنة . ولهذا قال جل جلاله ﴿ كفّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾ أي حالهم . وقد جاء في حديث تميمت العاطس : ١٤٣ [يهديكم الله ويصلح بالكم] ثم قال عز وجل : ﴿ ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل ﴾ أي إنما أبطلنا أعمال الكفار لأن الذين كفروا اختاروا الباطل على الحق ﴿ وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ﴾ أي يبين لهم أعمالهم ، وما يصيرون إليه في معادهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَتْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنَّ لِّبَنُلُو بَعْضَكُمْ يَبْغِضُ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٤)
 سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَافًا لَهُمْ ﴾ (٦)
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٧)
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٨) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
 كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٩) ﴿

يرشد تعالى المؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ﴾ أي فاحصدوهم حصداً بالسيوف ﴿ حتى إذا أثختموهم ﴾ أي أهلكتموهم قتلاً ﴿ فشددوا الوثاق ﴾ أي وثاق الأسرى الذين تأسروهم ، ﴿ فإما منّا بعدُ وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ ثم أنتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة مخيرون في أمرهم : إن شئتم مننم عليهم فاطلقتموهم مجاناً ، أو شئتم فاديتموهم بمال تأخذونه منهم ، وتشارطونهم عليه. والظاهر أن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر ، فقد عاتب الله تعالى المؤمنين على الاستكثار من الأسارى والتقليل من القتل ليأخذوا منهم الفداء فقال تعالى : ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾ وقيل إن آية : ﴿ فإما منّا بعد وإما فداء ﴾ منسوخة بقوله تعالى ﴿ فإذا انسלخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وقال آخرون وهم الأكثرون ، ليست منسوخة ثم قال بعضهم إنما الإمام مخير بين المن والمفاداة فقط ، ولا يجوز قتله. وقال آخرون منهم : بل له أن يقتله إن شاء لحديث ١٤٤ [قتل النبي ﷺ النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط من أسارى بدر] : ١٤٥ [وقال ثمامة بن أثال لرسول الله ﷺ حين قال له : « ما عندك يا ثمامة ؟ » فقال : إن

تقتل تقتل ذادِم ، وإن تمنن تمنن على شاكر ، وإن كنت تريد المال فاسأل تعط منه ما شئت [وزاد الشافعي رحمة الله عليه فقال : الإمام نخير بين قتله أو المن عليه أو مفادته أو استرقاقه أيضاً ، وهذه المسألة محررة في مواضعها من كتب الأحكام .

وقوله عز وجل : ﴿ حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ قال مجاهد : حتى ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وكأنه أخذه من قوله ﷺ : ١٤٦ [لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم الدجال] وروى الإمام أحمد عن جبير بن نفير : ١٤٧ [أن سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى رسول الله ﷺ فقال : إني سيبت الخيل ، وألقيت السلاح ووضعت الحرب أوزارها . وقلت : لا قتال ، فقال له النبي ﷺ « الآن جاء القتال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يزيع الله تعالى قلوب أقوام ، فيقاتلونهم ، ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ألا إن عقد دار المؤمنين بالشام ، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة »] وهكذا رواه النسائي من طريقين عن جبير بن نفير عن سلمة بن نفيل به وهذا ما يقوى القول بعدم النسخ كأنه شرع هذا الحكم في الحرب إلى أن لا يبقى خرب . وقوله تعالى : ﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ﴾ أي لانتقم من الكافرين بعقوبة من عنده ﴿ ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ أي ولكن شرع لكم الجهاد ليختبركم ، كقوله تعالى : ﴿ أم حسبم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ ولما كان من شأن القتال أن يقتل كثير من المؤمنين قال تعالى : ﴿ والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ﴾ أي لن يذهبها بل يضاعفها وينمّيها ، ومنهم من يجرى عليه عمله طول برزخه . روى أحمد عن قيس الجذامي — رجل كانت له صحبة — قال قال رسول الله ﷺ : ١٤٨ [يعطى الشهيد ست خصال : عند أول قطرة من دمه تكفر عنه كل خطيئة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويزوج من الحور العين ، ويأمن من الفرع الأكبر ، ومن عذاب القبر ، ويحلّ حلة الإيمان] وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو وابن قتادة رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال : ١٤٩ [يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين] وروى أبو الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : ١٥٠ [يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته] وقوله تبارك وتعالى : ﴿ سيهديهم ﴾ أي إلى الجنة وقوله تعالى : ﴿ ويصلح بالهم ﴾ أي أمرهم وحالهم ﴿ ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ أي عرفهم بها وهداهم إليها . روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ١٥١ [إذاخلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار ، يتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقّوا أذن لهم في دخول الجنة ، والذي نفسي بيده

إن أحدهم بمنزله في الجنة أهدي منه بمنزله الذي كان في الدنيا [.

ثم قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾ فإن الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى : ﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ كما جاء في الحديث ١٥٢ [من بلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله تعالى قدميه على الصراط يوم القيامة] ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ ﴾ عكس تثبيت الأقدام للمؤمنين الناصرين لله تعالى ولرسوله ﷺ وقد ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال ١٥٣ [تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش] أي فلا شفاه الله عز وجل وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَضَلْ أَعْمَالَهُمْ ﴾ أي أحبطها وأبطلها. ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ ﴾ أي لا يريدونه ولا يحبونه ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .



﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾ (١٠)
 ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ (١١)
 إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ (١٢) وَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ (١٣)

يقول تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا ﴾ يعني المشركين بالله المكذبين لرسوله ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم ﴿ أَي عاقبهم بتكذيبهم وكفرهم ونجى المؤمنين من بين أظهرهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾ ثم قال جل جلاله ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ ولذلك أمر رسول الله

ﷺ المسلمين يوم فرغوا من وقعة أحد - أن يجيئوا أبا سفيان لما قال لهم : لنا العزى لا عزى لكم - « الله مولانا ولا مولى لكم » .

ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ أي يوم القيامة ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ﴾ أي في دنياهم ... وليس لهم همٌّ إلا ذلك ولهذا ثبت في الصحيح : « المؤمن يأكل في معي واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء » أي كأن له سبعة أمعاء كناية عن كثرة أكله ثم قال تعالى : ﴿ والنار مثوى لهم ﴾ أي يوم جزائهم . وقوله تعالى : ﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك ﴾ يعني مكة ﴿ أهلكتناهم فلا ناصر لهم ﴾ وهذا تهديد ووعيد لأهل مكة في تكذيبهم لرسول الله ﷺ . فإذا كان الله عز وجل قد أهلكت الأمم قبلهم بسبب تكذيبهم لرسولهم - وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء فماذا ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم في الدنيا والآخرة وقد كذبوا أعظم الرسل وأكرمهم على الله وخاتمهم عبده ورسوله محمداً صلوات الله وسلامه عليه .

﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (١٤) ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴾ (١٥)

يقول تعالى : ﴿ أفمن كان على بيتة من ربه ﴾ أي على بصيرة ويقين في أمر الله ودينه ﴿ كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ﴾ أي ليس هذا كهذا. كقوله تعالى : ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾ ثم قال عز وجل : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ أي وصفها ﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن ﴾ أي غير متغير الرائحة ولا كدر فيه ، ﴿ وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ﴾ بل في غاية البياض والحلاوة والدسومة ﴿ وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴾ أي ليست كرية الطعم والرائحة كخمر

الدنيا بل حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل ﴿ وأنهار من عسل مصفى ﴾ في غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والريح .

قال الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
[١٥٥] في الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر العسل وبحر الخمر ، ثم تشقق أنهار منها بعد [ورواه
الترمذي وقال : حسن صحيح . وفي الصحيح ١٥٦] إذا سألت الله تعالى فاسأله الفردوس
فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن] .

وقوله تعالى : ﴿ ولهم فيها من كل الثمرات ﴾ كقوله جلّ وعلا : ﴿ يدعون فيها
بكل فاكهة آمنين ﴾ ﴿ ومغفرة من ربهم ﴾ أي مع كل ذلك . وقوله تعالى : ﴿ كمن هو خالد
في النار ﴾ أي هؤلاء الذين ذكرت منزلتهم في الجنة كمن هو خالد في النار ؟ أي ليس من
هو في الدرجات كمن هو في الدرجات ﴿ وسقوا ماءً حميماً ﴾ أي حاراً شديداً الحر لا
يستطاع ﴿ فقطع أمعاءهم ﴾ أي قطع ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء عياداً بالله من
ذلك .

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ
قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَفْقَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (١٦) ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى
وَأَتَاهُم تَقْوَاهُمْ ﴾ (١٧) ﴿ قَبْلَ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً
فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ (١٨) ﴿ فَأَعْلَمَ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالَّذِينَ
يَعْلَمُ مُتَقَلِّبُكُمْ وَمَمَوَّكُمْ ﴾ (١٩) ﴿

يخبر تعالى عن المنافقين في بلادهم وقلة فهمهم ، إذ يستمعون منه ﷺ ولا يفهمون
وإذا خرجوا من عنده ﴿ قالوا للذين أوتوا العلم ﴾ من الصحابة رضي الله عنهم ﴿ ماذا
قال أفقاً ﴾ أي الساعة لا يعقلون ماذا قال ولا يكثرثون ﴿ أولئك الذين طبع الله على
قلوبهم واتباعوا أهواءهم ﴾ فلا فهم صحيح ولا قصد صحيح ثم قال عز وجل : ﴿ والذين

اهتدوا زادهم هدى ﴿ وزادهم وثبتهم على هدايتهم ﴾ وآتاهم تقواهم ﴿ أي ألهمهم رشدهم. وقوله تعالى: ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة ﴾ أي فجأة ﴾ فقد جاء أشراتها ﴿ أي علامات اقترابها. كقوله جل وعلا: ﴿ اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾ فبعثه رسول الله ﷺ من أشرط الساعة، لأنه خاتم الرسل والأنبياء الذي أكمل الله به الدين، وأقام به الحجة على العالمين. وقال البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه ١٥٧. [رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعه هكذا بالوسطى والتي تليها: « بعثت أنا والساعة كهاتين »] ثم قال تعالى: ﴿ فأتى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ أي فكيف للكافرين بالتذكر إذا جاءتهم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك، كقوله تعالى: ﴿ يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى ﴾ وقوله عز وجل ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ هذا إخبار بأنه لا إله إلا الله، ولا يتأتى كونه أمراً بعلم ذلك ^(١) ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ وفي الصحيح: ان رسول الله ﷺ كان يقول ١٥٨ [اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطي وعمدي وكل ذلك عندي] وفي الصحيح ١٥٩ [انه كان يقول في آخر الصلاة اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني انت إلهي لا إله إلا أنت] وفي الصحيح أنه قال ١٦٠ [يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فاني استغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة].

وروى أبو يعلى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ١٦ [عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منها فإن إبليس قال: إنما هلك الناس بالذنوب واهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء، فهم يحسبون أنهم مهتدون] وقوله تعالى: ﴿ والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾.

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ

(١) قلت: إن « لا إله إلا الله » هذه الكلمة الطيبة، يجب أن يقولها المؤمن عالماً بمعناها وبمستلزماتها بنفي الألوهية عن كل شيء وإثباتها لله وحده لا شريك له. كما أن لها حقوقاً يجب أن يتحقق بها قائلها فهماً وتطبيقاً، فلا ينقضها بقول أو عمل. أما ترديدنا بلا فهم ولا علم بمعناها ولا تحقق بما يجب من حقوقها... فلا ينتفع بها قائلها شيئاً.

يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾

يخبر تعالى عن المؤمنين أنهم تمنّوا شرعية الجهاد . فلما فرضه الله عز وجل وأمر به نكل عنه كثير من الناس . كقوله تبارك وتعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لما كتبت عليهم القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً ﴾ وقال عز وجل ها هنا : ﴿ ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ﴾ أي مشتملة على حكم القتال . ولهذا قال تعالى : ﴿ فإذا أنزلت سورة بحكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت ﴾ أي من فرعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الأعداء . ثم قال مشجّعاً لهم ﴿ فأولى لهم طاعة وقول معروف ﴾ أي وكان الأولى بهم أن يسمعوا ويطيعوا أي في الحالة الراهنة ﴿ فإذا عزم الأمر ﴾ أي جدّ الحال ، وحضر القتال ﴿ فلو صدقوا الله ﴾ أي أخلصوا له النية ﴿ لكان خيراً لهم ﴾ .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم ﴾ أي عن الجهاد ونكلمتم عنه ﴿ أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ أي تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية الجاهلاء تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام . ولهذا قال تعالى : ﴿ أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم ﴾ وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً ، وعن قطع الأرحام خصوصاً ، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام ، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال وقد وردت الأحاديث الصحيحة والحسان بذلك نذكر منها ما ييسره الله تعالى .

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ١٦٢ : « خلق الله تعالى الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقوي الرحمن عز وجل فقال : مه . فقالت

هذا مقام العائد بك من القطيعة فقال تعالى : ألا ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك ؟ قالت بلى ، قال فذاك لك « قال أبو هريرة رضي الله عنه : اقرأوا ان شئتم ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ [ثم رواه البخاري من طريقين آخرين عن معاوية بن أبي مزرذبه قال ١٦٣] قال رسول الله ﷺ إقرأوا ان شئتم : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ [ورواه مسلم من حديث معاوية بن أبي مزرذبه .

روى الإمام أحمد عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ١٦٤] ما من ذنب أحرى أن يعجل الله تعالى عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم [ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث صحيح .
روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
١٦٥] ان الرحم معلقة بالعرش ، وليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها [رواه البخاري .

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ • (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ • (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ • (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ • (٢٨) ﴿

يأمر تعالى بتدبر القرآن وتفهمه وناهياً عن الإعراض عنه . فقال سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ أي بل على قلوب أقفالها فهي مطبقة لا يخلص إليها شيء من معانيه . ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ﴾ أي فارقوا الايمان ورجعوا إلى الكفر — والعياذ بالله تعالى من سوء المنقلب — ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا

تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم ﴿ أي زين لهم ذلك وحسنه ﴾ وأملى لهم ﴿ أي غرهم وخدعهم ﴾ ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر ﴿ أي ماثوؤهم وناصحوهم في الباطن على الباطل وهذا شأن المنافقين يظهرن خلاف ما يبتنون . ولهذا قال جل جلاله : ﴿ والله يعلم إسرارهم ﴾ أي ما يخفون كقوله تعالى : ﴿ والله يكتب ما يبيتون ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ أي كيف حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم ، وتعاصت الأرواح في أجسادهم واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب كقوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ الآية ... ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ - نعوذ بالله من غضبه ونقمه -

﴿ أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ﴾ (٢٩) ﴿ ولو نشاء لأريناكنهم فلعرفنهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ﴾ (٣٠) ﴿ ولنبؤنكنم حتى نعلم المجاهدين منكنم والصّابرين ونبؤا أخباركم ﴾ (٣١) ﴿

يقول تعالى : ﴿ أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ﴾ أي أيعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين ، بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر ، وقد أنزل الله تعالى في سورة براءة فيتن فيها فضائحهم ، وما يعتمدونه من الأفعال الدّالة على نفاقهم ، ولهذا كانت تسمى الفاضحة .

والأضغان : جمع ضغن . وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله ، والقائمين بنصره . وقوله تعالى : ﴿ ولو نشاء لأريناكنهم فلعرفنهم بسيماهم ﴾ ولكن لم يفعل تعالى ذلك في جميع المنافقين حملاً للأمر على ظاهر السلامة ورداً للسرائر إلى عالمها ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ أي فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم ، يفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه ، وهو المراد من لحن القول . كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه : ما أسر أحد سريرة إلا أبداه الله على صفحات وجهه وقلّات لسانه ، وقد ورد في الحديث تعيين جماعة من المنافقين ، قال الإمام أحمد عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه قال ١٦٦ [خطبنا رسول الله ﷺ خطبة فحمد الله

تعالى وأثنى عليه ثم قال : « ان منكم منافقين فمن سميت فليقم ، ثم - قال - قم يا فلان ، قم يا فلان ، قم يا فلان - » حتى سمى ستة وثلاثين رجلاً ثم قال : « ان فيكم أو منكم - منافقين فاتقوا الله » قال فمر عمر رضي عنه برجل ممن سمى مقنع قد كان يعرفه فقال : مالك ؟ فحدثه بما قال رسول الله ﷺ فقال : بعداً لك سائر اليوم . [وقوله عز وجل : ﴿ ولنبليوكم ﴾ ولنختبرنكم بالأوامر والنواهي ﴾ حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلي أخباركم ﴾ وهو أعلم بها وليس في علم الله شك أو ريب إنما المراد حتى يرى وقوع الأعمال المستندة للأوامر والنواهي ولهذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما : « إلا لنعلم ، أي لنرى » .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرَّوْا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ ﴾ (٣٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (٣٤) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (٣٥)

يخبر تعالى عن كفر وصد عن سبيل الله وخالف الرسول وشاقه وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى إنه لن يضر الله شيئاً ، وإنما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها وسيحبط الله عمله فلا يشبهه على سالف عمله الذي عقبه بردة ولا مثقال بعوضة من خير بل يحبطه ويمحقه بالكلية ، كما أن الحسنات يذهبن السيئات .

روى الإمام أحمد عن طريق عبد الله بن المبارك ... عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ١٦٧] كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أنه ليس شيء من الحسنات إلا مقبول حتى نزلت : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا ؟ فقلنا : الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل قوله تعالى : ﴿ ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك فكنا

نخاف على من أصاب الكبائر والفواحش ونرجو لمن لم يصنها] .

ثم أمر تبارك وتعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله التي هي سعادتهم في الدارين ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل للأعمال ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ أي بالردة. ولهذا قال بعدها : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ ثم قال جل وعلا لعباده المؤمنين : ﴿ فَلَا تَهِنُوا ﴾ أي لا تضعفوا عن الأعداء ﴿ وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ ﴾ أي المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عددكم وعددكم. ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ أي في حال علوكم على عدوكم ، فأما إذا كان الكفار فيهم قوّة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين ، ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة فله ان يفعل ذلك ، كما فعل رسول الله ﷺ حين صدّه كفّار قريش عن مكة ودعوه إلى الصلح ، ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين ، فأجابهم ﷺ إلى ذلك. وقوله جلّت عظمته : ﴿ وَاللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ فيه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء ﴿ وَلَنْ يَتْرَكَ أَعْمَالَكُمْ ﴾ أي ولن يحبطها ويسلبكم إياها بل يوفّيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئا ، والله تعالى أعلم .

﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ (٣٦) ﴿ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفَفْكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴾ (٣٧) ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (٣٨)

يقول الله تعالى تحقيراً لأمر الدنيا : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ ﴾ إلا ما كان منها لله عز وجل ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ بل هو غنيّ عنكم إنما فرض عليكم الصدقات من الأموال مواساةً لإخوانكم الفقراء ويعود ثوابه إليكم. ثم قال جل جلاله : ﴿ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفَفْكُمْ تَبْخُلُوا ﴾ أي

يخرجكم تبخلوا ﴿ ويخرج أضغانكم ﴾ . صدق الله تعالى فإن إخراج المال لإخراج الأضغان لأن المال محبوب لا يصرف إلا فيما هو أحب إلى الشخص منه وقوله تعالى : ﴿ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ﴾ أي لا يجيب إلى ذلك ﴿ ومن يبخل ﴾ فإنما يبخل عن نفسه ﴿ أي أضاع على نفسه الأجر وعود الوبال عليه ﴾ والله الغني ﴿ عما سواه وفقر إليه ما عداه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وأنتم الفقراء ﴾ أي بالذات إليه فوصفه بالغنى ، ووصف الخلق بالفقر وصف لازم لهم لا يتفككون عنه . وقوله تعالى : ﴿ وإن تولوا ﴾ أي عن طاعته واتباع شرعه ، ﴿ يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ ولكن يكونون سامعين مطيعين له ولا أوامره .

آخر اختصار تفسير سورة محمد ﷺ والله الحمد والمنة وبه العصمة وعليه التكلان

(٤٨) سُورَةُ الْفَتْحِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيُّهَا السَّبْعُ وَعَشْرُونَ

نزلت في الحديبية بعد سورة الجمعة

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة قال : سمعت عبد الله بن مغفل يقول : [قرأ رسول الله ﷺ عام الفتح في مسيره سورة الفتح على راحلته فرجع فيها . قال معاوية لولا أني أكره أن يجتمع الناس علينا لحكيت قراءته] أخرجاه من حديث شعبة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ
مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ﴾ (٢) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ (٣)

نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة ، حين صدّه المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام . فيقضي عمرته فيه وحالوا بينه وبين ذلك ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة ، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل ، فأجابهم إلى ذلك على تكرّره من جماعة من الصحابة ، منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما سيأتي تفصيله في موضعه من تفسير هذه السورة إن شاء الله تعالى . فلما نحر هديه حيث أحصر ورجع ، أنزل الله عز وجل هذه السورة فيما كان من أمره وأمرهم وجعل ذلك الصلح فتحاً باعتبار ما فيه من المصلحة ، وما آل الأمر إليه . كما روى

ابن مسعود رضي الله عنه ، وغيره انه قال : انكم تعدّون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح الحديبية. قال البخاري عن البراء رضي الله عنه قال ١٦٨ [تعدّون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كنّا مع رسول الله ﷺ أربع عشر مائة ، والحديبية بئر فترحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فأناها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا... ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ، ثم لأنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركائبنا] وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ١٦٩ [نزلت على النبي ﷺ ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ مرجعه من الحديبية . قال النبي ﷺ « لقد نزلت علي الليلة آية أحب إليّ ممّا على الأرض » ثم قرأها عليهم النبي ﷺ فقالوا : هنيئاً مريئاً يا نبي الله بين الله عز وجل ما يفعل بك فماذا يفعل بنا ؟ فنزلت عليه ﷺ : ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار - حتى بلغ - فوزاً عظيماً ﴾] أخرجاه في الصحيحين من رواية قتادة به . وروى الإمام أحمد عن مجمع بن حارثة الأنصاري رضي الله عنه وكان أحد القراء الذين قرأوا القرآن قال ١٧٠ [شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها إذا الناس ينفرون الأباعر فقال الناس بعضهم لبعض : ما للناس ؟ قالوا : أوحى إلى رسول الله ﷺ على راحلته عند كراع الغميم ، فاجتمع الناس عليه فقرأ عليهم : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ قال فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أي رسول الله أو فتح هو ؟ قال ﷺ « إي والذي نفس محمد بيده إنه لفتح » قسّمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديبية فقسمها رسول الله ﷺ ثمانية عشر سهماً ، وكان الجيش ألفاً وخمسمائة منهم ثلثمائة فارس فأعطى الفارس سهمين وأعطى الرجل سهماً] . ورواه أبو داود .

وروى الإمام أحمد عن المغيرة بن شعبة يقول ١٧١ [كان النبي ﷺ يصلي حتى ترم قدماه ، فقيل له أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال ﷺ : « أفلا أكون عبداً شكوراً »] أخرجاه وبقية الجماعة إلا أبا داود من حديث زياد به . فقوله تعالى : ﴿ إنّنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ أي بيناً ظاهراً. والمراد به صلح الحديبية حصل بسببه خير كثير وآمن الناس ، واجتمع بعضهم إلى بعض ، وتكلم المؤمن مع الكافر وانتشر العلم النافع والايمان .

وقوله تعالى : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ وهذا من خصائصه ﷺ ، وهذا فيه تشريف وتعظيم لرسول الله ﷺ وهو ﷺ في جميع أموره على الطاعة

والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه وهو أكملهم وسيدهم في الدارين وأشدّهم تعظيماً لأوامره ونواهيه قال عليه الصلاة والسلام يوم الحديبية ١٧٢ [والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم شيئاً يعظمون به حرّات الله إلاّ أجبتهنّ إليها] فلما أطاع الله في ذلك واجاب إلى الصلح قال الله تعالى له : ﴿ انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ۖ ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ﴾ أي في الدارين ﴿ ويهديك صراطاً مستقيماً ﴾ أي بما يشرعه لك من الدين القويم ﴿ وينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾ أي بسبب خضوعك لأمر الله عز وجل ويرفعك الله وينصرك على أعدائك كما جاء في الحديث الصحيح ١٧٣ [وما زاد الله عبداً بعفو إلاّ عزاً ، وما تواضع أحد لله عز وجل إلاّ رفعه الله تعالى] .

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ (٤) لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (٥) وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٦) وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ (٧)

يقول تعالى : ﴿ هو الذي أنزل السكينة ﴾ أي جعل الطمأنينة ﴿ في قلوب المؤمنين ﴾ يوم الحديبية الذين انقادوا لحكم الله ورسوله فلما اطمأنت قلوبهم بذلك زادهم الله إيماناً ، وفي هذا دليل على تفاضل الإيمان . ولهذا قال سبحانه ﴿ ليزدادوا إيماناً ﴾ ثم ذكر تعالى أنه لو شاء لأرسل على الكافرين عقاباً من السماء فقال : ﴿ ولله جنود السموات والأرض ﴾ لأبادوهم ولكنه تعالى شرع الجهاد لما في ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة . ولهذا قال تعالى : ﴿ وكان الله عليمًا حكيمًا ﴾ ثم قال عز وجل : ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ قد تقدم حديث أنس رضي الله عنه حين

قالوا : هنيئاً لك يا رسول الله هذا لك فما لنا فأَنْزَلَ اللهُ تعالى هذه الآية ﴿ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ - إِلَى قَوْلِهِ - خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أي ما كَثُرَ فيها أبداً ﴿ وَيَكْفُرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ أي خطاياهم وذُنُوبِهِمْ فلا يعاقبهم عليها بل يعفو ويصفح ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ كقوله جلّ وعلا ﴿ فَمَنْ زَحْرَجَ عَنِ النَّارِ وَادْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتُ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُنُّ السُّوءِ ﴾ أي يَتَهَمُونَ الله تعالى في حكمه ويتَرَقَّبُونَ بالرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أن يُقْتَلُوا ويذهبوا بالكلية . ولهذا قال تعالى : ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ﴾ أي أبعدهم من رحمته ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ثم قال عزّ وجلّ مؤكداً لقدرته على الانتقام من الأعداء أعداء الإسلام من الكفرة والمنافقين. ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ .

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ • (٨) لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً • (٩) إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَبِأُوْلَئِكَ أَجْرٌ عَظِيمٌ • (١٠) ﴿

يقول تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ﴾ أي على الخلق ، ﴿ وَمُبَشِّراً ﴾ أي للمؤمنين ﴿ وَنَذِيراً ﴾ أي للكافرين وقد تقدّم تفسيرها في سورة الأحزاب ﴿ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد : تعظموه ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ أي تحترموه وتجلّوه وتعظموه - هذا عائد لرسول الله ﷺ - ، ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ أي تسبحون الله تعالى ﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ أي أول النهار وآخره. ثم قال عز وجل لرسوله ﷺ تشريفاً له وتعظيماً وتكريماً : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ كقوله جلّ وعلا : ﴿ مَنْ يَطْعِ الرُّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ ^(١) ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم وهو : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ - فالله تعالى هو المبايعُ بواسطة رسوله ﷺ كقوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى

(١) قلت : اكن « أهل وحدة الوجود يفسرون هذه الآية كما يلي بالحرف الواحد : (...) لقد أخبر تعالى ان نبيه محمداً

(ص) هو الله تعالى وتقدس...) نموذ بالله من الكفر . راجع كتاب (شطحات الصوفية) تأليف عبد الرحمن

البديوي في رسالة منسوبة لعبد الغني النابلسي . ويد الله صفة له ، معلومة الحقيقة ، مجهولة الكيفية ، لا هي

نعمته ، ولا قدرته ، إنما هي يده صفة له حقيقة لا كالأيدي ﴿ ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ﴾

يد تليق بجلاله وعظمته ، تعالى وتقدس .

من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴿ وقد روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ١٧٤ [من سل سيفه في سبيل الله فقد بايع الله] ولهذا قال تعالى : ﴿ فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ﴾ أي إنما يعود وبال ذلك على الناكث ، والله غني عنه ﴿ ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ﴾ أي ثواباً جزيلاً . وهذه البيعة هي بيعة الرضوان ، وكانت شجرة سمره بالحديبية . وكان الصحابة رضي الله عنهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ يومئذ ألفاً وأربعمائة .

(ذكر سبب هذه البيعة العظيمة)

دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب لبيعته إلى مكة ليلبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال : يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعي وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظي عليها ، ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان رضي الله عنه ، نبعته إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمة ، فخرج عثمان رضي الله عنه إلى مكة فلقبه أبان بن سعيد بن العاص فأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فأتى أبا سفيان وعظماً قريش فبلغهم ما أرسل به فقالوا لعثمان إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين ، أن عثمان رضي الله عنه قد قتل . قال ابن اسحق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل ١٧٥ [لا نبرح حتى فتنناجر القوم] .

ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فبايع الناس ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها إلا الجدي بن قيس أخو بني سلمة فكان جابر رضي الله عنه يقول : والله لكأنني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته قد صبأ إليها يستتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي كان من أمر عثمان رضي الله عنه باطل . وقد كانت البيعة على أن لا يفروا أبداً فأرعب ذلك المشركين وأرسلوا من كان عندهم من المسلمين ، ودعوا إلى المودة والصلح .

روى أبو بكر الحميدي عن جابر رضي الله عنه قال : ١٧٦ [كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فقال لنا رسول الله ﷺ : « أنتم خير أهل الأرض »] وروى الإمام أحمد عن

جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال ١٧٧ [لا يدخل النار أحد من بايع تحت الشجرة] وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه ١٧٨ [ان عبداً لحاطب بن أبي بلتعة جاء يشكو حاطباً فقال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله ﷺ « كذبت لا يدخلها فانه قد شهد بدرآ والحديبية »] ولهذا قال تعالى في الثناء عليهم : ﴿ ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ﴾ كما قال عز وجل في الآية الأخرى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ .

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبيراً ﴿ ١١ ﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنّاً السَّوْءَ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً ﴿ ١٢ ﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعيراً ﴿ ١٣ ﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفوراً رَحِيماً ﴿ ١٤ ﴾

ينخر تعالى رسوله ﷺ ، باعتذار المخلفين من الأعراب الذين فضلوا المقام في أهليهم وشغلهم واعتذروا عن الاشتراك مع رسول الله ﷺ في السير معه وسألوه الاستغفار لهم تقيّةً ومصانعةً. ولهذا قال تعالى : ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً ﴾ أي لا أحد يستطيع ردّ مراد الله وهو العليم بالسرائر والضمائر وإن صانعتونا ونافقتونا. ولهذا قال عز من قائل : ﴿ بل كان الله بما تعملون خبيراً ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً ﴾ أي اعتقدتم انهم سيقتلون وتستأصل شأفتهم ولا يرجع منهم

نخبر ﴿ وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً ﴾ أي هلكى فاسدين. ثم قال تعالى : ﴿ ومن لم يؤمن بالله ورسوله ﴾ أي من لم يخلص العمل لله ظاهراً وباطناً فإنه تعالى سيعذبه في السعير ولو تظاهر للناس بخلاف ما يبطن. ثم بيّن تعالى أنه الحاكم المالك المتصرف في أهل السموات والأرض ﴿ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ أي لمن تاب إليه وأتاب وخضع لديه .

﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (١٥)

يخبر تعالى عن الأعراب المتخلفين عن رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية إذ ذهب الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إلى خيبر يفتحونها - أنهم يسألون أن يخرجوا معهم إلى المغنم ، وقد تحلفوا حين محاربة الأعداء . فأمر الله تعالى رسوله ﷺ ألا يأذن لهم في ذلك عقاباً لهم من جنس ذنبهم ، فإن الله وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم لا يشاركهم فيها غيرهم من الأعراب المتخلفين ، فلا يقع غير ذلك شرعاً ولا قدراً ، ولهذا قال تعالى : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ قال ابن جريج : يعني بتشبيطهم المسلمين عن الجهاد ﴿ قل لن تتبعونا كذلككم قال الله من قبل ﴾ أي وعد الله أهل الحديبية قبل سؤالكم الخروج معهم ﴿ فسيقولون بل تحسدوننا ﴾ أي أن نشرركم في المغنم ﴿ بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً ﴾ أي ليس الأمر كما زعموا ولكن لا فهم لهم .

﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيماً ﴾ (١٦)

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً ﴿١٧﴾

= اختلف المفسرون في تعيين من هم أولو البأس الشديد الذين سيدعون إلى قتالهم وهذا الاختلاف في تعيينهم ليس ذي بال، فليكونوا من كانوا... فإن أمر الله تعالى تجب فيه الطاعة والامتثال... مهما كانوا أولي بأس شديد. فما دام المسلمون هم على الحق، وبحاربون من أجل الحق، حتى تملو كلمته ويزهق الباطل. فلا شك والحالة هذه أن المسلمين انصار الحق، سيجعلهم الله تعالى أشد بأساً من كل ذي بأس شديد. حتى ينصر الله دينه ويعلي كلمته. وقد كانوا كذلك حتى أنهم غلبوا بإذن الله فارس والروم، والسند والصين، وأهل مصر والبربر جميعاً، وبلاد الأندلس والفرنجة، فكانوا بحول الله وقوته أشد من كل بأس شديد لأن الله معهم.

هذا من حيث المعنى العام. وأما المعنى الخاص: المراد بهذه الآية فإن الخطاب للأعراب المخلفين. فهؤلاء هم الذين سيدعون إلى قوم أولي بأس شديد في عصرهم كهوازن وثقيف وبني حنيفة وغيرهم من أشداء القبائل.

وقوله تعالى: ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ يعني شرع لكم جهادهم، فلا يزال ذلك مستمراً عليهم، ولكم النصرة عليهم أو يسلمون فيدخلون في دينكم بلا قتال بل باختيار. ثم قال عز وجل: ﴿فإن تطيعوا﴾ أي تستجيبوا للجهاد ﴿يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل﴾ يعني زمن الحديبية فتخلفتم ﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾ ثم ذكر تعالى الأعذار في ترك الجهاد فمنها لازم: كالعمى والعرج المستمر. وعارض: كالمرض الذي يطرأ أياً ما ثم يزول فهو ملحق بذوي الأعذار اللازمة حتى يبرأ. ثم قال تبارك وتعالى مرغباً في الجهاد وطاعة الله ورسوله: ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول﴾ أي ينكل عن الجهاد ويقبل على المعاش ﴿يعذب عذاباً أليماً﴾ في الدنيا بالمذلة وفي الآخرة بالنار والله تعالى أعلم.



لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ
فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا • (١٨)
وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا • (١٩)

يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة التي كانت سمرة بأرض الحديبية ﴿ فعلم ما في قلوبهم ﴾ من الصدق والوفاء والسمع والطاعة ﴿ فأنزل السكينة ﴾ هي الطمأنينة ﴿ عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ وهو ما أجرى الله عز وجل على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم ، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة . ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم ، وما قدر الله لهم من العز والنصر والرفعة في الدارين . ولهذا قال تعالى : ﴿ ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ .

روى ابن أبي حاتم عن أبياس بن سلمة عن أبيه قال : ١٧٩ [بينما نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله ﷺ ، أيها الناس : البيعة البيعة نزل روح القدس . قال : فثرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ قال فبايع رسول الله ﷺ لعثمان بن عفان رضي الله عنه بإحدى يديه على الأخرى فقال الناس : هنيئاً لابن عفان يطوف بالبيت ، ونحن ههنا فقال رسول الله ﷺ « لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف حتى أطوف »] .

وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ
وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةًٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ
صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا • (٢٠) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ
بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا • (٢١) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْلُوا أَلَاذْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا • (٢٢) سُنَّة

اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾
وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ
مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾

قال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها ﴾ هي جميع المغنم إلى اليوم ﴿ فجعل لكم هذه ﴾ يعني فتح خيبر. ﴿ وكفّ أيدي الناس عنكم ﴾ أي لم ينلكنم سوء مما كان أعداؤكم أضمره لكم من المحاربة والقتال ، وكذلك كف أيدي الناس عنكم ، الذين خلفتموهم وراء ظهوركم عن عيالكم وحریمكم. ﴿ ولتكون آية للمؤمنين ﴾ أي يعتبرون بذلك ، فإن الله تعالى حافظهم وناصرهم ، على سائر الأعداء مع قلة عددهم. وليعلموا بصنيع الله هذا بهم ، أنه العالم بعواقب الأمور ، وإن الخيرة فيما يختاره لعباده المؤمنين كرهوه في الظاهر... كما قال عز وجل : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ ويهديكم صراطاً مستقيماً ﴿ أي بسبب انقيادكم لأمره واتباعكم طاعته ، وموافقتكم رسوله ﷺ .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ أي وغنيمة أخرى وفتحاً آخر معيناً لم تكونوا تقدرون عليها ، قد يسرها الله عليكم وأحاط بها لكم ، فانه تعالى يرزق عباده المتقين من حيث لا يحتسبون. وقد اختلف المفسرون في المراد من هذه الغنيمة ، والذي اختاره ابن جرير أنها مكة ، وقال مجاهد : هي كل فتح وغنيمة إلى يوم القيامة قال ابن عباس رضي الله عنهما : هي هذه الفتوح التي تفتح إلى اليوم .

وقوله تعالى : ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا لولّوا الأديبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً ﴾ وهذه بشرى للمؤمنين بأنه لو ناجزهم المشركون ، لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم ، ولا نهزم جيش الكفر مدبراً لا يجدون ولياً ولا نصيراً ، لأنهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين. ثم قال تعالى : ﴿ سنّة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ أي هذه سنة الله وعادته في خلقه ، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن إلاّ نصر الله الإيمان على الكفر .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾ هذا أمتان من الله تعالى : على

عباده المؤمنين ، فكف ايدي المشركين عنهم ، وكف ايديهم عن المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام ، بل صان كلاً... وأوجد بينهم صلحاً فيه خيرة للمؤمنين، وعاقبة لهم في الدارين . روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال [لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ، ثمانون رجلاً من أهل مكة بالسلاح من قبل جبل التنعيم ، يريدون غرة رسول الله ﷺ فدعا عليهم فأخذوا . قال عفان : فعفا عنهم ونزلت هذه الآية : ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ﴾] ورواه مسلم وابو داود في سننه والترمذي والنسائي.

﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّهُمْ فَتَصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٢٥) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٢٦)

يقول تعالى مخبراً عن مشركي العرب من قریش ومن مالأهم على رسول الله ﷺ : ﴿ هم الذين كفروا ﴾ أي هم الكفار دون غيرهم ﴿ وصدّوكم عن المسجد الحرام ﴾ أي وأنتم أحق به وأنتم أهله في نفس الأمر ﴿ والهدني معكوفاً أن يبلغ محله ﴾ أي وصدّوا الهدى أن يصل إلى محله وكان سبعين بدنة. وقوله عز وجل : ﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ﴾ أي بين أظهرهم ممن يكتّم إيمانهم خيفةً ، ولكن لا تعرفونهم وقد تقتلونهم ولهذا قال تعالى : ﴿ لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرة ﴾ أي إثم وغرامة ﴿ بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء ﴾ أي يؤخر عقوبتهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنون وليرجع كثير منهم إلى الإسلام . ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ لو تزيّلوا ﴾ أي لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم ﴿ لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً ﴾ أي لسلطناكم عليهم فلقتلتموهم قتلاً ذريعاً .

وقوله عز وجل : ﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ﴾ وذلك حين أبوا أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم . وأبوا أن يكتبوا : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى ﴿ وهي قول « لا إله إلا الله » كما روى ابن جرير وعبد الله بن الإمام أحمد عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول [١٨١] ﴿ وألزمهم كلمة التقوى ﴾ قال : « لا إله إلا الله » [وكذا رواه الترمذي وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن قرعة . وقوله تعالى ﴿ وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ أي كان المسلمون أحق بها وكانوا أهلها . ﴿ وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ أي هو عليم بمن يستحق النعيم ممن يستحق العذاب .

« ذكر قصة الحديبية والصلح »

[١٨٢] خرج رسول الله ﷺ يريد زيارة البيت والاعتماد به . لا يريد قتالاً . وساق معه سبعين بدنة . ثم سار حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال : يا رسول الله : هذه قريش . قد سمعت بمسيرك فخرجت ومعها العوذ المطافيل ^(١) قد لبست جلود النمرود يعاهدون الله تعالى ألا تدخلها عليهم عنوة أبداً . وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموه إلى كراع الغميم ^(٢) فقال رسول الله ﷺ « يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس فإن أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهرني الله تعالى دخلوا في الإسلام وهم وافرور ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وهم قوة فماذا تظن قريش . فوالله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله تعالى به حتى يظهرني الله عز وجل أو تنفرد هذه السالفة ^(٣) ثم أمر الناس فسلكوا ذات اليمين ، بين ظهري الحمض على طريق تخرجه على ثنية الماروا بالحديبية من أسفل مكة ، قال فسلك بالجيش تلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش فترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش ، فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا سلك ثنية المارار بركت ناقته فقال الناس : خلأت ^(٤) فقال رسول الله ﷺ « ما خلأت وما ذلك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة والله لا تدعوني قريش إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها » .

(١) أي النوق ذوات الأطفال . (٢) مكان . (٣) السالفة شعر طويل من مكان من القرظ حتى الرقوة . فقولهُ أو تنفرد هذا السالفة أي يضرب رأسي بالسيف فتنفرد سالفة عن اختها وهذا القول كناية عن الموت فكانه يقول : حتى يظهرني الله عز وجل أو أموت دون دينه . (٤) أي حرنت .

ثم قال ﷺ للناس : « انزلوا » قالوا يا رسول الله ما بالوادي من ماء يتزل عليه الناس فأخرج رسول الله ﷺ سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فترل في في قلب من القلب فغرز فيه فجاش بالماء حتى ضرب الناس عنه بعطن ^(١) فلما اطمأن رسول الله ﷺ إذا بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة ، فقال لهم كقولهم لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد ﷺ إن محمد لم يأت لقتال ، إنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحقه ، فاتهموه ، وكانت خزاعة عيبة ^(٢) نصح رسول الله ﷺ مشركها ومسلمها لا يخفون على رسول الله ﷺ شيئاً كان بمكة ، فقالت قريش : وإن كان إنما جاء لذلك فوالله لا يدخلها أبداً علينا عنوةً ولا يتحدث بذلك العرب ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص أحد بني عامر بن لؤي. فقال رسول الله ﷺ : « هذا رجل غادر » فلما انتهى إليه ﷺ كلمته بنحو مما كلم به من قبله ، ثم رجع إلى قريش فأخبرهم ... ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ الحليس بن علقمة الكناني وهو يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله ﷺ قال « هذا من قوم يتأهلون فابعثوا الهدى » فلما رأى الهدى في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إعظماً لما رأى فقال يا معشر قريش لقد رأيت ما لا يحل صد الهدى في قلائده قالوا : إجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك . فبعثوا عروة بن مسعود الثقفي فقال : يا محمد جمعت أوباش الناس ثم جئت بهم لبيضتك لتقضها ، إنها قريش قد خرجت بالعوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله تعالى أن لا تدخلها عليهم عنوةً أبداً ، وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً ، قال : وأبو بكر رضي الله عنه قاعد خلف رسول الله ﷺ فقال : أمصص بظر اللات أنحن نكشف عنه ؟ قال من هذا يا محمد ؟ قال ﷺ « هذا ابن أبي قحافة » قال : أما والله لولا يد كانت لك عندي لكأفأنتك بها ، ولكن هذه بها . ثم تناول لحية رسول الله ﷺ والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه واقف على رأس رسول الله ﷺ بالحديد ، قال : فقرع يده ثم قال أمسك يدك عن حية رسول الله ﷺ قبل والله أن لا تصل إليك قال : ويحك ما أفظك وأغلظك ! فتبسم رسول الله ﷺ قال : من هذا يا محمد ؟ قال ﷺ « هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة » قال : أغدر ، وهل غسلت سواتك إلا بالأمس ؟ قال فكلمه رسول الله ﷺ بمثل ما كلم به من جاء قبله فقام من عند رسول الله ﷺ ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ وضوءاً إلا ابتدروه ، ولا يبصق

(١) أي وردوا الماء ورووا منه ثم أقاموا عليه . (٢) أي موضع سره صلى الله عليه وسلم .

بصافاً إلاّ ابتدروه . ولا يسقط من شعره شيء إلاّ أخذوه ، فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش : إني جئت كسرى في ملكه ، وجئت قيصر والنجاشي في ملكهما ، والله ما رأيت ملكاً قط مثل محمد ﷺ في أصحابه ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فرؤوا رأيكم . وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها . ثم إن قريشاً بعثوا سهيل بن عمرو وقالوا : إئت محمداً فصالحه ولا تلن في صلحه إلا ان يرجع عنا عامه هذا . فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل » فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلم رسول الله ﷺ في الصلح وأطلا الكلام وتراجعا حتى جرى الصلح بينهما فلما لم يبق إلاّ الكتاب وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال : يا أبا بكر أوليس برسول الله ؟ أو لسنا بالمسلمين ؟ أو ليسوا بالمشركين ؟ قال بلى فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال ابو بكر : إلزم غرزه حيث كان فإني أشهد أنه رسول الله فقال عمر رضي الله عنه : وأنا أشهد ، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أولسنا بالمسلمين ؟ أو ليسوا بالمشركين ؟ قال ﷺ : بلى... قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال ﷺ : « أنا عبدالله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيّعني » ثم قال عمر رضي الله عنه : ما زلت أصوم وأصلي وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذٍ ، حتى رجوت ان يكون خيراً .

* * *

ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال : « اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهم . فقال رسول الله ﷺ « اكتب باسمك اللهم . » هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » فقال سهيل بن عمرو : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله وسهيل ابن عمرو على وضع الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى رسول الله ﷺ من أصحابه بغير إذن وليه رده عليه . ومن أتى قريشاً من مع رسول الله ﷺ لم يردوه عليه . وأن بيننا عيبة مكفوفة وإنه لا أسلار ولا أغلال . وكان في شرطهم حين كتبوا الكتاب أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فدخلت خزاعة في حلف رسول الله ﷺ ، وبنو بكر في حلف قريش . وانك ترجع عنا عامنا هذا فلا تدخل علينا

مكة وإذا كان عام قابل ، خرجنا عنك فتدخلها بأصحابك وأقمت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف في القرب .

فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب إذ جاءه أبو جندل بن سهيل بن عمرو في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ . وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمّل رسول الله ﷺ على نفسه ، دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا . فلما رأى سهيلُ أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وقال : يا محمد قد تمت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : « صدقت » فقام إليه فأخذه بتلابيه وصرخ أبو جندل بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنونني عن ديني ؟ ! فزاد الناس شراً إلى ما بهم ، فقال رسول الله ﷺ « يا أبا جندل إصبر واحتسب فإن الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، فأعطيناهم على ذلك وأعطينا عليه عهداً وإنّا لن نغدر بهم » فوثب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فجعل يمشي مع أبي جندل إلى جنبه ويقول إصبر أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنّما دم أحدهم دم كلب ، قال ويذني قائم السيف منه يقول : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه . قال فضنّ الرجل بأبيه ، قال ونفذت القضية .

* * *

فلما فرغاً من الكتاب ، وكان رسول الله ﷺ يصلي في الحرم وهو مضطرب في الحل قال فقام رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس انحروا واحلقوا فما قام أحد ثم عاد ﷺ بمثلها فما قام رجل ثم عاد ﷺ بمثلها فما قام رجل . فرجع رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة رضي الله عنها فقال يا أم سلمة ما شأن الناس ؟ قالت : يا رسول الله قد دخلهم ما رأيت ، فلا تكلمن منهم إنساناً واعمد إلى هديك حيث كان فانحروه واحلق فلو قد فعلت ذلك ، فعل الناس ذلك . فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحداً حتى إذا أتى هديه فانحروه ثم فجلس فحلق ، فقام الناس ينحرون ويحلقون ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق نزلت سورة الفتح [رواه أحمد عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم هكذا ساقه أحمد من هذه الوجه . وهكذا رواه يونس بن بكير وزياد البكائي عن أبي إسحاق بنحوه . ورواه البخاري عنهما أي عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، يصدّق كل واحد منهما صاحبه قالا ... ثم ذكر نحوه ...

وفي رواية البخاري [١٨٣] ... ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من

قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهد الذي جعلت لنا ، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة فترلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً ، فاستلّه الآخر فقال : أجل والله إنّه لجيد لقد جربت منه ثم جربت . فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه ، فأمكنه منه ، فضربه حتى برد ، وفرّ الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ حين رآه « لقد رأى هذا ذعراً » فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال : قتل والله صاحبي وإني لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يا رسول الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم نجاني الله تعالى منهم . فقال النبي ﷺ « ويل أمّه مسعر حرب لو كان معه أحد »

فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر ، قال وتفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه منهم فهو آمن فأرسل النبي ﷺ إليهم وانزل الله عز وجل : ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة - حتى بلغ - حمية الجاهلية ﴾ ... [هكذا ساقه البخاري من بعض حديثه .

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت ، فأخبر أصحابه بذلك وهو في المدينة ، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام ، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عنهم ذلك على أن يعودوا من قابل ، وقع في نفس بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك شيء حتى سأل عمر بن

الخطاب رضي الله عنه في ذلك فقال له فيما قال ١٨٤] أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال « بلى أفأخبرتلك أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال : لا . قال النبي ﷺ : « فإنك آتية ومطوف به » [ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ﴾ هذا لتحقيق الخبر وتوكيده وليس من الاستثناء في شيء وقوله عز وجل : ﴿ آمنين ﴾ في حال دخولكم . وقوله تعالى : ﴿ محلّقين رؤوسكم ومقصرين ﴾ فكان منهم من حلق رأسه ومنهم من قصره . وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال ١٨٥] رحم الله « المحلقين » قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال ﷺ : « رحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين يا رسول الله قال ﷺ : « والمقصرين » في الثالثة أو الرابعة [وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ لا تخافون ﴾ فأثبت لهم الأمن حال الدخول ، ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد لا يخافون من أحد . وهذا كان في عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع فإن النبي ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي القعدة سنة ست إلى المدينة فأقام بها ذا الحجة والمحرم وخرج في صفر إلى خير ففتحها الله عليه ، بعضها عنوة وبعضها صلحاً وهي إقليم عظيم كثير النخل والزروع ، فاستخدم من فيها من اليهود عليها على الشطر وقسمها بين أهل الحديبية وحدّهم ، ولم يشهدا أحد غيرهم ، إلا الذين قدموا من الحبشة جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، وأبو موسى الأشعري وأصحابه رضي الله عنهم .

فلما كان في ذي القعدة من سنة سبع خرج ﷺ إلى مكة معتمراً هو وأهل الحديبية ، فأحرم من ذي الحليفة وساق معه الهدى ، قيل كان ستين بدنة فلبى وسار أصحابه يلبون فلما كان ﷺ قريباً من مرّ الظهران بعث محمد بن سلمة بالخيول والسلاح أمامه فلما رآه المشركون رعبوا رعباً شديداً... ! وظنوا أن رسول الله ﷺ يغزوهم ، وأنه قد نكث العهد ، فأخبروا أهل مكة فأرسلوا مكرز بن حفص فقال : يا محمد ما عرفناك تنقض العهد ! فقال ﷺ « وما ذاك ؟ » قال دخلت علينا بالسلاح والقيسي والرماح ؟ !!! فقال ﷺ « لم يكن ذلك وقد بعثنا به إلى يأجج » . فقال : بهذا عرفناك بالبر والوفاء . وخرجت رؤوس الكفار من مكة ، ثلاثاً ينظرون إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه رضي الله عنهم غيظاً وحنقاً . وأما بقية أهل مكة من الرجال والنساء والولدان فجلسوا في الطريق وعلى البيت ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فدخلها عليه الصلاة والسلام وبين يديه أصحابه يلبون ، والهدى قد بعثه إلى ذي طوى وهو راكب ناقته القصواء التي كان راكبها يوم الحديبية ، وعبد الله بن رواحة الأنصاري أخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ يقودها وهو يقول :

باسم الذي لا دين إلا دينه باسم الذي محمد رسوله
خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله ضرباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله قد أنزل الرحمن في تنزيله
في صحف تتلى على رسوله بأن خير القتل في سبيله
يا رب إني مؤمن بقبيله

روى أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ١٨٦ [قدم رسول الله ﷺ وأصحابه مكة وقد هنتهم حمى يثرب ولقوا منها سوءاً فقال المشركون : انه يقدم عليكم قوم قد هنتهم حمى يثرب ولقوا منها شراً. وجلس المشركون من الناحية التي تلي الحجر، فأطلع الله تعالى نبيه ﷺ على ما قالوا، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة، ليرى المشركون جلدهم . قال : فرملوا ثلاثة أشواط ، وأمرهم ان يمشوا بين الركنتين حيث لا يراهم المشركون ، ولم يمنع النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط كلها إلا إبقاءً عليهم ، فقال المشركون : أهؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد هنتهم؟ هؤلاء أجلد من كذا وكذا] أخرجاه في الصحيحين وروى أحمد عن ابن عباس رضي الله عنه قال ١٨٧ [إنما سعى النبي ﷺ بالبيت وبالوصفا والمروة ليرى المشركون قوته] ورواه مسلم والنسائي .

وقوله تعالى : ﴿ فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ﴾ أي فعلم الله عز وجل من المصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم إليها عامكم ذلك، ما لم تعلموا أنتم. ﴿ فجعل من دون ذلك ﴾ أي قبل دخولكم الذي وعِدتم به في رؤيا النبي ﷺ ﴿ فتحاً قريباً ﴾ وهو الصلح الذي كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين . ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ﴾ أي بالعلم النافع والعمل الصالح ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ أي على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض من عرب وعجم ﴿ وكفى بالله شهيداً ﴾ أي أنه رسوله وهو ناصره والله أعلم .

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

وَرَضُوا أَنَا سَيِّئُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَنُهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى
عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

يخبر تعالى عن محمد ﷺ أنه رسول الله حقاً بلا شك ولا ريب فقال سبحانه ﴿محمد رسول الله﴾ وهذا مشتمل على كل وصف كريم جميل ، ثم نثني بالثناء على أصحابه رضي الله عنهم فقال عز من قائل ﴿والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم﴾ كقوله تعالى : ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ وهذه صفة عامة يدخل فيها كل مؤمن ورسول الله محمد والأنبياء جميعاً من باب أولى هم أشدّاء على الكفار رحماء بآرؤن بالأخيار ، غاضبون في وجوه الكفار باشتون في وجوه المؤمنين كما قال جل وعلا ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة﴾ وقال النبي ﷺ : ١٨٨ [مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالحمتى والسهر.] وقال عليه الصلاة والسلام ١٨٩ [«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك ﷺ بين أصابعه] كلا الحديثين في الصحيح. وقوله سبحانه وتعالى : ﴿تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾ وصفهم بكثرة العمل ، وإن الصلاة خير الأعمال ، وبالإخلاص له تعالى واحتساب الأجر عنده، وهو الجنة المشتملة على الفضل وسعة الرزق، ورضاه تعالى وهذا هو الأكبر. كقوله تعالى ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ وقوله جل جلاله : ﴿سيما هم في وجوههم من أثر السجود﴾ والسيما هو السميت الحسن وأثر الخشوع لله تعالى . قال بعض السلف : من كثرت صلّاته بالليل حسن وجهه بالنهار ، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى أصلح الله عز وجل ظاهره للناس. كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته .

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : ١٩٠ [إن الهدى الصالح والسميت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة] قال الصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم - وأضاءت وجوههم - فكل من نظر إليهم أعجبه في سمتهم وهديبهم . وقال مالك رضي الله عنه : بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون : والله لهؤلاء خير ممن

الحواريين فيما بلغنا . وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد نوه الله تعالى بذكرهم في الكتب المتزلة . ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا : ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ﴾ ثم قال عز من قائل : ﴿ ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه ﴾ أي فراخه ﴿ فأزره ﴾ أي شدّه ﴿ فاستغلف ﴾ أي شب و طال ﴿ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ﴾ أي فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزره وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء : مع الزرع ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾ . ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمته الله عليه في رواية عنه بتكفير كل من يبغض الصحابة رضي الله عنهم . والأحاديث في فضل الصحابة رضي الله عنهم والنهي عن التعرض لهم كثيرة ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم . ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم ﴾ من هذه لبيان الجنس ﴿ مغفرة ﴾ أي لذنوبهم ﴿ وأجرأ عظيماً ﴾ أي ثواباً جزيلاً ورزقاً كريماً . ووعدته تعالى حق وصدق لا يخلف ولا يبدل . وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم ، فهو في حكمهم . قال مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ١٩١ [لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه] .

* * *

آخر اختصار تفسير سورة الفتح والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

وعليه التَّكْلَان

(٤٩) سُورَةُ الْحُجُرَاتِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَمَانِي عَشْرَةٌ

نزلت بعد سورة المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ
قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾

هذه آيات أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين، فيما يعاملون به الرسول ﷺ، من التوقير والاحترام، والتبجيل والإعظام . فقال تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي لا تسرعوا في الأشياء بين يديه أي قبله، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي، حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن ١٩٢] « بم تحمك ؟ » قال : بكتاب الله تعالى، قال ﷺ : « فإن لم تجد » ؟ قال : بسنة رسول الله ﷺ ، قال ﷺ : « فإن لم تجد » قال رضي الله عنه أجتهد رأيي، فضرب في صدره وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ إلى ما يرضي رسول الله ﷺ » [وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه فالغرض

منه، أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة، ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله ﷺ .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ أي لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة ، ﴿ واتقوا الله ﴾ فيما أمركم به ﴿ وإن الله سميع ﴾ لأقوالكم ، ﴿ عليم ﴾ بنياتكم . وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته .

روى البخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما : ١٩٣] أنه قدم ركب بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه : أمر القعقاع بن معبد . وقال عمر رضي الله عنه بل أمر الأقرع بن حابس ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما أردت إلا خلافي ، فقال عمر رضي الله عنه : ما أردت خلافاً ، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فزلت في ذلك : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ حتى انقضت الآية : ﴿ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم ﴾ الآية... وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه ١٩٤ [أن النبي ﷺ أفتقد ثابت بن قيس رضي الله عنه فقال رجل : يا رسول الله أنا أعلم لك علمه . فأتاه فوجده في بيته منكساً رأسه . فقال له : ما شأنك ؟ فقال : شر . كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله فهو من أهل النار ، فأثنى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا ، قال موسى - يعني ابن أنس بن مالك - فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال « اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة » [تفرد به البخاري من هذا الوجه . ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه ، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم . ولهذا تبارك وتعالى قال : ﴿ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ﴾ كما قال تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ وقال العلماء : يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لأنه محترم حياً وميتاً . وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي ﷺ . قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال : أتدريان أين أنتما ؟ ثم قال : من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، فقال : لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً . وقوله عز وجل : ﴿ أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده ، خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه ﷺ ، فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الصحيح ١٩٥] إن

الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، لا يلقي لها بالاً يكتب له بها الجنة. وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض. [ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك، وأرشد إليه، ورغب فيه. فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ أي أخلصها لها وجعلها أهلاً ومجلاً ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وقد قال الإمام أحمد عن مجاهد قال: كتب إلى عمر: يا أمير المؤمنين، رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل، أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها؟ فكتب عمر رضي الله عنه: إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

ثم إنه تبارك وتعالى: ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات، وهي بيوت نسائه كما يصنع أجلاف الأعراب، فقال تعالى: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ثم أرشد تعالى إلى الأدب في ذلك فقال عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ أي لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة. ثم قال جل ثناؤه داعياً لهم إلى التوبة والإنابة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وقد ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه فيما أورده غير واحد.

روى الإمام أحمد عن الأقرع بن حابس رضي الله عنه^{١٩٦} [أنه نادى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد يا محمد، وفي رواية: يا رسول الله فلم يجبه، فقال: يا رسول الله إن حمدي لزين وإن ذمي لشين، فقال: «ذاك لله عز وجل»].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦) وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ

وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلَيَّ الْإِيمَانِ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ
الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّا مِنْ
اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾

يأمر تعالى بالتبشّر في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يُحكّم بقوله ، فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً ، فيكون الحاكم بقوله قد اقتضى وراءه . وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين . ومن ها هنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال ، لاحتمال فسقه في نفس الأمر . وقبلها آخرون لأننا أمرنا بالتبشّر عند خبر الفاسق ، وهذا ليس بمحقق التمسك لأنه مجهول الحال . وقد ذكر كثير أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق ، وقد روي ذلك من طرق ، ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق ، وهو الحارث بن أبي ضرار والدجويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنهما .

روى الإمام أحمد عن دينار أنه سمع الحارث بن أبي ضرار الخزاعي رضي الله عنه يقول : ١٩٧ [قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به . ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت : يا رسول الله أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته وترسل إلى يا رسول الله رسولاً يبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له ، وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول ولم يأت به وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله ، فدعا بسادات قومه فقال لهم : إن رسول الله ﷺ كان وقتاً لي وقتاً يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة ، وليس من رسول الله ﷺ الخلف ، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة ، فانطلقوا بنا نأتي رسول الله ﷺ ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة . فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فارق أي خاف ، فرجع حتى أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي ، فغضب رسول الله ﷺ ، وبعث البعث إلى الحارث رضي الله عنه . وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا : هذا الحارث ، فلما غشيه قال لهم : إلى من بعثتم ؟ قالوا : إليك قال : ولم ؟ قالوا :

إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة ، فزعم إنك منعتك الزكاة وأردت قتله . قال رضي الله عنه لا والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما رأيته بته ولا أتاني .

فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال : منعت الزكاة وأردت قتل رسولي ؟ قال : والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني ، وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول الله ﷺ خشيت أن يكون كانت سخطه من الله تعالى ورسوله . قال فنزلت الحجرات : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق - إلى قوله - حكيم ﴾ [ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير . والطبراني وقوله تعالى : ﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله ﴾ أي أعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وتأدّبوا معه وانقادوا لأمره ، فإنه أعلم بمصالحكم ، وأشفق عليكم من أنفسكم ، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لكم ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ ثم يبين إن رأيهم سخيّف بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم . فقال تعالى : ﴿ لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ﴾ أي لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدّى ذلك إلى حرجكم . كما قال تعالى : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ... ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ﴾ أي حبه إلى نفوسكم وحسنه في قلوبكم .

روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : ١٩٨ [كان رسول الله ﷺ يقول : « الإسلام علانية والإيمان في القلب » قال ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول : « التقوى ههنا التقوى ههنا »] ﴿ وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴾ أي وبغض إليكم الكفر والفسوق وهي الذنوب الكبار والعصيان وهي جميع المعاصي ، وهذا تدريج لكمال النعمة . وقوله تعالى : ﴿ أولئك هم الراشدون ﴾ أي الذين لهم هذه الصفة قد آتاهم الله رشدهم وروى الإمام أحمد من بعض حديث له عن أبي رفاعه الزرقى عن أبيه قال من دعاء رسول الله ﷺ يوم أن انكفأ المشركون يوم أحد قال رسول الله ﷺ - من بعض ما قال - ١٩٩ [« اللهم حبّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين ... »] وفي الحديث المرفوع : ٢٠٠ [من سرته حسنة وسأته سيئة فهو مؤمن] ثم قال تعالى : ﴿ فضلاً من الله ونعمة ﴾ أي هذا العطاء منحه هو فضل منه عليكم ونعمة من لدنه ﴿ والله عليم حكيم ﴾ أي عليم بمستحق الهداية أو الغواية ، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره .

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

يأمر الله تعالى عباده بالاصلاح بين الفئتين المتقاتلتين ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ فستأهم مؤمنين مع الاقتتال . وبهذا استدلل البخاري وغيره . على أنه لا يخرج عن الإيمان بالعصية وإن عظمت . لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم . وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن عن أبي بكر رضي الله عنه قال : ٢٠١ [إن رسول الله ﷺ خطب يوماً . ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنهما فجعل ينظر إليه مرة . وإلى الناس أخرى ويقول : إن ابني هذا سيد . ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين] فكان كما قال ﷺ . أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة . والواقعات المهولة .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي حتى ترجع إلى أمره تعالى ورسوله ﷺ . وتسمع للحق وتطيعه . كما ثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ٢٠٢ [انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قلت : يا رسول هذا نصرته مظلوماً . فكيف انصره ظالماً قال ﷺ : « تمنعه من الظلم فذاك نصرتك إياه »] .

وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : ٢٠٣ [قيل للنبي ﷺ ، لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق اليه النبي ﷺ . وركب حماراً وانطلق المسلمون يمشون ، وهي أرض سبخة . فلما انطلق النبي ﷺ إليه قال : إليك عني فوالله لقد آذاني ريح حمارك . فقال رجل من الأنصار والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك . قال فغضب لعبد الله رجال من قومه . فغضب لكل واحد منهما أصحابه قال فكان بينهما ضرب بالحريرد والأيدي والنعال، فبلغنا أنه أنزلت فيهم : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [ورواه البخاري ومسلم . وقوله عر وجل : ﴿وَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا

٢٢٠ (٤٩-الحجرات-ج٢٦) : لا تحاقروا... فلعل المحتقر عند الله أرفع منزلة من المحتقر

ان الله يحب المقسطين ﴿ أي اعدلوا بينهما فيما كان أصاب بعضهم لبعض بالعدل ﴾ إن الله يحب المقسطين .

روى ابن أبي حاتم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : ٢٠٤ [ان رسول الله ﷺ قال : « ان المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن عز وجل بما أقسطوا في الدنيا »] ورواه النسائي وهذا إسناد جيد قوي رجاله على شرط الصحيح . وحدثنا عبدالله بن يزيد بسنده عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : ٢٠٥ [المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش ، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولّوا] ورواه مسلم والنسائي . وقوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾ أي الجميع أخوة في الدين كما قال رسول الله ﷺ ٢٠٦ [المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه] وفي الصحيح : ٢٠٧ [والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه] وفي الصحيح : ٢٠٨ [مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر] . وقوله تعالى : ﴿ فأصلحوا بين أخويكم ﴾ يعني الفئتين المقتلتين ﴿ واتقوا الله ﴾ أي في جميع أموركم ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ وهذا تحقيق منه تعالى للرحمة لمن اتقاه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١١)

ينهى تعالى عن السخرية بالناس واختقارهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : ٢٠٩ [الكبر بطر الحق وغمص الناس - ويروى - وغط الناس] أي استصغارهم وهذا حرام ، فقد يكون المحتقر أرفع قدراً عند الله تعالى . ولهذا قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴾ فنهى الرجال والنساء . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ كقوله تعالى ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ أي لا يقتل بعضكم بعضاً وهذه معناها لا تلمزوا بعضكم بعضاً والهمز بالفعل واللمز بالقول ، وذلك احتقار الناس طغياناً عليهم

(٤٩-الحجرات-ج٢٦): الظن أكذب الحديث ، وهو التهمة والتخون ، لا تجسسوا ٢٢١

والمشي بالنميمة من اللز بال مقال كما قال ؛ تعالى : ﴿ وبل لكل همزة لمزة ﴾ أي قولاً وفعلاً . وقوله تعالى : ﴿ ولا تنازروا بالألقاب ﴾ أي لا تدعوا بعضكم بالألقاب وهي التي يسوء الشخص سماعها . روى الإمام أحمد عن أبي جيرة بن الضحاك قال ٢٢١ [فينا نزلت في بني سلمة ﴿ ولا تنازروا بالألقاب ﴾ قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فكان اذا دعى أحداً منهم باسم من تلك الأسماء قالوا يا رسول الله إنه يغضب من هذا ، فترلت : ﴿ ولا تنازروا بالألقاب ﴾] ورواه ابو داود . وقوله جل وعلا : ﴿ بشئ الأسم الفسوق بعد الإيمان ﴾ أي بشئ الصفة والاسم الفسوق ، وهو التنازير بالألقاب ، كما كان أهل الجاهلية يتناعتون بعدما دخلتم في الإسلام وعقلتموه ﴿ ومن لم يتب ﴾ من هذا ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ
الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ
أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
رَّحِيمٌ ﴾ (١٢)

ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن كثير من الظن ، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله ، لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضاً ، فليستجنب كثير منه احتياطاً . وروينا عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال : ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً ، وانت تجد لها في الخير محملاً .

وروى مالك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٢١١ [إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله أخواناً] رواه البخاري ومسلم وابو داود عن العتيبي عن مالك به ومن حديث عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ : ٢١٢ [... ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام] رواه مسلم والترمذي وصححه ، عن حديث سفیان بن عینیة .

﴿ ولا تجسسوا ﴾ أي على بعضكم بعضاً ، والتجسس غالباً يطلق في الشر ومنه الجاسوس ويطلق التحسس غالباً في الخير . كقوله تعالى إخباراً عن يعقوب عليه السلام أنه

قال : ﴿ يَا بَنِيَّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ... ﴾ وقد يستعمل كل منهما في الشر كما ثبت في الصحيح : لا تجسسوا ... كما تقدم آنفاً . وقوله تعالى : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ فيه نهي عن الغيبة وقد فسرها الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود عن أبي هريرة قال ٢١٣ [قيل يا رسول الله : ما الغيبة ؟ قال ﷺ : « ذكرك أخاك بما يكره . » قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال ﷺ : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته »] ورواه الترمذي وقال : حسن صحيح ورواه ابن جرير .

والغيبة محرمة بالإجماع . ولا يستثنى من ذلك إلا من رجحت مصلحته ، كما في الجرح والتعديل والنصيحة ، وكذا ما جرى مجرى ذلك ثم بقيتُها على التحريم الشديد ، والزجر الأكيد . ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت . كما قال عز وجل : ﴿ أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ﴾ أي كما تكرهون هذا طبعاً فاكروهوا ذاك شرعاً فإن عقوبته أشد من هذا . وهذا من التنفير عنها والتحذير منها كما قال ﷺ في العائد في هبته : (« كالكلب يقيء ، ثم يرجع في قيئه ») .

روى أبو داود عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ٢١٤ [كلُّ المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه ، حسب امرءٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم] ورواه الترمذي .

روى أبو داود عن أبي بردة البلوي قال : قال رسول الله ﷺ : ٢١٥ [يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته]

وروى أبو داود عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ٢١٦ [لما عرج بي مرت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم] ورواه أحمد .

وروى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري قال : ٢١٧ [قلنا يا رسول الله حدثنا ما رأيت ليلة أسرى بك قال « ... ثم انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير ، رجال ونساء موكل بهم رجال يعمدون إلى عرض جنب أحدهم فيجذون منه الجذة مثل النعل ثم يضعونها في في أحدهم ، فيقال له بكل كما أكلت وهو يجد من أكله الموت يا محمد لو يجد الموت وهو يكره عليه فقلت : يا جبرائيل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الهمازون اللمازون أصحاب النيمة فيقال : أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه وهو يكره على أكل

لحمه » [هكذا أورد هذا الحديث ، وقد أوردناه / بل / سقناه بطوله في أول تفسير سورة سبحان والله الحمد والمنة .

وروى الحافظ أبو يعلى في روايته لقصته رجم ماعز رضي الله عنه إلى أن قال ٢١٨ [... سمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما لصاحبه : ألم تر أن هذا الذي ستر الله عليه ، فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب ؟ ثم سار النبي ﷺ حتى مر بجيفة حمار فقال : « أين فلان وفلان إنزلا فكللا من جيفة هذا الحمار . قالوا : غفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل هذا ؟ قال ﷺ : « فما نلتما من أخيكما آنفاً أشد أكلاً منه ، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها » .] إسناده صحيح .

وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : ٢١٩ [كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح جيفة متنتة . فقال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما هذه الريح ؟ هذه ريح الذين يغتابون الناس »] .

وقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله ﴾ أي فيما أمركم به ونهاكم عنه فراقبوه في ذلك واحشوا منه ﴿ إن الله تواب رحيم ﴾ أي تواب على من تاب إليه ، رحيم لمن رجع إليه واعتمد عليه . قال الجمهور من العلماء : طريق المغتاب للناس في توبته أن يقلع عن ذلك ويعزم على أن لا يعود ، وهل يشترط الندم على ما فات ، وأن يتحلل من الذي اغتابه ، فقال جماعة منهم بذلك ، وقال آخرون : لا يشترط أن يتحلل فإنه إذا أعلمه بذلك ربما تأذى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه ، فطريقه إذاً ، أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها ، وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته ، تكون تلك بتلك . كما روى الإمام أحمد عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ٢٢٠ [من حمى مؤمناً من منافق يغتابه ، بعث الله تعالى إليه ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مؤمناً بشيء يريد سبه حبسه الله تعالى على جسر جهنم حتى يخرج مما قال] وكذا رواه أبو داود .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١٣)

يخبر الله تعالى الناس انه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ، وهما آدم وحواء وجعلهم شعوباً وقبائل ، فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء ؛ وانما يتفاضلون بالأمر الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ . ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضاً ، منيهاً على تساويهم في البشرية : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ أي ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته وروى ابو عيسى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ٢٢١ [تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثرة في المال منسأة في الأثر] ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقوله تعالى : ﴿ إن إكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ أي إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالأحساب وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ : ٢٢٢ ... فخيركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا [رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه . وروى مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٢٢٣ [إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم] ورواه ابن ماجه .

روى ابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ٢٢٤ [طاف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته القصواء يستلم الأركان بمحجن في يده ، فما وجد لها مناخاً في المسجد حتى نزل ﷺ على أيدي الرجال ، فخرج بها إلى بطن المسيل فأنبخت ثم إن رسول الله ﷺ خطبهم على راحلته فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال : « يا أيها الناس إن الله تعالى قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعظمها بآبائها ، فالناس رجلان : رجل برّ تقى كريم على الله تعالى ، ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى إن الله عز وجل يقول : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن إكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ ثم قال ﷺ أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم »] هكذا رواه ابن حميد . وروى الإمام أحمد عن ذرة بنت أبي لهب رضي الله عنها قالت ٢٢٥ [قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال : يا رسول الله : أي الناس خير؟ قال ﷺ : « خير الناس أقرأهم وأتقاهم لله عز وجل ، وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم »] وقوله تعالى : ﴿ إن الله عليم خبير ﴾ أي عليم بكم ، خبير بأموركم وله المشيئة بكم ، في الهداية والضلالة ، والرحمة والعذاب ، والتفضيل وهو

الحكيم العليم الخبير في ذلك كله. وقد ذهب بعض العلماء بدلالة ما تقدم من الآية الكريمة والأحاديث إلى أن الكفاءة في النكاح لا تشترط سوى الدين لقوله تعالى ﴿ إِن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وذهب آخرون إلى أدلة أخرى موجودة في كتب الفقه ، وفي كتابنا كتاب الأحكام طرفاً من ذلك .

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (١٥) قُلْ أَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٨)

ينكر الله تعالى على الأعراب الذين ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان أول ما دخلوا في الإسلام في الوقت الذي لم يتمكن فيهم بل في قلوبهم الإيمان بعد. ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام، حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه . فلما ادعى الأعراب لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه، فأدّبوا في ذلك . وهؤلاء ليسوا من المنافقين خلافاً لمن يقول أنهم منهم ، فلو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا كما ذكر المنافقون في سورة براءة ^(١) وإنما قيل لهؤلاء

تأديباً ﴿ قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ أي لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد. ثم قال تعالى : ﴿ وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً ﴾ أي لا يُنقصكم من أجوركم شيئاً. كقوله عز وجل : ﴿ وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ أي لمن تاب إليه وأتاب. وقوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون ﴾ أي الكاملون في إيمانهم هم : ﴿ الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ أي لم يشكّوا وبتزلزلوا، بل ثبتوا على حال واحدة وهي التصديق المحض. ﴿ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾ أي وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم، في طاعة الله ورضوانه. ﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ إذا قالوا لأنهم مؤمنون ، لا كبعض الأعراب الذين ليس لهم من الإيمان إلا للكلمة الظاهرة .

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد - الخدري - رضي الله عنه قال : إن النبي ﷺ قال : ٢٢٦ [« المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء : الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والذي إذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل . »] وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ قل أتعلمون الله بدينكم ﴾ أي أتخبرونه بما في ضمائركم ﴾ والله يعلم ما في السموات وما في الأرض ﴾ أي لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ﴾ والله بكل شيء عليم ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ يمتنون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم ﴾ يعني الأعراب الذين يمتنون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول ﷺ يقول الله تعالى رداً عليهم : ﴿ قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم ﴾ فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم ، والله المنة عليكم فيه. ﴿ بل الله يمتن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ أي في دعواكم ذلك كما قال النبي ﷺ للأَنْصار يوم حنين : ٢٢٧ [يا معشر الأنصار ألم أجذّبكم ضلّالاً فهذاكم الله بي ؟ وكنتم متفرّقين فألفكم الله بي ؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمن .]

وروى الحافظ أبو بكر البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ٢٢٨ [جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله أسلمنا وقاتلتك العرب ولم تقاتلك . فقال رسول الله ﷺ : إن فقههم قليل ، وإن الشيطان ينطلق على ألسنتهم . ونزلت هذه الآية ﴿ يمتنون عليك أن أسلموا ... ﴾] ثم قال : لا نعلمه يروي إلا من هذه الوجه . ثم كرر تعالى الأخبار بعلمه بجميع الكائنات وبصره بأعمال المخلوقات. فقال : ﴿ إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون ﴾ آخر تفسير سورة الحجرات والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة . واسأله تعالى أن يسد الخطى ويهدي إلى الصواب ويوفّق مسعانا لانتهاء هذا المختصر على خير ما يحب الله ويرضى .

(٥٠) سُورَةُ قَ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ

إلا الآية ٣٨ فمدنية نزلت بعد سورة المرسلات

هذه السورة هي أول الحزب المفصل على الصحيح ، والدليل ما رواه أبو داود عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن جده ، وقال عبد الله بن سعيد : حدثني أوس بن حذيفة ثم اتفقا قال : ٢٢٩ [قدما على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف ، قال فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبه رضي الله عنه ، وانزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبة له ، قال مسدد : وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف قال كان رسول الله ﷺ كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا قال أبو سعيد قائماً على رجله حتى يراوح بين رجله من طول القيام ، فأكثر ما يحدثنا ﷺ ما لقي من قومه قريش ثم يقول ﷺ « لا أساء وكنا مستضعفين مستذلين - قال مسدد بمكة - فلما خرجنا إلى المدينة كانت الحرب سجالات بيننا وبينهم ندال عليهم ، ويدالون علينا » فلما كانت ليلة أبطأ عنا ﷺ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه ، فقلنا : لقد أبطأت علينا الليلة ، قال ﷺ « إنه طرأ علي حزبي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أتمه » [قال أوس : سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن ؟ فقالوا : (ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة . وحزب المفصل وحده) ورواه ابن ماجه ، والإمام أحمد ، إذا علم هذا فإذا عدت ثمانياً وأربعين سورة فالتي بعدهن « ق » .

بيانه : ثلاث : البقرة ، وآل عمران والنساء . وخمس : المائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة . وسبع : يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل . وتسع : سبحان والكهف ومريم وآطه والأنبياء ، والحج ، والمؤمنون والنور والفرقان . وإحدى عشرة : الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان وآلم السجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويّس . وثلاث عشرة : الصافات ، وصّ والزمر وغافر وحم السجدة وحم عسق والزخرف والدخان والحيثية ، والأحقاف ، والقتال والفتح والحجرات .

ثم بعد ذلك الحزب المفصل. كما قاله الصحابة رضي الله عنهم . فتعين أن أوله سورة ﴿ ق ﴾ وهو الذي قلناه والله الحمد والمنة .

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عبد الله ان عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي : ٢٣٠ [ما كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد ؟ قال : ﴿ ق ﴾ و ﴿ اقتربت ﴾] ورواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث مالك به .

وروى الإمام أحمد عن أم هشام بنت حارثة قالت : ١٣١ « [لقد كان تنورنا وتنور النبي ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿ ق ﴾ . والقرآن المجيد ﴿ إلا على لسان رسول الله ﷺ . كان يقرأها كل يوم جمعة، على المنبر إذا خطب الناس] رواه مسلم وأبو داود .

والقصد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهذه السورة في المجمع الكبار كالعيد والجمع ، لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيامة والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ق ﴾ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ • (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ • (٢) إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ • (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ • (٤) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ • (٥)

﴿ ق ﴾ حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل بعض السور كقوله تعالى : ﴿ ص - ن - و - الم - و - حم - و - طس - ﴾ ونحو ذلك ؛ قاله مجاهد وغيره وقد أسلفنا الكلام عليها في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته، وقد روي أن ق جبل - محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف، وكان هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل وعندي أن هذا

وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم ، يلبسون به على الناس أمر دينهم . وقوله تعالى : ﴿ والقرآن المجيد ﴾ أي الكريم العظيم الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ وجواب القسم هو مضمون الكلام بعد القسم ، وهو إثبات النبوة وإثبات المعاد وتقريره وتحقيقه ، وإن لم يكن القسم يتلقى لفظاً وهذا كثير في أقسام القرآن كما تقدّم في قوله تعالى : ﴿ صَ وَالْقُرْآنَ الَّذِي الذِّكْرُ بَلِّ الذِّينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ وهكذا قال ها هنا : ﴿ ق. وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ بَلِّ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ أي تعجبوا من إرسال رسول إليهم من البشر . كقوله جلّ وعلا : ﴿ أَكُنَّا لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ أي وليس هذا بعجيب فإن الله يصطفي من الملائكة رسلاً ، ومن الناس ثم قال عز وجل مخبراً عنهم في تعجبهم أيضاً من المعاد واستبعادهم لوقوعه : ﴿ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ أي إذا متنا وصرنا تراباً كيف يمكن رجوعنا هذا بعيد أي هذا مستحيل فردّ تعالى عليهم : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾ أي لا يخفى علينا تفتت أجسادهم ولا أين تفرقت ، وإلى أين صارت ﴿ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ ﴾ أي حافظ ضابط لكل الأشياء ، ثم بين تعالى سبب كفرهم واستبعادهم البعث فقال جلّ وعلا : ﴿ بَلِّ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾ أي مختلف مضطرب ملتبس وهذا حال كل من خرج عن الحق مهما قال بعد ذلك فهو باطل .

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (٦) ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (٧) ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ (٨) ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ (٩) ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾ (١٠) ﴿ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (١١)

نَبَّهَ تعالى عباده على قدرته العظيمة على ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا ﴾ أي بالمصاييح ﴿ وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾

فروج ﴿ أي من شقوق كقوله تعالى ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾ وقوله تعالى : ﴿ والأرض مددناها ﴾ أي وسعناها ﴿ وألقينا فيها رواسي ﴾ وهي الجبال لئلاً تميد بأهلها وتضطرب ﴿ وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴾ أي من جميع الزروع والثمار والنبات من حسن المنظر والصنع ﴿ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴾ أي ومشاهدة السموات والأرض وما جعل فيهما من الآيات العظيمة تبصرةً ودلالةً وذكرى لكل عبد منيب أي رجاء إلى الله عز وجل . وقوله تعالى : ﴿ ونزلنا من السماء ماءً مباركاً ﴾ أي نافعاً ﴿ فأنبثنا به جنات ﴾ أي حدائق من بساتين ونحوها ﴿ وحب الحصيد ﴾ وهو الزرع الذي يراد به لحبه وإدخاره ﴿ والنخل باسقات ﴾ أي شاهقات ﴿ لها طلع نضيد ﴾ أي منضود بعضه فوق بعض ﴿ رزقاً للعباد ﴾ أي للخلق ﴿ وأحيينا به بلدة ميتاً ﴾ وهي الأرض التي كانت هامدة ، فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج فبعد ما كانت لا نبات فيها فأصبحت تهتز خضراء . فهذا مثال للبعث بعد الموت الذي أنكروه واستبعدوه كذلك يحيي الله الموتى . ولهذا قال تعالى : ﴿ كذلك الخروج ﴾ أي البعث بعد الموت كقوله تعالى : ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير . ﴾

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴾ (١٢)
 وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿ (١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ
 كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ (١٤) أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ
 هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿ (١٥) ﴾

يهدد تعالى الكفار من قريش وغيرهم بما أحله بأشباهم ونظرائهم من المكذبين قبلهم ، قد تقدمت قصتهم في سورة الفرقان ﴿ وثمود . وعاد وفرعون وإخوان لوط ﴾ وهم أمته الذين بعث إليهم من أهل سدوم ، ومعاملتها من الغور ، وكيف خسف بهم الأرض وأحال أرضهم بحيرة متنة خبيثة بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق ﴿ وأصحاب الأيكة ﴾ وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام ﴿ وقوم تبع ﴾ وهو اليماني وقد ذكرنا من شأنه في سورة الدخان ما أغنى عن إعادته والله الحمد والشكر .

﴿ كلُّ كَذَبِ الرُّسُلِ ﴾ أي كلٌّ من الأمم هذه كذبوا رسالهم ، ومن كذب رسولاً فكأنما كذب جميع الرسل ﴿ فحق وعيد ﴾ أي فحق ما أوعدهم الله من النكال والعذاب جزاء تكذيبهم. وقوله تعالى : ﴿ أفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ﴾ وهل أعجزنا ابتداء الخلق حتى أنهم في شكٍّ من الإعادة ﴿ بل هم في لبسٍ من خلقٍ جديدٍ ﴾ أي أن ابتداء الخلق لم يعجزنا والإعادة أسهل منه. كما قال عز وجل : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ وقد تقدم في الصحيح : ٢٣٢ [يقول الله تعالى : يؤذيني ابن آدم يقول لن يعيدني كما بداني وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته .]

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (١٦) ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ (١٧) ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨) ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ (١٩) ﴿ وَنَفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ (٢٠) ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (٢١) ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (٢٢)

يخبر تعالى عن قدرته على الإنسان بأنه خالقه وعلمه محيط بجميع أموره ، حتى أنه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر، ومن كل شيء. وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : ٢٣٣ [إن الله تعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل] وقوله عز وجل : ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه كما قال في المحتضر ﴿ ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾ يعني ملائكته ، وكما قال تبارك وتعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فالملائكة نزلت بالذكر بإذن الله عز وجل ، وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه ، بإقدار الله جل وعلا لهم على ذلك. ولهذا قال تعالى ههنا : ﴿ اذ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ ﴾ يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان ﴿ عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴾ أي مترصد ﴿ ما يلفظ ﴾ أي ابن آدم ﴿ من قول ﴾ أي ما يتكلم بكلمة ﴿ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ إلاًها من يرقبها ويكتبها لا يترك كلمة ولا حركة ولا شيئاً

من قول أو عمل .

روى الإمام أحمد عن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٢٣٤] «ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما يظن أن تبلغ ما بلغت... يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه . وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى، ما يظن أن تبلغ ما بلغت... يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه» فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعه حديث بلال بن الحارث [ورواه الترمذي وصححه وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن في مرضه فبلغه عن طاووس أنه قال : يكتب الملك كل شيء حتى الأنين فام يئن أحمد حتى مات رحمه الله تعالى .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ ان المخاطب بذلك الإنسان من حيث هو مؤمناً كان أو كافراً. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ : ١٣٥] أنه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول : « سبحان الله إن للموت لسكرات » [وقوله تعالى : ﴿ ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ أي ان الإنسان لا يحيد له عن الموت مهما فرّ منه فإنه ملاقيه .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ﴾ أي يوم القيامة . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : ٢٣٦] كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحتى جبهته وانتظر أن يؤذن له « قالوا : يا رسول الله : كيف نقول : قال ﷺ : « قولوا؟ حسبنا الله ونعم الوكيل » فقال القوم : حسبنا الله ونعم الوكيل [﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ أي ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله هذا هو الظاهر من الآية الكريمة وهو اختيار ابن جرير . وروي عن يحيى بن رافع مولى لثقيف قال سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب فقرأ هذه الآية : ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ فقال سائق يسوقها إلى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت، وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد .

وقوله تعالى : ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ أي كنت في غفلة من يومك هذا وهو يوم القيامة ﴿ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ أي قوي لأن كل أحد يوم القيامة ، يكون مستبصراً حتى الكفار في الدنيا ، يكونون يوم القيامة على الاستقامة ، لكن لا يفهم ذلك قال الله عز وجل : ﴿ ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ﴾ .

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ (٢٣) ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ (٢٤) ﴿ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴾ (٢٥) ﴿ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾ (٢٦) ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ (٢٧) ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴾ (٢٨) ﴿ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٢٩)

قوله تعالى : ﴿ وقال قرينه هذا ما لدي عتيد ﴾ أي معتد محضر بلا زيادة ولا نقصان وهذا يعم السائق والشهيد اختاره ابن جرير وله اتجاه وقوة . فعند ذلك يحكم الله تعالى في الخليقة بالعدل ، فيقول سبحانه : ﴿ ألقيا في جهنم كل كفار عنيد ﴾ فالسائق أحضره إلى عرصة الحساب ، فلما أدّى الشهيد عليه ، أمرهما الله تعالى بإلقائهما في جهنم وبئس المصير . والكفار أي كثير الكفر والتكذيب بالحق والعنيد المعاند للحق المعارض له بالباطل ، مع علمه بذلك ﴿ مناع للخير ﴾ أي لا يؤدي ما عليه من الحقوق ، ولا يبر فيه ولا صلة ولا صدقة ﴿ معتد ﴾ أي فيما ينفقه ويصرفه يتجاوز فيه الحد . وقال قتادة : معتد في منطبقه وسيره وأمره . ﴿ مرّيب ﴾ أي شاك في أمره ، مرّيب لمن نظر اليه ﴿ الذي جعل مع الله إلهاً آخر ﴾ أي أشرك بالله تعالى فعبد معه غيره . ﴿ فألقياه في العذاب الشديد ﴾ روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : ٢٣٧ [يخرج عنق من النار يتكلم يقول : وكلت اليوم بثلاثة : بكل جبار عنيد ، ومن جعل مع الله إلهاً آخر ، ومن قتل نفساً بغير نفس ، فتنطوي عليهم فتعذبهم في غمرات جهنم] ^(١) ﴿ قال قرينه ﴾ هو الشيطان الذي وكل به - فكما أن للإنسان قريناً من الجن فكذلك له قرين من الملائكة وكلاهما قرين له الملك يأمره بالخير ، والشيطان يأمره بالشر . فقوله تعالى في أول هذه الآية الكريمة : ﴿ وقال قرينه ﴾ هذا القرين الملك . أما قوله تعالى ههنا ﴿ قال قرينه ﴾ فهو الشيطان - ﴿ ربنا ما أطغيت ﴾ أي ما أضلته ﴿ ولكن كان في ضلال بعيد ﴾ أي يل كان هو في نفسه ضالاً قابلاً للباطل معانداً للحق . ﴿ قال لا تختصموا لدي ﴾ يقول عز وجل للإنسي وقرينه من الجن ، وذلك أنها يختصمان بين يدي الحق تعالى ، فيقول الأنسي

يا رب هذا أضلّني عن الذكر بعد إذ جاءني ويقول الشيطان : ﴿ ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ﴾ أي عن منهج الحق. فيقول الرب عز وجل لهما : ﴿ لا تختصموا لديّ وقد قدمت إليكم بالوعيد ﴾ أي قد أعدت إليكم على ألسنة الرسل ، وأنزلت الكتب وقامت الحجة ﴿ ما يبذل القول لديّ ﴾ أي قد قضيت ولا يرد قضائي. ﴿ وما أنا بظلامٍ للعبيد ﴾ أي لا أعذب أحداً إلاّ بذنبه بعد قيام الحجة عليه .

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِلْجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿ (٣٥)

يخبر تعالى أنه يقول للجهنم يوم القيامة : هل امتلأت ؟ وذلك لأنه تبارك وتعالى وعدّها أن سيملاؤها من الجنة والناس أجمعين . فهو سبحانه وتعالى يأمر بمن يأمر به إليها ويلقى وهي تقول : هل من مزيد ، أي هل بقي شيء تزيدوني هذا هو الظاهر من سياق الآية وعليه تدلّ الأحاديث .

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ٢٣٨ [يلقى في النار وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع قدمه فيها فتقول قط قط] وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ١٣٩ [لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها فيتروى بعضها إلى بعض وتقول : قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر ، فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة] ثم رواه مسلم بنحوه .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : ٢٤٠ [احتجّت الجنة والنار فقالت النار : فيّ الجبارون والمتكبرون ، وقالت الجنة فيّ ضعفاء الناس ومساكينهم ، فقضى بينهما فقال للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشياء مسن عبادي ، وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي ، ولكل واحد منكما ملؤها .] وقوله تعالى : ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ﴾ أي أدنيت وقُرّبت من

المتقين ﴿ غير بعيد ﴾ وذلك يوم القيامة وليس ببعيد لأنه واقع لا محالة وكل ما هو آت قريب ﴿ هذا ما توعدون لكل أبواب ﴾ أي رجاء تائب مقلع ﴿ حفيظ ﴾ أي يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكته وقال عبيد بن عمير الأبواب الحفيظ الذي لا يجلس مجلساً فيقوم حتى يستغفر الله عز وجل ﴿ من خشي الرحمن بالغيب ﴾ أي من خاف الله في سرّه حيث لا يراه أحد إلاّ الله عز وجل كقوله ﷺ : ٢٤١ [... ورجل ذكر الله تعالى ففاضت عيناه] ﴿ وجاء بقلب منيب ﴾ رجاء إليه سليم من الشرك ﴿ أدخلوها ﴾ أي الجنة ﴿ بسلام ﴾ أي سلموا من عذاب النار وسلّم عليهم الملائكة ﴿ ذلك يوم الخلود ﴾ أي يخلدون في الجنة فلا يموتون أبداً ولا يظعنون ، ولا يبغون عنها حولاً . ﴿ لهم ما يشاءون فيها ﴾ أي مهما طلبوا وجدوا ، وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أن رسول الله ﷺ قال له ٢٤٢ [إنك لتشتهي الطير في الجنة فيخرب بين يديك مشوياً] وقوله تعالى : ﴿ ولدينا مزيد ﴾ كقوله عز وجل ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ وقد تقدم في صحيح مسلم أنها النظر إلى وجه الله الكريم .

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾ (٣٦) ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٣٧) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ (٣٨) ﴿ فَاضْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ (٣٩) ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾ (٤٠) ﴿

يقول تعالى : ﴿ وكم أهلكنا قبلهم ﴾ أي هؤلاء المكذبين ﴿ من قرن هم أشد منهم بطشاً ﴾ أي كانوا أكثر منهم وأشد قوةً وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ، ولهذا قال تعالى ها هنا : ﴿ فنقّبوا في البلاد ﴾ أي فساروا في البلاد منقبّين عن الأرزاق والمعاش والمكاسب وطافوا بها أكثر مما طفّم .

وقوله تعالى : ﴿ هل من محيص ﴾ أي هل من مفر لهم من قضاء الله وقدره ، فأنتم أيضاً لا مفر لكم ولا محيد ولا محيص وقوله عز وجل : ﴿ إن في ذلك لذكرى ﴾ أي لعبرة ﴿ لمن كان له قلب ﴾ أي لب وعقل يعي به ﴿ أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ أي استمع

الكلام فوعاه وتعقله بعقله وتفهمه بلبّه ، والعرب يقولون : ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب. وهكذا قال الضحاك والثوري . وقوله سبحانه تعالى : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ فيه تقرير للمعاد لأن من قدر على خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن ، قادر على أن يحيي الموتى بطريق الأولى والأخرى. قالت اليهود - عليهم لعائن الله المتتابعة - خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت ، وهم يسمونه يوم الراحة ، فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه ﴿ وما مسنا من لغوب ﴾ أي من إعياء ولا تعب. كما قال تعالى : ﴿ ... ولم يعي بخلقهن ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ فاصبر على ما يقولون ﴾ يعني المكذبين واهجرهم هجراً جميلاً ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ وكانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء ثنتين قبل طلوع الشمس في وقت الفجر وقبل الغروب في وقت العصر ، وقيام الليل كان واجباً على النبي ﷺ وعلى أمته حولاً ، ثم نسخ في حق الأمة وجوبه . ثم بعد ذلك نسخ الله تعالى ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات ولكن منهن صلاة الصبح والعصر فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب. وقد روى الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله رضي الله عنهما قال : ٢٤٣ [كنّا جلوساً عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : « أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون فيه ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ثم قرأ : ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾] ورواه البخاري ومسلم وبقية الجماعة من حديث إسماعيل به . وقوله تعالى : ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ أي فصلّ له. كقوله تعالى : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ وأدبار السجود ﴿ قيل انه التسبيح دبر كل صلاة والتحميد والتكبير ، وقيل الركعتان بعد المغرب وباقي الصلوات ما عدا العصر والفجر . روى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال : ٢٤٤ [كان رسول الله ﷺ يصلي إثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر] ورواه أبو داود والنسائي . ودليل التسبيح والتحميد والتكبير في الصحيحين = ومن هذا يتضح إن القولين صحيحان إنما المراد ههنا والله أعلم هي السنن التي تصلّى دبر المكتوبات ، ما عدا الفجر والعصر ، والله الموفق للصواب. (١)

﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴾ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ ﴿ (٤٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (٤٥)

يقول تعالى : ﴿ واستمع ﴾ يا محمد ﴿ يوم ينادي المنادي من مكان قريب ﴾ أي ينادي الملك اسرافيل عليه السلام بأمر الله تعالى : أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة ان الله تعالى يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء ﴿ يوم يسمعون الصيحة بالحق ﴾ يعني النفخة في الصور التي تأتي بالحق الذي كان أكثرهم فيه يمترون ﴿ ذلك يوم الخروج ﴾ أي من الأحداث ﴿ إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير ﴾ أي هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وإليه المصير أي مصير الخلائق جميعاً ، فيجازي كلّا بعمله إن خيراً فخير أو شراً فشر . وقوله تعالى : ﴿ يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ﴾ وذلك أن الله عز وجل ينزل مطراً من السماء ينبت به أجساد الخلائق في قبورها كما ينبت الحب في الثرى والماء فإذا تكاملت الأجساد أمر الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور فتخرج الأرواح منه تتوهج بين السماء والأرض ، فيقول الله عز وجل : وعزني وجلالي لترجعن كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمه . فترجع كل روح إلى جسدها ، فتدب فيه كما يدب السم في اللدغ وتشقق الأرض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب سراعاً مبادرين إلى أمر الله عز وجل ﴿ مهطعين إلى الداع ﴾ يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴿ وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ٢٤٥ [أنا أول من تنشق عنه الأرض] وقوله تعالى : ﴿ ذلك حشر علينا يسير ﴾ أي تلك إعادة سهلة علينا ، كما قال جلّ جلاله ﴿ وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح بالبصر ﴾ وقوله جلّ وعلا : ﴿ نحن أعلم بما يقولون ﴾ أي بما يقوله لك المشركون من التكذيب فلا يهولك ذلك . وقوله تعالى : ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ أي وما أنت بمجبرهم على الإيمان ، إنما أنت مبلغ . ثم قال عز وجل : ﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ أي بلغ أنت رسالة ربك ، فإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده . كقوله تعالى ، ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ وكان قتادة يقول : اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك يا بار يا رحيم .

آخر اختصار تفسير سورة ﴿ ق ﴾ والحمد لله وحده وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(٥١) سُورَةُ الذَّارِيَّاتِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا سَبْعُونَ

نزلت بعد سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

•

﴿وَالذَّارِيَّاتِ ذُرُوءًا﴾ (١) ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ (٢) ﴿فَالْجَارِيَّاتِ يُسْرًا﴾ (٣) ﴿فَالْمُقْسَّمَاتِ أَمْرًا﴾ (٤) ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ (٥) ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ (٦) ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ (٧) ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ (٨) ﴿يُوَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُنْفِكَ﴾ (٩) ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ (١٠) ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ (١١) ﴿يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ (١٢) ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ (١٣) ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (١٤)

ثبت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه صعد منبر الكوفة فقال : لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى ، ولا عن سنة رسول الله ﷺ إلا أنبأتكم بذلك فقام ابن الكواء فقال : يا أمير المؤمنين ما معنى قوله تعالى : ﴿والذاريات ذرُوءًا﴾ قال علي رضي الله عنه الريح ، قال : ﴿فالحاملات وقرأ﴾ قال رضي الله عنه : السحاب ، قال : ﴿فالجاريات يسراً﴾ قال رضي الله عنه : السفن ، قال : ﴿فالمقسمات أمراً﴾ قال : الملائكة . وهكذا فسرهما عمر بن الخطاب ، وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ، والسدي وغير واحد ، ولم يحك ابن جرير وابن أبي

حاتم غير ذلك . وهذا قَسَمٌ من الله تعالى على وقوع المعاد . ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا تَوْعِدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ أي لخبر صدق ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ ﴾ يوم الحساب ﴿ لَوَاقِعٌ ﴾ أي لكائن لا محالة . ثم قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْحَبِكَ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلَفٍ ﴾ أي إنكم أيها المشركون المكذبون للرسل ، لفي قول مختلف مضطرب لا يلتزم ولا يجتمع . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَكْفُرُ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ أي إن ذلك القول المختلف يروِّج على من هو ضال في نفسه ، لأنه قول باطل إنما ينتقاد له ضالٌّ غمَّرَ لا فهم له . كقوله تعالى ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴾ إلا من هو صالٍ الجحيم ﴿ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَتَلَ الْخُرَاصُونَ ﴾ قال قتادة : الخُرَاصُونَ أهل الغرة والظنون ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾ أي في الكفر والشك غافلون لاهون ، قاله ابن عباس وغيره ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴾ أي متى يوم الحساب إنما يقولون هذا تكذيباً وعناداً وشكاً واستبعاداً . وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ أي يحرقون ﴿ ذُوقُوا فَمِثْقَلَهُمْ ﴾ أي حريقكم ﴿ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ أي يقال لهم ذلك تقريباً وتوبيخاً وتحقيراً والله أعلم .

﴿ إِنَّا الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (١٥) اخْذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُجْسِنِينَ ﴿ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿ (١٩) وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمِمَّا تَوَعَّدُونَ ﴿ (٢٢) فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿ (٢٣)

يقول تعالى مخبراً عن المتقين لله عز وجل أنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال والحريق والأغلال . وقوله تعالى : ﴿ اخْذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ آخذين حال من قوله في جنات وعيون ، فالمتقون في حال

كونهم في الجنات والعيون آخذين ما آتاهم ربهم أي من النعيم والسرور والغبطة. وقوله عز وجل ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أو في الدار الدنيا . كقوله تعالى : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ ثم إنه تعالى بين إحسانهم في العمل ، فقال جلّ وعلا : ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ أي قل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون . قاله مجاهد وكذا قال قتادة . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئاً . وقال زيد بن أسلم : طوبى لمن رقد إذا نفس واتقى الله إذا استيقظ .

وقال عبدالله بن سلام رضي الله عنه : ٢٤٦ [لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه ، فكنت فيمن انجفل فلما رأيت وجهه ﷺ عرفت أن وجهه ليس وجه رجل كذاب ، فكان أول ما سمعته ﷺ يقول : « يا أيها الناس أطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وأقشوا السلام ، وصدّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام »] . وقوله عزّ وجل : ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ كقوله تعالى : ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ وإن كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن . وقد ثبت في الصحاح وغيرها عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ أنه قال : ٢٤٧ [إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من سائل فيعطى سؤله ؟ حتى يطلع الفجر] .

وقوله تعالى : ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ لما وصفهم الله تعالى بالصلاة ثني بوصفهم بالزكاة والبر والصلة . فقال سبحانه ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ أي جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم . أما السائل فمعروف وهو الذي يتبدى بالسؤال ، وله حق كما روى الإمام أحمد عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ٢٤٨ [للسائل حق وإن جاء على فرس] ورواه أبو داود من حديث سفيان الثوري به وأما المحروم قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره : هو المحارف الذي ليس له سهم في الإسلام . يعني لا سهم له في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت منها . وقالت أم المؤمنين : هو المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه . وقال الضحاك : هو الذي لا يكون له مال إلا ذهب .

وقوله تعالى : ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ أي فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها ، وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات ، والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار ، واختلاف ألسنه الناس وألوانهم ، وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى ، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم ، والحركات والسعادة والشقاوة وما في

تركيبهم من الحكم في وضع كل عضوٍ من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه . ولهذا قال : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ قال قتادة : من تفكّر في خلق نفسه عرف أنه إنّما خلق وليّنت مفاصله للعبادة .

ثم قال تعالى : ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ يعني المطر هو الرزق من السماء والجنة هي التي يوعدون . وقوله تعالى : ﴿ فوربّ السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة . وهو حق لا مرية فيه فلا تشكّوا فيه ، كما لا تشكون في نطقكم حين تنطقون . وكان معاذ رضي الله عنه إذا حدث بالشئ يقول لصاحبه : إن هذا الحق كما أنك مهنا .

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿ (٢٧) فَأَوْتَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿ (٣٠)

هذه القصة قد تقدمت في سورتي هود والحجر ... فقوله تعالى : ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ﴾ أي أعدّ لهم الكرامة والضيافة ﴿ قالوا سلاماً قال سلام ﴾ الرفع أقوى من النصب أي ردّ السلام بردي أفضل . كما قال تعالى : ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ﴾ فالخليل اختار الأحسن . وقوله تعالى : ﴿ قوم منكرون ﴾ أي لا يعرفهم وهم في الحقيقة الملائكة المكرمون : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم . قدموا على إبراهيم في صورة شبّان حسان عليهم مهابة عظيمة . ولهذا قال : ﴿ قوم منكرون ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ فراغ إلى أهله ﴾ أي

إنسلَّ خفيةً في سرعة. ﴿ فجاء بعجل سمين ﴾ أي من خيار ماله ، كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿ فما لبث أن جاء بعجلٍ حنيذ ﴾ أي مشوي على الرضف ، ﴿ فقرَّبَه إليهم ﴾ أي أدناه منهم. ﴿ قال ألا تأكلون ﴾ وهذا تلطف في العبارة وعرض حسن ، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة : فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة ، ولم يمتن عليهم أولاً فقال نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء ، وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل سمين مشوي ، فقرَّبه إليهم لم يضعه وقال اقربوا ، بل وضعه بين أيديهم ، ولم يأمرهم أمراً يشق عليهم بصيغة الجزم، بل قال : ﴿ ألا تأكلون ﴾ على سبيل العرض والتلطف ، كما يقول القائل اليوم : إن رأيت أن تتفضل. وقوله تعالى : ﴿ فأوجس منهم خيفةً قالوا لا تخف ﴾ أي نحن رسل ربك إلى قوم لوط ثم بشروه بإسحق . ولهذا قال تعالى : ﴿ وبشروه بغلام عليم ﴾ فالبشارة له هي لها لأن الولد منهما فكل منهما بشر به وقوله تعالى : ﴿ فأقبلت امرأته في صرة ﴾ أي في صرخة عظيمة ورنَّة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وهي قولها : ﴿ يا ويلتنا ﴾ ﴿ فصكت وجهها ﴾ تعجباً كما تتعجب النساء من الأمر الغريب ﴿ وقالت عجوز عقيم ﴾ أي كيف ألد وأنا عجوز وقد كنت في حال الصبا عقيماً لا أحبل ؟ ﴿ قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم ﴾ أي الحكيم في أقواله وأفعاله والعليم بما تستحقون من الكرامة .



﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣١) ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ (٣٢) ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴾ (٣٣) ﴿ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣٤) ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٥) ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٦) ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٣٧) ﴿

قوله تعالى : ﴿ قال فما خطبكم أيها المرسلون ﴾ أي ما شأنكم .. وفيم جئتم ؟ ﴿ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ﴾ يعنون قوم لوط ﴿ لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة ﴾ أي معلمة ﴿ عند ربك للمسرفين ﴾ أي مكتبة عنده بأسمائهم كل حجر عليه اسمٌ صاحبه فقال في سورة العنكبوت ﴿ قال إن فيها لوطاً ، قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجيته وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ﴾ وقال تعالى ههنا : ﴿ فأخرجنا من كان فيها من

المؤمنين ﴿ وهم لوط وأهل بيته إلاً أمراًته ﴾ ﴿ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ ﴿ هو بيت لوط عليه السلام فحسب. وقوله تعالى : ﴿ وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم ﴾ ﴿ أي جعلناها عبرة بما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل، وجعلنا محلثهم بحيرة متنتة خبيثة، ففي ذلك عبرة للمؤمنين . ﴾ للذين يخافون العذاب الأليم ﴾ .

﴿ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (٣٨)
﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ (٣٩) ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ (٤٠) ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ (٤١) ﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ (٤٢) ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٤٣) ﴿ فَفَعَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ (٤٤) ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴾ (٤٥) ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (٤٦)

يقول تعالى ﴿ وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسُلطان مبين ﴾ - وفي موسى معطوف على ﴿ فيها ﴾ الواردة في الآية التي قبلها : ﴿ وتركنا فيها آية ... ﴾ والمعنى : وجعلنا في قصة موسى آية - ﴿ إذ أرسلناه إلى فرعون بسُلطان مبين ﴾ أي بدليل باهر وحجة قاطعة ﴿ فتولى بركنه ﴾ أي فأعرض فرعون عما جاء به موسى من الحق المبين استكباراً وعناداً ﴿ وقال ساحر أو مجنون ﴾ أي لا تخلو من أحد الوصفين قال تعالى : ﴿ فأخذناه وجنوده فنبدناهم ﴾ أي ألقناهم ﴿ في اليم ﴾ وهو البحر ﴿ وهو ملِيم ﴾ أي وهو ملوم كافر جاحد فاجر معاند .

ثم قال عز وجل ﴿ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ أي المفسدة التي لا تنتج شيئاً. ولهذا قال تعالى : ﴿ ما تذر من شيء أتت عليه ﴾ أي مما تفسده الريح. ﴿ إلاً جعلته كالرَّمِيمِ ﴾ أي كالشيء الهالك البالي . وقد ثبت في الصحيح من رواية شعبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : [نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور] ﴿ وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا

العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون ﴿ وهكذا قال ههنا : ﴿ وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ﴾ فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ﴿ أي لا يقدرّون على أن يتصرفوا بما هم فيه . وقوله عز وجل : ﴿ وقوم نوح من قبل ﴾ أي وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء ﴿ لأنهم كانوا قومًا فاسقين ﴾ وكل هذه القصص قد تقدّمت مبسّطة في أماكن كثيرة من سور متعددة والله تعالى أعلم .

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٤٧) ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ (٤٨) ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٤٩) ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٥٠) ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٥١) ﴿

يقول تعالى منبهاً على خلق العالم العلوي والسفلي ﴿ والسماء بنيناها ﴾ أي جعلناها سقفاً محفوظاً رفيعاً ﴿ بأيدٍ ﴾ أي بقوة ﴿ وإنا لموسعون ﴾ أي قد وسعنا أرجاءها فرفعناها بغير عمد حتى استقلت. كما هي ﴿ والأرض فرشناها ﴾ أي جعلناها فراشاً للمخلوقات . ﴿ فنعم الماهدون ﴾ أي وجعلناها مهداً لأهلها ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾ أي جميع المخلوقات أزواج : سماء وأرض ، ليل ونهار ، وشمس وقمر ، وبر وبحر ، وضياء وظلام ، وإيمان وكفر ، وموت وحياة ، وشقاء وسعادة ، وجنة ونار ، حتى الحيوانات والنباتات. ولهذا قال تعالى : ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أي لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له ﴿ ففِرُّوا إلى الله ﴾ أي الجأوا إليه واعتمدوا في أموركم عليه. ﴿ إني لكم منه نذير مبين ﴾ ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر ﴿ أي لا تشركوا به شيئاً ﴾ إني لكم منه نذير مبين ﴿

﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾ (٥٢) ﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (٥٣) ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنت بِمَلُومٍ ﴾ (٥٤) ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥٥) ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾ (٥٧) ﴿ إِنَّ اللَّهَ

هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ
ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٦٠﴾

يسلّي الله تعالى نبیّه ﷺ : وكما قال لك هؤلاء المشركون قال المكذبون الأولون
لرسولهم : ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ﴾ قال
الله عز وجل ﴿ أتواصوا به ﴾ أي هل أوصى بعضهم بعضاً بذلك ؟ ﴿ بل هم قوم
طاغون ﴾ أي لكنهم هم الطغاة أي هؤلاء وأولئك ، فقد تشابهت قلوبهم وأقوالهم .
قال الله تعالى : ﴿ فتولّ عنهم ﴾ أي فأعرض عنهم يا محمد ﴿ فما أنت بمولوم ﴾ على ذلك
﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ أي إنما تنتفع بها القلوب المؤمنة . ثم قال عز وجل
﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ أي إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي
إليهم ، وليقرّوا طوعاً أو كرهاً بعبادتي - وما أمرتهم بعبادتي إلا لأنّي استحققتها وحدي
فإن هم أشركوا بها غيري حاق بهم سخطي وان وحدوني في العبادة رضيت عنهم
وادخلتهم جنتي ، ولا شك أن هذا رحمة منه تعالى بعباده أن يبيّن لهم هذا الأمر حتى
يعملوا بما علموا على الوجه الذي يرضيه تعالى - وهو تعالى ليس بحاجة إليهم وهو الغني
عن العالمين . ولهذا قال سبحانه : ﴿ ما أريد منهم من رزقٍ وما أريد أن يطعمون ﴾ . إن الله
هو الرزاق ذو القوة المتين ﴿ والمراد أن الله تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له ،
وإنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه دائماً فهو خالقهم ورزاقهم روى الإمام أحمد عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ - عن ربه تعالى - : ٢٤٩ [يا ابن آدم
تفرغ لعبادتي مملأً صدرك غنى وأسد فقرك ، وإلاّ تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد
فقرك] ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة وقال الترمذي : حسن
غريب . وقوله تعالى : ﴿ فإن للذين ظلموا ذنوباً ﴾ أي نصيباً من العذاب ﴿ مثل ذنوب
أصحابهم ﴾ أي الذين سبقوهم ﴿ فلا يستعجلون ﴾ العذاب ﴿ فويل للذين كفروا من
يومهم الذي يوعدون ﴾ يعني يوم القيامة الذي يكذبون به .

آخر اختصار تفسير سورة الذاريات والله الحمد والمنة عليه نتوكل وبه نستعين .

(٥٢) سُورَةُ الطُّورِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا النَّاسُ عِزِّ وَأَرْجُونَ

نزلت بعد السجدة

روى مالك عن جبير بن مطعم عن أبيه : ٢٥٠ : [سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه] أخرجاه .

وروى البخاري عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت ؛ ٢٥١ [شكوت إلى رسول الله ﷺ أني اشتكي فقال : « طوفي من وراء الناس وأنت راكبة » فطفت ورسول الله ﷺ يصلي إلى جانب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور .]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ وَالطُّورِ * (١) وَكِتَابٍ مَسْنُورٍ * (٢) فِي رَقٍّ مَنشُورٍ * (٣)
وَالْبَيْتِ الْمَغْمُورِ * (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * (٥) وَالْبَحْرِ
الْمَسْجُورِ * (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ * (٨)
يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا * (١٠) فَوَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ * (١٢)
يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً * (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا
تُكَذِّبُونَ * (١٤) أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ * (١٥)
اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * (١٦) ﴿١٦﴾

يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة، أن عذابه واقع بهم أي بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم. فالطور هو الجبل الذي يكون فيه الشجر وهو الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً، إنما يقال له جبل. والمراد في هذه الآية هو جبل الطور نفسه. ﴿ كتاب مسطور ﴾ هو الكتب المترلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهاراً. ولهذا قال تعالى : ﴿ في رق منشور ﴾ وقيل هو اللوح المحفوظ - والأول أصح والله أعلم - ﴿ والبيت المعمور ﴾ ثبت في الصحيحين : ان رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته السماء السابعة ٢٥٢ [ثم رفع بي إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم] يعني يتعبّدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم كذلك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة وهو بحيال الكعبة الأرضية وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلّون إليه والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة والله أعلم . وقوله تعالى ﴿ والسقف المرفوع ﴾ قال الربيع بن أنس هو العرش يعني انه سقف لجميع المخلوقات وهو مراد مع غيره كما قاله الجمهور .

وقوله تعالى : ﴿ والبحر المسجور ﴾ أي يوقد يوم القيامة ناراً . كقوله تعالى ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾ أي أضربت فتصير ناراً تتأجج . روي عن علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم . وقوله تعالى : ﴿ إن عذاب ربك لواقع ﴾ هذا هو المقسم عليه أي لواقع بالكافرين. كما قال سبحانه في الآية الأخرى : ﴿ ما له من دافع ﴾ أي ليس له من دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله تعالى بهم ذلك . وقوله تعالى : ﴿ يوم تمور السماء موراً ﴾ قال ابن عباس وقتادة : تتحرك تحريكاً باستدارة ﴿ وتسير الجبال سيراً ﴾ أي تذهب فتصير هباءً منبثاً وتنسف نسفاً. ﴿ فويل يَوْمئذٍ للمكذِبِينَ ﴾ أي ويل لهم يَوْمئذٍ من عذاب الله تعالى ونكاله بهم وعقابه لهم. ﴿ الذين هم في خوض يلعبون ﴾ أي هم في الدنيا يخوضون في الباطل ويتخذون دينهم هزواً ولعباً . ﴿ يوم يُدْعَوْنَ ﴾ أي يُدْفَعُونَ ويساقون ﴿ إلى نار جهنم دعاً ﴾ أي يدفعون فيها دفعاً ﴿ هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ أي تقول لهم الزبانية ذلك تقريباً وتوبيخاً ﴿ أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون . إصْلَوْهَا ﴾ أي أدخلوها دخول من تغمره من جميع جهاته ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم ﴾ أي سواء إن صبرتم أو جزعتم فلا محيد لكم عنها، ولا خلاص لكم منها. ﴿ وانما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ أي ولا يظلم الله أحداً بل يجازي كلّا بعمله .

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ۝ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ (١٩) مُتَكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۝ (٢٠) ﴾

أخبر تعالى عن حال السعداء فقال عز من قائل: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ۝ وذلك بضيد ما أولئك فيه من العذاب والنكال ﴾ فاكهين بما آتاهم ربهم ﴾ أي يتفكّهون بما آتاهم الله تعالى من النعيم المقيم ﴾ ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ﴾ أي وقد نجاهم من عذاب النار وتلك نعمة مستقلة مع ما أضيف إليها من دخول الجنة فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقوله تعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ أي هذا بذاك تفضلاً منه وإحساناً وقوله تعالى : ﴿ مُتَكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ أي وجوههم بعضها إلى بعض ﴾ وزوجناهم بحور عين ﴾ أي وجعلنا لهم قرينات صالحات ، وزوجات حسناً من الحور العين . وقد تقدم وصفهن في غير موضع بما أغنى عن إعادته ههنا .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝ (٢١) وَأُمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسِيمٌ ۝ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ۝ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ (٢٦) فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ۝ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ۝ (٢٨) ﴾



يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ، ولطفه بخلقهِ وإحسانه ، ان المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان ، يلحقهم بآبائهم في المنزلة ، وان لم يبلغوا عملهم لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم ، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه ، بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوي بينه وبين ذاك . ولهذا قال تعالى : ﴿ ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ قال الثوري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ان الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه . ثم قرأ : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، من حديث سفيان الثوري به ورواه البزار عن ابن عباس مرفوعاً وموقفاً .

وروى الإمام أحمد عن -علي رضي الله عنه- قال : ٢٥٣ [سألت خديجة النبي ﷺ عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ « هما في النار » فلما رأى الكراهة في وجهها قال : « لو رأيت مكانهما لأبغضتهما » قالت : يا رسول الله فولدي منك ؟ قال : « في الجنة » قال ثم قال ﷺ « ان المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار » ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ﴾ الآية . [هذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء فقد قال الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ٢٥٤ [إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول : يا رب أننى لي هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك] إسناده صحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه ولكن له شاهد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ ٢٥٥ : [إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له] . وقوله تعالى : ﴿ كل امرئ بما كسب رهين ﴾ لما أخبر عن مقام الفضل وهو درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك ، أخبر عن مقام العدل وهو أنه لا يؤخذ أحد أبذنب أحد . فقال تعالى : ﴿ كل امرئ بما كسب رهين ﴾ أي مرتبه بعمله ، لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس . كقوله تعالى : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ﴾ يتنازعون فيها كأساً ، أي من الخمر ، ﴿ لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ أي لا يتكلمون فيها بكلام لاغ . أي هذيان ولا لثم أي فحش ، كما يتكلم به الشربة من أهل الدنيا ، فنزه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها ، فنفى عنها صداع الرأس ووجع البطن ، وازالة العقل بالكلية ،

واخبر أنها لا تحملهم على الكلام السيئ ، الفارغ عن الفائدة ، وأخبر بحسن منظرها وطيب طعمها ونخبها . فقال جل وعلا : ﴿ بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها يترفون ﴾ وقال ههنا : ﴿ يتنازعون فيها كأساً لا لغوٌ فيها ولا تأثيم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون ﴾ إخبار عن خدمهم وحشمهم في الجنة ، كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون ، في حسنهم وبهائهم ونظافتهم . كقوله تعالى : ﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكوابٍ وأباريقٍ وكأسٍ معين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتسألون ﴾ أي أقبلوا يتحادثون ، ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا . وهذا كما يتحادث أهل الشراب بما كان من أمرهم : ﴿ قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ﴾ أي كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلينا خائفين من ربنا ، مشفقين من عذابه وعقابه . ﴿ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ﴾ أي فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف . ﴿ إنا كنا من قبل ندعوه ﴾ أي نتضرع إليه فاستجاب لنا ، واعطانا سؤالنا . ﴿ إنه هو البر الرحيم ﴾ .

روى ابن أبي حاتم عن مسروق عن عائشة أنها قرأت هذه الآية . ﴿ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم * إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم ﴾ فقالت : اللهم من علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم . قيل للأعمش : في الصلاة ؟ قال : نعم .

﴿ فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (٢٩)
 أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَنْحِلَاهُمُ هَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ (٣٣)
 فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿ (٣٤)

يأمر تعالى رسوله ﷺ ، بأن يبلغ رسالته إلى عباده ، ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان فقال جل وعلا : ﴿ فذكر فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ أي لست بحمد الله كاهناً ، وهو الذي يأتيه الرئي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء . ﴿ ولا مجنون ﴾ وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس . ثم أنكر تعالى عليهم قولهم في الرسول ﷺ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴾ فنسريح منه ﴿ قل ترَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ أي انظروا فَإِنِّي متظر معكم ، وستعلمون لمن ستكون العاقبة والنصرة في

الدارين . ثم يقول تعالى : ﴿ أم تأمرهم أحلامهم بهذا ﴾ أي عقولهم تأمرهم بما يقولون من الأباطيل والكذب والزور؟ ﴿ أم هم قوم طاغون ﴾ أي ولكن هم قوم طاغون ضلّال معاندون ، وهذا ما حملهم على ما قالوه فيك . وقوله تعالى : ﴿ أم يقولون تقوله ﴾ أي افتراه من عند نفسه ﴿ بل لا يؤمنون ﴾ أي كفرهم هو الذي دعاهم يقولون ما قالوه ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ في تقولهم ونسبة الافتراء إليه ﷺ فليأتوا بمثل هذا القرآن وأنّى لهم ذلك؟ فلو اجتمع أهل الأرض من الجن والإنس ما جاءوا بمثله... ولا بعشر سور بل ولا بسورة .

﴿ أم خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَّبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيِّرُونَ ﴾ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ (٣٨) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴾ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴾ (٤٠) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴾ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٤٣)

هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية فقال تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء ﴾ أي هل أوجدوا من غير موجد ؟ ﴿ أم هم الخالقون ﴾ أم هم أوجدوا أنفسهم ، أي لا هذا ولا هذا ... بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً . روى البخاري عن جبير بن مطعم قال : ٢٥٦ [«سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية : ﴿ أم خلقوا من غير شيء ﴾ أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون . أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون ﴾ كاد قلبي أن يطير] وهذا الحديث مخرج في الصحيحين ، من طرق عن الزهري به . وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي ﷺ بعد وقعة بدر في فداء الأسرى ، وكان إذ ذاك مشركاً . فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة ، من جملة ما حمّله على الدخول في الإسلام بعد ذلك . ثم قال تعالى :

﴿ أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ﴾ أي هم خلقوا السموات والأرض ؟ وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له . ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك . ﴿ أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون ﴾ أي المحاسبون للخلائق ... ؟ لا . . ليس الأمر كذلك . بل الله عز وجل هو المالك ، المتصرف الفعّال لما يريد .

وقوله تعالى : ﴿ أم لهم سلم يستمعون فيه ﴾ أي مراقبة إلى الملأ الأعلى ﴿ فليأت مستمعهم بسلطان مبين ﴾ أي بحجة ظاهرة على صحة ما يزعم . فليس لهم دليل على شيء . ثم قال تعالى : ﴿ أم له البنات ولكم البنون ﴾ هذا إنكار عليهم فيما نسبوه إليه من البنات . وجعلهم الملائكة إناثا . واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث . هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله وعبدوهم مع الله . فقال تعالى : ﴿ أم له البنات ولكم البنون ﴾ وهذا تهديد شديد ووعد أكيد ﴿ أم تسألهم أجراً ﴾ أي أجره على إبلاغك إياهم رسالة الله . أي لست تسألهم على ذلك شيئاً . ﴿ فهم من مغرم مثقلون ﴾ أي يثقل ويشق عليهم ذلك . ﴿ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ﴾ أي ليس الأمر كذلك فإنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى . : ﴿ أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون ﴾ فإن كانوا يريدون كيداً . فإنه سيرجع في نحورهم . وعلى أنفسهم . وإنهم المكيدون . ﴿ أم لهم إله غير الله سبحانه الله عما يشركون ﴾ وهذا إنكار شديد على المشركين . في عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله . ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون ويشركون . فقال سبحانه جل وعلا : ﴿ سبحانه الله عما يشركون ﴾ .

﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴾ (٤٤) فَذَرُّهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

ينحبر تعالى عن المشركين عناداً ومكابرةً للمحسوس : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴾ أي متراكم . وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَذَرِهِمْ ﴾ أي دعهم يا محمد ﴿ حَتَّى يَبْلُغُوا يَوْمَهُم الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ أي لا ينفعهم كيدهم يوم القيامة شيئاً ، ﴿ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴾ أي قبل ذلك في الدار الدنيا. كقوله تعالى : ﴿ وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي لا يفهمون ما يراد بهم بل إذا جلتى عنهم مما كانوا فيه، عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه . كما جاء في بعض الأحاديث : ٢٥٧ [إن المنافق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير ، لا يدري فيما عقلوه ، ولا فيما أرسلوه] وقوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي اصبر على أذاهم ولا تباليهم ، فإنك بمراى منّا وفي حفظنا وعصمتنا . وقوله تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ لقد قيل في تفسيرها ثلاثة أقوال : قال الضحاك : أي في الصلاة : ٢٥٨ [سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ] وروى مسلم في صحيحه عن عمر أنه كان يقول : هذا في ابتداء الصلاة ، وكذلك رواه أحمد وأهل السنن عن أبي سعيد وغيره عن النبي ﷺ انه كان يقول ذلك .

وقال ابو الجوزاء : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ أي من نومك من فراشك ، واختاره ابن جرير ، ومصادقه ما رواه أحمد عن عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال : ٢٥٩ [من تعار من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال : رب اغفر لي - أو قال - ثم دعا استجيب له فإن عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته] وأخرجه البخاري في صحيحه ، وأهل السنن من حديث الوليد بن مسلم به .

وقال مجاهد : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ قال من كل مجلس وقال أبو الأحوص إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال : سبحانك اللهم وبحمدك . وعن عطاء بن أبي رباح قال : حين يقوم من كل مجلس إن كنت أحسنت ازددت خيراً ، وإن كنت غير ذلك كان هذا كفارة لك . وروى أبو داود اللفظ له ، والنسائي والحاكم في المستدرک عن أبي برزة الأسلمي قال : ٢٦٠ [كان رسول الله ﷺ يقول بآخر عمره إذا أراد أن يقوم

من المجلس « سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » فقال رجل : يا رسول الله وإنك لتقول قولاً ما كنت تقول في ما مضى قال : « كفارة لها يكون من المجلس » [.

وقوله تعالى : ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ أي اذكره واعبد به بالتلاوة ، والصلاة في الليل . كما قال تعالى : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأدبار النجوم ﴾ قد تقدم في حديث ابن عباس ، إنيهما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر ، فإنهما مشروعتان عند أدبار النجوم أي عند جنوحهما للغيبوبة . وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنهما قالت : ٢٦١ [لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر .] وفي لفظ مسلم ٢٦٢ [ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها] .

* * *

آخر اختصار تفسير سورة الطور والله الحمد والمنة وبه العصمة وعليه التكلان



إِلَّا الآيَةُ ٣٢ فمدنية نزلت بعد سورة الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ • (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى • (٢)
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ • (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى • (٤) ﴿﴾

قال الشعبي وغيره : الخالق يقسم بما شاء من خلقه ، والمخلوق لا ينبغي له ان يقسم إلا بالخالق . رواه ابن أبي حاتم . وقوله تعالى : ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ يعني إذا رمى الشياطين . قاله الضحاك ﴿ ما ضلَّ صاحبكم وما غوى ﴾ وهذا هو المقسم عليه وهو الشهادة من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ بأنه راشد تابع للحق ليس بضال ، والضال هو الجاهل الذي يمشي على غير هدى ولا علم . والغاوي هو العالم بالحق ، العادل عنه إلى غيره قصداً . فالرسول ﷺ في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد . ولهذا قال تعالى عنه : ﴿ وما ينطق على الهوى ﴾ أي ما يقول قولاً عن غرض وهوى : ﴿ إن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ أي إنما يقول ما أمر به ، ويبلغه للناس كاملاً من غير زيادة ولا نقصان . كما روى أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : ٢٦٣] كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا : إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ بشره بتكلم في الغضب ، فأهسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « أكتب فوالذي نفسي بيده ما أخرج مني إلا الحق » [رواه أبو داود .

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ • (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى • ﴿٦﴾
وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى • ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى • ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ
قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى • ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى • ﴿١٠﴾ مَا
كَذَّبَ الْفَوَادُ مَا رَأَى • ﴿١١﴾ أَفْتَتَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى • ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ
رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى • ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى • ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا
جَنَّةُ الْمَأْوَى • ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى • ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ
الْبَصَرُ وَمَا طَغَى • ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى • ﴿١٨﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ أنه علمه الذي جاء به إلى الناس ﴿شديد القوى﴾ وهو جبريل عليه السلام ، كما قال تعالى : ﴿إنه لقول رسول كريم • ذي قوة عند ذي العرش مكين • مطاع ثم أمين﴾ وقال هنا : ﴿ذو مرة﴾ أي ذو قوة . وقوله تعالى : ﴿فاستوى﴾ أي جبريل عليه الصلاة والسلام ، قاله الحسن ومجاهد وقتادة والربيع . ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ يعني جبريل عليه السلام استوى في الأفق الأعلى . قاله عكرمة وغيره . وروى ابن أبي حاتم عن عبدالله بن مسعود : (أن رسول الله ﷺ لم يَرَ جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته العظمى إلا مرتين : أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته ، فسدَّ الأفق . وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد فذلك قوله تعالى : ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾) . وكانت الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعد ما جاء جبريل عليه السلام أول مرة ، فأوحى إليه صدر سورة (اقرأ) ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي ﷺ فيها مراراً ليردَّى من رؤوس الجبال ، فكلما همَّ بذلك ، ناداه جبريل من الهواء يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل ، فيسكن لذلك جأشه وتقرَّ عينه ، وكلما طال الأمر عاد لمثلها ، حتى تبدَّى له جبريل ، وهو بالأبطح في صورته التي خلقه عليها ، له ستمائة جناح قد سدَّ عظم خلقه الأفق ، فاقرب منه وأوحى إليه عن الله عز وجل ما أمره به ، فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة وجلالة قدره وعلو مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه .

وقوله تعالى : ﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ أي اقرب جبريل عليه السلام من محمد ﷺ لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قاص

قوسين أي بقدرهما إذا مُدّا ، قاله مجاهد وقتادة . وقوله تعالى : ﴿ أو أدنى ﴾ أي ليس أزيد من بُعد وتر القوس إلى كبدها . كقوله تعالى : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ أي ما هي ألين من الحجارة ، بل هي مثلها أو تزيد قسوة وهذا الذي قلناه من أن هذا المقرب الداني الذي صار بينه وبين محمد ﷺ قاب قوسين أو أدنى ، هو جبريل عليه الصلاة والسلام . وهو قول أم المؤمنين عائشة وابن مسعود ، وأبي ذر ، وأبي هريرة كما سنورد ما تيسر من أحاديثهم قريباً إن شاء الله تعالى . وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال : (رأى محمد ربه بفؤاده مرتين) فجعل هذه إحداهما وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية وهي محمولة على المقيّدة بالفؤاد ... ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب ، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم . وروى البخاري عن الشيباني قال : سألت زراً عن قوله تعالى : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ قال : حدثنا عبد الله ٢٦٤ [ان محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح] وقوله تعالى : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ . أفتمارونه على ما يرى ﴾ روى ابن جرير عن عبد الله قال : ٢٦٥ [رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه حلنا رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض] فعلى ما ذكرناه يكون قوله تعالى : ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ معناه فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى ، أو فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل وكلا المعنيين صحيح .

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال : ٢٦٦ [سألت رسول الله ﷺ ، هل رأيت ربك فقال «نور أتى أراه»] وفي رواية ٢٦٧ [رأيت نوراً] . أما الحديث الذي رواه أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ ٢٦٨ [رأيت ربي عز وجل] فانه حديث إسناده على شرط الصحيح لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه أحمد أيضاً عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : ٢٦٩ [أتاني ربي في أحسن صورة - أحسبه يعني في النوم - فقال يا محمد أتدري فيم يختصم الملائكة الأعلى ؟ قال : قلت لا ، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي - أو قال - نحري] الحديث ... وقد تقدم في آخر سورة ﴿ ص ﴾ عن معاذ نحوه وقوله تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ عند سدره المنتهى . عندها جنة المأوى ﴾ هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وكانت ليلة الإسراء . وقد قدمنا الأحاديث بطرقها في أول سورة سبحان ، بما أغنى عن إعادته ههنا ، وتقدم أن ابن عباس رضي الله عنهما ، كان

يثبت الرؤية ليلة الإسراء ويستشهد بهذه الآية . وتابعه جماعة من السلف والخلف ، وقد خالفه جماعات من الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين وغيرهم . روى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : ١٦٨ [رأيت جبريل على سدرة المنتهى وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل من الدر والياقوت] وهذا إسناد جيد قوي . وقال الإمام أحمد عن مسروق قال ١٦٩ [كنت عند عائشة فقلت : أليس الله يقول : ﴿ ولقد رآه في الأفق المبين ﴾ ﴾ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ فقالت : أنا أول هذه الأمة سألت رسول الله ﷺ عنها فقال : « إنما ذاك جبريل » لم يره في صورته التي خُلِقَ عليها إلا مرتين رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض ساداً عظماً خَلَقَهُ ما بين السماء والأرض [أخرجاه في الصحيحين ومن قال أنه عليه الصلاة والسلام خاطب عائشة على قدر عقلها كابن خزيمة في كتاب التوحيد الذي حاول تخطئتها فإنه هو المخطيء والله أعلم .

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال في قوله تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ قال : ١٧٠ [رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته مرتين] ، وكذا قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس وغيرهم .

وقوله تعالى : ﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ قد تقدم في أحاديث الإسراء إنسه غشيتها الملائكة مثل الغربان وغشيتها نور الرب وغشيتها ألوان ما أدري ما هي ^(١) وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال : ١٧١ [لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة إليها ينتهي ما يفرج به من الأرض ، فيقبض منها ، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها ﴾ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ قال فراش من ذهب قال : وأعطى رسول الله ﷺ ثلاثاً : أعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتم سورة البقرة . وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمته المقحّمات [إنفرد به مسلم . وقوله تعالى : ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ ^(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما ذهبت يميناً

(١) راجع سورة الاسراء رقم /١٧/ الأحاديث من رقم /٥٢٩ - ٥٣٩/ . من المجلد الثاني .

(٢) قوله تعالى : « ما زاغ البصر وما طغى » دليل قاطع على أنّ الإسراء والمعراج كانا بالروح والبدن ، لأن البصر من البدن ولا يبصر بلا بدن . كما لا يبصر بلا روح وعلى هذا فيكون رؤية محمد صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام (عند سدرة المنتهى) رؤية واقعية مادية وما زاغ في هذه الرؤية بعصره وما طغى ، بل رأى حقيقة ببصره المادي الحسي ما رأى ، والبصر هذا لا يكون إلا في البدن إذا غلب البدن كان موجوداً أثناء المعراج لاستحالة وجود بصر بلا بدن . وبدن بلا روح تستحيل فيه الرؤية . لأن الروح مادة الرؤية للبصر ، كما أن الروح مادة الحياة للبدن ، إذا فالمعراج كان روحاً وبدناً . والله الموفق للصواب وهو العليم الخبير .

ولا شمالاً ﴿ وما طغى ﴾ ما جاوز ما أمر به وهذه صفة عظيمة من الثبات والطاعة ، فإنه ما فعل إلا ما أمر به ، ولا سأل فوق ما أعطي وما أحسن ما قال الناظم :

« رأى جنة المأوى وما فوقها ولو * رأى غيره ما قد رآه ، لناها . »

وقوله تعالى : ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ كقوله تعالى : ﴿ لنبيه من آياتنا ﴾ أي الدالة على قدرتنا العظيمة وبهاتين الآيتين استدلل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية - أي رؤية الرب - تلك الليلة لم تقع لانه قال تعالى : ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك وقاله للناس . وقد تقدم تقرير ذلك في سورة ﴿ سبحان ﴾ .

﴿ أفرأيتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾ * (١٩) وَمَنۡوَةَ الثَّالِثَةِ
الْأُخْرَىٰ * (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ * (٢١) تِلْكَ إِذًا
قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ * (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَّتُهَا أَنْتُمْ وَأَبَاوُكُمْ مَا
أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ * (٢٣) أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى * (٢٤)
فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ * (٢٥) وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا
تُعْجِزُهُنَّ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَرْضَىٰ * (٢٦) ﴿

يقرع الله تعالى المشركين ويوبخهم على عبادتهم الأصنام والأنداد ، واتخاذهم لها البيوت ، مضاهاة للكعبة : ﴿ أفرأيتُمُ اللَّاتَ ﴾ وكانت اللات صخرة منقوشة ، عليها بيت بالطائف له استار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف ، وهم ثقيف ومن تابعها . واللآت بتشديد التاء ، وفسروه بما قال البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كان اللآت رجلاً يلت السويق سويق الحاج . وقال ابن جرير كان قد اشتقوا اسم اللآت من اسم الله فقالوا اللات يعنون مؤنثة منه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وكذا العزى من العزيز ، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة ، وهي بين مكة والطائف



كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحدٍ لنا العزى ولا عزى لكم . فقال رسول الله ﷺ: ٢٧٤ [قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم] وروى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ٢٧٥ [من حلف فقال في حلفه واللوات والعزى فليقل لا إله إلا الله ومن قال لصاحبه تعال أقامرك . فليصدّق .] وهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك . كما كانت ألسنتهم قد اعتادته من زمن الجاهلية . وأما مائة فكانت بالمثل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها . ويهلّون منها للحج إلى الكعبة . وروى البخاري عن عائشة نحوه . وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخرى تعظمها العرب كتعظيم الكعبة . غير هذه الثلاثة التي نصّ عليها كتابه العزيز . ولهذا قال تعالى : ﴿ أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها . وقد بعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة وأبا سفيان صخر بن حرب إلى اللات فهدماها وجعلها مكانها مسجداً بالطائف . وأرسل خالد بن الوليد إلى العزى فهدمها . وأرسل أبا سفيان بن حرب إلى مناة وكانت بناحية المثل بقديم فهدمها ، وهناك أصنام أخرى كذي الخلصة . وقيس ، وريام . ورضاء وذو الكعبات ... موزعة في الجهات فأرسل رسول الله ﷺ من أصحابه رضي الله عنهم مَنْ هدمها جميعاً وطهر الجزيرة من أرجاسها . ثم قال تعالى : ﴿ ألكم الذكر وله الأنثى ﴾ أي أتجعلون له ولداً وتجعلون ولده الأنثى . وتختارون لأنفسكم الذكور فلو اقتسمتم هذه القسمة أنتم ومخلوق مثلكم ، لكانت : ﴿ قسمة صيزى ﴾ أي جوراً باطلاً . فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة ... ؟!! ثم قال تعالى : ﴿ إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ﴾ من تلقاء أنفسكم ، وهذا إنكار منه تعالى عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والكفر من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة ﴿ ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ أي من حجة . ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ﴾ أي ليس لهم مستند إلا تعظيم آباؤهم لها . وحسن ظنهم بآبائهم . وما تهوى نفوسهم لذلك . ﴿ ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ بإرسال الرسل بالحق وبالحجة القاطعة ... ومع كل هذا اتبعوا ما كان عليهم آباءؤهم . ثم قال تعالى : ﴿ أم للإنسان ما تمنى ﴾ أي ليس كل من تمنى خيراً حصل له . وما كل من زعم أنه مهتد يكون كذلك . ﴿ فله الآخرة والأولى ﴾ أي إنما الأمر كله لله مالك الدارين . المتصرف بهما طبق مشيئته سبحانه وتعالى . وقوله تعالى : ﴿ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ كقوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين . فكيف ترجون شفاعاة هذه الأصنام والأنناد عند الله الذي نهى عن عبادتها . واتخاذها شفعاء على السنة جميع رسله ؟!! .

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ * (٢٧) ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ * (٢٨) ﴿فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ * (٢٩) ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ * (٣٠) ﴿

ينكر تعالى على المشركين تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى ، وقولهم أنها بنات الله ، تعالى الله عن ذلك . كما قال تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم سكتب شهادتهم ويسألون ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ وما لهم به من علم ﴾ أي ليس لهم علم صحيح بصدق ما قالوه ، بل هو زور وافتراء وكفر شنيع . ﴿ إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً ﴾ أي لا يجدي شيئاً ولا يقوم أبداً مقام الحق ، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال ٢٧٦ : [إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث] .

وقوله تعالى : ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ﴾ أي أعرض عن الذي أعرض عن الحق واهجره . وقوله تعالى : ﴿ ولم يرد إلا الحياة الدنيا ﴾ أي جعلها أكثر همه ومنتهاى غايته . ولهذا قال سبحانه : ﴿ ذلك مبلغهم من العلم ﴾ أي طلب الدنيا وفي الدعاء المأثور ٢٧٧ [اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا] وقوله تعالى : ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ﴾ أي هو العالم بمصالح عباده وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته ، وهو العادل الذي لا يجوز أبداً ولا في شرعه ولا في قدره .

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَافُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ * (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ

هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ
أُمّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض، وأنه الغني عما سواه، الحاكم في خلقه بالعدل وخلق الخلق بالحق ﴿ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ أي يجازي كلاً بعمله خيراً كان أو شراً، ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون الكبائر والفواحش ولا يتعاطونها وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه تعالى يغفر لهم ويسر عليهم . كما قال جل وعلا : ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾ وقال ههنا ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾ وهذا استثناء منقطع ، لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال .

روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : ٢٧٨ [إن الله تعالى كتب على ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فوزني العين النظر ، وزني اللسان النطق ، والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه] وأخرجاه في الصحيحين . قال عبد الرحمن بن نافع الذي يقال له ابن لبابة الطائفي قال : سألت أبا هريرة عن قول الله : ﴿إلا اللمم﴾ قال : القبلة ، والغمزة ، والنظرة والمباشرة فإذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل وهو الزنا . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿إلا اللمم﴾ إلا ما سلف وعن مجاهد قال : الذي يلم بالذنب ثم يترع عنه قال : وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون :

ان تغفر اللهم تغفر جمّاً وأي عبد لك ، ما ألماً ؟

أي يلم بالذنب قليلاً ثم يقلع عنه - (١) وقوله تعالى : ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ أي رحمته وسعت كل شيء ، ومغفرته تسع الذنوب كلّها لمن تاب منها . كقوله تعالى : ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾ وقوله تعالى : ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾ أي هو بصير بكم ، عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم ، التي ستصدر عنكم ، وتقع منكم حين أنشأ أباكم آدم من الأرض ، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر ثم قسمهم

(١) قلت : أرجح أن معنى « اللمم » ما فسر أبو هريرة من القبلة ، والغمزة وما شابه ... قال عليه الصلاة والسلام ... وإن محقرات الذنوب متى يأخذ بها صاحبها تلهك .

فريقين ، فريقاً للجنة وفريقاً للسعير . وكذا قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةُ فِي بَطُونِ أَمَهَاتِكُمْ ﴾ قد كتب الملك الذي يوكل به ، رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد . وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَرْكَبُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي تمدحوها وتشكروها ، وتمنّوا بأعمالكم . ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ فَنِيلاً ﴾ وقد ثبت في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي بكرة قال ٢٧٩ [مدح رجل رجلاً عند النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « ويليكَ قطعُ عنقٍ صاحبك - مراراً - ، إذا كان أحبكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل أحب فلاناً والله أحسبه ولا أزكي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك . »] رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه من طرق عن خالد الحذافيه . وروى الإمام أحمد عن همام بن الحارث قال : ٢٨٠ [جاء رجل إلى عثمان فأنشأ عليه في وجهه قال فجعل المقداد بن الأسود يحنو في وجهه التراب ، ويقول : أمرنا رسول الله ﷺ إذا لقينا المداحين ، أن نحنو في وجوههم التراب .] ورواه مسلم وأبو داود .

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴾ (٣٣) ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى ﴾ (٣٤)
 أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴾ (٣٥) ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴾ (٣٦) ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ (٣٧) ﴿ أَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزَرَ أُخْرَى ﴾ (٣٨) ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (٣٩) ﴿ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى ﴾ (٤٠) ﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ (٤١) ﴿

يذمُّ تعالى من تولى عن طاعته فلا صدق ولا صلى ، ولكن كذب وتولى ﴾ وأعطى قليلاً وأكدى ﴾ قال ابن عباس : أطاع قليلاً ثم قطعه . وكذا قال مجاهد وغير واحد ، وقوله تعالى : ﴿ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴾ أي أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الإنفاق وقطع معروفه أعنده علم الغيب أنه سيفقد ما في يده ، حتى قد أمسك عن معروفه فهو يرى ذلك عياناً ؟ أي ليس الأمر كذلك ، وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلاً وشحاً وهماً . ولهذا جاء في الحديث : ٢٨١ [أنفق بلالاً ولا تخش من ذي العرش إقللاً] وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ أي قام بجميع الأوامر

وترك جميع النواهي ، وبلغ الرسالة على التمام والكمال فاستحق بهذا أن يكون للناس إماماً يقتدى به في جميع أحواله وأقواله وأفعاله . قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى فقال : ﴿ أَنْ لَا تَزِرْ وَازِرَةً وِزْرَ أُخْرَى ﴾ أي كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب ، فانما عليها وزرها لا يحمله عنها أحد . كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَإِنْ سَعَىٰ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ أي كما لا يُحْمَلُ عليه وزر غيره ، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه ، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتبعه ، أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى ، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه ، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء ، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء ، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما ، ومنصوص من الشارع عليهما . وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ٢٨٢ [إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث من ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية من بعده ، أو علم ينتفع به] فهذه الثلاثة في الحقيقة ، هي من سعيه وكده وعمله . كما جاء في الحديث ٢٨٣ [إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه] والصدقة الجارية كالوقف ونحوه وهي من آثار عمله ووقفه . وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ﴾ الآية . والعلم الذي نشره في الناس فافتدى به الناس بعده ، هو أيضاً من سعيه وعمله . وثبت في الصحيح : ٢٨٤ [من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً] وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ سَعَىٰ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ أي يوم القيامة ، أي فيخبركم الله به ويجزيكم عليه أتم الجزاء خيراً أو شراً ... وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾ أي الأوفر .

﴿ وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ (٤٢) ﴿ وَأَنْهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ (٤٣) ﴿ وَأَنْهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ (٤٤) ﴿ وَأَنْهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ

وَالْأُنْثَى * (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى * (٤٦) وَأَنْ عَلَيْهِ النِّشَاءُ
الْأُخْرَى * (٤٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى * (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ
الشَّعْرَى * (٤٩) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى * (٥٠) وَتَمُودَ فَمَا
أَبْقَى * (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ
وَأَطْغَى * (٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى * (٥٣) فَغَشَاها مَا غَشَّى * (٥٤)
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى * (٥٥) ﴿٥٥﴾

يقول تعالى : ﴿ وأن إلى ربك المنتهى ﴾ أي المعاد يوم القيامة وقوله تعالى : ﴿ وأنه هو أضحك وأبكى ﴾ أي خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما وهما مختلفان ﴿ وأنه هو أمات وأحيا ﴾ كقوله تعالى : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نقطة إذا تُمْنَى ﴾ كقوله تعالى : ﴿ يحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نقطة من منيّ يعني * ثم كان علقه فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأنه عليه النِّشَاءُ الأخرى ﴾ أي كما خلق البداة هو قادر على الإعادة وهي النِّشَاءُ الآخرة يوم القيامة ﴿ وأنه هو أَغْنَى وَأَقْنَى ﴾ أي ملّك عباده المال وجعله لهم قنيةً مقيماً عندهم لا يحتاجون إلى بيعه فهذا تمام النعمة عليهم ﴿ وأنه هو رَبُّ الشَّعْرَى ﴾ الشَّعْرَى هو النجم الوقّاد الذي يقال له مرزم الجوزاء كانت طائفة من العرب يعبدونه ﴿ وأنه أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾ وهم قوم هود وكانوا أقوى الناس وأعتاهم على الحق ، فأهلكهم الله . وقوله تعالى : ﴿ وتمود فَمَا أَبْقَى ﴾ أي دمرهم فلم يُبقِ منهم أحداً ﴿ وقوم نوح من قبل ﴾ أي من قبل هؤلاء ﴿ إنهم كانوا هم أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴾ أي أشدّ تمرداً من الذين من بعدهم ﴿ والمؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴾ يعني مدائن لوط ... قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود . ولهذا قال تعالى : ﴿ فغشاها ما غَشَّى ﴾ يعني من الحجارة التي أرسلها عليهم ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴾ أي ففي أي نعم الله عليك أيها الإنسان تَمَرَى؟ قاله قتادة .



﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ (٥٦) أَرْفَتِ الْآرِزَةَ ﴿(٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ (٥٨) أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿(٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴿(٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ (٦٢) ﴿

﴿ هذا نذير ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ من النذر الأولى ﴾ أي من جنسهم أرسل كما أرسلوا كما قال تعالى : ﴿ قل ما كنت بدعاً من الرسل ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أرففت الآرزة ﴾ اقتربت القربة وهي القيامة ﴿ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ أي لا يدفعها إذاً من دون الله أحد ولا يطلع على علمها سواه ، والنذير الحذر لما يعين من الشر الذي يخشى وقوعه فيمن أنذرهم . كما قال : ﴿ إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴾ ثم قال تعالى منكرأ على المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه ﴿ تعجبون ﴾ من أن يكون صحيحاً ﴿ وتضحكون ﴾ منه استهزاء وسخرية ﴿ ولا تبكون ﴾ أي كما يفعل الموقنون به كما أخبر عنهم ﴿ ويخرون للأذقان يبيكون ويزيدهم خشوعاً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأنتم سامدون ﴾ أي مستكبرون معرضون . ثم قال تعالى آمراً عباده بالسجود له والعبادة المتابعة لرسول الله ﷺ والتوحيد والإخلاص : ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ أي فاخلعوا له وأخلصوا ووحده .

روى البخاري عن ابن عباس قال : ٢٨٥ [سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس .] انفرد به دون مسلم . وروى الإمام أحمد عن المطلب بن أبي ذاعة قال : ٢٨٦ [قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم فسجد وسجد من عنده فرفعت رأسي فأبيت أن أسجد ، ولم يكن أسلم يومئذ المطلب فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرأها إلا سجد معه] وقد رواه النسائي .

آخر اختصار تفسير سورة النجم والله الحمد والمنة

(٥٤) سُورَةُ الْقَمَرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا خَمْسُونَ

إلا الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ فمدنية نزلت بعد سورة الطارق

قد تقدم في حديث أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بقاف ، واقتربت الساعة في الأضحى والفطر ، وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار لاشتمالهما على ذكر الوعد والوعيد وبدء الخلق وإعادته ، والتوحيد ، وإثبات النبوات وغير ذلك من المقاصد العظيمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنذُرُ ﴿ (٥) ﴾

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها . كما قال تعالى : ﴿ أُنْزِلَ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ وقال سبحانه ﴿ أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ وروى الإمام أحمد عن سهل بن سعد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ٢٨٧ [بعثت أنا والساعة هكذا] وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى [أخرجاه . وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة . وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : خمس قد مضين : الروم والدخان والزام والبطشة والقمر وهذا أمر متفق عليه بين العلماء ، إن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات .

وروى البخاري عن أنس بن مالك ٢٨٨ [أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقيين حتى رأوا حراء بينهما] وأخرجاه .

روى الحافظ أبو بكر البيهقي عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى : ٢٨٩ [﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾] قال وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ ، انشق فلقين ، فلقه من دون الجبل وفلقه من خلف الجبل فقال النبي ﷺ « اللهم أشهد » [وهكذا رواه مسلم والترمذي من طرق وقال حسن صحيح روى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال : [انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقيين ، حتى نظروا إليه فقال رسول الله ﷺ : « اشهدوا »] وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة .

وروى البيهقي عن عبد الله بن مسعود قال : ٢٩٠ [انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين فقال كفار قريش أهل مكة : هذا سحر سحرهم به ابن أبي كبشة ، انظروا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق ، وان كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحرهم به . قال : فستل السفار قال : وقدموا من كل جهة فقالوا : رأينا .]

ورواه ابن جرير من حديث المغيرة به وزاد : فأنزل الله عز وجل : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وإن يروا آية ﴾ أي دليلاً وحجة وبرهاناً ﴿ يعرضوا ﴾ أي لا ينقادون له ويتركونه وراء ظهورهم ﴿ ويقولوا سحر مستمر ﴾ أي باطل ﴿ وكذبوا واتبعوا أهواءهم ﴾ أي كذبوا بالحق إذ جاءهم ، واتبعوا آراءهم بدافع جهلهم وسخافة عقولهم .
وقوله تعالى : ﴿ وكل أمر مستقر ﴾ أي واقع بأهله خيراً كان أو شراً ﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ﴾ أي قصص الأمم المكذبة برسولهم ما حل بهم من العقاب ﴿ ما فيه مزدجر ﴾ أي فيه رادع عن الشرك والتمادي فيه . وقوله تعالى : ﴿ حكمة بالغة ﴾ أي في هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أضله . ﴿ فما تغني النذر ﴾ وهذا كقوله تعالى : ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ = أي ليس يغني ذلك عن قوم علم الله منهم أنهم سيختارون الكفر على الإيمان من قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام فكتبه عليهم ، أي لا يفيدهم الدلائل ولا الإنذارات فإنهم لا يؤمنون . ^(١)

﴿ قَوْلٌ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ ﴾ (٦)

خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ • (٧)
مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ • (٨) ﴿٢٦٩﴾

يقول تعالى : فتولّ يا محمد عن هؤلاء الذين إن رأوا آية يعرضوا ويقولوا هذا سحر مستمر ، أعرض عنهم وانتظرهم ﴿ يوم يدعُ الداع إلى شيء نُكِر ﴾ أي إلى شيء منكر فطبع ، وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء بل والزلازل والأهوال ، ﴿ خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ ﴾ أي ذليلةً أَبْصَارُهُمْ ﴿ يخرجون من الأجداث ﴾ أي القبور ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ أي كأنهم في انشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب ، إجابة للداعي جراد منتشر في الآفاق. ولهذا قال تعالى : ﴿ مهطعين ﴾ أي مسرعين ﴿ إلى الداعي ﴾ لا يخالفون ولا يتأخرون ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسير ﴾ أي شديد الهول عبوس قسطنطين . كقوله تعالى : ﴿ فذلك يوم عسير على الكافرين غير يسير ﴾ .



﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ • (٩) فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ • (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ • (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ • (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ • (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ • (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ • (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ • (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ • (١٧) ﴾ ﴿٢٧٠﴾

يقول تعالى : ﴿ كذبت ﴾ أي قبلك يا محمد ﴿ قوم نوح فكذبوا عبدنا ﴾ أي صرحوا بتكذيبهم له ﴿ وقالوا مجنون وازدجر ﴾ أي اتهموه بالجنون ، وانتهروه وزجروه متوعدين لأن لم تنته يا نوح لتكون من المرجومين ﴿ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ﴾ أي أني ضعيف فانتصر أنت لديك . قال الله تعالى : ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ﴾ وهو الكثير ﴿ وفجّرنا الأرض عُيُونًا ﴾ أي نهت جميع أرجاء الأرض ﴿ فالْتَقَى الماء ﴾ أي ماء السماء وماء الأرض ﴿ على أمر قد قدر ﴾ أي أمر مقدر .

﴿ وحملناه على ذات ألواح ودسر ﴾ أي ذات ألواح من الخشب ودسر أي مسامير وواحدها دسار ويقال دسير والمقصود السفينة . أي حملناهم على السفينة . وقوله تعالى : ﴿ تجري بأعيننا ﴾ أي بمرأى منا ، وتحت حفظنا . ﴿ جزاء لمن كان كفر ﴾ أي جزاء لهم على كفرهم بما نزل عليهم من الحق ، وانتصاراً لنوح عليه السلام .

وقوله تعالى : ﴿ ولقد تركناها آية ﴾ = أي تركنا سفينة نوح خالدة المثل والصنع ، وكأنها - والله أعلم - أول سفينة علم الله نوحاً صناعتها ، فبقيت هذه الصناعة قائمة من بعده ، تصنع كل سفينة على غرارها تمشي على الماء بقدرته تعالى . وتكون ذكرى لسفينة نوح تتعظون بما حل بقوم نوح الكافرين من الغرق ، وبما حل من الرضوان والنجاة بالمؤمنين الذين حملهم على السفينة وأنجاهم من الغرق . كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَا كُمْ فِي الْجَارِ يَتْلُجْجُهُمْ ذُكْرَ وَتُعِيبُهُمْ ذُكْرُ أَعْيُنِنَا ﴾^(١) = ولهذا قال جلّت قدرته ﴿ فهل من مدكر ﴾ أي فهل من يتذكر . ويتعظ . وقوله تعالى : ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ أي كيف كان عذابي لمن كفر بي وبرسلي ولم يتعظ بما جاءت به نذري ، وكيف انتصرت لرسلي وثارت لهم ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾ يعني هوناً قراءته ويسرنا فهمه فله الحمد والمنة ﴿ فهل من مدكر ﴾ أي فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسره الله حفظاً ومعنى فهل من مترج به عن المعاصي ، ومتبع للأوامر فيحلّ له نعيمي ورضواني ... ؟ .

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿ (١٩) تَتْرَعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿ (٢١) وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿ (٢٢)

يقول تعالى مخبراً عن عاد قوم هود ، أنهم كذبوا رسولهم أيضاً ، كما صنع قوم نوح وأنه تعالى أرسل عليهم ﴿ ريحاً صرصراً ﴾ وهي الباردة الشديدة البرد ﴿ في يوم نحس ﴾ أي عليهم ، ﴿ مستمر ﴾ عليهم نحسه ودماره لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي . وقوله تعالى : ﴿ تترع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ﴾ وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار ثم تنكسه على أم رأسه فيسقط إلى الأرض ، فتتلف

رأسه فيبقى جثة بلا رأس . ولهذا قال : ﴿ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مَنْقَعَرٍ ۚ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذَرِي ۚ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۚ ۝

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّذْرِ ۝ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝ (٢٤) أَلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ۝ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ ۝ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ۝ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ۝ (٢٨) فَنادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ۝ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذَرِي ۝ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمٍ الْمَخْتَصِرِ ۝ (٣١) وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝ (٣٢) ۝

هذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحاً عليه السلام ﴿ فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسُعُرٍ ﴾ يقولون : لقد خسرنا إن سلمنا قيادنا لواحد منا أي لنبيهم صالح عليه السلام : ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم ثم رموه بالكذب . فقالوا : ﴿ بل هو كذاب أشر ﴾ أي متجاوز في حد الكذب ، فقال تعالى : ﴿ سيعلمون غداً من الكذاب الأشر ﴾ وهذا تهديد لهم شديد ووعد أكيد . ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّا مرسِلو الناقة فِتْنَةً لَهُمْ ﴾ أي إختباراً لهم ، أخرج لهم ناقة عظيمة عشراء ، من صخرة صماء طبق ما سألوا لتكون حجة الله عليهم في تصديق صالح عليه السلام ، فيما جاءهم به . ثم قال تعالى : آمراً عبده ورسوله صالحاً ﴿ فارتقبهم واصطبر ﴾ أي انتظر ما يؤول إليه أمرهم واصبر عليهم فإن العاقبة لك والنصر في الدنيا والآخرة ﴿ ونبئهم أن الماء قسمة بينهم ﴾ أي يوم لهم ويوم للناقة . كقوله تعالى : ﴿ قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ كل شرب محتضر ﴾ قال مجاهد : إذا غابت حضروا الماء وإذا جاءت حضروا اللبن ، ثم قال تعالى : ﴿ فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ﴾ هو عاقر الناقة واسمه قدار بن سالف وكان أشقى قومه كقوله تعالى : ﴿ إذ انبعث اشقاها ﴾

﴿ فتعاطى ﴾ أي حسر • فقمر • فكيف كان عذابي ونذير • أي فعاقبتهم فكيف كان عقابي لهم على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي • ﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ﴾ أي فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية ، وهمدوا كما يهدم بييس الزرع والمحتظر هو المرعى بالصحراء حين ييبس ويحترق وتسفيه الريح .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ ﴾ • (٣٣) ﴿ إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيناهم بسحر ﴾ • (٣٤) ﴿ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴾ • (٣٥) ﴿ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتْنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ ﴾ • (٣٦) ﴿ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ • (٣٧) ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴾ • (٣٨) ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ • (٣٩) ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾ • (٤٠)

يخبر تعالى عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم واقترفوا فاحشة لم يسبقهم بها أحد من العالمين ولهذا فقد أهلكوا إهلاكاً لم تهلكه أمة من الأمم ، فإنه تعالى أمر جبريل عليه السلام فحمل مدائنهم حتى وصل بها عنان السماء ثم قلبها عليهم ، ورجموا بحجارة من سجيل منضود . ولهذا قال ها هنا ، ﴿ إنا أرسلنا عليهم حاصباً ﴾ وهي الحجارة • ﴿ إلا آل لوط نجيناهم بسحر ﴾ أي خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم لم يمسه ساء . ولهذا قال تعالى : ﴿ كذلك نجزي من شكر • ولقد أنذرهم بطشتنا ﴾ أي قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه فما أصغوا اليه بل شكوا وتماروا .

﴿ ولقد رآودوه عن ضيفه ﴾ وذلك ليلة ورد عليه الملائكة : جبريل وميكائيل وإسرافيل في صور شباب مرد حسان ، محنة من الله بهم ، فأضافهم لوط عليه السلام وبعث إمرأته العجوز السوء ، إلى قومها فأعلمتهم بأضياف لوط فأسرعوا إليه ، فأغلق لوط دونهم الباب ، فحاولوا كسره ولوط عليه السلام يدافعهم ويمنعهم ويقول : ﴿ هؤلاء بناتي ﴾ يعني نساءهم فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول ، خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب أعينهم بطرف جناحه فانطمست أعينهم ، فرجعوا على أديبارهم يتحسسون

بالحيطان، ويتوعدون لوطاً عليه السلام إلى الصباح . قال تعالى: ﴿ ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ﴾ أي لا محيد لهم عنه ﴿ فذوقوا عذابي ونذر ﴾ . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ .

﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴾ (٤١) ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (٤٢) ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ (٤٣) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴾ (٤٤) ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ ﴾ (٤٥) ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ﴾ (٤٦)

يخبر تعالى عن فرعون وقومه : أنهم جاءهم رسول الله موسى وأخوه هارون عليهما الصلاة والسلام بالبشارة والندارة وأيدهما بالمعجزات المتعددة فكذبوا بها جميعاً فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ولم يبق منهم أثر. ثم قال تعالى : ﴿ أَكْفَارُكُمْ ﴾ أي أيها المشركون من قريش ﴿ خير من أولئكم ﴾ يعني ممن ذكرهم والذين أهلكهم بسبب تكذيبهم لرسولهم وكفرهم بكتبهم ﴿ أم لكم براءة في الزبر ﴾ أم معكم براءة ان لا ينالكم عذاب ولا نكال ؟ ثم أخبر جل جلاله : ﴿ أم يقولون نحن جميع منتصر ﴾ أي أن جمعهم يغني عنهم من أرادهم بسوء. قال الله تعالى : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ أي سيغلبون ويمزقون .

روى البخاري عن ابن عباس ان النبي ﷺ ٢٩١ [قال وهو في قبة له يوم بدر : «أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم في الأرض أبداً » فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال حسبك يا رسول الله ألححت على ربك ، فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾] وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع .

﴿ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ (٤٧) ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ (٤٨) ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ

خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * (٤٩) وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصَرِ * (٥٠)
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ * (٥١) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ
فِي الزُّبُرِ * (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ * (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ
فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ * (٥٥) ﴿٥٥﴾

يخبرنا تعالى عن المجرمين أنهم في ضلال عن الحق وسعر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء ، وهذا يشمل كل من انصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق . ثم قال تعالى : ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم ﴾ أي فكما كانوا في سعر وشك وتردد أورثهم ذلك النار ، وكما كانوا ضلالاً يسحبون فيها على وجوههم لا يدرون أين يذهبون ، ويقال لهم تقرعاً وتوبيخاً ﴿ ذوقوا مسَّ سقر ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ سُبْحَ اسمِ ربِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسُوًى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ أي قدر قدرأ ، وهدي الخلائق إليه ، ولهذا يستدل أئمة السنة من هذه الآية الكريمة على إثبات قدر الله تعالى السابق لخلقهم وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابتها لها قبل برئها ، وردوا بهذه الآية وبما شابهها من الآيات والأحاديث الثابتة ، على الفرقة القدريّة ، الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة ولندكر ما تيسر من هذه الأحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة .

روى أحمد عن أبي هريرة قال : ٢٩٢ [جاء مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونهم في القدر فنزلت : ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسَّ سقر ﴾ . إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾] وهكذا رواه مسلم والترمذي وابن ماجه .

وروى ابن أبي حاتم عن زارة عن النبي ﷺ ٢٩٣ [انه تلا هذه الآية : ﴿ ذوقوا مسَّ سقر ﴾ . إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ قال : « نزلت في أناس من أمّتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله . »] .

وروى أحمد عن عبد الله بن عمر ان رسول الله ﷺ قال : ٢٩٤ [لكل أمة محجوس ، ومحجوس أمّتي ^(١) الذين يقولون لا قدر إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم]

وفي الحديث الصحيح: ٢٩٥ [استعن بالله ولا تعجز فإن أصابك أمر فقل قدر الله وما شاء فعل، ولا تقل لو أني فعلت لكان كذا فإن لو تفتح عمل الشيطان] وقد ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ ٢٩٦ [إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة - زاد ابن وهب - وكان عرشه على الماء] ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب.

وروى الإمام أحمد عن عبادة بن الوليد بن عبادة، حدثني أبي قال: ٢٩٧ [دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت: أوصني واجتهد لي، فقال: أجلسوني... فلما أجلسوه قال: يا بُنيَّ إنك لم تطعم الإيمان ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. قلت: يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بُنيَّ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» يا بني إن متَّ ولست على ذلك دخلت النار].

وقوله تعالى: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ قدره فيهم ﴿وما أمرنا إلا واحدة﴾ أي لا نحتاج إلى تأكيد بثانية لأن الأمر ينفذ حالاً لا يتأخر طرفة عين وما أحسن ما قال بعض الشعراء:

إذا ما أراد الله أمراً فإِنَّمَا يقول له: كن. قوله فيكون

وقوله تعالى: ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ يعني أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكذبين بالرسول ﴿فهل من مدكر﴾ أي فهل من متعظ بما أخزى الله أولئك وقدر لهم من العذاب؟ وقوله تعالى: ﴿وكل شيء فعلوه في الزبر﴾ أي في الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام ﴿وكل صغير وكبير﴾ من أعمالهم ﴿مستطير﴾ أي مسطر في صحائفهم ومحصى. قال الإمام أحمد عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول: ٢٩٨ [يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً] ورواه النسائي وابن ماجه. وقوله تعالى: ﴿إن المتقين في جنات ونهر﴾ أي بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسُّعُر، والسَّحَب في النار على وجوههم. وقوله تعالى ﴿في مقعد صدق﴾ أي في دار كرامة الله ورضوانه ﴿عند مليك مقتدر﴾ أي عند الملك العظيم الخالق القادر على كل شيء مما يطلبون ويريدون. وقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر يبلغ به النبي ﷺ قال: [المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا] انفرد باخراجه مسلم والنسائي.

آخر اختصار تفسير سورة القمر والله الحمد والمنة وبه العصمة.

(٥٥) سُورَةُ الرَّحْمَنِ مَدَنِيَّةٌ وَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَكِّيٍّ

نزلت بعد الرعد

روى ابو عيسى الترمذي عن جابر قال : ٢٩٩ [خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال : « لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم ، كنت كلما أتيت على قوله ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ قالوا : لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد »] غريب. روى ابن جرير عن عبد الله ابن عمر ٣٠٠ [إن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن أو قرئت عنده فقال « ما لي أسمع الجن أحسن جواباً لربها منكم ؟ » قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال « ما أتيت على قول الله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إلا قالت الجن : لا بشيء من نعم ربنا نكذب »] ورواه الحافظ البزار عن عمرو بن مالك به ثم قال لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عِلْمُ الْقُرْآنِ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾
عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ
يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا
فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا
الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ
ذَاتُ الْأَكَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾



ينخبّر تعالى عن فضله ورحمته بخلقه أنه أنزل على عباده القرآن ويسر حفظه وفهمه على من رحمه . فقال تعالى: ﴿الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان﴾ قال الحسن : يعني النطق ، وهو أداء تلاوته ، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الخلق، واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها . كقوله تعالى : ﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم﴾ .

وقوله تعالى : ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ نص علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : النجم ما انبسط على وجه الأرض يعني النبات ، وكذا قال سعيد بن جبير والسدي وسفيان الثوري واختاره ابن جرير رحمه الله تعالى . وقوله تعالى : ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان﴾ يعني العدل . كما قال تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ وهكذا قال ههنا : ﴿الآن تطفؤا في الميزان﴾ أي خلق السموات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل . ولهذا قال تعالى : ﴿وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ أي لا تبخسوا الوزن، بل زنوا بالحق والقسط . كما قال تعالى : ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ .

وقوله تعالى : ﴿والأرض وضعها للأنام﴾ أي كما رفع السماء وضع الأرض وجعلها مستقرّاً لمعاش أهلها ﴿فيها فاكهة﴾ أي مختلفة الألوان والطعوم والروائح ﴿والنخل ذات الأكمام﴾ والأكمام: قال ابن جريج عن ابن عباس : هي أوعية الطلع . وهكذا قال غير واحد من المفسرين ، وهو الذي يطلع فيه القنوط ثم ينشق عن العنقود ، فيكون بשרاً ثم رطباً ثم ينضج ويتناهى يفعه واستواؤه .

﴿والحب ذو العصف والريحان﴾ ذو العصف: يعني التبن وهو ما على السنبلة والريحان؛ وهو الورق الملتف على ساقها . وقوله تعالى : ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أي فبأي النعم المغمورون بها يا معشر الثقلين من الإنس والجن تكذبان ؟ قاله مجاهد وغير واحد ، ويدل عليه السياق بعده فأيّ نعمة من هذه النعم التي لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها تكذبون ؟ فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون به : اللهم ولا تبشينا من آلائك ربنا نكذب ، فلك الحمد .

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (١٤) وَخَلَقَ

الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ • (١٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ • (١٦)
 رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ • (١٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ • (١٨) مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ • (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا
 يَبْغِيَانِ • (٢٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ • (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا
 اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ • (٢٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ • (٢٣)
 وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ • (٢٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ • (٢٥)

يذكر تعالى خلقه الإنسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجان من مارج من نار ،
 أي من خالص النار قاله ابن عباس وغيره . روى الإمام أحمد عن عائشة قالت : قال
 رسول الله ﷺ ٣٠١ [خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق
 آدم مما وصف لكم] ورواه مسلم .

وقوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ تقدم تفسيره ﴿ رب المشرقين ورب
 المغربين ﴾ يعني مشرقى الصيف والشتاء ومغربى الصيف والشتاء ، ولما كان في اختلاف
 هذه المطالع مصالح للخلق من الجن والإنس قال سبحانه : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾
 وقوله تعالى : ﴿ مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ قال ابن عباس أي أرسلهما وقوله تعالى :
 ﴿ يَلْتَقِيَانِ ﴾ قال ابن زيد : أي منعهما أن يلتقيا بما جعل بينهما من الحاجز الفاصل بينهما
 والمراد بالبحرين : أي المالح والحلو ؛ فالخلو هذه الأنهار السارحة بين الناس ، وقد قدمنا
 الكلام على ذلك في سورة الفرقان . عند قوله تعالى : ﴿ وهو الذي مرج البحرين هذا عذاب
 فرات وهذا ملح أجاج ﴾ وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً ﴿ وقوله تعالى : ﴿ بينهما
 برزخ لا يبغيان ﴾ أي وجعل بينهما حاجزاً من الأرض لثلاث يبغي هذا على هذا ، وهذا
 على هذا فيفسد كل واحد منهما الآخر ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه . وقوله
 تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ أي من مجموعهما ، فإذا وجد ذلك من أحدهما
 كفى . كما قال تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ والرسل إنما كانوا
 من الإنس خاصة دون الجن وقد صح هذا الإطلاق . واللؤلؤ معروف ، وأما المرجان

فقيل هو صغار اللؤلؤ ، وقيل : هو نوع من الجواهر أحمر اللون ، وقيل هو الخرز الأحمر .

وعن ابن عباس قال : إذا امطرت السماء فتحت الأصداف في البحر أفواها فما وقع فيه من القطر فهو اللؤلؤ . إسناده صحيح . رواه ابن أبي حاتم . ولما كان اتخاذ هذه الحلية على أهل الأرض نعمة ، أمّن بها عليهم فقال تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وله الجوار المنشآت ﴾ يعني السفن التي تجري ﴿ في البحر ﴾ قال مجاهد ما رُفِعَ قلعه من السفن فهي منشآت . ﴿ كالأعلام ﴾ أي كالجبال في كبرها وما فيها من مصالح نقل التجارات من قطر إلى قطر ، مما فيه صلاح للناس . ولهذا قال سبحانه ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ وقال ابن أبي حاتم عن عمرة بن سويد قال : كنت مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه على شاطئ الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها ، فبسط عليّ يديه ثم قال : يقول الله عزّ وجل ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾ والذي أنشأها تجري في بحوره ما قتلت عثمان ولا مالت على قتله ^(١) .

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ (٢٨) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿ (٢٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ (٣٠)

يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيموتون ، وكذلك أهل السموات إلّا من شاء الله ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم ؛ فإن الرب تعالى وتقدس هو الحي الذي لا يموت أبداً . قال قتادة : أنبأ بما خلق ثم أنبأ أن ذلك كله فان . وفي الدعاء المأثور : ٣٠٢ [يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت برحمتك نستغيث أصلح لنا شأننا كله ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، ولا إلى أحد من خلقك] . وقال الشعبي : إذا قرأت : ﴿ كل من عليها فان ﴾ فلا تسكت حتى تقرأ : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ أي أنه أهل أن يُجَلَّ فلا يُعَصَى ، وأن يطاع فلا يخالف . ولما

(١) صدقت يا أمير المؤمنين صدقت... فأنت البريء المبرأ من دمعه على رسول الله وعليكما صلاة الله وسلامه ورحته وبركاته.

٢٨. (٥٥-الرحمن-ج٢٧): انفذوا إن استطعتم من السموات الأرض فراراً من هول المحشر

أخبر تعالى عن تساوي أهل الأرض كلهم في الوفاة وصيرورتهم إلى الدار الآخرة : فيحكم فيهم ذو الجلال والإكرام بحكمه العدل قال سبحانه : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ وهذا إخبار عن غناه عما سواه ، وافتقار الخلائق إليه في جميع الأحوال . وقوله تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ قال ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : [٣٠٣] قال الله عز وجل ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ — قال — من شأنه أن يغفر ذنباً ، . ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين]

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةَ الثَّقَلَانِ ﴾ (٣١) ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٣٢) ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ (٣٣) ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٣٤) ﴿ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴾ (٣٥) ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٣٦) ﴿

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةَ الثَّقَلَانِ ﴾ قال : وعيد الله تعالى — للثقلين الإنس والجن — وليس بالله شغل وهو فارغ . قال البخاري : سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء ، وهو معروف في كلام العرب ، يقال لأنفرغ لك وما به شغل ، يقول لآخذنك على غرتك ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ أي لا تستطيعون هرباً من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم ، لا تقدرون على التخلص من حكمه ولا النفوذ عن حكمه فيكم ، أينما ذهبتم أحيط بكم وهذا في مقام الحشر ؛ الملائكة محذرة بالخلائق كقوله تعالى : ﴿ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُغُ كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ وكقوله تعالى ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَالِهِمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ قال تعالى : ﴿ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴾ أي لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لرجعوا ، ولهذا قال ﴿ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ .

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (٣٧) ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٨) ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ (٣٩) ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٠) ﴿يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بَسِيمَاهُمْ فَيُوْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (٤١) ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٢) ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ﴾ (٤٣) ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ (٤٤) ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٥)

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ أي يوم القيامة كما دلَّت عليه هذه الآيات ... مع ما شابهها من الآيات الواردة في معناها كقوله تعالى: ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ وقوله تعالى ﴿فكانت وردة كالدهان﴾ أي تتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها فتارة حمراء وتارة صفراء وخضراء وزرقاء وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم. وقوله تعالى: ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ أي بعد أن يسألوا عن جميع أعمالهم: لم عملتم كذا وكذا ... ثم يحتم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. ثم يؤمر بهم إلى النار فذلك الوقت لا يسألون عن ذنوبهم، بل يقادون إليها ويلقون فيها. كما قال تعالى: ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾ أي بعلامات تظهر عليهم، ويعرفونهم بسواد وجوههم. قلت: وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء.

وقوله تعالى: ﴿فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ أي يجمع الزبانية ناصية الكافر مع قدميه في سلسلة من وراء ظهره ثم يلقي من جهنم فيهوي فيها سنين حتى يصل قاعها. وقوله تعالى: ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون﴾ أي هذه هي النار التي كنتم تكذبون بوجودها، فهي حاضرة تشاهدونها عياناً وتحسّون بلهيبها يقال لهم ذلك تقريباً وتوبيخاً وتصغيراً وتحقيراً. وقوله تعالى: ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ أي تارة يعدّون، وطوراً يسقون من الحميم الذي هو كالنحاس المذاب يقطع الأمعاء والأحشاء. وقوله تعالى: ﴿آن﴾ أي حار قد بلغ منتهى حرارته. كقوله تعالى: ﴿تسقى من عين آنية﴾ أي لا تستطاع من شدة الحرارة. ولما كان معاقبة المجرمين وتنعيم المتقين

من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه ، وكان إنذاره لهم عن عذابه وبأسه مما يزرهم عما هم فيه من الشرك والمعاصي وغير ذلك . قال ممتناً بذلك على برئته : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ (٤٦) ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٤٧) ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ (٤٨) ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٤٩) ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ خَابِرَتَانِ ﴾ (٥٠) ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٥١) ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ (٥٢) ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٥٣)

قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره . يقول الله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ ولا آثر الحياة الدنيا ، وعلم أن الآخرة خير وأبقى ، فأدى فرائض الله واجتنب محارمه فله يوم القيامة عند ربه جنتان . كما روى البخاري رحمه الله تعالى عن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال : ٣٠٤ [جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب وآتيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن] وأخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود .

وروى ابن جرير عن أبي الدرداء ٣٠٥ [أن رسول الله ﷺ قرأ يوماً هذه الآية : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ فقلت : وإن زني وإن سرق ؟ فقال : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ فقلت : وإن زني وإن سرق ؟ فقال : « وإن رغم أنف أبي الدرداء » [وروي عن أبي الدرداء موقوفاً : إن من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق . وهذه الآية عامة في الإنس والجن فهي من أدل الدليل على الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا ، ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء . فقال : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ ثم نعت هاتين الجنتين فقال تعالى : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ أي أغصان نضرة حسنة ، تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة . ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ روى محمد بن إسحق عن أسماء بنته أم بكر قالت : ٣٠٦ [سمعت رسول الله ﷺ وذكر سدرة المنتهى ، فقال : « يسير

في ظل الفن منها الراكب مائة سنة - أو قال يستظل في ظل الفن منها مائة راكب - فيها فراش الذهب كأن ثمارها القلال [ورواه الترمذي . وقوله تعالى : ﴿ فيهما عينان تجريان ﴾ أي تسرحان لسقي تلك الأشجار والأغصان فتثمر من جميع الألوان ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ فيهما من كل فاكهة زوجان ﴾ أي من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخبر مما يعلمون ، ومما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ قال ابن عباس : ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء يعني أن بين ذلك بونا عظيماً وفرقاً بيننا في التفاضل .

﴿ مُتَكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَّا الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ (٥٤) ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٥٥) ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطُّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴾ (٥٦) ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٥٧) ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ (٥٨) ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٥٩) ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (٦٠) ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٦١)

يقول تعالى : ﴿ متكئين ﴾ أي مضطجعين ﴿ على فرش بطائنها من إستبرق ﴾ وهو ما غلظ من الديباج والمزين بالذهب فنبه على شرف الظهارة بشرف البطانة وعن ابن مسعود قال : هذه البطائن فكيف لو رأيتم الظواهر ؟ ! ﴿ وجنىّ الجنّتين دَانٍ ﴾ أي ثمرهما قريب إليهم متى شاءوا تناولوه على أي صفة كانوا . كما قال تعالى : ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ أي لا تمتنع ممن تناولها بل تنحط إليه من أغصانها . ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ولا ذكر الفرش وعظمتها . قال بعد ذلك ﴿ فيهن ﴾ أي من الفرش ﴿ قاصرات الطرف ﴾ أي غصبيصات عن غير أزواجهن فلا يرين شيئاً في الجنة أحسن من أزواجهن قاله ابن عباس وغيره وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعليها : والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك ، ولا في الجنة شيئاً أحب إليّ منك فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك .

وقوله تعالى : ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ أي بل هن أبكار عرب أثراب لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن ، وهذه أيضاً من الأدلة على دخول مؤمني الجن الجنة . ثم

قال تعالى ينعتهم للخطأ : ﴿ كَانَهُنَّ الْيَاقُوتَ وَالْمَرْجَانَ ﴾ قال مجاهد والحسن وغيرهما في صفاء الياقوت ، وبياض المرجان ، فجعلوا المرجان ها هنا : اللؤلؤ وعن عبد الله بن مسعود قال : إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير حتى يرى مخها ، وذلك قوله تعالى : ﴿ كَانَهُنَّ الْيَاقُوتَ وَالْمَرْجَانَ ﴾ فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيت لرأيت من روائه وهكذا فقد رواه ابن أبي حاتم مرفوعاً والترمذي موقوفاً ثم قال وهو أصح . وروى مسلم عن محمد بن سيرين قال : ٣٠٧ [إما تفاخروا وإما تذاكروا ، الرجال أكثر في الجنة أم النساء فقال أبو هريرة : أو لم يقل أبو القاسم ﷺ « أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على ضوء كوكب دري في السماء ، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم وما في الجنة أعزب »] وهذا الحديث مخرج في الصحيحين . من حديث همام بن منبه وأبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وقوله تعالى : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ أي لا لمن أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة . روى البغوي عن أنس بن مالك قال : ٣٠٨ [قرأ رسول الله ﷺ ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ وقال : « هل تدرون ما قال ربكم » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : « يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة »] ولما كان في الذي ذكر نعم عظيمة لا يقاومها عمل بل مجرد تفضل وامتنان قال بعد ذلك كله : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ .

﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ (٦٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ (٦٣) مُدْهَامَتَانِ ﴾ (٦٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (٦٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ (٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَّانٌ ﴾ (٦٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴾ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ (٧١) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ (٧٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ

وَلَا جَانٌ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَكَنِّينَ
عَلَى رُفُوفٍ خُضْرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حَسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى : ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمترلة بنص القرآن ؛ وقد تقدم الحديث : جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة وآتيتهما وما فيهما فالأوليان للمقربين والأخريان لأصحاب اليمين . والدليل على شرف الأوليين على الآخرين من وجوه أحدها أنه نعت الأوليين قبل هاتين والتقديم يدل على الاعتناء . ثم قال تعالى : ﴿ ذواتا أفنان ﴾ وهي الأغصان وقال ها هنا : ﴿ مدهامتان ﴾ أي سوداوان من شدة الإخضرار والري من الماء . وقال هناك : ﴿ فيهما عينان تجريان ﴾ وقال تعالى ههنا : ﴿ نضاختان ﴾ أي فياضتان والجري أقوى من النضغ . وقال تعالى هناك : ﴿ فيهما من كل فاكهة زوجان ﴾ وقال تعالى ههنا ﴿ فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ ولا شك ان الأولى أعم وأكثر في الأفراد والتنوع على فاكهة وهي نكرة في سياق الإثبات لا نعم . ثم قال تعالى : ﴿ فيهن خيرات حسان ﴾ قيل المراد خيرات كثيرة حسنة في الجنة قاله قتادة وقيل خيرات جمع خيرة وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق والوجه قاله الجمهور . وروي مرفوعاً عن أم سلمة وفي الحديث الآخر الذي سنورده في سورة الواقعة إن شاء الله تعالى إن الحور العين يغنين : نحن الخيرات الحسان خلقنا لأزواج كرام ولهذا قرأ بعضهم : ﴿ فيهن خيرات ﴾ بالتشديد ﴿ حسان ﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴿ ثم قال جلّت عظمتها ﴾ حور مقصورات في الخيام ﴾ وهناك قال سبحانه ﴿ فيهن قاصرات الطرف ﴾ ولا شك ان التي قد قصّرت طرفها بنفسها ، أفضل ممن قصّرت ، وان كان الجميع مخدرات وقوله تعالى : ﴿ في الخيام ﴾ روى البخاري عن عبدالله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال : ٣٠٩ [إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين ، يطوف عليهم المؤمنون] ورواه مسلم بنفس المعنى وقال ابن عباس : ﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾ أي خيام اللؤلؤ وقوله تعالى : ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ قد تقدم مثله سواء إلا أنه زاد في وصف الأوائل بقوله تعالى : ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ فبأي آلاء ربكما تكذبان .

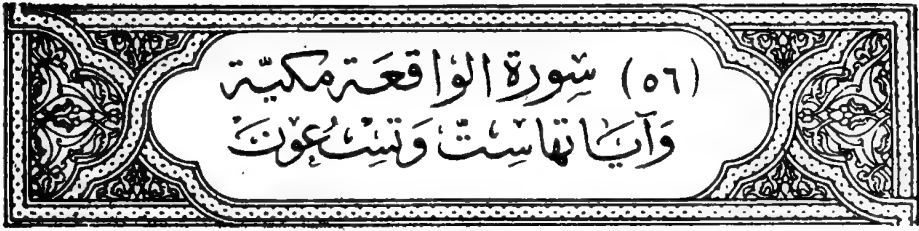
وقوله تعالى : ﴿ متكنين على رفرف خضر وعبقري حسان ﴾ الرفرف على السرير كهيفة المحابس المتدلي وقيل الوسائد وقال سعيد بن جبیر : رياض الجنة ، وقوله تعالى :

﴿وعبقري حسان﴾ أي جياذ بسط أهل الجنة الملوّنة الموشاة . قال الخليل بن أحمد كل شيء نفيس من الرجال وغير ذلك يسمّى عند العرب عبقرياً . ومنه قول النبي ﷺ في عمر: ٣١٠ [فلَمْ أَرْ عبقرياً يفري فريه] . فمرافق صفة أهل الجنة الأولين أرفع وأعلى من هذه الصفة ، فإنه قد قال هناك: ﴿متكئين على فرش بطائنها من إستبرق﴾ فنعت بطائنها وسكت عن ظواهرها بما مدح به البطائن بطريق الأولى والأخرى ، وتمام الخاتمة أن قال تعالى بعض الصفات المتقدمة : ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ والإحسان أعلى المراتب والنهايات . فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنتين الأولين على هاتين الآخرين ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الأوليين .

ثم قال جل وعلا : ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ أي هو أهل أن يُجَلَّ فلا يَعْصَى ، وأن يُكْرَمَ فيُعْبَدَ ، وَيُشْكَرُ فلا يُكْفَرُ ، وأن يُذَكَّرَ فلا يُنْسَى .

روى الإمام أحمد عن ربيعة بن عامر قال : ٣١١ [سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أَلْطَوَابِيا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»] ورواه النسائي من حديث عبدالله المبارك به والإلظاظ هو : المداومة وال لزوم والإلحاح وفي صحيح مسلم والسنن الأربعة من حديث عبدالله بن الحارث عن عائشة قالت : ٣١٢ [كان رسول الله ﷺ إذا سلّم لا يقعد يعني بعد الصلاة إلاّ بقدر ما يقول : «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»] .

آخر اختصار تفسير سورة الرحمن والله الحمد والمنة .



إِلَّا آيَةَ ٨١ و ٨٢ فمدنيتان نزلت بعد طه

روى الحافظ ابن عساكر عن عبدالله بن مسعود قال في المرض الذي توفي فيه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ٣١٣] من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً « فكان أبو ظبية لا يدعها [وكذا رواه أبو يعلى عن ابن مسعود .

وروى أحمد عن جابر بن سمرة يقول : ٣١٤] كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم ، ولكنه كان يخفف ، كانت صلاته أخف من صلاتكم وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ (١) لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴾ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿ (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿ (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿ (٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿ (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿ (١٢) ﴿

الواقعة من أسماء يوم القيامة سميت بذلك لتحقيق كونها وجودها. كما قال تعالى :

﴿ فيومئذ وقعت الواقعة ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ليس لوقعتها كاذبة ﴾ أي لا بد أن تكون، وليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا دافع يدفعها. كما قال تعالى : ﴿ استجبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ خافضة رافعة ﴾ أي تخفض أقواماً إلى الجحيم وان كانوا أعزاء في الدنيا وترفع آخرين إلى أعلى عليين إلى النعيم المقيم وان كانوا وضعاء في الدنيا .

وقوله تعالى : ﴿ إذا رجَّت الأرض رجاً ﴾ كقوله تعالى : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وبست الجبال بساً ﴾ أي فتتت فتاً. كما قال تعالى : ﴿ كثيراً مهلاً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فكانت هباءً منبثاً ﴾ أي كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء ، قاله علي رضي الله عنه . وقوله تعالى : ﴿ وكنتم أزواجاً ثلاثة ﴾ أي أصنافاً ثلاثة ، ﴿ فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ﴾ وهم قوم عن يمين العرش ، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين وهم جمهور أهل الجنة ، ﴿ وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ﴾ وهم قوم عن يسار العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر ويؤتون كتبهم بشمالهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال وهم عامة أهل النار - عياداً بالله من صنيعهم - ﴿ والسابقون السابقون ﴾ هم سابقون بين يديه عز وجل، وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين، الذين هم سادتهم ، فيهم الرسل والأنبياء والصدّيقون والشهداء وهم أهل عليين ، فمن سبق في هذه الدنيا ، وسبق إلى الخير ، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة فإن الجزاء من نوع العمل ، وكما تدين تدان . ولهذا قال تعالى : ﴿ أولئك المقربون ﴾ في جنات النعيم ﴿ أي المقربون إلى كنف الله تعالى ورضاه نسأله تعالى أن يجعلنا منهم بفضله ومنه . وكرمه . - آمين

﴿ نُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿ (١٤)

عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوعَةٍ ﴿ (١٥) مُتَكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿ (١٦) يَطُوفُ

عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ مُخَلَّدُونَ ﴿ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ

مَعِينٍ ﴿ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴿ (١٩) وَقَاكِهَ زِمًا

يَتَخَيَّرُونَ ﴿ (٢٠) وَلَحْمٍ طَيِّبٍ مَّا يَشْتَهُونَ ﴿ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ ﴿ (٢٢)

كَأَمْثَالِ اللَّوْلُوءِ الْمَكْنُونِ * (٢٣) جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * (٢٤)
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا
سَلَامًا * (٢٦) ﴿٢٦﴾

يخبر تعالى عن هؤلاء السابقين انهم ثلثة أي جماعة من الأولين ، وقليل من الآخرين وقد اختلفوا في المراد بقوله الأولين والآخرين . فقيل : المراد بالأولين الأمم الماضية وبالآخرين هذه الأمة وهو قول ضعيف ، لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن ، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها ، اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة ، والراجح أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ ثلثة من الأولين ﴾ أي صدر هذه الأمة ﴿ وقليل من الآخرين ﴾ أي من هذه الأمة . ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها ، فيحتمل أن تعم الآية جميع الأمم كل أمة بحسبها ، وخير الأمم أمة محمد ﷺ . روى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن بكر المزني قال : سمعت الحسن أتى على هذه الآية ﴿ والسابقون السابقون ﴾ أولئك المقربون ﴿ فقال : أما السابقون فقد مضوا... ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين . وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : ٣١٥ [خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .] والغرض ان هذه الأمة أشرف من سائر الأمم والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة لشرف دينها وعظم نبينا . ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر ٣١٦ [إن في هذه الأمة سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب] وفي لفظ : ٣١٧ [مع كل ألف سبعون ألفاً] - وفي لفظ آخر - ٣١٨ [مع كل واحد سبعون ألفاً] .

وروى الحافظ أبو قاسم الطبراني عن أبي مالك قال : قال رسول الله ﷺ ٣١٩ [أما والذي نفسي بيده ليعيثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود ، زمرة جميعها يحيطون الأرض تقول الملائكة : لما جاء مع محمد ﷺ أكثر مما جاء مع الأنبياء عليهم السلام] وقوله تعالى : ﴿ على سرر موضونة ﴾ أي منسوجة ومضفورة بالذهب واللؤلؤ . وقوله تعالى : ﴿ متكئين عليها متقابلين ﴾ أي وجوه بعضها إلى بعض ليس أحد وراء أحد ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾ أي على صفة واحدة لا يكبرون ولا يشيئون ولا يتغيرون ﴿ بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾ والجميع من خمر من عين جارية معين ، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ بل من عيون سارحة . وقوله تعالى : ﴿ لا يصدعون عنها ولا

ينزفون ﴿ أي لا تصدع رؤوسهم ولا تتزف عقولهم ، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة . وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال : في الخمر أربع خصال : السكر ، والصداع ، والقيء ، والبول . فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهاها عن هذه الخصال .

وقوله تعالى : ﴿ وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون ﴾ أي ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار ، وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخيير لها وبدل على ذلك حديث عكراش بن ذؤيب الذي يحدث عن مؤاكلته لرسول الله ﷺ في بيت أم سلمة ٣٠٢... ثم أخذ بيدي فانطلقنا إلى منزل أم سلمة فقال - ﷺ « هل من طعام » فأتينا بجفنة كالحصعة كثيرة الثريد والوذر فجعل يأكل منها فأقبلت أخبط بيدي في جوانبها فقبض رسول الله ﷺ بيده اليسرى على يدي اليمنى فقال : « يا عكراش ، كل من موضع واحد فإنه طعام واحد » ثم أتينا بطبق فيه تمر أو رطب - شك عبيد الله رطباً كان أو تمرأ - فجعلت أكل من بين يدي وجالت يد رسول الله ﷺ في الطبق وقال : « يا عكراش كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد » ثم أتينا بماء فغسل رسول الله ﷺ يده ومسح وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثاً ثم قال : « يا عكراش هذا الوضوء مما غيّرت النار » [ورواه الترمذي مطولاً وابن ماجه جميعاً عن محمد بن بشار . وروى الحافظ الطبراني : عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : ٣٢١] إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى [وقوله تعالى : ﴿ ولحم طير مما يشتهون ﴾ قال الإمام أحمد عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : ٣٢٢] « إن طير الجنة كأمثال البخت يرمى في شجر الجنة » فقال أبو بكر : يا رسول الله إن هذه لطير ناعمة ، فقال : « آكلها أنعم منها - قالها ثلاثاً - وإنّي لأرجو أن تكون ممن يأكل منها » [وروى الحسن بن عرفة عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ : ٣٢٣] انك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخرب بين يديك مشوياً [وقوله تعالى : ﴿ وحوور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ أي كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه . كما تقدم في سورة الصافات : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ وقد تقدم في سورة الرحمن وصفهن أيضاً . ولهذا قال تعالى : ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ أي هذا الذي اتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل . ثم قال تعالى : ﴿ لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً . إلا قيلاً سلاماً سلاماً ﴾ أي لا يسمعون في الجنة كلاماً لاغياً أي عبثاً خالياً عن المعنى أو مشتملاً على معنى حقير أو ضعيف . كما قال : ﴿ لا تسمع فيها لاغية ﴾ أي كلمة لاغية ﴿ ولا تأثيماً ﴾ أي ولا كلاماً فيه قبح ﴿ إلا قيلاً سلاماً سلاماً ﴾ أي إلا التسليم منهم بعضهم على بعض . كما قال تعالى : ﴿ تحيتهم فيها سلام ﴾ وكلامهم أيضاً سالم من اللغو والأثم .

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ (٢٧) فِي سِدْرٍ
مَخْضُودٍ ﴿ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴾ (٢٩) وَظِلٍّ مُّتْدُودٍ ﴿ (٣٠) وَمَا
مَسْكُوبٍ ﴿ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا
مَمْنُوعَةٍ ﴿ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً ﴿ (٣٥)
فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿ (٣٦) عُرْبًا أَتْرَابًا ﴿ (٣٧) لِأَصْحَابِ
الْيَمِينِ ﴿ (٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ
الْآخِرِينَ ﴿ (٤٠) ﴾

لما ذكر تعالى مال السابقين وهم المقربون ، عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين وهم
الأبرار لأن أصحاب اليمين منزلتهم دون المقربين فقال تعالى : ﴿ وأصحاب اليمين ما
أصحاب اليمين ﴾ ثم فسر ذلك : ﴿ في سدر مخضود ﴾ وهو الذي لا شوك فيه وهو الموقر
بالثمر بعكس سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر . روى الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان
النجار عن سليم بن عامر قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : ٣٢٤ [إن الله
لينفعنا بالأعراب ومسائلهم قال : أقبل اعرابي يوماً فقال : يا رسول الله ذكر الله في الجنة
شجرة تؤذي صاحبها ، فقال رسول الله ﷺ « وما هي ؟ » قال : السدر فإن له شوكاً
مؤذياً فقال رسول الله ﷺ « أليس الله تعالى يقول : ﴿ في سدر مخضود ﴾ خضد الله
شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة ، فإنها لتنبث ثمراً تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين
لونا من طعام ، ما فيها لون يشبه الآخر »] .

وقوله تعالى : ﴿ وطلح منضود ﴾ الطلع شجر عظام يكون بأرض الحجاز ، واحدته
طلحة . ومنضود أي متراكم الثمر . قال ابن عباس يشبه طلع الدنيا ، ولكن له ثمر أحلى من
العسل ، فكأنه السدر ، وصفه بأنه مخضود وهو الذي لا شوك فيه وأن طلعه كثير الثمر
وروى عن ابن عباس الطلع : الموز وكذلك يسمون أهل اليمن الموز الطلع .

وقوله تعالى : ﴿ وظل ممدود ﴾ روى البخاري عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ
قال : ٣٢٥ [إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها ، إقرأوا إن شئتم :
﴿ وظل ممدود ﴾] ورواه مسلم . وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد ، وسهل

بن سعد عن رسول الله ﷺ قال : ٣٢٦ [ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مئة عام ما يقطعها] فهذا حديث ثابت عن رسول الله ﷺ ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد ، لتعدد طرقه وقوة أسانيده وثقة رجاله . وقال الضحاك والسدي وابو حزره في قوله تعالى : ﴿ وظل ممدود ﴾ لا ينقطع ، ليس فيها شمس ولا حر مثل قبل طلوع الشمس . وقوله تعالى : ﴿ وماء مسكوب ﴾ قال الثوري يجري في غير أخدود . وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالى ﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن... ﴾ (١) بما أغنى عن أعادته ههنا . وقوله تعالى : ﴿ وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ أي وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . كما قال تعالى : ﴿ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ﴾ أي يشبه الشكل الشكل ولكن الطعم غير الطعم . وفي الصحيحين في ذكر سدره المنتهى : ٣٢٧ [... فإذا ورقها كآذان الفيلة ، ونبقها مثل قلال هجر] وفيهما أيضاً - أي في الصحيحين - عن ابن عباس قال : ٣٢٨ [خسفت الشمس فصرى رسول الله ﷺ والناس معه فذكر الصلاة وفيه قالوا : يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكت ، قال : « إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا »] وقوله تعالى ﴿ لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ لا تنقطع شتاءً ولا صيفاً بل أكلها دائماً مستمر أبداً ، مهما طلبوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدرة الله تعالى شيء ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ أي عالية وطيبة ناعمة . وقوله تعالى : ﴿ إنا أنشأناهم إنشأاً ﴾ فجعلناهم أبكاراً عرباً أتراباً . لأصحاب اليمين ﴿ جرى الضمير على غير مذكور . لكن لما دل السياق وهو ذكر الفرش دل على النساء اللاتي يضاجعن فيها . إكتفى بذلك عن ذكرهن وعاد الضمير عليهن بقوله تعالى : ﴿ إنا أنشأناهم إنشأاً ﴾ إنا أعدناهم في النشأة الأخرى بعد ما كن عجائزاً رُصصاً صرن أبكاراً بعد الثوبه عدن أبكاراً عرباً متحبيات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحه .

روى ابو القاسم الطبراني عن أم سلمة قالت : ٣٢٩ [قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ حور عين ﴾ قال « حور بيض عين ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر » قلت : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ قال : « صفاؤه ن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي » قلت : أخبرني عن قوله : ﴿ فيهن خيرات حسان ﴾ قال : « خيرات الأخلاق حسان الوجوه » قلت : أخبرني عن قوله : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ قال : « رقتن كرقعة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي

القشر وهو الفرقية» قلت : يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالى : ﴿عُرْبًا أتراباً﴾ قال : « هن اللواتي قبضن في الدار الدنيا عجائز رمصاً شمطاً خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عُرْبًا متعشقات محبيات أتراباً على ميلاد واحد » قلت : يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال « بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين . كفضل الظهارة على البطانة » قلت : يا رسول الله وبم ذاك ؟ قال : « بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل . ألبس الله وجوههن النور ، وأجسادهن الحرير . بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلي مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب ، يقلن : نحن الخالدات فلا نموت أبداً ، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً ، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً طوبى لمن كنا له وكان لنا » قلت : يا رسول الله المرأة منا تتزوج زوجين ، والثلاثة والأربعة ، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها ؟ قال : « يا أم سلمة إنها تُخَيَّر فتختار أحسنهم خلقاً ، فنقول يا رب إن هذا كان أحسن خلقاً معي فزوجنيه . يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » [.

وقوله تعالى : ﴿عُرْبًا﴾ قال ابن عباس : العُرب العواشق لأزواجهن وأزواجهن لهن عاشقون . وقوله تعالى : ﴿أتراباً﴾ يعني في سنٍّ واحدة ثلاث وثلاثين سنة ، والمستويات في الأخلاق ليس بينهن تباغض ولا تحاسد . وقوله تعالى : ﴿لأصحاب اليمين﴾ أي خلقهن لأصحاب اليمين أو أنشأناهن لهم ويحتمل أن يكون المعنى أي في أسنانهم يعني ثلاثاً وثلاثين سنة كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ٣٣٠] أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخضون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الإلوة^(١) وأزواجهم الحور العين ، اخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء [وقوله تعالى : ﴿ثلاثة من الأولين وثلاثة من الآخرين﴾ أي جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين . روى ابن جرير عن ابن عباس : ٣٣١] ﴿ثلاثة من الأولين * وثلاثة من الآخرين﴾ قال : قال رسول الله ﷺ (هما جميعاً من أمي » . [

﴿ وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ﴾ (٤١) ﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾ (٤٢) ﴿ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴾ (٤٣) ﴿ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ (٤٤) ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ (٤٥) ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾ (٤٦) ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ (٤٧) ﴿ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ (٤٨) ﴿ قُلْ إِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴾ (٤٩) ﴿ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ (٥٠) ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴾ (٥١) ﴿ لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ ﴾ (٥٢) ﴿ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ (٥٣) ﴿ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴾ (٥٤) ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴾ (٥٥) ﴿ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (٥٦)

لما ذكر تعالى أصحاب اليمين عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال فقال سبحانه : ﴿ وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ﴾ أي أي شيء هم فيه ؟ ... ثم فسر ذلك فقال تعالى : ﴿ فِي سَمُومٍ ﴾ وهو الهواء الحار ﴿ وَحَمِيمٍ ﴾ وهو الماء الحار ﴿ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴾ وهو الدخان الأسود ، ﴿ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ أي ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر ، وكل شيء ليس على ما يجب أن يكون ، فليس بكريم . ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك فقال عز من قائل : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ أي كانوا في الدنيا مقبلين على لذائذ أنفسهم ، لا يلبثون على ما جاءهم به الرسل ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ ﴾ أي مقيمون ولا ينوون توبة ﴿ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾ وهو الشرك ، وقيل هو اليمين الغموس ^(١) بل هو الشرك قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة . ولهذا قال تعالى : ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ يعني يكذبون بذلك مستبشرين وقوعه . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ أي

(١) هو ان تحلف على شيء وانت عالم بأنه على خلاف ما حلفت .

أخبرهم يا محمد أنهم وبني آدم عامة ، سيجمعون يوم القيامة . كقوله تعالى : ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ﴾ . وما تؤخره إلا لأجل معدود ﴿ لا يزيد ولا ينقص . ﴾ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون • لا تكلون من شجر من زقوم • فمالئون منه البطون ﴿ وذلك أنهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يملأوا منها بطونهم ﴾ فشاربون عليه من الحميم • فشاربون شرب الحميم ﴿ وهي الإبل العطاش واحداها أميم ، والأثني هيماء . قال السدي : الحميم : داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً . ثم قال تعالى : ﴿ هذا نزلهم يوم الدين ﴾ أي هذا الذي وصفنا ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم . أما ضيافة المؤمنين فكما قال الكريم سبحانه ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً ﴾ أي ضيافة وكرامة .

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ (٥٧) ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ (٥٨) ﴿ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ (٥٩) ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ (٦٠) ﴿ عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٦١) ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٦٢)

يقول تعالى مقررأ للمعاد ، وراداً على المكذبين به من أهل الزيف والإلحاد ، من الذين أنكروا البعث تكذيباً واستبعاداً له . فقال تعالى : ﴿ نحن خلقناكم ﴾ من عدم أفلسنا قادرين على إعادتكم بطريق الأولى ؟ ولهذا قال سبحانه : ﴿ فلولا تصدقون ﴾ أي فهلاً تصدقون بالبعث ؟ ثم قال جل وعلا : ﴿ أفرايتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾ أي أنتم تقرون هذه النطف في الأرحام وتخلقونها أم نحن خلقناها ... ؟ ثم قال تعالى : ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت ﴾ أي صرفناه بينكم ﴿ وما نحن بمسبوقين ﴾ أي وما نحن بعاجزين ﴿ على أن نبدل أمثالكم ﴾ أي نغير خلقكم يوم القيامة ﴿ وننشئكم فيما لا تعلمون ﴾ أي من الصفات والأحوال . ثم قال تعالى : ﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾ أي قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة فهلاً تتذكرون ، وتعرفون أن الذي قدر على هذه البداءة قادر على

الإعادة بطريق الأولى والأخرى. كما قال تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ * (٦٣) ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ * (٦٤) ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ * (٦٥) ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ * (٦٦) ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ * (٦٧) ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ * (٦٨) ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ * (٦٩) ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ * (٧٠) ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ * (٧١) ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمُ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ * (٧٢) ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ * (٧٣) ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ * (٧٤) ﴿

يقول تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها: ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ أي تنبتونه في الأرض ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ أي بل نحن الذي نقره وننبتة في الأرض. روى ابن جرير عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ [٣٣٢] «لا تقولن زرعت ولكن قل حرثت» قال أبو هريرة: ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾. [وقوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ أي نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا وأبقيناه لكم رحمة بكم ولو نشاء لأبسناه قبل استوائه واستحصاده وجعلناه حطاماً. ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ ثم فسر ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ بل نحن محرومون. أي لو جعلناه حطاماً لظلمت تفكّهون في المقالة تنوعون كلامكم فتقولون تارة إنا لمغرمون أي لا يثبت لنا مال ولا ينتج لنا ربح، وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم وتقولون: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ يعني لا حظ لنا قال الكسائي: تفكه من الأضداد، تقول العرب تفكّهُتُ بمعنى تنعمت. وتفكّهُتُ بمعنى حزنت. ثم قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ﴿بَلْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ أي زعاقاً مُرّاً لا يصلح لشرب ولا زرع ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أي فهلاً تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذباً زلالاً. كما

(٥٦- الواقعة-ج ٢٧): من أنبت الشجر، وأنزل المطر... أليس الله؟ فسبحوا باسمه العظيم ٢٩٧

قال تعالى : ﴿ لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ • يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ أي تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها ﴿ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾ أي بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها . وللعرب شجرتان : أحدهما : المرخ والأخرى : العفار ، إذا أخذ منها غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار . وقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً ﴾ أي تذكّر النار الكبرى .

وروى الإمام مالك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال ٣٣٣ [« نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » فقالوا : يا رسول الله إن كانت لكافية فقال : إنها قد فضّلت عليها بتسعة وستين جزءاً »] رواه البخاري من حديث مالك ومسلم من حديث أبي الزناد ، ورواه مسلم من حديث عبد الرزاق .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ ﴾ قال مجاهد يعني المستمتعين من الناس أجمعين وإن هذا التفسير أعظم من غيره ، فإن الحاضر والبادي من غني وفقير ، جميعاً محتاجون إليها للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع .

وقوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة : الماء الزلال العذب البارد ولو شاء لجعله أجاجاً كالبحار المغرقة ، وخلق النار المحرقة وجعل ذلك مصلحة للعباد ، وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم وزجراً لهم في المعاد .



﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ • (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَغَامُرَ غَظِيمٌ • (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ • (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ • (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ • (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ • (٨٠) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ • (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ • (٨٢) ﴾

ليست (لا) من قوله تعالى : ﴿ فلا ﴾ لا معنى لها ؛ بل يؤتى بها في أول القسم به

على منفي كقول عائشة رضي الله عنها ٣٣٤ [لا .. والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط] وهكذا ههنا تقدير الكلام : لا .. ليس الأمر كما تظنون وتزعمون في القرآن أنه سحر أو كهانة بل ﴿ أقسم بمواقع النجوم ﴾ . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . إنه لقرآن كريم ... قال الضحاك عن ابن عباس : نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجمتها السفرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على محمد ﷺ عشرين سنة . فهو قوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ أي نجوم القرآن . وكذا قال مجاهد وعكرمة والسدي وأبو حذرة . وقوله تعالى : ﴿ وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ أي وأن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم ، لو تعلمون عظمتهم لعظمهم المقسم به عليه ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ أي ان هذا القرآن الذي نزل على محمد لكتاب عظيم ﴿ في كتاب مكنون ﴾ أي معظم في كتاب معظم محفوظ موثق ﴿ لا يمسه ﴾ أي هذا الكتاب الذي في السماء ﴿ إلا المطهرون ﴾ يعني الملائكة . وكذا قال ابن عباس وأنس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والضحاك وأبو الشعثاء جابر بن زيد وأبو نعيم والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم .

وروى ابن جرير عن قتادة ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ قال : لا يمسه عند الله إلا المطهرون ، فأما في الدنيا يمسه المجوسي النجس والمنافق الرجس . وقال أبو العالیه : ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ ليس أنتم ، أنتم أصحاب الذنوب . وقال ابن زيد : زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين ، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال تعالى : ﴿ وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ وهذا القول قول جيد وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله .

وقال آخرون : ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ أي من الجنابة والحدث . ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب ، قالوا والمراد بالقرآن المصحف بدليل ما رواه مسلم عن ابن عمر ٣٣٥ [ان رسول الله ﷺ نهي أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو . واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في موطنه عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : ٣٣٦ [أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزم أن لا يمسه القرآن إلا طاهر]

وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال : قرأت في صحيفة عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان رسول الله ﷺ قال ٣٣٧ [ولا يمسه القرآن إلا طاهر]

وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره ، ومثل هذا ينبغي الأخذ به ^(١) وقوله تعالى : ﴿ تتزِيلُ مِنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي هذا القرآن منزل من رب العالمين وليس هو كما يقولون أنه سحر أو كهانة أو شعر ... !!! بل هو الحق الذي لا مرية فيه وليس وراءه حق نافع . وقوله تعالى : ﴿ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ﴾ أي تريدون أن تمالئوهم فيه وتركوا إليهم . وقال ابن عباس : أي مكذبون غير مصدقين . وقوله تعالى : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ وقد روي عن علي وابن عباس أنهما قرأها : ﴿ وتجعلون شكركم أنكم تكذبون ﴾ كما سيأتي أي تكذبون بدل الشكر . روى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٣٣٨ [وتجعلون رزقكم : شكركم أنكم تكذبون ، تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا] وروى مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : ٣٣٩ [ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الغيث فيقولون بكواكب كذا وكذا] انفرد به مسلم من هذا الوجه .

قال قتادة : أما الحسن فكان يقول : بشئ ما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب ؛ فمعنى قول الحسن هذا : وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به . ولهذا قال تعالى : ﴿ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون * وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ • (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ • (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ • (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ • (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • (٨٧) ﴾

(١) قلت : فيما أرى - والله أعلم - أن مس المصحف للجنب حرام . لحديث عمرو بن حزم : (... ولا يمس القرآن إلا طاهر) وإن هذا الحديث وإن كان فيه مقال ، إلا أنه يتقوى بتعدد طرقه ، التي يقوى بعضها بعضاً . ولذا قال ابن كثير : (ومثل هذا ينبغي الأخذ به) . وأما قوله تعالى : (لا يمسه إلا المطهرون) إنما هو رد على ما زعم كفار قريش ... من أن القرآن تنزلت به الشياطين فأقسم تعالى : (إنه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون) أي أن القرآن محفوظ في كتاب مكنون ، لا يمسه أحد إلا المطهرون أي الملائكة الكرام الكاتبون في السماء الدنيا ، كما أن الله ينفي في آية أخرى زعم كفار قريش : (وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون) . والخلاصة : أنه يحرم على الجنب مس المصحف قبل أن يغتسل . لما جاء في الحديث ، لا لما جاء في الآية ، والله تعالى أعلم ، وهو الموفق للصواب .

يقول تعالى : ﴿ فلولاً إذا بلغت ﴾ أي الروح ﴿ الحلقوم ﴾ أي الحلق وذلك حين الاحتضار . كما قال تعالى : ﴿ كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق ﴾ وظن أنه الفراق . والتفت الساق بالساق . إلى ربك يومئذ المساق ﴾ ولهذا قال ههنا : ﴿ وأنتم حينئذ تنظرون ﴾ أي إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت ﴿ ونحن أقرب إليه منكم ﴾ أي بملائكتنا ﴿ ولكن لا تبصرون ﴾ أي لا ترونهم . كقوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فلولاً إن كنتم غير مدبرين ترجعونها ﴾ أي الروح التي بلغت الحلقوم ، ترجعونها إلى مقرّها في الجسد . إن كنتم غير محاسبين ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ .

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٨٨) ﴿ فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴾ (٨٩) ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (٩٠) ﴿ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (٩١) ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ﴾ (٩٢) ﴿ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ (٩٣) ﴿ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ ﴾ (٩٤) ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ (٩٥) ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (٩٦) ﴿

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم ، إما أن يكون من المقرّبين أو ممن دونهم من أصحاب اليمين وإما أن يكون من المكذبين بالحق ، الضالين عن الهدى ، الجاهلين بأمر الله . ولهذا قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ ﴾ أي المحتضر ﴿ من المقرّبين ﴾ وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات ﴿ فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ أي فلهم روح وريحان ، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت ، كما جاء في حديث البراء ٣٤٠ [أن ملائكة الرحمة تقول أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريه ، أخرجني إلى روح وريحان ورب غير غضبان] والروح والريحان معناه أي رحمة ورزق وفرح وسرور . ﴿ وجنة نعيم ﴾ فقد روى الإمام أحمد عن الإمام الشافعي عن الإمام مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن كعب عن رسول الله ﷺ قال ٣٤١ [إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه] . وهذا إسناد عظيم ومتن قوي . ومعنى يعلق : أي يأكل .

قال أبو العالية : لا يفارق أحد من المقرّبين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض

روحه فيه . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : ٣٤٢ [أن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ...] الحديث .

وقوله تعالى : ﴿ وأما إن كان من أصحاب اليمين ﴾ أي وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين ﴿ فسلام لك من أصحاب اليمين ﴾ أي تبشرهم الملائكة بذلك وهذا كقوله تعالى : ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة إلا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلاً من غفور رحيم . ﴾ وقال البخاري : ﴿ فسلام لك ﴾ أي مسلم لك أنك من أصحاب اليمين .

وقوله تعالى : ﴿ وأما إن كان من المكذبين الضالين فتزل من حميم وتصلية جحيم ﴾ أي وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى . ﴿ فتزل ﴾ أي فضيافة ﴿ من حميم ﴾ وهو المذاب يصهر به ما في بطونهم والجلود ﴿ وتصلية جحيم ﴾ أي وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته . ثم قال تعالى : ﴿ إن هذا لهُو حق اليقين ﴾ أي لا مرية فيه ولا محيد لأحد عنه وهو الخبر اليقين . ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ روى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر الجهني قال : ٣٤٣ [لما نزلت على رسول الله ﷺ : ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ قال « اجعلوها في ركوعكم . ولما نزلت : ﴿ سُبْح اسمُ رَبِّكَ الأعلى ﴾ قال رسول الله ﷺ اجعلوها في سجودكم] وكذا رواه أبو داود وابن ماجه .

وروى البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ٣٤٤ [كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم] ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود .

آخر اختصار تفسير سورة الواقعة والله الحمد والمنة وبه العصمة .



نزلت بعد سورة الزلزلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴾ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ (٣) ﴾

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات وما في الأرض ، أي من الحيوانات والنباتات ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وهو العزيز ﴾ أي الذي خضع له كل شيء ﴿ الحكيم ﴾ في خلقه وأمره وشرعه ﴿ له ملك السموات والأرض يحيي ويميت ﴾ أي هو المالك المتصرف في خلقه حياةً وموتاً وعطاءً ومشيةً ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ أي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وقوله تعالى : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ فقد روى مسلم في صحيحه عن سهل قال : كان أبو صالح يأمرنا ٣٤٥ [إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول : « اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء ،

وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء ، أقض عنا الدين وأغننا من الفقر » [وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾

يخبر تعالى عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم أخبر تعالى باستوائه على العرش بعد خلقهن وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأشباهاها في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته ههنا^(١) وقوله تعالى: ﴿ يعلم ما يلج في الأرض ﴾^(٢) من حب وقطر وما شابه ﴿ وما يخرج منها ﴾ من نبات وزرع وثمار كقوله تعالى ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وما ينزل من السماء ﴾ أي من الأمطار والثلوج والبرد والأقذار والأحكام مع الملائكة الكرام وقوله تعالى ﴿ وما يعرج فيها ﴾ أي من الملائكة ، والأعمال كما جاء في الصحيح ٣٤٦ [يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل] وقوله تعالى: ﴿ وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ أي رقيب عليكم شهيد على أعمالكم - بصفاته - حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر في الليل أو النهار في البيوت أو القفار الجميع في علمه على السواء ، وتحت بصره وسمعه ، فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ، ويعلم سرركم ونجواكم . كما قال

(١) عند الآية رقم /٥٤/ .

(٢) في الوقت الذي أخبر الله عن ذاته العلية أنه مستور على عرشه استواء يليق بجلاله كما فهمه السلف الصالح ، يخبر أنه يعلم ما يلج في الأرض ... الآية أي ان ذاته في السماء فوق العرش وعلمه وسع كل شيء... لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. وعلى هذا يقتضي انه جل وعلا معهم يعلمه وسائر صفاته ، ولا يلزم من ذلك انه معهم بذاته فهذا كفر وضلال لأنه يقتضي الحلول ولكنه معهم بصفاته ليس كئله شيء وهو السميع البصير .

تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ إِلَّا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسْتَرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ وقد ثبت في الصحيح [٣٤٧] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْجَبْرِيلِ لَمَّا سَأَلَهُ عَنِ الْإِحْسَانِ : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » [وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى ينشد هذين البيتين :

إِذَا مَا خَلُوتِ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلُوتُ، وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تُحْسِبَنَّ اللَّهَ يُغْفِلُ سَاعَةً وَلَا أَنَّ مَا تُخْفِي عَلَيْهِ يَغِيبُ

وقوله تعالى : ﴿لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ كقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ لَنَا الْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ فجميع ما في السموات والأرض ملك له وإليه المرجع يوم القيامة فيحكم في خلقه بما يشاء، وهو العدل الذي لا يحور ولا يظلم مثقال ذرة. بل كما قال تعالى : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾ أي هو المتصرف في الخلق يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته ، كما يشاء من طول وقصر واعتدال ، وتقلب الفصول الأربعة ، كل ذلك بحكمته وتقديره . ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾ أي يعلم السرائر وإن دقت وإن خفيت .

﴿إِنَّمَا آمَنَوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرُّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

أمر تبارك وتعالى بالإيمان به وبرسوله ﷺ على الوجه الأكمل ، والدوام والثبات على ذلك ، وحث على الإنفاق مما جعلكم مستخلفين فيه ، أي مما هو معكم على سبيل العارية ، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته ، فإن يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه . وقوله تعالى : ﴿ مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ فيه إشارة إلى أنه سيكون مخلفاً عنك ، فلعل وارثك أن يطيع الله فيه ، فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك ، أو يعصي الله فتكون قد سعت في معاونته على الأثم والعدوان. روى الإمام أحمد عن عبدالله بن الشخير قال ٣٤٨ [انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول : أهاكم التكاثر ، يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت] ورواه مسلم من حديث شعبة به وزاد ٣٤٩ [وما سوى ذلك فذهب وتاركة للناس] .

وقوله تعالى : ﴿ فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴾ ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة. ثم قال تعالى : ﴿ وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم ﴾ أي وأي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك وبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به. وفي صحيح البخاري ٣٥٠ [ان رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه : « أي المؤمنين أعجب إليكم إيماناً ؟ » قالوا : الملائكة ، قال : « وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم » ؟ قالوا فالأنبياء قال : « وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم ؟ » قالوا : فنحن . قال : « وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ؟ » ولكن أعجب المؤمنين إيماناً قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها » ^(١)] .

وقوله تعالى : ﴿ وقد أخذ ميثاقتكم ﴾ يعني بذلك بيعة الرسول ﷺ وقوله تعالى : ﴿ هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ﴾ أي حججاً وواضحات ودلائل باهرات ، وبراهين قاطعات. ﴿ ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ أي من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان ﴿ وإن الله بكم لرؤوف رحيم ﴾ أي في إنزال الكتب ، وإرسال الرسل . ثم حشهم على الإنفاق فقال جلّ وعلا ، ﴿ وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله والله

(١) راجع سورة البقرة عند قوله تعالى : « الذين يؤمنون بالغيب » .

ميراث السموات والأرض ﴿ أي لا تخشوا فقراً فإن الذي عنده ميراث السموات والأرض سيخلف عليكم الذي تنفقونه . وقال جل وعلا : ﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ﴾ أي ان قبل الفتح كان الحال شديداً فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون ، وأما بعد الفتح فقد ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى ﴾ والجمهور : على أن المراد بالفتح فتح مكة وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح ههنا : صلح الحديبية . وقد يستدل لهذا القول بما روى الإمام أحمد عن أنس قال ٣٥١ [كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام ، فقال خالد لعبد الرحمن : تستطيّلون علينا بأيام سبقتمونا بها . فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي ﷺ فقال : « دعوا لي أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهباً ما بلغتم أعمالهم »] ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة ... وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : ٣٥٢ [لا تسبوا أصحابي والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه] وقوله تعالى : ﴿ وكلاً وعد الله الحسنى ﴾ يعني المنفقين قبل الفتح وبعده ، كلهم لهم ثواب على ما عملوا وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء . ولهذا قال سبحانه : ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ أي فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، ومن فعل ذلك بعد الفتح ، وما ذاك إلا لعلهم بقصد الأول وإخلاصه التام وإنفاقه في حال الجهد والقلة والضيق وفي الحديث : ٣٥٣ [سبق درهم مائة ألف] ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر رضي الله عنه ، له الحظ الأوفر من هذه الآية فإنه سيّد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء . فإنه أنفق ماله كلّهُ ابتغاء وجه الله عزّ وجلّ ، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها . وقوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾ وهو الإنفاق في سبيل الله بنية خالصة ، وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية .

روى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود قال ٣٥٤ [لما نزلت هذه الآية : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ﴾ قال أبو الدحداح الأنصاري : يا رسول الله ، وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال : « نعم يا أبا الدحداح » قال : أرني يدك يا رسول الله قال فناوله يده قال فإني قد أقرضت ربّي حائطي ، وله حائط فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعياله . قال : فجاء أبو الدحداح فناداها يا أم الدحداح . قالت : لبيك ، قال : أخرجني فقد أقرضته ربّي عز وجل - وفي رواية - أنها قالت له : ربح يبعك يا أبا الدحداح

ونقلت منه متاعها وصبيانها وإن رسول الله ﷺ قال : « كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح » وفي لفظ « رَبِّ نَخْلَةٍ مَدْلَاةٍ عُرْوَقَهَا دُرٌّ وَيَاقُوتٌ لِأَبِي الدُّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ » [

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿(١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِشِّ الْمَصِيرِ ﴿(١٥)﴾

يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسعون نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة بحسب أعمالهم كما قال ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ يسعون نورهم بين أيديهم ﴾ قال : على قدر أعمالهم يمرّون على الصراط ، منهم من نوره مثل الجبل ، ومنهم من نوره مثل النخلة ، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم ، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرةً ويطلقاً مرةً ، ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وقوله تعالى : ﴿ وبأيمانهم ﴾ قال الضحاك أي وبأيمانهم كتبهم . كما قال تعالى : ﴿ فمن أوتي كتابه بيمينه ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ أي لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار . ﴿ خالدين فيها ﴾ أي ما كثر فيها أبداً ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من

نوركم ﴿ وهذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأهوال المزعجة والزلازل العظيمة والأمور الفظيعة ، وإنه لا ينجو يومئذٍ إلا من آمن بالله ورسوله وعمل بما أمر الله وترك ما زجر عنه . وعن ابن عباس : بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نوراً ، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه . وكان النور دليلاً من الله إلى الجنة فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فأظلم الله على المنافقين فقالوا حيثئذ : ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ فإنما كنّا معكم في الدنيا قال المؤمنون ﴿ ارجعوا وراءكم ﴾ من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور . وروى ابو القاسم الطبراني عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : ٣٥٥ : ﴿ إِنْ الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترأ منه على عبادته ، وأما عند الصراط فإن الله تعالى يعطي كل مؤمن نوراً ، وكل منافق نوراً ، فإذا استووا على الصراط سلب الله نورَ المنافقين والمنافقات فقال المنافقون انظرونا نقتبس من نوركم ، وقال المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً] .

وقوله تعالى : ﴿ فضرب بينهم سورٍ له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ قال الحسن وقتادة : هو حائط بين الجنة والنار ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هو الذي قال الله تعالى : ﴿ وبينهما حجاب ﴾ وهكذا روي عن مجاهد رحمه الله وغير واحد وهو الصحيح . ﴿ باطنه فيه الرحمة ﴾ أي الجنة وما فيها ﴿ وظاهره من قبله العذاب ﴾ أي النار قاله قتادة وابن زيد وغيرهما : والمراد انه سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين ، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه ، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة . ﴿ ينادونهم ألم نكن معكم ﴾ أي ينادي المنافقون المؤمنين أما كنّا معكم في الدار الدنيا ، تشهد معكم الجمعات والجماعات ، ونقف معكم بعرفات ، ونحضر معكم الغزوات ، ونؤدي معكم سائر الواجبات . ؟ ﴿ قالوا بلى ﴾ أي قال المؤمنون : بلى قد كنتم معنا ﴿ ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّتمكم الأماني ﴾ قال بعض السلف ، أي فتنتم أنفسكم بالذات والمعاصي والشهوات ، وتربصتم أي أخرتم التوبة من وقت إلى وقت وتربصتم بالحق وأهله ﴿ وارتبتم ﴾ أي بالبعث بعد الموت ﴿ وغرّتمكم الأماني ﴾ أي قلتم سيغفر لنا وقيل غرّتمكم الدنيا ﴿ حتى جاء أمر الله ﴾ أي ما زلتم في هذا حتى جاءكم الموت ﴿ وغرّكم بالله الغرور ﴾ أي الشيطان .

ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين ، إنكم كنتم معنا أي بأبدان لا فيه لها ولا قلوب معها ، وإنما كنتم في حيرة وشك ، فكنتم تراءون الناس ، ولا تذكرون الله إلا قليلاً .

وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر الله تعالى به عنهم حيث يقول : وهو أصدق القائلين : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ﴾ في جنات يتساءلون . عن المجرمين . ما سلككم في سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين ﴿ فهذا خرج منهم على وجه التقريع لهم والتوبيخ . ثم قال تعالى : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ كما قال ههنا : ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ﴾ أي لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهباً ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قبل منه . وقوله تعالى : ﴿ مأواكم النار ﴾ أي هي مصيركم وقوله تعالى : ﴿ هي مولاكم ﴾ أي هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيا بكم وبش المصير .

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١٦) أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُنْجِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ (١٧) ﴾

يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أي لما آن أن تلين قلوبهم عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنفاد له ، وتسمع له وتطيعه . قال ابن عباس : ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فنزلت هذه الآية رواه ابن أبي حاتم ثم روى هو ومسلم عن ابن مسعود قال : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين كذا رواه مسلم في آخر الكتاب وأخرجه النسائي وابن ماجه والبخاري عن ابن مسعود .

وقوله تعالى : ﴿ ولا يكونوا كالذين أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ نهي الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى ، لما تطاول عليهم الأمد بدّلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمناً قليلاً ونبدوه وراء ظهورهم واقلبوا على الآراء المختلفة ، وقلدوا الرجال في دين الله واتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعده ولا وعيد ... ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ أي في الأعمال فقلوبهم فاسدة

وأعمالهم باطلة . كما قال تعالى : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ﴾ . ولهذا نهي الله المؤمنين ان يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية . وقوله تعالى : ﴿ إعلموا ان الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينّا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ويهدي الحيارى بعد ضللتها ، ويفرج الكرب بعد شدتها . فكما يحيي الأرض الميتة بالغيث الهتان . كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل ، ويولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة ، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال سبحانه فهو الحكيم العدل اللطيف الخبير .

﴿ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (١٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (١٩)

يخبر تعالى عما يثيب به المصدقين والمصدقات بأموالهم على أهل الحاجة والفقر والمسكنة ﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾ أي دفعوه بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله تعالى لا يريدون جزاءً ممن أعطوه ولا شكوراً . ولهذا قال سبحانه ﴿ يضاعف لهم ﴾ أي يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها ، ويزاد على ذلك إلى سبعمائة ضعف . وفوق ذلك ﴿ ولهم أجر كريم ﴾ أي ثواب جزيل حسن ومرجع صالح ومآب كريم . وقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ﴾ وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون عند ربهم ، هم ثلاثة أصناف : يعني المصدقين ، والصديقين ، والشهداء . كما قال تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾ ففرّق بين الصديقين والشهداء فدلّ على أنهما صنفان . ولا شك أن الصديق أعلى مقاماً من الشهيد ، كما رواه مالك بن أنس رحمه الله تعالى في كتابه الموطأ عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ ٣٥٦ ﴾ « إن أهل الجنة ليرآون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل

ما بينهم ، قال : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم . قال : بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ، اتفق البخاري ومسلم على إخراجها .

وقوله تعالى : ﴿ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي في جنات النعيم كما جاء في الصحيحين : ٣٥٧ [إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال : ماذا تريدون ؟ ! فقالوا : نحب أن تردنا إلى الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا أول مرة فقال : إني قد قضيت أنهم إليها لا يرجعون] وقوله تعالى : ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ أي لهم عند الله عز وجل أجر جزيل ، ونور عظيم يسعى بين أيديهم وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال والله تعالى أعلم . ولما ذكر السعداء ومآلهم ، عطف بذكر الأشقياء وبيت حالهم

﴿ أَعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (٢٠) سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿ (٢١) ﴾

يقول تعالى موهناً أمر الحياة الدنيا ومحقرًا لها : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ أي إنما حاصل أمرها عند أهلها هو هذا... كما قال تعالى : ﴿ زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ... ﴾ - إلى قوله تعالى - حسن المآب ﴿ ثُمَّ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِنِعْمَةٍ رَّائِلَةٍ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ ﴾ وهو المطر يأتي بعد قنوط الناس كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ أي يُعْجِبُ الزَّرَاعَ نَبَاتُهُ ، وكما يعجب الزراع ذلك ، كذلك تُعْجِبُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا الْكُفَّارَ ؛ فَإِنَّهُمْ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى الدُّنْيَا وَأَمِيلُ النَّاسُ إِلَيْهَا . ﴿ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ﴾ ثم يكون حطاماً ﴿ أَي هَكَذَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَكُونُ أَوَّلًا شَابَةً ثُمَّ تَكْهَلُ ، ثُمَّ تَكُونُ عَجُوزًا شُوهَاءً . وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْمَثَلُ - أَي أَنَّ الدُّنْيَا مِثْلَهَا كَمَثَلِ الزَّرْعِ الَّذِي يَكُونُ

أخضر ثم يصفر ثم يكون حطاماً - دالاً على انقضاء الدنيا وزوالها لا محالة ، وإن الآخرة آتية لا محالة حذر الله من أمر الدنيا ورغب فيما فيها من الخير فقال جلّ جلاله : ﴿ وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان . وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور ﴾ أي وليس في الآخرة إلاّ : إما عذاب شديد ، وإما مغفرة من الله ورضوان . أما الحياة الدنيا فإنها تغرّ من ركن إليها حتى يعتقد أن لا دار سواها . ولا معاد وراءها وهي في حقيقتها حقيرة قليلة بالنسبة إلى دار الآخرة . روى جرير عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [الموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها] وهذا حديث ثابت في الصحيح . وروى الإمام أحمد عن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : ٣٥٩ [لجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك] انفرد بإخراجه البخاري في الرقاق . ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان ولهذا حثه تعالى على المبادرة إلى الخيرات وفعل الطاعات وترك المحرمات . فقال عزّ من قائل : ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ﴾ والمراد جنس السماء والأرض^(١) وقوله تعالى : ﴿ أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ أي هذا الذي أهلهم الله له من فضله ومنه عليهم وإحسانه إليهم . - نسأله تعالى أن يوفقنا إلى ذلك . ويؤتينا من فضله ومنه وإحسانه . سبحانه وتعالى . وجلت عظمتة لا إله إلاّ هو ولا ربّ سواه - .

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أُمِرُوا أَنْ يَنْفِقُوا بِالْبَخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٢٤)

(١) يحيل إلى البعض أن الجنة في السموات أي ضمنها . فيشكلون ويشككون... فيقولون : إذا كانت الجنة عرضها عرض السموات والأرض فكيف تقع في السموات ثم ماذا يبقى من السموات ؟ فالجواب : ليست الجنة مكانها في السموات ، أو في إحداها ، بل هي مخلوقة مستقلة عن السموات ، إنما سمتها كسمّة السموات والأرض ممّا وهي فوق السموات ، وسقفها عرش الرحمن كما صرح في السّنة . فإذا فهم هذا ... يزول الاحتشاك

ينخبّر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ الخليفة فقال جل وعلا : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم ﴾ أي في الآفاق وفي نفوسكم ﴿ إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ﴾ أي من قبل أن نبرأ البرية ونبرأ النسمة . قال قتادة : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ﴾ هي السنون يعني الجذب ﴿ ولا في أنفسكم ﴾ أي الأوجاع والأمراض قال بلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر . وهذه الآية الكريمة العظيمة ، من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق قبهم الله . وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول ٣٦٠ [قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة . وزاد ابن وهب « وكان عرشه على الماء »] ورواه الترمذي وقال حسن صحيح . وقوله تعالى : ﴿ إن ذلك على الله يسير ﴾ أي ان علمه تعالى الأشياء قبل كونها لها وكتابتها طبق ما سيكون في حينها سهل على الله عز وجل لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون . وقوله تعالى : ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ أي أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها ، وتقديرنا للكائنات قبل وجودها لتعلموا ان ما أصابكم لم يكن ليخطئكم ، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم ، فلا تأسوا على ما فاتكم لأنه لو قدر شيء لكان . ﴿ ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ أي أعطاكم أي لا تفخروا على الناس بما أنعم به عليكم ، فإن ذلك ليس بضيعكم ولا كدكم ، إنما هو عن قدر الله تعالى وورزقه لكم . فلا تتخذوا نعم الله أشراً وبطراً ، تفخرون بها على الناس . ولهذا قال تعالى : ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ أي متكبر على الناس متعال عليهم ، ولكن علينا أن نجعل الفرح شكراً ، والحزن صبراً . ثم قال تعالى : ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ﴾ أي يبخلون بما يجب عليهم ويحضون الناس عليه ﴿ ومن يتول ﴾ أي عن أمر الله وطاعته ﴿ فإن الله هو الغني الحميد ﴾ كما قال تعالى حاكياً عن موسى عليه السلام : ﴿ إن تكفروا أتم في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد ﴾ .

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ

يقول تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾ أي بالمعجزات ، والحجج والدلائل القاطعة . ﴿ وأنزلنا معهم الكتاب ﴾ وهو النقل الصدق ﴿ والميزان ﴾ أي العدل وهو الحق الذي تشهد به العقول السليمة ﴿ ليقوم الناس بالقسط ﴾ أي بالحق والعدل . وهو اتباع الرسل فيما أمروا ونهوا . وهو الحق الذي ما بعده إلا الضلال . كما قال تعالى : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ﴾ أي صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي .

وقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ﴾ أي وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ، ولهذا قام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين . وبيان وإيضاح للتوحيد . فلما قامت الحجة على من خالف . شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف . وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده . ولهذا قال تعالى ﴿ فيه بأس شديد ﴾ يعني السلاح كالسيوف والحراب والسنان والنصال والدروع ونحوها . ﴿ ومنافع للناس ﴾ أي في معاشهم كالسكة والفأس والقذوم والمنشار وآلات الحياكة والحراثة . والطبخ والخبز . وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك . وقوله تعالى : ﴿ وليعلمن الله من ينصره ورسله بالغيب ﴾ أي من نبأته في حمل السلاح نصرته الله ورسوله ﴿ إن الله قوي عزيز ﴾ ينصر من ينصره من غير احتياج منه إلى الناس . وإنما شرع الجهاد ليلبوا بعضكم ببعض .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿ (٢٧) ﴾

يخبر تعالى أنه منذ أن بعث نوحاً عليه السلام وكذلك إبراهيم عليه السلام، لم ينزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً. ولا أوحى إلى بشر من بعدهما إلا من سلاتهما ، حتى كان آخر أنبياء بني اسرائيل عيسى بن مريم الذي بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه

الأنجيل ﴿ وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه ﴾ : ﴿ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه ﴾ وهم الحواريون ﴿ رافة ﴾ أي رقه وهي الخشية ﴿ ورحمة ﴾ بالخلق. وقوله تعالى: ﴿ ورهبانية ابتدعوها ﴾ أي ابتدعها أمة النصارى ﴿ ما كتبناها عليهم ﴾ أي ما شرعناها وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم ﴿ إلا ابتغاء رضوان الله ﴾ أي ما كتبنا عليهم ما ابتدعوه من الرهبانية أي ما شرعناه لهم وإنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله ﴿ فما رعوها حق رعايتها ﴾ لأنهم ابتدعوا في الدين ما لم يأمر به الله، ولم يقوموا حتى بما ألزموا أنفسهم به مما زعموه قرينةً إليه تعالى فإن الله لا يتقبل قرينةً إليه إلا بما شرعه ، لا بما ابتدعه الناس .

وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : ٣٦١] يا ابن مسعود قلت : لبيك يا رسول الله . قال : « هل علمت أن بني اسرائيل افرقوا على اثنتين وسبعين فرقة لم ينج منها إلا ثلاث فرق ، قامت بين الملوك والجبابة بعد عيسى بن مريم عليه السلام ، فدعت إلى دين الله ، ودين عيسى بن مريم فقاتلت الجبابة فقتلت فصبرت ونجت . ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ، فقامت بين الملوك والجبابة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فقتلت وقطعت بالمنشير . وحرقت بالنيران فصبرت ونجت . ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط . فلحقت بالجببال فتعبدت وترهبت . وهم الذين ذكر الله تعالى: ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾ » [.

وروى الحافظ أبو يعلى عن سهل بن أبي أمامة ٣٦٢] أنه دخل وأبوه على أنس بن مالك في المدينة زمن عمر بن عبد العزيز وهو أمير ، وهو يصلي صلاة خفيفة وقعة كأنها صلاة مسافر أو قريباً منها فلما سلم قال : يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة ، المكتوبة أم شيء تنفلته ؟ قال إنها المكتوبة وإنما صلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت إلا شيئاً سهوت عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يقول « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » ثم غدوا من الغد فقالوا نركب فننظر ونعتبر قال : نعم فركبوا جميعاً فإذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا ، خاوية على عروشها ، فقالوا : أتعرف هذه الديار ؟ قال : ما أعرفني بها وبأهلها هؤلاء أهل الديار أهلهم البغي والحسد ، ان الحسد يطفىء نور الحسنات والبغي يصدق ذلك أو يكذبه ، والعين تزني والكف والقدم والحسد واللسان ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه . [روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ٣٦٣] أن رجلاً جاءه فقال : أوصني ، فقال : سألت عما سألت عنه رسول الله

ﷺ من قبلك « أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض » [تفرد به أحمد والله تعالى أعلم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢٨) لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴿ (٢٩) ﴾

قد تقدّم أنه ورد في الصحيح عن أبي موسى الأشعري أن مؤمني أهل الكتاب يؤتون أجرهم مرتين كما في الآية ٥٤ من سورة القصص ^(١) قال سعيد بن جبير : لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى هذه الآية في حق هذه الأمة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين ﴾ أي ضعفين ﴿ من رحمته ﴾ وزادهم ﴿ ويجعل لكم نوراً تمشون به ﴾ يعني هدى يتبصر به من العمى والجهالة ﴿ ويغفر لكم ﴾ فضللهم بالنور والمغفرة . رواه ابن جرير . وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴾ روى أحمد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : ٣٦٤ [مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال : من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت اليهود ، ثم قال : من يعمل لي من صلاة الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت النصارى ، ثم قال : من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين عملتم ، فغضبت النصارى واليهود وقالوا : نحن أكثر عمالاً وأقل عطاءً قال : هل ظلمتكم من أجركم شيئاً ؟ قالوا : لا قال : فأنما هو فضلي أوتيته من أشياء] ورواه البخاري . قال ابن جرير : ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله ﴾ أي ليتحققوا أنهم لا يقدرون على رد ما أعطاه الله ولا إعطاء ما منع ﴿ وأن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ آخر اختصار تفسير سورة الحديد والله الحمد والمنة وبه العصمة .

(٥٨) سِوَرَةُ الْمَجَادِلَةِ مَلَانِيَّةٌ وَأَنبِيَاؤُهَا ثَنَانٌ وَعَشْرُونَ

نزلت بعد سورة « المنافقون »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١)

روى الإمام أحمد عن عائشة قالت: ٣٦٥ [الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ 'تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول'. فأنزل الله عز وجل: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ [إلى آخر الآية وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقا فقال... فذكره. وأخرجه النسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من غير وجه عن الأعمش به وزوجها أوس بن الصامت وهي خولة بنت ثعلبة. وكان أوس امرأ به لم وكان اذا أخذه لممه واشتد به يظهر من امراته .

روى ابن أبي حاتم في رواية له عن عائشة أنها قالت ٣٦٦ [تبارك الله الذي أوعى سمعه كل شيء ، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه ، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول يا رسول الله : أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني اشكو إليك ، قالت فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾] ...

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ

يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ * (٤)

روى الإمام أحمد عن خويلة بنت ثعلبة قالت ٣٦٧ [في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة قالت : كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه ، قالت : فدخل علي يوماً فراجعته بشيء فغضب ، فقال : أنتِ عليّ كظهر أمي . قالت ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ، ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني عن نفسي قالت : قلت كلاً ، والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليّ ، وقد قلت ما قلت ، حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه قالت فوائبني فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف ، فألقيته عني . قالت : ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثياباً ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله ﷺ فجلست بين يديه ، فذكرت له ما لقيت منه وجعلت اشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه ، قالت : فجعل رسول الله ﷺ يقول « يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه »

قالت : فوالله ما برحت حتى نزل فيّ قرآن ، فتغشيت رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سرّيت عنه . فقال لي « يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنًا - ثم قرأ عليّ - « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير - إلى قوله تعالى - وللکافرین عذاب أليم » قالت : فقال لي رسول الله ﷺ : « مَرِيه فليعتق رقبة » قالت : فقلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق . قال : « فليصم شهرين متتابعين » قالت : فقلت والله إنّه لشيخ كبير ما به من صيام . قال : فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر » قالت : فقلت والله يا رسول الله ما ذاك عنده ، قالت : فقال رسول الله ﷺ « فإنّا سنعيه بفرق من تمر » قالت : فقلت يا رسول الله وأنا سأعيه بفرق آخر قال : « قد أصبت وأحسن فتصدقني به عنه ثم استوصي بآبن عمك خيراً » قالت : ففعلت [ورواه أبو داود في كتابه الطلاق من سننه وهذا هو الصحيح في سبب نزول هذه السورة . وقصة الذي ظاهر امرأته في شهر رمضان

فوقع عليها ليلاً ليس هو أوس بن الصامت بل هي واقعة جرت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجته كما دل عليه سياق تلك وهذه .

وقال خصيف عن مجاهد عن ابن عباس : أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك . رواه ابن جرير .

فقوله تعالى : ﴿والذين يظاهرون منكم من نسائهم﴾ أصل الظهار مشتق من الظَّهَر كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لها : أنت علي كظهر أمي ؛ ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياساً على الظهر ، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً ، فأرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم ؛ هكذا قال غير واحد من السلف . وقوله تعالى : ﴿ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم﴾ أي لا تصير المرأة بقول الرجل أنت علي كأمي أو مثل أمي أو كظهر أمي وما أشبه ذلك ، لا تصير أمه بذلك ، إنما أمه التي ولدته . ولهذا قال تعالى : ﴿ولهم ليقولون منكراً من القول وزوراً﴾ أي كلاماً فاحشاً باطلاً ﴿وإن الله لعفوٌ غفور﴾ أي عما كان منكم في حال الجاهلية ، وهكذا عما خرج من سبق اللسان ، ولم يقصد إليه المتكلم كما رواه أبو داود ٣٦٨ [أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول لامرأته: يا أختي ، فقال «أختك هي؟»] فهذا إنكار ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك لأنه لم يقصده ولو قصده لحُرمت عليه ، لأنه لا فرق على الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك .

وقوله تعالى : ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ قيل العود إلى لفظ الظهار فيكرره وهذا باطل وقال أحمد بن حنبل : هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفر بهذه الكفارة وفي أحد قولي مالك أنه الجماع وكذلك عن سعيد بن جبير . ويرى الحسن البصري أنه الغشيان في الفرج وكان لا يرى بأساً أن يغشي فيما دون الفرج قبل أن يكفر . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿من قبل أن يتماساً﴾ والمس النكاح . وقوله تعالى : ﴿فتحرير رقبة﴾ أي فإعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماساً والرقبة هنا مطلقة ، وغير مقيدة بالإيمان بينما في كفارة القتل مقيدة بالإيمان ، والشافعي رحمه الله حمل ما أطلق ههنا على ما قيد هناك لاتحاد الموجب وهو عتق الرقبة واعتضد بقوله ﷺ ٣٦٩ [«اعتقها فإنها مؤمنة»] ^(١) .

(١) قلت : فيما يبدو - والله أعلم - أن قول ابن كثير باطلاق الرقبة ، بمعنى : تجزيه ، كافرة كانت أو مؤمنة ؛ أقرب إلى الصواب مما ذهب إليه الشافعي رحمه الله من حمل المطلق على المقيد بالإيمان . ولا سيما وإن ظاهر الآية يدل على الإطلاق في الظهار ، وعلى التقييد بالإيمان ، في كفارة القتل ، فلا داعي للحرص .

وروى الحافظ أبو بكر البزار عن ابن عباس قال: ٣٧٠ [أتى رسول الله ﷺ رجل فقال : إني ظاهرت من امرأتي ثم وقعت عليها قبل أن أكفر ، فقال رسول الله ﷺ « ألم يقل الله تعالى : ﴿ من قبل أن يتماساً ﴾ » فقال أعجيتني . قال : « أمسك حتى تكفر »] ثم قال البزار لا يروى عن ابن عباس بأحسن من هذا ، واسماعيل بن مسلم تكلم فيه وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم . وفيه من الفقه أنه لم يأمره إلا بكفارة واحدة . وقوله تعالى : ﴿ ذلكم توعظون به ﴾ أي تزجرون به ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ أي خبير بما يصلحكم عليم بأحوالكم ، وقوله تعالى : ﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماساً فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ﴾ أي على هذا الترتيب : رقة أو صيام أو إطعام . كما ثبت ذلك أيضاً في الصحيحين في قصة مجامع امرأته في رمضان .

﴿ ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ﴾ أي شرعنا هذا لهذا . وقوله تعالى : ﴿ وتلك حدود الله ﴾ أي محارمه فلا تنتهكوها . وقوله تعالى : ﴿ وللكافرين عذاب أليم ﴾ أي الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة ، لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء ، كلا . ليس الأمر كما زعموا . بل لهم عذاب أليم أي في الدنيا والآخرة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ (٥) يَوْمَ يَنْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أُنْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ (٦) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ (٧) ﴾

يخبر تعالى عمن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه ﴿ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي أهينوا ولعنوا وأخزوا ، كما فعل بمن أشبههم من قبلهم . ﴿ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ

بَيِّنَات ﴿ أَيِّ وَاضِحَات لَا يَعَانِدُهَا وَلَا يَخَالِفُهَا إِلَّا كَافِرٌ فَاجِرٌ مُكَابِرٌ ﴾ وللـكـافـريـن عذاب مُهِين ﴿ أَيِّ فِي مَقَابِلَةٍ مَا اسْتَكْبَرُوا عَنْ اتِّبَاعِ شَرَعِ اللَّهِ وَالْأَتْقِيَادِ لَهُ وَالْخُضُوعِ لَدَيْهِ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ . ﴿ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ﴾ أَيِّ فَيُخَبِّرُهُمْ بِمَا صَنَعُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ أَيِّ ضَبَطَهُ اللَّهُ وَحَفِظَهُ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ قَدْ نَسُوا مَا كَانُوا عَمَلُوا . ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أَيِّ لَا يَغِيبُ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ وَلَا يَنْسَى . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ إِحَاطَةِ عِلْمِهِ بِخَلْقِهِ ، وَاطِّلَاعِهِ عَلَيْهِمْ وَسَمَاعِهِ كَلَامَهُمْ وَرُؤْيِيتهِ مَكَانَهُمْ حَيْثُ كَانُوا وَأَيْنَ كَانُوا . فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ﴾ أَيِّ مِنْ سِرِّ ثَلَاثَةٍ ﴿ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ﴾ أَيِّ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ وَسِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَرَسُولُهُ أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ تَكْتُبُ مَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ مَعَ عِلْمِ اللَّهِ بِهِ وَسَمْعِهِ لَهُ . كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ وَلِهَذَا حَكَى غَيْرُ وَاحِدٍ الْإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَعِيَّةَ عِلْمِهِ تَعَالَى وَلَا شَكَّ فِي إِرَادَةِ ذَلِكَ . وَلَكِنْ سَمِعَهُ أَيْضًا مَعَ عِلْمِهِ مُحِيطٌ بِهِمْ وَبَصَرُهُ نَافِذٌ فِيهِمْ ، فَهُوَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَى خَلْقِهِ لَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْ أُمُورِهِمْ شَيْءٌ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : أَفْتَتَحُ الْآيَةَ بِالْعِلْمِ وَاخْتِمَتُهَا بِالْعِلْمِ .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَهُمْ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلُونَهَا فَيَنْسُوا إِلَهُهُمْ ﴾ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿ (٩) إِنَّمَّا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠)

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ﴾ قال : اليهود ، وكذا قال مقاتل بن حيان وزاد : ٣٧١ [كان بين النبي ﷺ وبين اليهود مودة ، وكانوا إذا مرّ بهم الرجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره... فإذا رأى المؤمن ذلك ، خشيهم فترك طريقه عليهم ، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم يتنوها وعادوا إليها ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ﴾] .

وقوله تعالى : ﴿ ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﴾ أي يتحدثون فيما بينهم بالإثم وهو ما يخص بهم ﴿ والعدوان ﴾ وهو ما يتعلق بغيرهم ، ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها ويتواصون بها . وقوله تعالى : ﴿ وإذا جاءوك حيّوك بما لم يحيك به الله ﴾ روى ابن أبي حاتم عن عائشة قالت : ٣٧٢ [دخل على رسول الله ﷺ يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة : وعليكم السام قالت : فقال رسول الله ﷺ « يا عائشة ان الله لا يحب الفحش ولا التفحش » قلت : ألا تسمعهم يقولون السام عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ « أو ما سمعت أقول : وعليكم ؟ » فأنزل الله تعالى : ﴿ وإذا جاءوك حيّوك بما لم يحيك به الله ﴾ [وفي رواية في الصحيح ٣٧٣] أنها قالت لهم : عليكم السام والذام واللعنة وأن رسول الله ﷺ قال : « إنه يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا » [وقوله تعالى : ﴿ ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾ أي يفعلون هذا ويقولون في أنفسهم لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن لأن الله يعلم ما نسرّه ، فقال الله تعالى : ﴿ حسبهم جهنم ﴾ أي جهنم كفايتهم في الدار الآخرة يصلونها فبئس المصير ﴾ ثم قال تعالى مؤدباً عباده المؤمنين أن لا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﴾ أي كما تتناجى به الجهلة من كفره أهل الكتاب ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين ﴿ وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون ﴾ أي فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحصاها عليكم ، وسيجزيك بها .

روى الإمام أحمد عن صفوان بن محرز قال : ٣٧٤ [كنت آخذاً بيد ابن عمر إذ عرض له رجل فقال : كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كفه ويسرّه من الناس ويقرره بنفويه ويقول له أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ حتى إذا قرره بنفويه ورأى في نفسه أن قد ملك قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها

لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقولون الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين، أخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا النُّجُوى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي إنما النجوى وهي المسارة حيث يتوهم مؤمن بها سوءاً ﴿ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي من تسويل الشيطان للمتناجيين ليسوء المؤمنين وليس ذلك بضارهم شيئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ومن أحسن من ذلك شيئاً فليستعذ بالله وليتوكل على الله فإنه لا يضره شيء بِإِذْنِ اللَّهِ تعالى . روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ [٣٧٥] إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه [أخرجاه من حديث الأعمش .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ آنشُرُوا فَآنشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١١)

يقول تعالى مؤدباً عباده المؤمنين ويأمرهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ ﴾ وقرئ في ﴿ المجالس ﴾ ﴿ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ وذلك أن الجزء من جنس العمل كما جاء في الحديث : ٣٧٦ [من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة] ، ولهذا أشباه كثيرة . ولهذا قال تعالى : ﴿ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ قال قتادة : نزلت هذه الآية في مجالس الذكر ، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض . وقال مقاتل : بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : ٣٧٧ [رحم الله رجلاً يفسح لأخيه] روى الإمام أحمد والشافعي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : ٣٧٨ [لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ فَيَجْلِسُ فِيهِ وَلَكِنْ تَفْسَحُوا وَتَوْسَعُوا] أخرجاه في الصحيحين .

وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال : فمنهم من رخص

في ذلك محتجاً بحديث ٣٧٩ «[قوموا إلى سيدكم فأنزلوه]» ومنع آخرون محتجين بحديث ٣٨٠ [من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار] وقد جاء في السنن انه ٣٨١ [لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكان إذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهيته لذلك] وقد روي عن ابن عباس وغيره أنهم قالوا في قوله تعالى : ﴿...إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم﴾ في مجالس الحرب . قالوا ومعنى قوله تعالى : ﴿...وإذا قيل انشزوا فانشزوا﴾ أي انهضوا للقتال . وقال قتادة إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أي إذا أمروا بالانصراف ان ينصرفوا كقوله تعالى : ﴿...وإذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا﴾ وقوله تعالى : ﴿...يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ أي لا تعتقدوا أنه اذا فسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل أو إذا أمر بالخروج فخرج أن يكون ذلك نقصاً في حقه ، بل هو رفعة ورتبة عند الله والله تعالى لا يضيع ذلك له بل يجزيه في الدنيا والآخرة، فإن من تواضع لله رفع الله قدره ونشر ذكره ﴿...والله بما تعملون خبير﴾ أي خبير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه .

(١١) قلت : ليس لم في هذا الحديث : [قوموا إلى سيدكم فأنزلوه] أية حجة البتة ؛ لأن أسباب ورود الحديث ما كانت من أجل أن يعظم قوم سعد سعداً بل لأن سعداً كان جريحاً من أثر نبل يوم الأحزاب أصيب به في أكمه ، وكان دعاء رسول الله ﷺ ليحكم في بني قريظة ، فلما أقبل على حمارة ، ودنا سعد من خيمة رسول الله ﷺ قال عليه الصلاة والسلام : [قوموا إلى سيدكم فأنزلوه] أي ساعدوه على النزول من على حمارة ، لما فيه من الجراح كما تقدم ... راجع تمام القصة في المجلد الثالث سورة الأحزاب الآية ٢٦ و ٢٧ .

هذه خلاصة أسباب ورود الحديث ... ومن هنا يتضح الفارق الكبير بين معنى (القيام إلى القادم) وهو : المشي إليه لاستقباله أو لمساعدته ... وهذا هو المراد من قوله ﷺ [قوموا إلى سيدكم] وبين معنى (القيام للقادم) وهو الوقوف اجلالاً واعظماً له ، فلا يجلسون في مجالسهم حتى يجلس ، أو يقفون على رأسه وهو جالس (كما يفعل الأعاجم بملوكهم) وكل ذلك نهى عنه ﷺ بقوله : [من أحب أن يتمثل له الرجال له قياماً فليتبوأ مقعده من النار] أما الذين يحتجون بقوله ﷺ : [قوموا إلى سيدكم فأنزلوه] فيسقطون منه ﴿فأنزلوه﴾ ليخفوا أسباب القيام إليه ، ثم لم يكتفوا بهذا الاسقاط !!! بل بدلوا [إلى سيدكم] بـ (لسيدكم) حتى يكون معنى القيام للقادم مراداً به الإجلال والتعظيم له ...؟! وهذا هو التحريف والكذب عمداً على رسول الله ﷺ ذلك حتى يقولوا متعاليين على الناس « بابرأجهم العالية » و « اخرجهم الفضفاضة » ليتصيدوا قلوب العامة والبسطاء بهذا الإجلال الفارغ ...!!! وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من أحب أن يتمثل له الرجال له قياماً فليتبوأ مقعده من النار) وثبت ان الصحابة ما كانوا يقومون له صلى الله عليه وسلم لما يعلمون من كراهيته لذلك . فها بل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتدون ... ؟ وبصحبته الكرام يتأسون؟! اللهم اهدهم صراطك المستقيم وأصلح شأنهم و ارجعهم إلى أخلاقه صلى الله عليه وسلم .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ
نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾ (١٢) ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ
فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٣) ﴿

يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله ﷺ أي يسأله فيما
بينه وبينه، أن يقدم بين يدي ذلك صدقة، تطهره وتركبه وتؤمله لأن يصلح لهذا المقام. ولهذا
قال تعالى: ﴿ذلك خير لكم وأطهر﴾ ثم قال تعالى: ﴿فإن لم تجدوا﴾ أي إلا من عجز
عن ذلك لفقره ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ فما أمر بها إلا من قدر عليها. ثم قال تعالى: ﴿أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ أي أخفتم من استمرار هذا الحكم
عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول ﴿فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خير بما تعملون﴾ ففسخ وجوب ذلك
عنهم. وقد قيل انه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

روى ابن جرير عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: [٣٨٧] ما
ترى، دينار؟ قال: لا يطيقون. قال نصف دينار قال: لا يطيقون. قال: ما ترى؟
قال شعيرة فقال له النبي ﷺ: انك لزهد قال: فترلت: ﴿أشفقتم أن تقدموا بين يدي
نجواكم صدقات﴾ قال علي: فبي خفف الله عن هذه الأمة [وقال معمر عن قتادة:
﴿إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ أنها منسوخة ما كانت إلا ساعة
من نهار، وهكذا روى عبد الرزاق عن علي: ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت وما
كانت إلا ساعة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ
مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤) ﴿أَعَدَّ
اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٥) ﴿اتَّخَذُوا



أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تَغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَخَوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾

ينكر الله تعالى على المنافقين موالاتهم للكفار في الباطن ، وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين . كما قال تعالى : ﴿ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴾ وقال تعالى ههنا : ﴿ ألم تر إلى الذين تولّوا قوماً غضب الله عليهم ﴾ يعني اليهود الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم في الباطن . ثم قال تعالى : ﴿ ما هم منكم ولا منهم ﴾ أي ليسوا في الحقيقة منكم أيها المؤمنون ، ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود . ثم قال تعالى : ﴿ يحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾ يعني وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا وهي اليمين الغموس ، ولا سيما في مثل حالهم اللعين عياداً بالله منه ، فإنهم أي المنافقون كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا جاءوا الرسول حلفوا له بالله أنهم مؤمنون ، وهم في ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به ، لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه ولهذا شهد الله بكذبهم في إيمانهم وشهادتهم لذلك .

ثم قال تعالى : ﴿ أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ أي أُرصد الله لهم العذاب الأليم على موالاتهم للكفار ونصحهم لهم ، ومعاداة المؤمنين وغشهم ؛ ولهذا قال تعالى ﴿ اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله ﴾ أي أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ، واتقوا بالإيمان الكاذبة ، فاغترّ بهم من لا يعرف حقيقة أمرهم فصدقهم ، فحصل بهذا صدقٌ عن سبيل الله لبعض الناس . ﴿ فلهم عذاب مهين ﴾ أي في مقابلة ما امتنعوا من الحلف باسم الله العظيم في الإيمان الكاذبة الخائنة . ثم قال تعالى : ﴿ لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ﴾ أي لن يدفع ذلك عنهم بأساً إذا جاءهم ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً ﴾ أي يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحداً ﴿ فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم

على شيء ﴿ أي يحلفون بالله عز وجل أنهم كانوا على الهدى والاستقامة ، كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا ، لأن من عاش على شيء مات عليه ويبعث عليه ، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس فيُجرون عليهم الأحكام الظاهرة ، ولهذا قال : ﴿ ويحسبون أنهم على شيء ﴾ أي حلفهم ذلك لربهم عز وجل .

ثم قال تعالى منكرًا عليهم حسابهم : ﴿ ألا إنهم هم الكاذبون ﴾ فأكد الخبر عنهم بالكذب . روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس ٣٨٣ [أن رسول الله ﷺ ، كان في ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل قال : « انه سيأتيكم انسان ينظر بعيني شيطان فاذا أتاكم فلا تكلموه » فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فكلمه فقال : « علام تشمتني أنت وفلان وفلان » نفر دعاهم بأسمائهم قال فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا له واعتذروا إليه . قال فأنزل الله عز وجل ﴿ فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون ﴾ [وهكذا رواه الإمام أحمد ورواه ابن جرير . وحال هؤلاء كما أخبر تعالى عن المشركين حيث يقول : ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين أنظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ﴾ أي استحوذ على قلوبهم حتى أنساهم أن يذكروا الله تعالى وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه . ولهذا روى ابو داود عن أبي الدرداء قال : ٣٨٤ [سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيه الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة ... » ثم قال تعالى : ﴿ ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾ (٢٠)

كَتَبَ اللَّهُ لَا غَلِبَ أَنا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿ (٢١) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢٢)

يخبر تعالى عن الكفار المعاندين المحادِّين لله ورسوله، يعني الذين هم في حد، والشرع في حد آخر، أي مجانبون للحق مشاققون له ﴿أولئك في الأذلين﴾ أي في الأشقياء الأذلين في الدنيا والآخرة ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ أي قد حكم وكتب وقدر بأن النصر لله وكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، وإنَّ العاقبة للمتقين، وإن النصر للمؤمنين. كما قال تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ ثم قال تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ أي لا يوادُّون المحادِّين ولو كانوا من الأقربين. كما قال تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاةً ويحذِّركم الله نفسه﴾ الآية. وقال سعيد بن عبد العزيز أنزلت هذه الآية إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ولهذا قال عمر: لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته. — قلت — ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين في أسارى بدر فأشار الصديق بأن يفاذوا، فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم والعشيرة. ولعل الله أن يهديهم. وقال عمر: لا أرى ما رأى، يا رسول الله هل تمكنني من فلان — قريب لعمر — فأقتله، وتمكن علياً من عقيل وتمكن فلاناً من فلان ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا موادَّةٌ للمشركين... (القصة بكاملها). وقوله تعالى: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾ أي من انصف بأنه لا يوادُّ من حادَّ الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب في قلبه الإيمان وزينه في بصيرته. وقوله تعالى: ﴿ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ وهنا سرُّ بديع وهو أنه لما سخطوا على الأقارب والعشائر في الله تعالى، عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم، والفضل العميم. وقوله تعالى: ﴿أولئك حزب الله﴾ أي عباده وأهل كرامته. وقوله تعالى: ﴿ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ تنويه بفلاحهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ما ذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان ﴿ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾.

وقد قال ابن أبي حاتم عن الزيد بن عباد قال: كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: أعلم أن الجاه جاهان جاه يجريه الله تعالى على أيدي أوليائه لأوليائه، وإنهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله ﷺ ٣٨٥ [إن الله يحب الأخفاء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يدعوا، قلوبهم مصابيح

المهدي ، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة [فهؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله : ﴿ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ وروى نعيم بن حماد عن الحسن قال : ٣٨٦] قال رسول الله ﷺ اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يداً ولا نعمة فإني وجدت فيما أوحيته إلى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ [(١)] .

آخر اختصار تفسير سورة المجادلة والله الحمد والمنة وبه العصمة وعليه التكلان

* * *

(٥٩) سُورَةُ الْحَشْرِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيُّهَا الزَّجَعُ وَعَشْرُونَ

نزلت بعد سورة البينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ * (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ
مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ
يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي
الْمُؤْمِنِينَ فَاغْتَبَرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ * (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ
عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * (٣)
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ * (٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى
أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ * (٥)

يخبر تعالى ان جميع ما في السموات والأرض من شيء يسبح بحمده ويمجده ويقدسه
وبصلي له ويوحده . كقوله تعالى : ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن
من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وهو العزيز
أي منبع الجناب ﴾ الحكيم ﴿ في قدره وشرعه . وقوله تعالى : ﴿ هو الذي أخرج الذين

كفروا من أهل الكتاب ﴿ يعني يهود بني النضير . قاله ابن عباس وغيره ولنذكر ملخص غزوة بني النضير على وجه الاختصار وبالله وحده المستعان .

ذكر أصحاب المغازي والسير : وكان سبب ذلك أنه لما قتل أصحاب بئر معونة ^(١) من أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا سبعين وأُفِلت منهم عمرو بن أمية الضمري فلما كان في أثناء الطريق راجعاً إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر وكان معهما عهد من رسول الله ﷺ وأمان لم يعلم به عمرو ، فلما رجع أخبر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « لقد قتل رجلين لأؤدبنيهما » وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد فخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير ، ليستعينهم في دية ذينك الرجلين ، وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقها . فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم . فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال : أنا لذلك . فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ... ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم ، فأتي رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ثم تبعه أصحابه حتى انتهوا إليه فأخبرهم بما كانت يهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيو لحربهم فسار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها . فنادوه ، ان يا محمد : قد كنت تنهي عن الفساد في الأرض وتعيبه على من يصنعه فما بال قطع النخل وتحريقها .. ؟ وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبدالله بن أبي ابن سلول ، ووديعه ومالك بن أبي قوقل وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير ان اثبتوا وتمنعوا ، فإننا لن نُسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن خرجتم خرجنا معكم . فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا فقتل في قلوبهم الرعب . فسألوا رسول الله ﷺ ان يجليهم ويكف عن دماءهم على أن لهم ما حملت الأبل من أمواهم إلا الحلقة ^(٢) ففعلوا . فاحتملوا من أمواهم ما استقلت

(١) قلت : أصحاب بئر معونة هم الذين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل بكتاب منه فأرسلوا الكتاب مع أحدهم فقتل عامر الرجل واستعدى عليهم القبائل فقاتلوه وأخذ كل من أصحاب الرسول سيفه وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا عمرو بن أمية الضمري فحزن عليهم رسول الله أشد الحزن وقد تأثر المسلمون كذلك أشد الأثر لأخوانهم في الدين وعزاؤهم بهم بأن لهم الجنة .

(٢) الحلقة - وهي السلاح أي ما عدا أسلحتهم فليس لهم أن يأخذوها معهم .

به الإبل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن إيجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء ، فقسّمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلاّ سهل بن حنيف وأبا دجانه - سماك بن خرشة - ذكرنا قفراً... فأعطاهما رسول الله ﷺ ، ولم يسلم من بني النضير إلاّ رجلاّن: يا مينا بن عمرو بن كعب ، عم عمرو بن جحاش ، وأبو سعد بن وهب. أسلما على أموالهما فأحرزاها وقيل أن يامين بن عمرو جعل لرجل رجلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش - وهو المتآمر على حياة رسول الله ﷺ - فقتله . قاله محمد بن اسحق مختصراً .

قال ابن اسحق : ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها وهكذا روى يونس بن بكير عن ابن اسحق بنحو ما تقدم . فقوله تعالى : ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ يعني بني النضير ﴿ من ديارهم لأول الحشر ﴾ أي إلى أرض الشام وقوله تعالى : ﴿ ما ظننتم أن يخرجوا ﴾ أي في مدّة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة أيام مع شدة حصونهم ومنعتها . ولهذا قال تعالى : ﴿ وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ﴾ أي جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال . وقال تعالى : ﴿ وقذف في قلوبهم الرعب ﴾ أي الخوف والهلع والجزع ، وكيف لا وقد حاصروهم الذي نصر بالرعب مسيرة شهر ﷺ . وقوله تعالى : ﴿ يخرجون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴾ وقد تقدم تفسير ابن اسحق لذلك ، وهو نقض ما استحسّوه من سقوطهم وأبوابهم وحملها على الإبل ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ﴾ أي لعذبهم عذاباً آخر من القتل والسبي ونحو ذلك لأن الله قد كتب عليهم أنه سيعذبهم في الدنيا مع ما أعدّ لهم في الدار الآخرة من العذاب في نار جهنم . ولهذا قال تعالى : ﴿ ولهم في الآخرة عذاب النار ﴾ أي حتم لازم لا بدّ منه ﴿ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ﴾ أي إنما فعل بهم ما فعل ، لأنهم خالفوا الله ورسوله ، وكذبوا بما أنزل الله على رسله المتقدمين في البشارة بمحمد ﷺ ، وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم . ثم قال سبحانه : ﴿ ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﴾ اللينة : ألوان التمر سوى العجوة وذلك أن رسول الله ﷺ لما حاصروهم أمر بقطع نخيلهم لإهانة لهم ، وإرهاباً وإرعاباً لقلوبهم وكل ذلك بإذن الله تعالى ومشيبته ورضاه وفيه نكاية بالعدو وخزي لهم وارغام لأنوفهم .

قال مجاهد : نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل ، وقالوا إنما هي مغنم المسلمين فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه ، وتحليل من قطعه من الإثم ، وإنما قطعه وتركه بإذنه ، وما فعلوا ذلك من القطع والحرق إلا ليستزلوهم من حصونهم وأمرؤا بقطع النخل فحاك في صدورهم فقال المسلمون : قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً فلنسأل رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر ؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ ما قطعتم من لينة ... ﴾ .

= ولقد تبارى شعراء المسلمين في وصف هذه الواقعة وما كان فيها من قطع وتحريق وقتل كعب بن الأشرف ، فقالوا قصائد عظيمة امثال حسان بن ثابت وكعب بن مالك وابن القيم العسبي وقيس بن بحر بن طريف تركنا ذكرها اختصاراً واكتفينا بالتنويه عنها فقط ومن رغب الاطلاع على هذه القصائد فليرجع إلى تفسير ابن كثير الأصل .

﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٦) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٧)

يقول تعالى مبيّناً ما الفيء وما صفته وما حكمه ؛ فالفيء كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب أي لم يقاتلوا الأعداء بالمبارزة والمصالوة بل نزل أولئك من الرعب ما ألقى الله في قلوبهم من هبة رسول الله ﷺ كما حصل لبني النضير فأفاء الله أموالهم التي تركوها على رسوله ﷺ خاصة ، ولهذا تصرف في فء بني النضير كما يشاء ، فردّه على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآيات تعالى : ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم ﴾ أي من بني النضير ﴿ فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾ يعني الإبل ﴿ ولكن الله يسلبه على من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ أي لا يغالب ولا يمانع بل هو القاهر لكل شيء .

ثم قال تعالى : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ﴾ أي جميع البلدان التي تفتح هكذا فحكمها حكم أموال بني النضير . ولهذا قال تعالى : ﴿ فله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ إلى آخرها والتي بعدها فهذه مصارف أموال الفيه ووجوهه .

روى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : ٣٨٧ [كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خالصة ، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته ، وقال مرة قوت سنته وما بقي جعله في الكراع والسلاح في سبيل الله عز وجل] هكذا أخرجه أحمد ههنا مختصراً ، وقد أخرجه الجماعة في كتبهم إلا ابن ماجه .

والمعلوم ان ما تركه رسول الله ﷺ بعد وفاته فهو صدقة لا يرثه أحد لقوله ﷺ ٣٨٨ [لا نورث ما تركنا صدقة] ولهذا فقد منع ابو بكر الصديق فاطمة مما ترك رسول الله ﷺ مستنداً إلى هذا الحديث وكان ابو بكر على حق في ذلك فلما توفي ابو بكر رضي الله عنه وتولى من بعده الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء بعد زمن من خلافته العباس وعليّ ودخلا عليه فقال العباس : يا أمير المؤمنين ٣٨٩ [إقض بيني وبين هذا فأقبل عليهما عمر وقال : انشد كما بالله الذي باذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان ان رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ما تركناه صدقة » فقالا نعم ... ثم قال : فلما توفي رسول الله ﷺ قال ابو بكر : أنا ولي رسول الله ﷺ فجئت أنت وهذا إلى أبي بكر تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها فقال ابو بكر رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ « لا نورث ما تركنا صدقة » والله يعلم أنه لصا دق بار راشد تابع للحق فوليتها أبو بكر . فلما توفي قلت أنا ولي رسول الله ﷺ وولي أبي بكر فوليتها ما شاء الله أن أليها ، فجئت انت وهذا وانما جميع وأمر كما واحد فسألتما نيتها فقلت إن شئتما فانا أدفعها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تليها بالذي كان رسول الله ﷺ يليها ، فأخذتماها مني على ذلك ثم جئتماني لأقضي بينكما بغير ذلك ، والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنها فرداها إلي .] أخرجه من حديث الزهري به وكان الذي سألاه : أي العباس وعلي : أموال بني النضير التي كانت خالصة لرسول الله ﷺ والله تعالى أعلم ^(١) . وقوله تعالى : ﴿ كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾

(١) بعض حديث ما رواه أبو داود أثبتنا بعضه هنا اختصاراً وبنيّة الفائدة .

أي جعلنا هذه المصارف لمال الفبيء كيلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء ولا يصرفون منه شيئاً إلى الفقراء .

وقوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ أي مهما أمركم به فافعلوه ، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه ، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر .

روى ابن أبي حاتم عن مسروق قال : ٣٩٠ [جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت : بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة ، أشيء وجدته في كتاب الله تعالى أو عن رسول الله ﷺ ؟ قال : بلى شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله ﷺ . قالت : والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت فيه الذي تقول قال : فما وجدت فيه ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ؟ قالت : بلى قال : فاني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة قالت فلعلته في بعض أهلك ، قال فادخلي فانظري فدخلت فنظرت ثم خرجت قالت : ما رأيت بأساً فقال لها : أما حفظت وصية العبد الصالح ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ ^(١) [وقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ أي اتقوه في امثال أوامره وترك زواجه فإنه شديد العقاب لمن عصاه ، وخالف أمره وأباه ، وارتكب ما عنه زجره ونهاه .

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ * (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ * (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ * (١٠)

يبين تعالى حال الفقراء المستحقين لمال الفيء ، أنهم : ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ﴾ أي خرجوا من ديارهم مهاجرين إلى الله ورسوله ، وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه . ﴿ وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ أي هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم ، وهؤلاء هم سادات المهاجرين . ثم قال تعالى مادحاً للأنصار مبيّناً فضلهم وشرفهم وكرمهم ، وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة . فقال تعالى : ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ﴾ أي سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم . قال عمر : وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم ، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل ، أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم . رواه البخاري . وقوله تعالى : ﴿ يحبون من هاجر إليهم ﴾ أي من كرم وشرف نفوسهم ، يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم . قال الإمام أحمد عن أنس قال ٣٩١ [قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساةً في قليل ولا أحسن بذلاً في كثير ، لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله ، قال : « لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم »] . ﴿ ولا يجادلون في صدورهم حاجةً مما أوتوا ﴾ أي ولا يجادلون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة « وقوله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ يعني حاجة أي يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدؤون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك . روى البخاري عن أبي هريرة قال : ٣٩٢ [أتى رجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أصابني الجهد ، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً . فقال النبي ﷺ « ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله » فقام رجل من الأنصار فقال أنا يا رسول الله ، فذهب إلى أهله فقال لامرأته : هذاضيف رسول الله ﷺ لا تدخره شيئاً ، فقالت : والله ما عندي إلا قوة البصية . قال : فإذا أراد البصية العشاء فنوميهم ، وتعالى فاطفي السراج ونطوي بطوننا الليلة ، ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال « لقد عجب الله عز وجل - أو ضحك - من فلان وفلانة » وأنزل الله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [وكذا رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن فضل بن غزوان به نحوه وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة رضي الله عنه . وقوله تعالى : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ أي من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح : روى أحمد عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : ٣٩٣ [إياكم والظلم فإن الظلم

ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم] إنفرد باخراجه مسلم . وقوله تعالى : ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ هؤلاء القسم الثالث ممن يستحق فقرائهم من مال الفياء : وهم المهاجرون ثم الأنصار والذين اتبعوهم بإحسان . كما قال في آية براءة ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لأنارهم الحسنة ، وأوصافهم الجميلة ، الداعون لهم في السر والعلانية . ولهذا قال تعالى : « في هذه الآية الكريمة : ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا﴾ أي بغضاً وحسداً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة : أن الراضى الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفياء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ .

قال ابن جرير عن مالك بن أوس بن الحدثان قال : قرأ عمر بن الخطاب : ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين - حتى بلغ - عليم حكيم﴾ ثم قال هذه هؤلاء ثم قرأ : ﴿واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن الله خمسه وللرسول ولذي القربى﴾ الآية ثم قال : هذه هؤلاء ، ثم قرأ : ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى - حتى بلغ - للفقراء ... والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم ... والذين جاءوا من بعدهم - إلى قوله تعالى - رؤوف رحيم﴾ ثم قال : استوعبت هذه المسلمين عامة وليس أحد إلا وله فيها حق ثم قال : لئن عشت ليأتين الراعى وهو بسرو حمير نصيبه فيها لم يعرف فيها جيبته .



﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا

لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾
لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا
يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ
وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا
ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ
قَالَ لِلْإِنْسَانِ أَكْفَرُ فَأَلَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾

يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه حين بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم
النصر من أنفسهم. فقال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من
أهل الكتاب لنأخرجنهم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً وان قوتكم لننصرنكم ﴾
قال الله تعالى : ﴿ والله يشهد أنهم لكاذبون ﴾ أي لكاذبون فيما وعدوهم به إما لأنهم قالوا
لهم قولاً ، ومقصدهم أن لا يفوا لهم به. وإما لأنهم لا يقع منهم الذي قالوه ولهذا قال تعالى :
﴿ ولئن قاتلوا لا ينصرونهم ﴾ أي لا يقاتلون معهم ﴿ ولئن نصروهم ﴾ أي قاتلوا معهم
﴿ ليولنن الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ وهذه بشارة مستقلة بنفسها . ثم قال تعالى : ﴿ لأنتم
أشد رهبة في صدورهم من الله ﴾ أي يخافونكم أكثر مما يخافون الله. كقوله تعالى : ﴿ إذا
فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ ذلك بأنهم
قوم لا يفقهون ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء
جدُر ﴾ يعني أنهم من جنبهم واهلهم لا يقدرّون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة
والمقابلة بل إما في حصون أو من وراء جدُر محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة ثم
قال تعالى : ﴿ بأسهم بينهم شديد ﴾ أي عداوتهم فيما بينهم شديدة . كما قال تعالى :
﴿ ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ﴾ أي

تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف. ﴿ ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ﴾ كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع الذين كان رسول الله ﷺ قد أجلهم قبل هذا . وقوله تعالى : ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إني بريء منك ﴾ يعني مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالمنافقين الذين وعدوهم النصر فلما جدَّ الجدد تخلَّوا عنهم وأسلموهم للمهلكة ، مثالهم في هذا كمثل الشيطان إذ سؤل للإنسان - والعياذ بالله - الكفر فإذا أجابه تبرأ منه . وقال : ﴿ إني أخاف الله رب العالمين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ﴾ فكان عاقبة الأمر بالكفر والذي كفر مصيرهما إلى نار جهنم خالدين فيها ﴿ وذلك جزاء الظالمين ﴾ أي جزاء كل ظالم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْتَرْقُبْ نَفْسُ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ أمرٌ بتقواه وهو يشمل ما به أمر وترك ما عنه زجر . وقوله تعالى : ﴿ ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم . ﴿ واتقوا الله ﴾ تأكيد ثانٍ ﴿ إن الله خبير بما تعملون ﴾ أي اعلموا انه سبحانه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم ، لا تخفى عليه منكم خافية ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير . وقوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ أي لا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم ، فإن الجزاء من نوع العمل . ولهذا قال تعالى : ﴿ أولئك هم الفاسقون ﴾ أي الخارجون عن طاعة الله المالكون يوم القيامة الخاسرون يوم معادهم . كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ﴾ أي لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله تعالى يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا

٣٤٠ (٥٩-الحشر-ج٢٨): تتصدّع الجبال من خشية الله، ولا تتصدّع قلوب المشركين !

السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴿ وقال تعالى : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون ﴾ وكثيرة الآيات الدالات على ان الله تعالى يكرم الأبرار ويهين الفجار . ولهذا قال تعالى ها هنا : ﴿ أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ أي الناجون المسلمون من عذاب الله عز وجل .

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِيءُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ (٢٤) ۞

يقول تعالى معظمًا لأمر القرآن ، ومبينًا علو قدره ، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب وتتصدّع عند سماعه ، لما فيه من الوعد الحق ، والوعيد الأكيد : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾ أي اذا كان الجبل رغم قساوته وغلظته وصممه لو سمع وفهم هذا القرآن فتدبّر بما فيه تخشع وتتصدّع من ثقله ومن خوف الله وخشيته . فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم آياته ؟ وكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدّع من خشيته تبارك وتعالى ... ؟ ولهذا قال جلّت عظمته : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ وقد ذكر في الحديث المتواتر ٣٩٤ [ان رسول الله ﷺ لما عمل له المنبر ، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد ، فلما وضع المنبر أول ما وضع وجاء النبي ﷺ ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر ، فعند ذلك حنّ الجذع وجعل يئنّ كما يئن الصبي الذي يسكت لما كان يسمع من الذكر

والوحي عنده] . ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري بعد إيراد : فأنتم أحق أن تشناقوا إلى رسول الله ﷺ من الجذع . ثم قال تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ﴾ أخبر تعالى أنه هو الذي لا إله إلا هو فلا ربَّ غيره ولا إله سواه وكل ما يعبد من دونه فباطل . وأنه عالم الغيب والشهادة أي يعلم الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا ، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء من جليل وحقيق ، وصغير وكبير حتى الذر في الظلمات . وقوله تعالى : ﴿ هو الرحمن الرحيم ﴾ المراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات . فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما . كما قال تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك ﴾ أي المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة . وقوله تعالى : ﴿ القدوس ﴾ أي الذي تقدسه الملائكة الكرام ﴿ السلام ﴾ أي من جميع العيوب والنقائص لكمالته في ذاته وصفاته وأفعاله : ﴿ المؤمن ﴾ قال ابن عباس : أي أمين خلقه من أن يظلمهم ﴿ المهيمن ﴾ كقوله تعالى : ﴿ والله على كل شيء شهيد ﴾ أي هو الشاهد على خلقه بمعنى رقيب عليهم . وقوله تعالى : ﴿ العزيز ﴾ أي الذي قد عز كل شيء فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنباه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه . ولهذا قال تعالى : ﴿ الجبار المتكبر ﴾ أي الذي لا يليق الجبروت إلا بالجلال ، ولا التكبر إلا لعظمته . كما تقدّم في الصحيح ٣٩٥ [العظمة إزارى والكبرياء رداً فمن نازعني واحداً منهما عذبت] الجبار المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم والمتكبر يعني عن كل سوء . ثم قال تعالى : ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هو الخالق البارئ المصور ﴾ الخلق : التقدير . والبرء : هو تنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى عالم الوجود . والمصور الذي ينفذ ما يريد إيجاداً على الصفة التي يريد . ويختارها . كقوله تعالى : ﴿ في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ وقوله تعالى : ﴿ له الأسماء الحسنى ﴾ قد تقدّم الكلام على ذلك في سورة الأعراف^(١) ونذكر الحديث المروي في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : ٣٩٦ [إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر] ورواه ابن ماجه ، والترمذي عن أبي هريرة أيضاً وزاد ٣٩٧ [هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكيم ،

العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ،
الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ،
الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ،
المحصي ، المبدئ ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ،
الواحد ، الصمد ، القادر ، المقدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ،
الوالي ، المتعالي ، البر التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال
والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المعطي ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ،
الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور .]

وقوله تعالى : ﴿ يسبح له ما في السموات والأرض ﴾ كقوله تعالى : ﴿ تسبح له
السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وهو العزيز ﴾ أي فلا يرام جنباه
﴿ الحكيم ﴾ في شرعه وقدره .

* * *

آخر اختصار تفسير سورة الحشر والله الحمد والمنة وله الشكر والفضل ، وبه التوفيق
وعليه التكلان

(٦٠) سُورَةُ الْمُتَحَنِّنِينَ وَأَيُّهَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ

نزلت بعد سورة الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ
أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ
يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ
جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ
بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
السَّبِيلِ * (١) إِنْ يَشَقُّوَكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ
أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * (٣)

كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصّة حاطب بن أبي بلتعة ، وذلك ان حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين ، ومن أهل بدر أيضاً ، وكان له بمكة أولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم ، بل كان حليفاً لعثمان ، فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد أمر المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال ٣٩٨ [اللهم عمّ عليهم

خبرنا [فعمد حاطب هذا، فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة، يعلمهم بما عزم عليه الرسول ﷺ من غزوهم، ليتخذ بذلك عندهم يداً فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله ﷺ استجابةً لدعائه، فبعث عليه الصلاة والسلام في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها، وهذا بين في هذا الحديث المتفق على صحته. روى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال: ٣٩٩] بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: إنطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة؛ فإذا نحن بالطعينة قلنا: أخرجي الكتاب قالت: ما معي كتاب قلنا: لتُخرجي الكتاب أو لتلقين الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ «يا حاطب ما هذا؟» قال: لا تعجل عليّ إني كنتُ امرءاً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم بمكة، فأحببتُ إن فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضا بالكفر، بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ «إنه صدقكم». فقال عمرُ دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ «إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله أطلع إلى أهل بدر فقال: «إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» [وهكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من غير وجه وزاد البخاري في كتاب المغازي: فأُنزل الله السورة: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ وفي لفظ البخاري... فدَمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم. وجاء في رواية ابن أبي حاتم عن علي... فقال رسول الله ﷺ ٤٠٠] صدق حاطب فلا تقولوا لحاطب إلا خيراً [.

فقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ يعني المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم، ونهى عن أن يتخذوا أولياء وأصدقاء كما قال تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ ويحذركم الله نفسه ﴿ولهذا قيل رسول الله ﷺ عذر حاطب لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعةً لقريش لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد.

روى الإمام أحمد عن حذيفة يقول: ٤٠١] ضرب رسول الله ﷺ أمثالاً واحداً وثلاثة.

وخمسة وسبعة وتسعة ، وإحدى عشر ، قال فضرب لنا منها مثلاً وترك سائرهما قال : « إن قوماً كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل تجبر وعداء ، فأظهر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا إلى عدوهم ، فاستعملوهم ، وسلطوهم فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه » . [وقوله تعالى : ﴿ يخرجون الرسول وإياكم ﴾ هذا مع ما قبله من التهيج على عداوتهم ، وعدم موالاتهم ، لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ كقوله تعالى : ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي ﴾ أي إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء ، إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم ، فلا توالوا أعدائي وأعداءكم ، وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقاً عليكم وسخطاً لدينكم . وقوله تعالى : ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ ﴾ أي تفعلون ذلك ، وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر ﴿ ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل ﴾ * إن يثقوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ﴿ أي لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال ﴾ وودّوا لو تكفروا ﴿ أي يحرصون على أن لا تنالوا خيراً فهم عداوتهم لكم كامة وظاهرة ، فكيف توالون مثل هؤلاء ؟ وهذا تهيج على عداوتهم أيضاً . وقوله تعالى : ﴿ لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير ﴾ أي قراباتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد بكم سوءاً ، ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله ، ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر وضلّ عمله ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد ، ولو كان قريباً إلى نبي من الأنبياء . روى الإمام أحمد عن أنس : ٤٠٢ ان رجلاً قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال في النار فلما قفّى دعاه فقال إن أبي وأباك في النار] رواه مسلم وأبو داود من حديث حماد بن سلمة .

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ

قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُسْغِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ

مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بعداوة الكافرين والتبرئ منهم : ﴿ كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ﴾ أي أتباعه الذين آمنوا معه ﴿ إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ﴾ أي بدينكم وطريقكم ﴿ وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا ﴾ يعني وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ، ما دمت على كفركم فنحن أبدا نبرأ منكم ونبغضكم ﴿ حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ أي إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتحلوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد. وقوله تعالى : ﴿ إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ﴾ أي لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسسون بها إلا في استغفار إبراهيم لأبيه ، فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، وذلك إن بعض المؤمنين ، كانوا يدعون لأبائهم الذين ماتوا على الشرك ، ويستغفرون لهم ويقولون إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه . فأنزل الله عز وجل ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴿ ثم يخبر تعالى عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرأوا منهم فلجأوا إلى الله وتضرعوا فقالوا ﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾ أي سلمنا أمورنا إليك وفوضناها إليك ، وإليك مصيرنا في المعاد في الدار الآخرة ﴿ ربنا لا تجعلنا فتنَةً للذين كفروا ﴾ أي لا تنصرهم علينا فيفتنوا بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقهم عليه ، واختاره ابن جرير وعن ابن عباس : لا تسلطهم علينا فيفتنونا .

وقوله تعالى : ﴿ واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ أي واسر ذنوبنا عن غيرك ، واعف عنها فيما بيننا وبينك ﴿ إنك أنت العزيز ﴾ الذي لا يضام من لاذ بجنابك

﴿الحكيم﴾ في أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك ، ثم قال تعالى ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ وهذا تأكيد لما تقدم ، ومستثنى منه ما تقدم أيضاً لأن هذه الأسوة المثبتة ههنا هي الأولى بعينها وقوله تعالى : ﴿لمن كان يرجو الله اليوم الآخر﴾ تهيج إلى ذلك لكل مؤمن بالله والمعاد ، وقوله تعالى : ﴿ومن يتول﴾ أي من يعرض عما أمر الله به ﴿فإن الله هو الغني الحميد﴾ كقوله تعالى : ﴿إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد﴾ قال ابن عباس الغني الذي قد كمل في غناه وهو الله ، هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفاء وليس كمثل شيء سبحان الله الواحد القهار والحميد المستحمد إلى خلقه أي هو المحمود في جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا رب سواه .

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين : ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ أي محبة بعد البغضة ، ومودة بعد النفرة . ﴿والله قدير﴾ أي على الجمع بين الأشياء المتنافرة ، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة فتصبح مجتمعة ، كما قال تعالى : ممتناً على الأنصار ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ الآية... وكذا قال لهم النبي ﷺ [٤٠٣] ألم أجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي ، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي ؟ [وقوله تعالى : ﴿والله غفورٌ رحيمٌ﴾ أي يغفر للكافرين إذا تابوا منه إلى ربهم واسلموا له .

وقوله تعالى : ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم﴾ أي يعاونوا على إخراجكم أي لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لم



يقاتلوكم في الدين كالنساء والضعفة منهم ﴿ أَنْ تَبْرُوهُمْ ﴾ أي تحسنوا إليهم ﴿ وَتَقْسُطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ أي تعدلوا ﴿ إِنْ اللَّهُ يَحِبُّ الْمَقْسُطِينَ ﴾ روى الإمام أحمد عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : ٤٠٤ [قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا ، فأثبت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها ؟ قال : « نعم صلي أمك »] أخرجه .

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ يَحِبُّ الْمَقْسُطِينَ ﴾ كما ورد في الحديث الصحيح : ٤٠٥ [المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش ؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولّوا] ^(١)

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ﴾ أي إنما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة فقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم ، ينهاكم الله عز وجل عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم . ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَهُوَ مِنْهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَأَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ۚ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠)

وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتَّوَا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿ (١١) ﴾

تقدم في سورة الفتح ، ذكر صلح الحديبية الذي وقع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش فكان فيه: ٤٠٦: [...] على أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، وفي رواية : على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا . وهذا قول عمرو والضحاك وعبد الرحمن بن زيد والزهرري ومقاتل بن حيان والسدي فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة . وهذا من أحسن أمثله ذلك ؛ وعلى طريقة بعض السلف ناسخة . فان الله عز وجل أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن ، فإن علموهن مؤمنات فلا يرجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن ، وقد ذكرنا في المسند الكبير عن عبدالله بن أبي أحمد قال : ٤٠٧: [هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، فخرج أخوها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله ﷺ ، فكلماه فيها أن يردّها إليهما ، فاستثنى الله من العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة . فمنعهم أن يردّوهن إلى المشركين . وأنزل الله آية الامتحان .] قال ابن جرير عن أبي نصر الأسدي قال : سئل ابن عباس كيف كان أمتحان رسول الله ﷺ النساء ؟ قال : كان يمتحنهن : ٤٠٨: [بالله ما خرجت من بغض زوج ، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض ، وبالله ما خرجت التماس دنيا ، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله ؟] .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقيناً . وقوله تعالى : ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين ، وقد كان جائزاً في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة . ولهذا كان أمر أبي العاص بن الربيع زوج ابنة النبي ﷺ زينب رضي الله عنها ، وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه ، فلما وقع في الأسارى يوم بدر بعثت زينب في فدائه بقلادة لها كانت لأُمها خديجة رضي الله عنها ، فلما رآها رسول الله ﷺ رقت لها رقّة شديدة ، وقال للمسلمين : ٤٠٩: [إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها فافعلوا] ففعلوا . فأطلقه رسول الله ﷺ على أن يبعث ابنته إليه ، فوفى له بذلك وصدقه فيما وعدّه وبعثها إلى رسول الله ﷺ مع زيد بن حارثة رضي الله عنه ، فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر . وكانت سنة اثنتين إلى أن أسلم زوجها أبو العاص ابن الربيع سنة ثمان فردّها عليه بالنكاح الأول ولم يحدث لها صداقاً . كما روى الإمام أحمد عن ابن عباس : ٤١٠: [أن رسول الله ﷺ رد ابنته زينب على أبي العاص ، وكانت هجرتها قبل إسلامه بست سنين على النكاح الأول ولم يحدث شهادة ولا صداقاً] وأما حديث عمر بن شعيب عن أبيه عن جده : ٤١١: [أن رسول الله ﷺ رد ابنته زينب على أبي العاص بمهرٍ جديدٍ ونكاحٍ جديدٍ]

ضعفه الإمام أحمد وغير واحد والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وَآتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا ﴾ يعني أزواج المهاجرات من المشرکین ادفعوا اليهم الذي غرموه عليهن من الأصدقة وقوله تعالى : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ﴾ يعني اذا اعطيتموهن أصدقتهن فانكحوهن أي تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولي وغيره وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ تحريم من الله عزّ وجل على عباده المؤمنين نكاح المشرکات والاستمرار معهن . وفي الصحيح : ٤١٢ [أن الرسول ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية ، جاءه نساء من المؤمنات فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ - إِلَى قَوْلِهِ - وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين ، تزوّج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية] . وقوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ﴾ أي وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي يذهبن إلى الكفار إن ذهبن ، وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين .

وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يُحْكَمُ بَيْنَكُمْ ﴾ أي في الصلح واستثناء النساء منه والأمر بهذا كله هو حكم الله يحكم به بين خلقه ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي عليم بما يصلح لعباده حكيم في ذلك ، ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ﴾ قال العوفي عن ابن عباس يعني إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله ﷺ أن يعطى مثل ما أنفق من الغنيمة وهكذا قال مجاهد ﴿ فَعَاقِبْتُمْ ﴾ أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم ﴿ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ﴾ يعني مهر مثلها .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِنِّهْتَانٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْنٍ وَأَرْجُلَيْنِ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٢)

روى البخاري عن عائشة : ٤١٣ [أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ... إلى قوله ... غفور رحيم ﴾ قالت عائشة فمن أقر

بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ « قد بايعتكم » كلاماً ولا والله ما مست يده يد امرأة في المبايعة قط ، ما بايعهن إلا بقوله « قد بايعتكم على ذلك » [هذا لفظ البخاري. ومن بعض الحديث للإمام أحمد عن أميمة بنت رقيقة: ٤١٤... قلنا يا رسول الله ألا تصافحنا ؟ قال : إني لا أصافح النساء إنما قولي لامرأة واحدة قولي لأمينة امرأة] هذا إسناده صحيح .

وروى الإمام أحمد عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: ٤١٥ [جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله ﷺ تباعه على الإسلام فقال : « أباعك على أن لا تشركي بالله شيئاً ولا تسرقى ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحى ولا تبرجي تبرج الجاهلية الأولى »] وروى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت قال: ٤١٦ [كنا عند رسول الله ﷺ في مجلس فقال « تباعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم - قرأ الآية التي أخذت على النساء اذا جاءك المؤمنات - فمن وقى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفرله وإن شاء عذبه »] أخرجاه في الصحيحين . وروى الإمام أحمد عن عائشة بنت قدامة بن مظعون قالت: ٤١٧ [أنا مع أمي رائطة بنت سفيان الخزاعية والنبي ﷺ يبايع النسوة ويقول: أباعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصين في معروف - قلن : نعم - فيما استطعن فكُن يقرن وأقول معهن وأمي تقول لي اي بنية نعم فكنت أقول كما يقرن.]

روى البخاري عن أم عطية قالت: ٤١٨ .. ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها قالت أسعدتني فلانة فأريد أن أجزيها ، فما قال لها رسول الله ﷺ شيئاً ، فانطلقت ورجعت فبايعها] ورواه مسلم .

وروى ابن أبي حاتم عن عائشة قالت : ٤١٩ [جاءت هند بنت عتبة إلى رسول الله ﷺ لتباعه فنظر إلى يدها فقال : « اذهبي فغيري يدك » فذهبت فغيرتها بخاء ثم جاءت فقال : « أباعك على أن لا تشركي بالله شيئاً » فبايعته وفي يدها سواران من ذهب فقالت : ما تقول في هذين السوارين ؟ فقال : « جمرتان من نار جهنم » ^(١) .

فقوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يباعنك ﴾ أي من جاءك منهن يبايع على هذه الشروط فبايعها على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن أموال الناس الأجانب ،

(١) قلت : وهذا دليل لمن يقول بحل الذهب للنساء ما سوى الطوق والسوارين والخاتم . إضافة إلى أدلة صحيحة أخرى .

فأما إذا كان الزوج مقصراً في نفقتها، فلها أن تأكل من ماله بالمعروف. ما جرت به عادة أمثالها وإن كان من غير علمه، عملاً بحديث هند بنت عتبة أنها قالت: ٤٢٠ [يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني، فهل علي جناح إن أخذت من ماله بغير علمه؟] فقال رسول الله ﷺ: «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك» [أخرجاه في الصحيحين].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزْنِي﴾ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُمْ﴾ وهذا يشمل قتله بعد وجوده، كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق، ويعم قتله وهو جنين كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء، تطرح نفسها لثلاث حبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِمَا مَن يَفْتَرِي بَيْنَ يَدَيْهِمَا وَأَرْجُلُهُمَا﴾ قال ابن عباس يعني لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم. وكذا قال مقاتل ويؤيد هذا الحديث الذي رواه ابو داود عن أبي هريرة: ٤٢١ [أنه سمع رسول الله ﷺ يقول حين نزلت آية الملاعنة: «أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء، ولن يدخلها الله الجنة. وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين»] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ يعني فيما أمرتهن به من معروف ونهيتهن عنه من منكر، فلا يخمشن وجهاً، ولا ينشرن شعراً، ولا يشققن جيباً، ولا يدعين ويلاً.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ٤٢٢ [ليس منا من ضرب الحدود، وشقّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية]. وفي الصحيحين أيضاً عن أبي موسى: ٤٢٣ [أن رسول الله ﷺ برىء من الصالقة والحالقة والشاقة].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (١٣)

ينهى الله تعالى عن موالاة الكفار في آخر هذه السورة، كما نهى عنها في أولها. فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني اليهود والنصارى

وسائر الكفار ممن غضب الله عليهم ولعنهم واستحقوا من الله الطرد والإبعاد ، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء ، وقد يثسوا من الآخرة أي من ثواب الآخرة ونعيمها ، في حكم الله عز وجل . وقوله تعالى : ﴿ كما يثس الكفار من أصحاب القبور ﴾ فيه قولان : أحدهما كما يثس الكفار الأحياء من قراباتهم الذين في القبور ان يجتمعوا بهم بعد ذلك لأنهم لا يعتقدون بعثاً ولا نشوراً فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه . والثاني معناه : كما يثس الكفار الذين هم في القبور من كل خير . وعن ابن مسعود : كما يثس الكافر إذا مات وعاین ثوابه واطلع عليه - فيما لو كان مؤمناً - .

* * *

آخر اختصار تفسير سورة الممتحنة والله الحمد والمنة .

(٦١) سُورَةُ الصَّفِّ مَدَنِيَّةٌ وَأَنبَأَتْهَا رَجُلٌ عَشِيرَتُهُ

نزلت بعد سورة التغابن

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن سلام قال : ٤٢٤ [تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله : أي الأعمال أحب إلى الله فلم يقم أحداً منّا ، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلاً فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة ، يعني سورة الصف كلها .]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ * (٤)

قد تقدم الكلام على قوله تعالى : ﴿ سبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ غير مرة ^(١) بما أغنى عن إعادته . وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ إنكار على من يعد وعداً أو يقول قولاً لا يفي به . وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : ٤٢٥ [آية المنافق ثلاث : إذا وعد أخلف ، وإذا حدث كذب ، وإذا أتمن خان] ولهذا أكد الله تعالى بقوله جلّ وعز : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ قال ابن عباس : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد

(١) راجع تفسير الآية الأولى من كل من سورتي: الحشر والحديد المجلد ٤/

يقولون : لوددنا ان الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به ، فأخبر نبيه ﷺ ان أحب الأعمال إيمان به لا شك فيه ، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرؤا به فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشقَّ عليهم أمره فقال الله سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ .

وقوله تعالى ﴿ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنين ﴾ مرصوص ﴿ هذا إخبار منه تعالى بمحبة عباده المؤمنين الذين اذا صفوا مواجهين لأعداء الله تعالى في حومة الوغى ، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هي العليا ، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان . يجب أن يكونوا كالبنين ملتصق بعضهم ببعض . روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٤٢٦ [ثلاثة يضحك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل ، والقوم إذا صفوا للصلاة والقوم إذا صفوا للقتال] وقال قتادة : ﴿ كأنهم بنين ﴾ مرصوص ﴿ ألم تر إلى صاحب البنين كيف لا يجب أن يختلف بنيانه ، فكذلك الله عز وجل لا يحب أن يختلف أمره وأن الله صف المؤمنين في قتالهم ، وصفهم في صلاتهم ، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٥) وَإِذْ قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿ (٦) ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله وكنيته موسى بن عمران ﷺ انه قال لقومه : ﴿ لم تودونني وقد تعلمون اني رسول الله إليكم ﴾ أي لم تودونني وتعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة ، وهذا تسلية لمحمد ﷺ فيما أصابه من كفار قومه وغيرهم . وفيه حفض للرسول على الصبر ، وللمؤمنين نهى عن إيذاء نبيهم مثل قوم موسى . وقوله تعالى : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ أي فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به ، أزاغ الله قلوبهم

عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان . كما قال تعالى : ﴿ وَنَقَلَبْ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَٰ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ يعني أن التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه ، وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد ، فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل ، وقد أقام في ملا بني إسرائيل مبشراً بمحمد ﷺ وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة ولا نبوة بعده . أحسن ما روى البخاري عن جبير بن مطعم قال : سمعت رسول الله ﷺ : ٤٢٧ [إن لي أسماء ... أنا محمد، أنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب] رواه مسلم .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ لِإِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ قال ابن عباس ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصرته .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ قال ابن جرير : فلما جاءهم أحمد أي المبشر به في الأعصار السالفة وهو محمد ﷺ أي لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة والمخالفون : ﴿ هذا سحر مبين ﴾ .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٩)

يقول تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ﴾ أي لا أحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله ويجعل له أنداداً وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد

والإخلاص ، ولهذا قال تعالى : ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ﴾ أي يحاولون أن يردوا الحق بالباطل ، ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس بفيه ، وكما أن هذا مستحيل فذلك مستحيل. ولهذا قال تعالى : ﴿ والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ ولقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين في سورة براءة بما فيه كفاية والله الحمد والمنة (١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (١٠) ﴿ تَوَاصَوْا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١١) ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٢) ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣)

تقدم من حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة رضي الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه ، فأنزل الله تعالى هذه السورة ومن جملتها هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ ثم فسر هذه التجارة فقال تعالى : ﴿ تَوَاصَوْا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي من تجارة الدنيا والكد لها ثم قال تعالى : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ أي إن نفذتم أوامره ويدخلكم جناته والدرجات العاليات . ولهذا قال تعالى : ﴿ ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومسكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ وأخرى تحبونها ﴾ أي وأزيدكم زيادة تحبونها وهي : ﴿ نصر من الله وفتح قريب ﴾ أي إذا قاتلتم في سبيل دينه يضمن نصركم. وقال تعالى : ﴿ وفتح قريب ﴾ أي عاجل ، وهكذا فمن أطاع الله ورسوله ونصر دينه له النصر والفتح متصلاً بنعيم الآخرة ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى
ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا
الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

يأمر تعالى عباده المؤمنين ان يكونوا أنصاراً لله حالاً وقلاً، ونفساً ومالاً. وأن
يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى عليه الصلاة والسلام حين قال لهم :
﴿ من أنصاري إلى الله ﴾ أي من يعينني على الدعوة إلى الله تعالى ؟ ﴿ قال الحواريون ﴾
وهم أتباع عيسى عليه السلام : ﴿ نحن أنصارُ الله ﴾ أي أنصارك على ما أرسلت به. ولهذا
بعثهم دعوة إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين . وهكذا كان رسول الله
ﷺ يقول في أيام الحج ٤٢٨ [من رجل يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشاً قد منعوني
أن أبلغ رسالة ربي] حتى قبض الله له الأوس والخزرج من أهل المدينة، فبايعوه وآزروه،
وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم . فلما هاجر إليهم بمن معه
من أصحابه وفوا بعهودهم ، ولهذا سمّاهم الله ورسوله الأنصار وصار ذلك علماً عليهم
رضي الله عنهم وأرضاهم . وقوله تعالى : ﴿ فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت
طائفة ﴾ أي اهدت طائفة منهم بما جاء به ، وضلت طائفة فخرجت عن هديه ورموه
وأمة بالعظام. وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى ما شاء الله ، وغلت فيه طائفة ممن
اتبعوه حتى رفعوه فوق ما رفعه الله، فافترقوا شيعاً وفرقاً : فمن قائل : أنه هو ابن الله،
وقائل إنه ثالث ثلاثة : الأب ، والأبن ، وروح القدس ، ومن قائل أنه الله والعباد بالله
تعالى . ﴿ فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ﴾ أي ناصرناهم على من عاداهم من فرق
النصارى ﴿ فأصبحوا ظاهرين ﴾ أي عليهم ، وذلك ببعثة محمد ﷺ .

كما قال ابن جعفر بن جرير رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
لما أراد الله عز وجل أن يرفع عيسى عليه السلام إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم في بيت
اثنا عشر رجلاً من عين في البيت ورأسه يقطر ماءً فقال : إن منكم من يكفر بي لأثني
عشرة مرة بعد أن آمن بي . ثم قال : أيكم يلقي عليه شبيهي فيقتل مكاني ويكون معي في
درجتي ؟ قال فقام شاب من أحدثهم سنّاً فقال : أنا . فقال له : اجلس . ثم أعاد عليهم
فقام الشاب فقال : أنا . فقال اجلس ، ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا . فقال :

نعم أنت ذاك . قال فألقي عليه شبه عيسى ، ورفع عيسى عليه السلام من روزنة البيت إلى السماء . وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شبيهه فقتلوه ، وصلبوه ، وكفروا به بعضهم ، وتفرقوا فيه ثلاث فرق . فقالت فرقة : كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء (اليعقوبية) . وقالت فرقة : كان فينا ابنُ الله ما شاء الله ثم رفعه إليه ، وهؤلاء (النسطورية) . وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ، ثم رفعه الله إليه ، وهؤلاء « المسلمون » فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوه فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً ﷺ ﴿ فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة ﴾ يعني الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى عليه السلام والطائفة التي آمنت في زمن عيسى ﴿ فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾ بإظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار . ورواه النسائي .

فأمة محمد ﷺ لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم كذلك وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح . والله تعالى أعلم .

* * *

آخر اختصار تفسير سورة الصف والله الحمد والمنة وبه العصمة وعليه التكلان

سورة الجمعة مكية وآياتها إحدى عشرة

نزلت بعد سورة الصف

عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم : [٤٢٩] أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين [رواه مسلم في صحيحه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ
الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا
مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ
كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا
بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * (٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * (٤)

يخبر تعالى أنه يُسَبِّحُ له ما في السموات وما في الأرض ، أي من جميع المخلوقات
ناطقها وجامدها ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ثم قال تعالى :
﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾ أي مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بحكمه وهو المقدس ،
أي المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال ﴿ العزيز الحكيم ﴾ تقدم تفسيرهما غير
مرة . وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ الأميون هم العرب

وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم . ولكن المنّة عليهم أبلغ وأكثر . كما قال تعالى : ﴿ وإنه لذكره لك ولقومك ﴾ وهو كذلك ذكرٌ لغيرهم يتذكرون به . وكقوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتكَ الأقربين ﴾ وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته . صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق ، أحمرهم وأسودهم وقد تقدم تفسير ذلك في سورة الأعراف بالآيات والأحاديث الصحيحة ^(١) . وهذه الآية هي مصداق إجابة دعوة إبراهيم عليه السلام : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك انت العزيز الحكيم ﴾ فبعثه الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على حين فترة من الرسل وطموس من السبل ، وقد اشتدت الحاجة إليه ولهذا قال تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ وذلك أن العرب كانوا متمسكين بدين إبراهيم عليه السلام فبدّلوه وغيروه وقلّبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركاً وباليقين شكاً ، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله تعالى كما فعل أهل الكتاب الذين بدلوا كتبهم وحرفوها وأولوها ، فبعث الله محمداً ﷺ بشرع عظيم كامل شامل يدعو الجميع إلى ما يقربهم إلى الجنة وما يبعدهم عن النار .

وقوله تعالى : ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ﴾ روى الإمام ابو عبد الله البخاري رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ٤٣٠ [كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ قالوا : من هم يا رسول الله ؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثاً ، وفيما سلمان الفارسي فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان الفارسي . ثم قال : لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال - أو رجل - من هؤلاء] ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق بالسند إلى أبي هريرة به ففي هذا دليل على أن هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته ﷺ إلى جميع الناس ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم يدعوهم إلى الله عز وجل . وقال مجاهد وغيره في قوله تعالى : ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ قال هم الأعاجم وكل من صدّق النبي ﷺ من غير العرب . وقوله تعالى : ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ أي ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره .

(١) راجع الآية /١٥٨/ من سورة الأعراف رقم ٧/ والمراد بالأحمر والأسود أي الناس جميعاً عربهم وعجمهم إلى يوم القيامة .

﴿٦٢﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَآلِهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ • (٥) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ • (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ • (٧) قُلْ إِنَّا أَلْمُوتُ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • (٨) ﴿٦٣﴾

يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها، مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً. أي إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها فهو يحملها حملاً حسياً لا يدري ما عليه، وكذلك اليهود في حملهم التوراة التي أوتوها حفظوها لفظاً ولم يتفهموها ولا عملوا بمقتضاها، بل أوتوها وحرّفوها وبدّلوها فهم أسوأ حالاً من الحمار لأن الحمار لا يفهم له، وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوها. ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ وقال تعالى هاهنا: ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ٤٣١ [من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً والذي يقول له أنصت ليس له جمعة] ثم قال تعالى: ﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمت أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين﴾ أي إن زعمت أنكم المهتدون دون محمد وأصحابه فادعوا بالموت على الضال من الفتنين إن كان زعمكم صادقا. ثم قال الله تعالى: ﴿ولا يتمنّونه أبداً بما قدّمت أيديهم﴾ أي بسبب ما يعملون من الكفر والظلم والفجور ﴿والله عليم بالظالمين﴾ وقد قدّمنا الكلام في سورة البقرة على هذه المباهلة لليهود^(١) ومباهلة النصارى في آل عمران^(٢) ومباهلة المشركين في سورة مريم^(٣) روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال:

(١) راجع تفسير الآية رقم ٩٥ و ٩٤ من سورة البقرة المجلد الأول من هذا المختصر ص ٧٨ و ٧٩. / (٢) راجع الآية ٦١/ آل عمران المجلد ١/ ص ٢٧٨. (٣) راجع الآية ٧٥ من سورة مريم المجلد ٣/.

(٦٢- الجمعة-ج ٢٨) : لو باهل اليهود رسول الله ، لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً ٣٦٣

٤٣٢ [قال أبو جهل لعنه الله : إن رأيت محمداً عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه. قال : فقال رسول الله ﷺ « لو فعل لأخذته الملائكة عياناً . ولو أن اليهود تمنوا الموت لما تواروا وأووا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً »] رواه البخاري والترمذي والنسائي .

وقوله تعالى : ﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ كقوله تعالى في سورة النساء : ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٠)

إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع فإن أهل الاسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار . هو اليوم السادس الذي أكمل الله فيه جميع الخلائق ، وفيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح .

وكان يقال له في اللغة العربية القديمة يوم العروبة ، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به ففضلوا عنه . روى مسلم في صحيحه : ٤٣٣ [أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا ، والأولون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق] وأخرجه البخاري كلاهما عن أبي هريرة .

وقد أمر الله المؤمنين في هذا اليوم بالاجتماع لعبادته فقال جلّ وعلا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة فاسعوا إلى ذكر الله ﴾ أي اقصدوا واعدوا ، واهتموا في سيركم إليها . كقوله تعالى : ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ﴾

وأما المشي السريع فليس هو المقصود فانه منهى عنه لما أخرجه في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ٤٣٤ [إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا] فالمقصود المشي لا السريع فقد روى عبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٤٣٥ [إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن أثتوها تمشون ، وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا] ويستحب لمن جاء الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ، وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ ٤٣٦ [إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل]

روى الإمام أحمد عن أوس بن أوس الثقفي قال : ٤٣٧ [سمعت رسول الله ﷺ يقول « من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام ، واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها »] وهذا الحديث له طرق وألفاظ ، وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذي . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : ٤٣٨ [من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى ^(١) فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر] أخرجه .

ويستحب لبس أحسن الثياب والتطيّب ، والتسوك والإنصات للخطيب وعدم أذية أحد فإن فعل ما تقدم وصلى الجمعة كانت صلاته كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى وقوله تعالى: ﴿ إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسمعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ﴾ والمراد النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر فإنه كان حينئذ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد وذلك النداء هو الذي يحرم عنده الشراء والبيع إذا نودي به . أما النداء ... الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فإنما كان لكثرة الناس . وقد اتفق العلماء رضي الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثاني . واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاطٍ أم لا ؟ على قولين وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه .

(١) قال البغوي إنه يفيد الوجوب لا الاستحباب . (٢) أي إلى المسجد لصلاة الجمعة .

ويؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون العبيد والنساء والصبيان ، ويعذر المسافر والمريض ، وقيم المريض ، وما أشبه ذلك من الأعذار كما هو مقرر في كتب الفروع .
وقوله تعالى : ﴿ ذلکم خیر لکم إن کنتم تعلمون ﴾ أي ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم في الدارين . وقوله تعالى : ﴿ فإذا قضیت الصلاة ﴾ أي فرغ منها ﴿ فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ ^(١) لما حاجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض، والابتغاء من فضل الله . وقوله تعالى : ﴿ واذکروا الله كثيراً لعلکم تفلحون ﴾ أي في حال بيعكم وشرائكم ، وأخذكم وعطائكم اذكروا الله ذكراً كثيراً ولا تشغلکم الدنيا عن الذي ينفعکم في الدار الآخرة ، ولهذا جاء في الحديث ٤٣٩ [من دخل سوقاً من الأسواق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحاه عنه ألف ألف سيئة]

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۖ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (١١)

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة ، يوم الجمعة ، إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ . فقال تعالى : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهواً أنفضوا إليها وتركوك قائماً ﴾ أي على المنبر تخطب . روى الإمام أحمد عن جابر قال : ٤٤٠ [قدمت غير مرة المدينة ورسول الله ﷺ يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلاً فنزلت : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهواً أنفضوا إليها ﴾] أخرجه . روى الحافظ أبو علي عن جابر بن عبد الله قال : ٤٤١ [بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة قدمت غير إلى المدينة فابتدروها أصحاب رسول الله ﷺ ، حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً ، فقال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده لو تابعتن حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الواذي ناراً » ونزلت هذه الآية : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهواً أنفضوا إليها وتركوك قائماً ﴾ وقال : وكان في الاثني عشر الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما]

(١) وهذا دليل على عدم مشروعية أية صلاة مفروضة بعد الجمعة إلا صلاة العصر ولنا رسالة في الموضوع « حكم الشرعة في صلاة الظهر بعد الجمعة » .

وفي قوله تعالى : ﴿وتركوك قائماً﴾ دليلٌ على أن الإمامَ يخطب يوم الجمعة قائماً .

وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال : ٤٤٢ [كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس] ولكن ههنا شيء ينبغي أن يعلم وهو : أن هذه القصة قد قيل إنها كانت لما كان رسول الله ﷺ يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة ، كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل عن ابن حبان : [كان رسول الله ﷺ يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين ...] وقوله تعالى : ﴿ قل ما عند الله ﴾ أي من الثواب في الآخرة : ﴿ خيرٌ من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ﴾ أي لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته .

آخر اختصار تفسير سورة الجمعة والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(٦٣) سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَّانَهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

نزلت بعد سورة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾
﴿٢﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ يَخْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾



يخبر تعالى عن المنافقين أنهم يتفوهون بالإسلام إذا جاءوا النبي ﷺ ، فأما في الباطن فعلى الضد تماماً . ولذا قال سبحانه : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ أي إذا واجهوك أظهروا لك ذلك وليسوا كذلك . ولهذا اعترض بجملة مخبرة انه لرسول الله فقال عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ لأنهم لا يعتقدون بصحة ما يقولون ، ولهذا كذبهم الله تعالى . وقوله تبارك اسمه : ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة

لِيُصَدِّقُوا فِيمَا يَقُولُونَ فَاغْتَرَّ بِهِمْ مَنْ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَتَهُمْ وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ ، فَرَبَّمَا اقْتَدَى بِهِمْ فِيمَا يَفْعَلُونَ ، وَصَدَّقَهُمْ فِيمَا يَقُولُونَ ، فَسَبَّوْا لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ضُرَرًا كَبِيرًا .
ولهذا قال تعالى : ﴿ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ أي إنما قدّر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفر ^(١) واستبدالهم الضلالة بالهدى ، فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون . أي فلا يصل إلى قلوبهم هدى ولا يخلص إليها خير فلا تعي ولا تهتدي .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لَهُمْ ﴾ أي أشكالهم حسنة وألستهم فصاح ، يُصْنَعِي السامع إلى أقوالهم لبلاغتها، ومع ذلك فهم في غاية الهلع والجنون . ولهذا قال تعالى : ﴿ يَحْسِبُونَ كُلَّ صِحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ أي كلما وقع أمر يحسبون لجنهم أنه نازل بهم . كما قال تعالى : ﴿ أَشْحَتٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللُّسْنَةِ حَدَادٌ ﴾ ...

ولهذا قال تعالى : ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ أي كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال . وقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : ٤٤٣ [إن للمنافقين علامات يُعرفون بها : تحيُّتهم لعنة ، وطعامهم نهبه ، وغنيمتهم غلول ، ولا يقربون المساجد إلا هجرًا ، ولا يأتون الصلاة إلا دبرًا ، مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون ، خشبٌ بالليل ، صخبٌ بالنهار]

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٥) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٦) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ
لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

يخبر تعالى عن المنافقين أنهم : ﴿ إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوأو رؤوسهم ﴾ أي صدؤ وأعرضوا عما قيل لهم استكباراً عن ذلك واحتقاراً لِمَا قيلَ لهم. ولهذا قال تعالى : ﴿ ورأيتهم يصدّون وهم مستكبرون ﴾ ثم جازاهم على ذلك بقوله تعالى : ﴿ سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ كما قال تعالى في سورة براءة ، وقد تقدم الكلام على ذلك وإيراد الأحاديث المروية هنالك ^(١) .

وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في عبد الله بن أبي ابن سلول كما سنورده قريباً إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة وعليه التكلان .

وقد قال محمد بن اسحق في السيرة : ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، يعني مرجعه من أحد ، وكان عبد الله بن أبي ابن سلول - كما حدثني ابن شهاب الزهري - له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفاً له من نفسه ومن قومه ، وكان فيهم شريفاً إذا جلس النبي ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله به ، وأعزكم به ، فأنصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا . ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ، يعني مرجعه بثلاث الجيش ورجع الناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ... فأخذ المسلمون بشيابه من نواحيه وقالوا : اجلس ، أي عدو الله لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت ... فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنا قلت بُجراً ^(٢) ! إن قمتُ أشددُ أمره ، فلقبه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلك مالك ؟ قال : قمتُ أشددُ أمره فوثب عليّ رجال من أصحابه يعنفونني ، قالوا ويلك إرجعْ يستغفرْ لك رسول الله ﷺ ... فقال : والله ما أبتغي أن

(١) راجع الآيات ٨٠ - ٨٤ من سورة التوبة المجلد الثاني من هذا المختصر .

(٢) بجرأ : أي أمراً عظيماً عجبياً .

يستغفر لي . وقال قتادة والسدي : أنزلت هذه الآية في عبد الله بن أبيّ وذلك أن غلاماً من قرابته انطلق إلى رسول الله ﷺ ، فحدثه بحديث عنه وأمر شديد ، فدعاه رسول الله ﷺ ، فإذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك . وأقبل الأنصار على ذلك الغلام فلاموه وعزلوه وأنزل الله فيه ما تسمعون وقيل لعدو الله : لو أتيت رسول الله ﷺ ، فجعل يلوي رأسه أي : لستُ فاعلاً .

روى الحافظ أبو بكر البيهقي عن جابر بن عبد الله يقول ٤٤٤ : [كنتُ مع رسول الله ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري : يا للأنصار ! وقال المهاجري : يا للمهاجرين ! فقال رسول الله ﷺ : « ما بال دعوى الجاهلية ؟ دعوها فإنها منتنة »]

وقال عبد الله بن أبيّ بن سلول : وقد فعلوها ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ ؛ قال جابر : وكان الأنصار بالمدينة أكثرَ من المهاجرين حين قدم رسول الله ﷺ ، ثم كثر المهاجرون بعد ذلك ، فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق ؛ فقال النبي ﷺ : « دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه »] ورواه أحمد والبخاري ومسلم به نحوه .

روى الإمام أحمد عن زيد بن أرقم قال : ٤٤٥ : [كنتُ مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال عبد الله بن أبيّ : لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ قال : فأتيت النبي ﷺ فأخبرته ، قال : فحلف عبد الله بن أبيّ أنه لم يكن شيء من ذلك ، قال : فلامني قومي فقالوا : ما أردت إلى هذا ؟ قال فانطلقت فمنت كئيباً حزيناً قال : فأرسل إليَّ نبي الله ﷺ فقال : « إن الله قد أنزل عذرك وصدقك » قال فتزلت هذه الآية ﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا — حتى بلغ — لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ ﴾] ورواه البخاري عند هذه الآية ورواه الترمذي والنسائي عندها أيضاً .

وقال محمد بن اسحق بن يسار : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ٤٤٦ : [أن عبد الله بن عبد الله بن أبيّ لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبيّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلاً فمروني به فأنا أحمل إليك رأسه — فوالله لقد علمت الخزرجُ ما كان لها من رجل أبر بوالده مني ، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبيّ يمشي في

الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار فقال رسول الله ﷺ : « بل تترفق به وتحسن صحبته ما بقي معنا » [

وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما : ٤٧] أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبدالله بن عبد الله هذا على باب المدينة ، واستل سيفه فجعل الناس يمرّون عليه فلما جاء أبوه عبدالله بن أبي قال له ابنه : وراءك ! فقال : مالك ويلك ؟ فقال : والله لا تجوز من هنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيز وأنت الذليل ، فلما جاء رسول الله ﷺ وكان إنما يسير ^(١) ساقية فشكا إليه عبدالله بن أبي ابنه فقال ابنه عبدالله : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له فأذن له رسول الله ﷺ فقال : أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فجزّ الآن] .

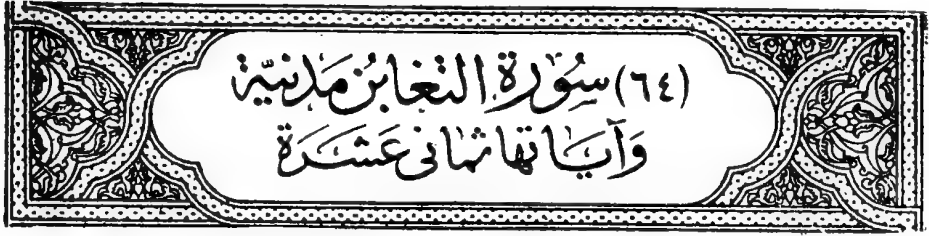
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ • (٩)
وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ • (١٠)
وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ • (١١) ﴿

يأمر تعالى عباده المؤمنين بكثرة ذكره ، وينهاهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك ومن لم يراع هذا الأمر والنهي فإنه من الذين سيخسرون أنفسهم يوم القيامة ثم حشهم على الإنفاق في طاعته . فقال جل ثناؤه : ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ فكل مفرط يندم عند الاحتضار ، ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً ليستدرك ما فاتته وهيهات ... وأما الكفار ... فكما قال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرِّسَالَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾

لعلِّي أعمل صالحاً فيما تركت كلاًّ إنها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴿٦٣﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ اي لا يُنظرُ أحد بعد حلول أجله ﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي هو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله التأجيل ، ممن لو رُدَّ لعاد إلى شرٍّ مما كان عليه .

آخر اختصار تفسير سورة (المنافقون) والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة



نزلت بعد سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ
وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ
كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * (٢) خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * (٣)
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُغْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * (٤)

هذه السورة هي آخر المسبحات وقد تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها
ومالكها، ولهذا قال تعالى : ﴿ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ﴾ أي هو المتصرف في خلقه المحمود على
جميع ما يخلق ويقدر . وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي ما أراد يكن بلا
ممانع ولا مدافع وما لم يشأ لم يكن . وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ
وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ أي هو الخالق لكم على هذه الصفة ، وأراد منكم ذلك فلا بد من وجود
مؤمن وكافر وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال ^(١) وهو شهيد على أعمال

(١) أي من فرق بين الهدى والضلال بدلالة الشارع الحكيم ، واختار أحدهما بعد تفكير وتمقل وتمييز بينهما ،
فيكون مسؤولاً عما اختاره لنفسه دهنًا ، خير أكان أو شرًا « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسن فسنيسره
لليرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسن فسنيسره للمعرى .

عباده وسيجزئهم بها أتم الجزاء. ولهذا قال : ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ أي بالعدل والحكمة ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ أي أحسن أشكالكم. كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ أي المرجع والمآب ، ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات فقال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشْرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿ (٦) ﴾

يخبر تعالى عن الأمم الماضية وما حلّ بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق. فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي خبرهم وما كان من أمرهم ﴿ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ ﴾ أي وخيم تكذيبهم وردى أفعالهم وهو ما حلّ بهم في الدنيا من العقوبة ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي في الدار الآخرة مضاف إلى هذا الدنيوي . ثم علل ذلك فقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أي بالحجج والدلائل والبراهين ﴿ فَقَالُوا أَبَشْرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ أي استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر وأن يكون هداهم على أيدي بشر مثلهم ﴿ فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ﴾ أي كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل ﴿ وَاسْتَغْنَى اللَّهُ ﴾ أي عنهم ﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٧) فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ

صَالِحًا يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * (١٠) ﴿١٠﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ الْكَفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُلْحَدِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ لَا يَبْعَثُونَ ﴿١﴾ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴿٢﴾ أَيُّ لَتُخْبِرَنَّ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا ﴿٣﴾ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٤﴾ أَيُّسِيرُ عَلَيْهِ بِعَثْمِكُمْ وَمَجَازَاتِكُمْ. وَهَذِهِ هِيَ الْآيَةُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَقْسِمَ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى وَقُوعِ الْمَعَادِ فَالْأُولَى فِي سُورَةِ يُونُسَ ٥٣ / ١٠ / وَالثَّانِيَةِ فِي سُورَةِ سَبَأٍ ٣ / ٣٤. وَالثَّلَاثَةُ هِيَ هَذِهِ ﴿٥﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٦﴾ ...

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿٧﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴿٨﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ ﴿٩﴾ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ أَيُّ فَلَا تُخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ خَافِيَةٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿١١﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴿١٢﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُجْمَعُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يَسْمَعُهُمُ الدَّاعِي وَيُنْفِذُهُمُ الْبَصَرُ. كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿١٣﴾ قُلْ إِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٤﴾

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿١٥﴾ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴿١٦﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَغْنَبُونَ أَهْلَ النَّارِ ، وَقَدْ فُسِّرَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿١٧﴾ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرٌ مِثْلُ هَذِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ .

﴿١٩﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * (١١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * (١٢) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * (١٣) ﴿١٣﴾

ينجبر تعالى أنه ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ﴾ أي بأمره وعن قدره ومشيته تعالى في سورة الحديد ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه والله بكل شيء عليم ﴾ أي من أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب ، واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه . وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقيناً صادقاً ، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيراً منه . وفي الحديث المتفق عليه : ٤٤٨ [عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاءً إلا كان خيراً له ، ان أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته سرء شكر فكان خيراً له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن] وقوله تعالى : ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع أمراً ونهياً ثم قال تعالى : ﴿ فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ أي إن نكلتم عن العمل فإنما عليه ما حمل من البلاغ ، وعليكم ما حملتم من السمع والطاعة . ثم قال تعالى : ﴿ الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ فقد اخبر تعالى أنه الأحد الصمد الذي لا آله غيره وطلب توحيد الألوهية له ، أي وحدوه في إلهيته واخلصوها لديه وتوكلوا عليه . كما قال تعالى : ﴿ رب المشرق والمغرب لا آله إلا هو فاتخذة وكيلاً ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٦) إِن تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨)

ينجبر تعالى عن الأزواج والأولاد أن منهم من هو عدو الزوج والولد بمعنى أنه يلتهي به عن العمل الصالح . كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم من ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾ ولهذا قال تعالى ههنا : ﴿ فاحذروهم ﴾

أي على دينكم وقال مجاهد : ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم ﴾ قال يحمل الرجل على قطيعة الرحم ، أو معصية ربّه ، فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه . وقال ابن أبي حاتم عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية قال : فهؤلاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى : ﴿ وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ﴾ وكذا رواه الترمذي وقال حسن صحيح رواه ابن جرير ، والطبراني .

وقوله تعالى : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجره عظيم ﴾ أي إنما الأموال والأولاد فتنة أي اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه ﴿ والله عنده ﴾ أي يوم القيامة ﴿ أجر عظيم ﴾ وروى الإمام أحمد عن أبي بريدة قال : ٤٤٩ [كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما ، عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال « صدق الله ورسوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما »] .

روى الطبراني عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : ٤٥٠ [ليس عدوك الذي إن قتلته كان فوزاً لك ، وإن قتلَكَ دخلت الجنة ، ولكن الذي لعله عدوٌ لك ولدك الذي خرج من صلبك ، ثم أعدى عدو لك مالك الذي ملكت يمينك] وقوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ أي جهدكم وطاقتكم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ٤٥١ [إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه] قال سعيد بن جبيرة وأبو العالية وزيد بن أسلم وقتادة والربيع والسدي ومقاتل بن حيان ، أن هذه الآية : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ ناسخة للآية التي في سورة آل عمران : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيتهم وتقربت جباههم فأنزل الله تعالى تخفيفاً على المسلمين : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ فنسخت الآية الأولى . وقوله تعالى : ﴿ واسمعوا وأطيعوا ﴾ أي كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله ولا تحيدوا عنه يمنة ولا يسرة ، ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تتخلّفوا عما به أمرتم ولا ترتكبوا ما عنه زجرتم . وقوله تعالى : ﴿ وأنفقوا خيراً لأنفسكم ﴾ أي وابذلوا مما رزقكم الله على الأقارب الفقراء والمحتاجين ، وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم

يكن خيراً لكم في الدارين ، وان لم تفعلوا يكن لكم شراً فيهما . وقوله تعالى : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ تقدم تفسيره في سورة الحشر ، وذكر الأحاديث الواردة في معنى هذه الآية بما أغنى عن إعادته ههنا ^(١) والله الحمد والمنة . وقوله تعالى : ﴿ إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم ﴾ أي مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ، ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه ، ونزل ذلك منزلة القرض له كما ثبت في الصحيحين : ٤٥٢ [ان الله تعالى يقول : من يقرض غير ظلوم ولا عديم] ولهذا قال سبحانه ﴿ يضاعفه لكم ﴾ أي أضعافاً كثيرة ﴿ ويغفر لكم ﴾ أي ويكفر عنكم السيئات ولهذا قال تعالى : ﴿ والله شكور ﴾ أي يجزي على القليل بالكثير ﴿ حلیم ﴾ أي يصفح ويتجاوز عن الذنوب والسيئات ﴿ عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ﴾ تقدم تفسيره غير مرة .

آخر اختصار تفسير سورة التغابن والله الحمد والمنة وبه العصمة والتوفيق

(١) راجع الآية رقم ٩/ من سورة الحشر رقم ٥٩ من هذا المجلد .

(٦٥) سُورَةُ الطَّلَاقِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ

نزلت بعد سورة الانسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا
الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا
أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَذَرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾

خطب النبي ﷺ تشريفاً وتكريماً ثم خطبت الأمة تبعاً. فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا
النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ روى ابن أبي حاتم عن أنس قال : ٤٥٣
[طلق رسول الله ﷺ حفصة، فأنت أهلها، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ
النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ فقيل له راجعها فإنها صوامة قوامة وهي، من أزواجك ونسائك
في الجنة .] وقال البخاري عن سالم ٤٥٤ [إن عبد الله بن عمر أخبره أنه طلق امرأة له
وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ... ثم قال : ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر، ثم
يحيض فتطهر فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسه، فتلك العدة التي أمر به رسول الله
ﷺ الله عز وجل] وقد رواه مسلم ولفظه ٤٥٥ [فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء]
ورواه أصحاب الكتب والمسانيد من طرق متعددة وألفاظ كثيرة ، وأحسن لفظ يورد هنا
ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي الزبير أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عزة يسأل
ابن عمر وأبو الزبير يسمع : ٤٥٦ [كيف ترى في الرجل طلق امرأته حائضاً ؟ فقال :

طلق ابنُ عمر امرأته حائضاً على عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « ليراجعها — فردّها وقال — إذا طهرت فليطلق أو يُمسك » قال ابن عمر : وقرأ النبي ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾ [١] وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾ : لا يطلقها وهي حائض، ولا في طهر قد جامعها فيه ، ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة . وقال عكرمة : العدة الطهر والقرء الحيضة أن يطلقها حبلى مستبيناً حملها ، ولا يطلقها وقد طاف عليها ولا يدري حبلى هي أم لا . ومن ههنا أخذ الفقهاء احكام الطلاق وقسموه إلى طلاق سنة ، وطلاق بدعة . فطلاق السنة : أن يطلقها طاهرة من غير جماع ، أو حاملاً قد استبان حملها . وطلاق البدعة : هو أن يطلقها في حال الحيض، أو في طهر قد جامعها فيه، ولا يدري أحملت أم لا . وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة : وهو طلاق الصغيرة ، والآيسة وغير المدخول بها ومن شاء تفصيل ذلك فليراجع كتب الفروع .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾ أي احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها لثلاث تطول العدة على المرأة فتمنع من الزواج : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ﴾ أي في إحصاء العدة ، وقوله تعالى : ﴿ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بَيْوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾ أي في مدة العدة لها حق السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه ، فليس للرجل أن يخرجها ولا يجوز لها أيضاً الخروج لأنها معتقلة لحق الزوج أيضاً . وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ ﴾ أي لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة ، فتخرج من المنزل . والفاحشة المبينة تشمل الزنا كما قاله ابن مسعود وابن عباس وجماعة من التابعين . وتشمل ما إذا نشزت المرأة ، أو بدت على أهل الرجل وآذتهم في الكلام والفعال . كما قال أبي بن كعب وابن عباس وعكرمة وغيرهم . وقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ أي شرائعه ومحارمه ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ ﴾ أي يخرج عنها ولا ياتمر بها ﴿ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ أي بفعل ذلك . وقوله تعالى : ﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ أي إنما أبقينا المطلقة في منزل الزوج مدة العدة لعله يندم على طلاقها ويخلق الله تعالى في قلبه رجعتها ، فيكون ذلك أيسر وأسهل . ومن هاهنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم ، كالإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى إلى أنه لا تجب السكنى للمبتوتة أي — المطلقة ثلاثاً فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره — واعتمدوا أيضاً على حديث فاطمة بنت قيس الفهرية ، فقد روى الإمام أحمد عن عامر قال : ٤٥٧ [قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَأَتَيْتُ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ فَحَدَّثَنِي أَنَّ زَوْجَهَا طَلَّقَهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ قَالَتْ : فَقَالَ لِي أَخُوهُ : أَخْرِجِي

من الدار فقلت : إن لي نفقةً وسكنى حتى يحل الأجل ، قال : لا . قالت : فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : ان فلاناً طلقني وان أخاه أخرجني ومنعني السكنى والنفقة . فقال له « مالك ولا بنته قيس ؟ » قال : يا رسول الله إن أخي طلقها ثلاثاً جميعاً قالت : فقال رسول الله ﷺ « أنظري يا بنت آل قيس إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة ، فإذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى . أخرجني فانزلي على فلانة » ثم قال « إنه يتحدث إليها وانزلي على ابن أم مكتوم فإنه أعمى لا يراك ... وذكر تمام الحديث .

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (٣)

يقول تعالى : فإذا بلغت المعتدات أجلهن أي شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك ، ولكن لم تفرغ العدة بالكلية ، فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها وهو رجعتها الى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده ﴿ بمعروف ﴾ أي محسناً إليها في صحبتها وإما أن يعزم على مفارقتها بمعروف ، أي من غير مقابحة ولا مشامة ولا تعنيف ، بل يطلقها على وجه جميل ، وسبيل حسن .

وقوله تعالى : ﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾ أي على الرجعة إذا عزم عليها ، روى أبو داود وابن ماجه عن عمران بن حصين أنه سئل عن الرجل يطلق المرأة ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها ، فقال : طلقت لغير سنة ورجعت لغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد . وقال ابن جريج كان عطاء يقول : ﴿ وأشهدوا ذوي عدل ﴾ قال لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاء إلا شاهدا عدل (١) كما قال الله

(١) قلت : لقد فهم « البعض ... ؟ ! » وزعموا : أنه لا يقع طلاق البتة إذا لم يشهد على الطلاق شاهدا عدل ! ! ويجوز - في نظرهم - متابعة الحياة الزوجية بما فيها حل الوطء ... ! ! ! كما لو لم يقع أي شيء ! ! ويمتدون في فهمهم وحكمهم على قول عطاء ... هذا ولما كنا خالفناهم في هذا الفهم ، قلنا : ان الطلاق يقع بمجرد التلفظ به - مع مراعاة الشروط الشرعية - وإننا ندلل على ما ذهبنا إليه بالأدلة التالية :

عز وجل، إلا أن يكون من عذر . وقوله تعالى : ﴿ ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ ومن ههنا ذهب الشافعي في أحد قوليهِ إلى وجوب الإشهاد في الرجعة ، كما يجب عنده في ابتداء النكاح (١) . ومن قال بهذا ... يقول : إن الرجعة لا تصح إلا بالقول

١ - إن قول عطاء « لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجعة إلا شاهداً عدل » قول نوافقه عليه في النكاح والرجعة لا في الطلاق. إذ إن عدم الجواز الذي ارتآه ، لا يفيد عدم الوقوع . بل يفيد أنه - في نظره - حرام وهو مخالف للشرع ... ولكن لا ينبغي وقوع الطلاق ... وذلك : كطلاق الحائض مثلاً ... فإنه وإن كان بدعيًا ، لكنه يقع ... فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غضب لما طلق ابن عمر امرأته في الحيض وأمره أن يراجعها ، وأن تمتد ثلاثة قروء ، ثم إذا بدا له أن يفارقها فليفعل ... إنما حاسبها عليه طلقة ، ولو كانت في الحيض ، كما هو معلوم ... إذا : فقول عطاء (لا يجوز ...) لا يعني عدم وقوع الطلاق بل يعني ارتكاب الحرام فقط كما هو الحال في قصة ابن عمر رضي الله عنهما . وما يجدر ذكره أن النبي لم يأمر ابن عمر بالإشهاد على الطلاق ، ولا أمر أحداً غيره بذلك .

٢ - إذا كان عطاء ... يرى ارتكاب الحرام في الطلاق بغير إشهاد ... حتى وعلى فرض أنه يرى عدم وقوع الطلاق .. فعطاء ليس حجة في حكمه هذا ... لا سيما وإن أكثر علماء السلف والخلف يخالفونه . وإذا كان يرى بعضهم استحباب الإشهاد ، فليكتلوا يقع التجاحد من أحد الطرفين .. وهذا بشأن الإشهاد على الطلاق فقط .

٣ - لعلهم يقولون : إن حكم عطاء فهم من القرآن ونحن فهمنا من القرآن كما فهم عطاء وليس عطاء حجتنا المجردة . فنجيبهم مستعينين بالله تعالى : نحن لم ننهم عطاء رحمه الله تعالى بأنه بئى حكمه على مجرد الرأي الشخصي ، فنحن معكم بأنه فهم هذا من القرآن ، ولكنه رجل اجتهد فأخطأ ... فله أجر واحد . ولكن هل معنى ذلك ، أن القول كما قال عطاء ... ؟ الجواب : كلا ... وإذا رجعنا إلى الآية الكريمة نرى أن الله تعالى أمر بالعدة فور الطلاق ... « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة » إذاً فلولا وقوع الطلاق ما وجبت العدة . ثم قال في الآية الثانية : « فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم ... » أي فإذا انتهت العدة أو شارفت ... فهناك أمران : إما أن يتفقا على الرجعة ، أو يتفقا على المفارقة . فإن اتفقا على أحدهما ، فليشهدا على هذا الاتفاق ، أي على الرجعة أو على المفارقة ، ذوي عدل من المؤمنين . وقوله تعالى : « فإذا بلغن أجلهن » فهذا نص صريح بأن المرأة اعتدت وكادت أن تبلغ نهاية العدة . هنا نسأل .. لماذا اعتدت هذه المرأة ... ؟ أليس لأنه وقع عليها طلاق من زوجها ... ؟ ولولا وقوع هذا الطلاق ما كان من حاجة إلى العدة ، إذ لا عدة بلا طلاق أو وفاة . إذاً فالطلاق وقع بدليل وجوب العدة وتنفيذها . فهل نفهم من الآية أن الإشهاد على الطلاق ، أم على الرجعة أو المفارقة ؟ لأن ذكر الإشهاد صريح بوروده بعد العدة وبعد ذكر الإمساك أو المفارقة فدل أنه على الإمساك أو على المفارقة . لا على الطلاق . وهذا هو المراد . كي لا يقع التجاحد من أحد الطرفين . هذا هو فهم السلف والخلف كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى رضي عنه . قال رحمه الله في فتاواه : (... وقد ظن بعض الناس أن الإشهاد هو على الطلاق وظن أن الطلاق الذي لا يشهد عليه لا يقع وهذا خلاف إجماع السلف وخلاف الكتاب والسنة ولم يقل أحد من العلماء المشهورين به فان الطلاق أذن فيه أولاً ولم يأمر فيه بالإشهاد ، وإنما أمر بالإشهاد حين قال تعالى : « فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف » والمراد منها بالمفارقة تخلية سبيلها إذا قضت العدة وهذا ليس بطلاق ولا رجعة ولا نكاح . والاشهاد في هذا باتفاق المسلمين ...) والله الموفق للصواب وهو أعلم به .

ليقع الأشهاد عليها . وقوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ أي ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه ، يجعل له من أمره مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب أي من جهة لا تخطر بباله .

روى ابن أبي حاتم عن عمران بن حصين قال رسول الله ﷺ ٤٥٨ [من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله إليها] وقوله تعالى : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ روى الامام أحمد ، عن عنس الصنعاني عن عبد الله بن عباس أنه حدثه : أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً ، فقال له رسول الله ﷺ : « ٤٥٩ [يا غلام إني معلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك ، إلا بشيء قد كتبه الله لك . ولو اجتمعوا على أن يضروك ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام ، وجفت الصحف .] وقوله تعالى : ﴿ إن الله بالغ أمره ﴾ أي منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريد . ويشاؤه . ﴿ قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ .

وَاللَّائِي يَمْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ
فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ
يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴿٤﴾ ذَلِكَ
أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ
لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

يقول تعالى مبيناً لعدة الآيسة - وهي التي انقطع عنها المحيض لكبرها - أنها ثلاثة أشهر .. عوضاً عن الثلاثة قروء في حق من تحيض ، كما دلت على ذلك آية البقرة ، وكذا الصغار اللاتي لم يبلغن سن المحيض ، إن عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر . ولهذا قال تعالى ﴿ واللاتي لم يحضن ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إن ارتبتم ﴾ أي إن رأين دماً وشككن في كونه حيضاً أو استحاضة وارتبتم فيه ﴿ فعدتهن ثلاثة أشهر ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وأولات الأحمال أجلهن ان يضعن حملهن ﴾ يقول تعالى : ومن كانت حاملاً فعدتها بوضع حملها ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفواق ناقة في قول

جمهور العلماء من السلف والخلف. كما هو نص هذه الآية الكريمة وكما وردت به السنة النبوية .

روى الإمام أحمد عن المسور بن مخرمة ٤٦٠ [أن سبيعة الأسلمية توفي عنها زوجها وهي حامل فلم تمكث إلا ليالي حتى وضعت فلما تعلت من نفاسها خطبت ، فاستأذنت رسول الله ﷺ في النكاح فأذن لها أن تنكح فنكحت] . ورواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عنها - أي عن سبيعة - كما قال مسلم بن الحجاج عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ٤٦١ [أن أباه كتب إلى عمر بن عبد الله بن الأرقم الزهري يأمره أن يدخل على سبيعة بنت الحارث الأسلمية ، فيسألها عن حديثها وعما قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته ، فكتب عمر بن عبد الله يخبره أن سبيعة أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة ، وكان ممن شهد بدرأ فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل ، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته ، فلما تعلت من نفاسها نجمت للخطاب... فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال لها : مالي أراك متجملة ؟ لعلك ترجين النكاح إنك والله ما أنت بناكح حتى تمرّ عليك أربعة أشهر وعشر . قالت سبيعة : فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت ، فأتيت رسول الله ﷺ ، فسألته عن ذلك فأفاني بأني قد حلت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج إن بدا لي] هذا لفظ مسلم ورواه البخاري مختصراً . وأما الاعتداد بأبعد الأجلين الوارد في سورة البقرة وهو الأربعة أشهر والعشر فهذا قبل أن تنزل هذه الآية بعدة الحوامل ..

وقوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ﴾ أي يسهل له أمره ، ويسره عليه ، ويجعل له فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلاً . ثم قال تعالى : ﴿ ذلك أمر الله أنزله إليكم ﴾ أي حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسول الله ﷺ ﴿ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ﴾ أي يذهب عنه المحذور ويجزل له الثواب على العمل اليسير .

﴿ أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُمْ وَلَا لَحِقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ أُولَاتٍ حَلَّ حَلِّهِنَّ فَانْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ

وَأِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى * (٦) لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ
وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا
مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا * (٧)

يأمر تعالى عباده إذا طلق أحدهم المرأة أن يسكنها في منزل حتى تنقضي عدتها.
فقال عز من قائل : ﴿ أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ ﴾ أي عندكم ﴿ مِنْ وَجْدِكُمْ ﴾ أي
من سعيتكم ﴿ وَلَا تَضَارُّوهُمْ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ ﴾ قال ابو الضحى: أي يطلقها حتى إذا بقي
يوماً راجعها . وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْ أُولَاتٍ حَمَلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ
حَمْلَهُنَّ ﴾ قال كثير من العلماء منهم ابن عباس وطائفة من السلف وجماعات من الخلف :
هذه هي البائن إن كانت حاملاً أو حائلاً ، وقال آخرون : بل السياق كله في الرجعات ،
وإنما نص على الإنفاق على الحامل وإن كانت رجعية ، لأن الحمل تطول مدته غالباً فاحتيج
إلى النص على وجوب الإنفاق إلى الوضع ، لئلا يتوهم أنه إنما تجب النفقة بمقدار مدة
العدة .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ ﴾ أي إذا وضعن حملهن وهن طوالق فقد بُنِ
بانقضاء عدتهن ، ولها حينئذ أن ترضع الولد ولها أن تمتنع منه . ولكن بعد أن تغذيه باللبأ
وهو باكورة اللبن ، الذي لا قوام للمولود غالباً إلا به . فإن أرضعت استحققت أجر
مثلها ، ولها أن تعاقد أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجره . ولهذا قال تعالى : ﴿ فَإِنْ
أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَاتَّمَرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ﴾ أي من غير
إضرار ولا مضارة . وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى ﴾ فإن اختلفتم
على أجره الرضاع من حيث القلة أو الكثرة والأم أولى بإرضاع ولدها إذا رضيت بما
استؤجرت به الأجنبية .

وقوله تعالى : ﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ﴾ أي الوالد على مولوده أو وليه بحسب قدرته
﴿ وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ كقوله
تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي بقدر ما تستطيع . وقوله تعالى : ﴿ سَيَجْعَلُ

الله بعد عسر يسراً ﴿١﴾ وعُدُّ منه تعالى ووعدُه حق لا يخلفه . وهذه كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ .

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال : ٤٦٢ [دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية ، فلما رأت امرأته قامت إلى الرحي فوضعتها . وإلى التنور فسجرتة ثم قالت : اللهم ارزقنا ، فنظرت ، فإذا الجفنة قد امتلأت قال وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً ، قال فرجع الزوج فقال : أصبتم بعدي شيئاً ؟ قالت امرأته : نعم من ربنا ، فأَمَّ إلى الرحي ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ « أما إنه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة » [.

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكَرًا ﴾ (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿ (٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿ (١٠) رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظَّلَامَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿ (١١) ﴿

يتوَعَّد الله تعالى من يخالف أمره ويكذب رسله ويسلك غير ما شرعه ، ومخبراً عما حلَّ بالأُمم السالفة بسبب ذلك فقال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ﴾ أي تَمَرَّدت على اتِّباع أمر الله تعالى ومتابعة رسله ﷺ ﴿ فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً ﴾ أي منكرأً فظيماً ﴿ فذاقت وبال أمرها ﴾ بعد مخالفتها وندموا حيث لا ينفع الندم ﴿ وكان عاقبة أمرها خسراً أعَدَّ الله لهم عذاباً شديداً ﴾ أي في الدار الآخرة مع ما حلَّ بهم من العذاب في الدنيا ثم قال تعالى بعدما قص من خبر هؤلاء ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ أي الأفهام المستقيمة لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولي الأبواب

﴿الذين آمنوا﴾ أي صدقوا بالله ورسله . ﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً﴾ يعني القرآن وقوله تعالى : ﴿رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبيّنات﴾ أي الرسول ترجمة عن الذكر أي تفسير آله . ولهذا قال تعالى : ﴿رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبيّنات﴾ أي حال واضحة ﴿ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور﴾ كقوله تعالى تعالى ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ أي من ظلمات الكفر والجهل . إلى نور الإيمان والعلم . وقد سمى الله تعالى الوحي الذي أنزله نوراً ، لما يحصل به من الهدى . كما سمّاه روحاً ، لما يحصل به من حياة القلوب . وقوله تعالى : ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً﴾ قد تقدم تفسير مثل هذا أكثر من مرّة بما أغنى عن إعادته والله الحمد والمنة .

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ (١٢)

يقول تعالى مخبراً عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ، ليكون ذلك باعثاً على تعظيم ما شرع من الدين القويم ﴿الله الذي خلق سبع سموات﴾ كقوله تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً﴾ وقوله تعالى : ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ أي سبعاً أيضاً مثلهن كما ثبت في الصحيحين : ٤٦٣ [من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه الله من سبع أرضين] ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة وأغرق في النزاع وخالف القرآن والحديث بلا مستند ، وفي الحديث الآخر ٤٦٤ [ما السموات السبع ومن فيهن وما بينهن والأرضون السبع ^(١) وما فيهن وما بينهن في الكرسي

٣٨٨ (٦٥-الطلاق-ج ٢٨): الأرضون السبع-والله أعلم-: هي الأفلاك السبعة: وأرضنا ذرّة منها.

إلاّ كحلقة ملقاةٍ بأرض فلاة]

آخر اختصار تفسير سورة الطلاق ولله الحمد والمنّة .

(٦٦) سُورَةُ الْحَجَرِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَّانَهَا اثْنَا عَشَرَ

نزلت بعد سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ • (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ • (٢) وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ • (٣) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ • (٤) عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا • (٥)

اختلف المفسرون في سبب نزول صدر هذه السورة فقليل نزلت في شأن مارية أم إبراهيم أمة رسول الله ﷺ التي كان قد حرّمها . فنزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾

تَحَرَّمَ ما أحلَّ الله لك تبغي مرضات أزواجك ﴿ الآية . روى النسائي عن أنس : ٤٦٥ [أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطاها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرّمها فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ﴾ الى آخر الآية] .

روى ابن جرير عن ابن عباس قال : ٤٦٦ [قلت لعمر بن الخطاب : مَنْ المَرأتان ؟ قال عائشة وحفصة . وكان بدء الحديث في شأن أم ابراهيم القبطية أصابها النبي ﷺ في بيت حفصة في نوبتها ، فوجدت حفصة فقالت : يا نبي الله : لقد جئت إلي شيئاً ما جئت إلى أحدٍ من أزواجك في يومي وفي دوري وعلى فراشي ؟ ! قال : « ألا ترضين أحرّمها فلا أقربها » قالت بلى فحرّمها وقال لها : « لا تذكرني ذلك لأحد »^(١) فذكرته لعائشة فأظهره الله عليه فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبغي مرضات أزواجك ﴾ الآيات كلها . فبلغنا أن رسول الله ﷺ كفّر عن يمينه وأصاب جاريته [. قال زيد بن أسلم : القول : أنت علي حرام : لغو .

روى الهيثم بن كعب عن عمر ٣٦٧ [قال النبي ﷺ لحفصة : « لا تخبري أحداً وإن أم ابراهيم علي حرام » فقالت : أتحرّم ما أحلّ الله لك ؟ قال : « فوالله لا أقربها » قال فلم يقربها حتى أخبرت عائشة ، قال : فأنزل الله تعالى ﴿ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴾ وهذا إسناد صحيح ولم يخرج أحد من الكتب الستة وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج . روى ابن جرير عن سعيد بن جبیر : أن ابن عباس كان يقول في الحرام يمين تكفّرها ، وقال ابن عباس : ٤٦٨ [﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ يعني أن رسول الله ﷺ حرّم جاريته فقال الله تعالى : ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحلّ الله لك — إلى قوله — قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴾ فكفّر يمينه فصيّر الحرام يميناً [ورواه البخاري ومسلم والنسائي .

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى وجوب الكفارة على من حرم جاريته أو زوجته أو أي شيء من المباحات أكلاً أو شرباً أو ملبساً وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة . وذهب الشافعي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية ، إذا حرّم عينيهما أو أطلق التحريم فيهما في قول ، فأما إن نوى بالتحريم طلاق زوجته أو عتيق الأمة نفذ فيهما .

والصحيح : أن ذلك كله كان في تحريمه العسل ، كما روى البخاري عند هذه الآية عن عائشة قالت : ٤٦٩ [كان النبي ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث

(١) أي لا تذكرني لأحد أنني حرمتها .

عندها ، فتواطأتُ أفا وحفصة على أَيْتَا دخل عليها فلتقل له : أكلت مغاير إني أجد منك ريح مغاير قال : « لا ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً » [تبتغي مرضات أزواجك] والمغاير شبيه بالصمغ يكون في الرمث فيه حلاوة . أغفر الرمث إذا ظهر فيه . وأحدها مغفور . ويقال مغاير . وهكذا قال الجوهري . والرمث بالكسر مرعى من مراعي الإبل وهو من الحمض .

ويقال إنهما واقعتان « ١ » ولا بُعد في ذلك ، إلا أن كونهما سبباً لتزول هذه الآية فيه نظر ... وعلى كلٍّ فإن عائشة وحفصة هما المتظاهرتان وما يدل على ذلك : ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس قال : ... قلت يا أمير المؤمنين - يعني عمر - من المراتن من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى : ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ فقال عمر : وإعجباً لك يا ابن عباس ! قال الزهري كرهه والله ما سأله عنه ، ولم يكتبه قال : هي عائشة وحفصة .

وقوله تعالى : ﴿ وإذا أسرَّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنباك هذا . قال نبأني العليم الخبير ﴾ أي لما قال ﷺ : « ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً » (٢) قال ذلك لحفصة ولكنها أخبرت بذلك عائشة وهكذا رواه البخاري في كتاب الطلاق .

وقوله تعالى : ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ أي عائشة وحفصة رضي الله عنهما أي إن تتوبا إلى الله تعالى مما تظاهرتا به على رسول الله ﷺ ، فقد صغت قلوبكما إلى الحق . روى مسلم عن عمر بن الخطاب قال : ٤٧٠ [لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه دخلت المسجد فإذا الناس يكتنون بالحصى ويقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه ، وذلك قبل أن يؤمرَ بالحجاب فقلت لأعلمن ذلك اليوم . فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ووعظه إياهما إلى أن قال فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ على أسكفة المشربة فنادت فقلت : يا رباح استأذن على رسول الله ﷺ - إلى أن قال - فقلت : يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأنا وابو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت - وأحمد الله - بكلام إلا

(١) أي قصة مارية والعسل وأظنهما واقعتان اثنتين .

(٢) شرب العسل أو تحريم مارية .

رجوت أن يكون الله يصدق قولي . فترلت هذه الآية : ﴿ ... عسى ربّه إن طلقكن أن يبدّل له أزواجاً خيراً منكن ﴾ . وإن تظاهرا عليه فإن الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴿ فقلت : أطلقتهن ؟ قال : « لا » فقامت على باب المسجد فنادت بأعلى صوتي : لم يطلق نساءه ، ونزلت هذه الآية : ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطون منهم ﴾ فكننت أنا استنبطت ذلك الأمر]

روى ابن أبي حاتم عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب : بلغني شيء كان بين أمّهات المؤمنين وبين النبي ﷺ فاستقريتهن أقول : لتكفنّ عن رسول الله ﷺ أو ليبذلّه الله أزواجاً خيراً منكن ، حتى أتيت على آخر أمّهات المؤمنين فقالت : يا عمر أما في رسول الله ﷺ ما يعظّ نساءه حتى تعظهنّ . فأمسكت . فأنزل الله عز وجل : ﴿ عسى ربّه إن طلقكن أن يبدّل أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات ثابتات عابدات سائحات نسيّات وأبكاراً ﴾ وهذه المرأة التي رآته عما كان فيه من وعظ النساء هي أم سلمة كما ثبت ذلك في صحيح البخاري . وقد تبين ممّا أوردناه تفسير هذه الآيات الكريمة . ومعنى قوله : ﴿ مسلمات مؤمنات قانتات ثابتات عابدات ﴾ ظاهر ... وقوله تعالى : ﴿ سائحات ﴾ قاله جماعة من الصحابة والتابعين وغيرهم . وتقدم فيه حديث مرفوع عند قوله تعالى : ﴿ السائحون ﴾ في سورة براءة ولفظه : سياحة هذه الأمة الصيام . وقوله تعالى : ﴿ نسيّات وأبكاراً ﴾ أي منهن نسيّات ومنهن أبكاراً ليكون ذلك أشهى إلى النفس . وقيل إن الله سيزوجه آسية ومريم في الجنة . والله أعلم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ

وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴿٨﴾

يقول تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ﴾ أي تأمر نفسك وأهلك من زوجة وولد وإخوان وقرابة وإماء وعبيد بطاعة الله. وتنهى نفسك وجميع من تعول، عن معصية الله تعالى. وتعلمهم وتؤدبهم، وأن تقوم عليهم بأمر الله، وتأمرهم به وتساعدهم عليه. فإذا رأيت لله معصية، قذعتهم وزجرتهم عنها. وهذا حق على كل مسلم أن يعلم من هم تحت إمرته وما فرض الله عليهم وما نهاهم الله عنه. وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود عن سبرة قال : قال رسول الله ﷺ : ٤٧١ [مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين فإذا بلغ عشر سنين فأضربوه عليها] وهذا لفظ أبي داود وقال الترمذي : هذا حديث حسن . قال الفقهاء : وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمريناً له على العبادات لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة، ومجانبة المعصية وترك المنكر، والله الموفق. وقوله تعالى : ﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾ أي حطبها من الجنة والناس ﴿ والحجارة ﴾ قيل الأصنام وقال ابن مسعود وغيره : حجارة من كبريت زاد مجاهد : أنثن من الحيفة . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله تعالى : ﴿ عليها ملائكة غلاظ شداد ﴾ أي غلاظ الطباع ، نزع الله من قلوبهم الرحمة بالكافرين. ﴿ شداد ﴾ أي تركيبتهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج، سود وجوههم ، كالخلة أنيابهم، ليس في قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة بالكفار .

وقوله تعالى : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ أي لا يتأخرون عن أمر الله طرفة عين وهم قادرون على ذلك ما بهم عجز عنه وهؤلاء الزبانية — عياداً بالله منهم — وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ أي يقال للكفرة يوم القيامة لا تعتذروا اليوم فإنه لا يقبل منكم إنما تجزون اليوم بأعمالكم . ثم قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحاً ﴾ أي توبةً صادقة جازمة ، تحو ما قبلها من السيئات ، وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفّه عما كان يتعاطاه من الدنات .

روى ابن أبي حاتم عن زر بن حبیش قال : ٤٧٢ [... فقلت لأبي بن كعب : فما التوبة النصوح ؟ فقال سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال . « هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بنداملك منه عند الحاضر ثم لا تعود إليه أبداً »] وهل من شرط

التوبة النصوح ، الاستمرار على ذلك إلى الممات . كما تقدم في الحديث ثم لا يعود فيه أبداً . أو يكفي العزم على أن لا يعود بحيث لو وقع منه ثانية لا يضر تكفيراً ما تقدم ، وللأول ان يحتج بما ثبت في الصحيح: ٤٧٣ [من أحسن في الإسلام لم يؤأخذ بما عمل في الجاهلية ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر]

وقوله تعالى : ﴿ عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ وعسى من الله موجبة . ﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ﴾ أي ولا يخزيهم يعني يوم القيامة ﴿ نورهم يسرى بين أيديهم ﴾ كما تقدم في سورة الحديد ^(١) ﴿ يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ﴾ هذا يقوله المؤمنون يوم القيامة حين يرون نور المنافقين قد طفىء .

روى الإمام أحمد عن رجل من بني كنانة قال : صليت خلف رسول الله ﷺ عام الفتح فسمعتة يقول : ٤٧٤ [اللهم لا تخزني يوم القيامة] روى محمد بن نصر المروزي عن أبي ذر وأبي الدرداء قالا ٤٧٥ [... وقال رجل وكيف تعرف أمتك من بين الأمم ؟ قال : « غر محجلون من آثار الطهور ، ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم ، وأعرفهم يؤتوّن كتبهم بأيمانهم ، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود ، وأعرفهم بنورهم يسرى بين أيديهم »] ^(٢) ضعيف .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ ﴾ (٩) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ (١٠)

يأمر تعالى رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين ، هؤلاء بالسلاح والقتال ، وهؤلاء بإقامة الحدود عليهم ﴿ واغلظ عليهم ﴾ أي في الدنيا ﴿ وماوَاهم جهنم وبشّر

(١) الآية رقم ١٩ / . (٢) هذا الحديث فيه ابن لهيعة وهو ضعيف .

المصير ﴿ أي في الآخرة ثم قال تعالى: ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا ﴾ أي في مخالطتهم ومعاشرتهم للمسلمين ليس لهم أية جدوى، فلا ينفعهم ذلك عند الله تعالى إن لم يكن الإيمان حاصلًا في قلوبهم. ثم ذكر المثل فقال: ﴿ امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ﴾ أي نبين رسولين عندهما في صحبتها ليلًا ونهارًا يؤاكلانهما، ويصاحبانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط ﴿ فخانتاهما ﴾ أي في الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان ولا صدقاهما في الرسالة، فلم يجد ذلك كله شيئًا ولا دفع عنهما محذورًا، ولهذا قال تعالى: ﴿ فلم يغنيا عنهما من الله شيئًا ﴾ أي لكفرهما ﴿ وقيل ﴾ للمرأتين ﴿ ادخلا النار مع الداخلين ﴾ وليس المراد بقوله تعالى: ﴿ فخانتاهما ﴾ في فاحشة بل في الدين فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء. كما قدمنا في سورة النور. (١)

قال سفيان الثوري عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قرم: سمعت ابن عباس (رض) يقول في هذه الآية ﴿ فخانتاهما ﴾ قال: ما زنتا؛ أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه؛ وقال العوفي عن ابن عباس: كانت خيانتها أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح فإذا آمن مع نوح أحدها أخبرت الجابرة من قوم نوح به. وأما امرأة لوط عليها السلام فكانت إذا أضاف لوط أحداً أخبرت به أهل المدينة...!! وقال الضحاك عن ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط (٢)، إنما كانت خيانتاهما في الدين. وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم.

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ وَكَانَتْ مِنَ الْقَائِمِينَ ﴿ (١٢) ﴾

وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم

(١) وقد ألفنا في هذا الموضوع كتاباً أسماه: «نوال المنى»، في إثبات عصمة نساء الأنبياء من الزنى.
(٢) له حكم المرفوع وروي مرفوعاً أيضاً من وجه آخر.

كما قال تعالى : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ قال قتادة : كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم ، فوالله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ، ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤخذ أحداً إلاّ بذنبه . وقال ابن جرير عن سلمان قال : كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس ، فإذا انصرف عنها أظلمت الملائكة بأجنحتها ، وكانت ترى بيتها في الجنة .

ثم قال ابن جرير عن أبي بزة قال : كانت امرأة فرعون تسأله من غلب ؟ فيقال : غلب رب موسى وهارون . فتقول : آمنت برب موسى وهارون ، فأرسل إليها فرعون فقال : انظروا أعظم صخرة تجدونها ، فإن مضت على قولها فألقوها عليها ، وإن رجعت عن قولها فهي امرأتى . فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها في الجنة ، فمضت على قولها ، وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح . فقولها : ﴿ رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ﴾ قالت العلماء : اختارت الجار قبل الدار . وقد ورد شيء من ذلك في حديث مرفوع .

﴿ ونجّيتي من فرعون وعمله ﴾ أي خلّصني منه فإني أبرأ إليك من عمله ﴿ ونجّيتي من القوم الظالمين ﴾ أي الذين ظلموا أنفسهم بالكفر برب السموات والأرض ومن فيهن وما بينهما وإله كل شيء ومعبوده . سبحانه وتعالى لا إله غيره ، ولا رب سواه . وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها (وأرضاهها) .

وكذلك امرأة خازن فرعون كانت مؤمنة أيضاً ، فشعرت بها ابنة فرعون فشكتها إلى أبيها . فأمر بتعذيبها لعلها تكفر بالله وتتخذ فرعون رباً لها ، فأبت وقالت : ربي وربك ورب كل شيء الله وإياه أعبد . فهددها بذبح ولديها فيها ... !! فقالت : أقض ما أنت قاض فذبّجهما الواحد بعد الآخر في فيها !! وكان كل ولد تناديه روحه : « إصبري يا أمّة فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا » وسمعت امرأة فرعون كلام روجي ابنها الأكبر والأصغر ، فازدادت إيماناً وفاضت روح امرأة خازن فرعون ، وأحس فرعون بإيمان زوجته فأمر بقتلها على الشكل الذي ذكرناه آنفاً رحم الله امرأة فرعون وامرأة خازنه ورضي عنهما وأرضاهما .

وقوله تعالى : ﴿ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها ﴾ أي حفظته وصانته والإحصان هو العفاف والحرية ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾ أي بواسطة الملك وهو جبريل

(٦٦-التحریم-ج٢٨): أکمل النساء آسية ومريم وخديجة وفضل عائشة کالثر يد علی سائر الطعام ٣٦٧

فإن الله تعالى بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي ، وأمره الله تعالى أن ينفخ فيه في جيب درعها ، فترلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام ولهذا قال تعالى : ﴿ فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه ﴾ أي بقدره وشرعه ﴿ وكانت من القانتين ﴾

روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال : ٤٧٦ [خطاً رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط وقال : « أتدرون ما هذا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . فقال رسول الله ﷺ : « أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون »] .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة بسنده إلى أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ : ٤٧٧ [كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام] وقد ذكرنا طرق هذه الأحاديث وألفاظها والكلام عليها في قصة عيسى بن مريم عليهما السلام في كتابنا « البداية والنهاية » والله الحمد والمنة ، وذكرنا ما ورد من الحديث من أنها تكون هي وآسية بنت مزاحم من أزواجه عليه السلام في الجنة عند قوله تعالى : ﴿ تَبَيَّنَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾

آخر اختصار تفسير سورة التحريم ولله الحمد والمنة وبه العصمة
والتوفيق وعليه التكلان

سُورَةُ الْمَلِكِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا تَابِتُ الْاَوْتِ

نزلت بعد سورة الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (١)
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْغَفُورُ * (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ
الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَإِذْ جَعَلَ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * (٣) ثُمَّ
أَرْجَعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ * (٤)
وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا
لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ * (٥)



روى الإمام أحمد بسنده إلى أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [إن سورة
في القرآن ثلاثين آية شفعت لصابها حتى غفر له : ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾] ورواه
أهل السنن الأربعة وقال الترمذي هذا حديث حسن . وروى الطبراني والحافظ الضياء
المقدسي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : [سورة في القرآن خاصمت عن
صاحبها حتى أدخلته الجنة : ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾] .

وروى الترمذي عن جابر : ٤٨٠ [ان رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ : ﴿ ألم . التنزيل ، وتبارك الذي بيده الملك ﴾] . وإن يده صفة له ، لا هي نعمته ولا قدرته ، إنما هي يده حقيقة بلا كيف لا تشبه أيدي المخلوقين في شيء ... يتصرف في ملكه بما يشاء *

بمجد الله تعالى نفسه ويخبر أنه بيده الملك .. وهو المتصرف في جميع مخلوقاته بما يشاء ، لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل ، لقهره وحكمته وعدله . ولهذا قال تعالى ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ﴾ واستدل بهذه الآية من قال : ان الموت أمر وجودي لأنه مخلوق ، ومعنى الآية : أنه أوجد الخلائق من العدم ليلوهم أي يختبرهم أيهم أحسن عملاً . كما قال تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ﴾ فسمي الحال الأول وهو العدم ، موتاً . وسمي هذه النشأة ، حياة . ولهذا قال تعالى : ﴿ ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ليلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ أي خير عملاً ، ولم يقل أكثر عملاً . ثم قال تعالى ﴿ وهو العزيز الغفور ﴾ أي هو العزيز العظيم المنيع الخناب وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأناب بعدما عصاه وخالف أمره . ثم قال تعالى : ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقاً ﴾ أي طبقة بعد طبقة وهل هن متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضهن على بعض ، أو متفصلات بينهما خلاء ... فيه قولان وأصحهما الثاني كما دل على ذلك حديث الإسراء . وقوله تعالى : ﴿ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ﴾ أي ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ولا نقص ولا عيب ولا خلل . ولهذا قال تعالى : ﴿ فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾ أي انظر إلى السماء فتأملها هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خللاً أو شقوقاً . وقوله تعالى : ﴿ ثم ارجع البصر كرتين ﴾ أي مرتين ﴿ ينقلب إليك البصر خاسئاً ﴾ أي أنك لو كررت البصر ومهما كررت لانقلب إليك أي لرجع إليك البصر ﴿ خاسئاً ﴾ عن أن يرى عيباً أو خللاً ﴿ وهو حسيب ﴾ أي كليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرار ولا يرى نقصاً ، ولمّا نفى عنها في خلقها النقص ، بين كمالها وزينتها . فقال : ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت . وقوله تعالى : ﴿ وجعلناها رجوماً للشياطين ﴾ عاد الضمير في قوله : ﴿ وجعلناها ﴾ على جنس المصابيح لا على عينها لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها وقد تكون مستمدة منها ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وأعدنا لهم عذاب السعير ﴾ أي جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا

واعتدنا لهم عذاب السعير في الأخرى . قال قتادة : إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال : خلقها الله زينةً للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها . فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه ، وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به . رواه ابن جرير . وابن أبي حاتم .

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٦)
 إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ
 الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿ (٨) قَالُوا
 بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ
 إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا
 فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿ (١٠) فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُخِّفُوا لَأَصْحَابِ
 السَّعِيرِ ﴿ (١١) ۞

يقول تعالى : ﴿ و ﴾ اعتدنا ﴿ للذين كفروا برّبهم عذاب جهنم وبئس المصير ﴾ أي
 بئس المال والمنقلب ﴿ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً ﴾ يعني صياحاً ﴿ وهي تفور ﴾
 تغلي بهم وقوله تعالى : ﴿ تكاد تمیز من الغيظ ﴾ أي يكاد يفصل بعضها من بعض من
 شدة غيظها عليهم . ﴿ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا
 نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴾ يذكر تعالى عدله في
 خلقه وأنه لا يعذب أحداً إلاّ بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه . كما قال تعالى :
 ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة وندموا حيث
 لا تنفعهم الندامة فقالوا : ﴿ لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير ﴾ روى
 الإمام أحمد بسنده إلى من سمعه من رسول الله ﷺ : ٤٨١ [لا يدخل أحد النار إلا وهو
 يعلم أنّ النار أولى به من الجنة] ﴿ فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير ﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
 كَبِيرٌ ﴾ (١٢) وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الصَّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾
هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا
مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾

يخبر تعالى عن مخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحدٌ إلا الله تعالى بأنه له مغفرة وأجر كبير أي تكفر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل كما ثبت في الصحيحين : ٤٨٢ [«سبعة يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله»] فذكر منهم رجلاً دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال « إني أخاف الله ورجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » ثم قال تعالى منبهاً على أنه مطلع على الضمائر والسرائر ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي بما يخطر في القلوب ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ أي ألا يعلم الخالق ؟ ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيرهم لهم الأرض وتذليله إياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون ، وسلك فيها من السبل ، وهياً فيها المنافع ومواقع الزروع والثمار . فقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وارتياذ انواع المكاسب واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً إلا أن ييسره الله لكم . ولهذا قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ فالسعي في السبب لا ينافي التوكل . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ٤٨٣ [لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً] رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن هبيرة وقال الترمذي : حسن صحيح . فأثبت لها رواحاً وغدواً لطلب الرزق مع توكلها على الله عز وجل وهو المسخر المسير المسبب ﴿ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ أي المرجع يوم القيامة .

﴿ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا

فَسْتَغْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ * (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ
كَانَ سَكِيرٍ * (١٨) أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ
مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ * (١٩) ﴿١٩﴾

ومن لطفه تعالى ورحمته بخلقه انه يحلم ويصفح ويؤجل، مع أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره. فقال : ﴿أَأَمْنَمُ مِنْ فِي السَّمَاءِ﴾^(١) ان يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ﴿أي تذهب وتجيء وتضطرب﴾ أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً ﴿أي ريحاً فيها حصباء تدفعكم﴾. كما قال تعالى : ﴿أَفَأَمْنَمُ ان يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يرسل عليكم حاصباً﴾ ثم لا تجدوا لكم وكيلاً ﴿وهكذا توعدهم هنا بقوله : ﴿فستعلمون كيف نذير﴾ أي كيف يكون إنذارى. ثم قال : ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم﴾ أي من الأمم السالفة ﴿فكيف كان نكير﴾ أي فكيف كان إنكارى عليهم وعقابي لهم . ثم قال تعالى : ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبض﴾ أي تارة يصفقن اجنحتهن في الهواء وتارة تجمع جناحاً وتنشر آخر ﴿ما يمسكهن﴾ أي في الجو ﴿إلا الرحمن﴾ أي بما سخرهن من الهواء من رحمته ولطفه ﴿انه بكل شيء بصير﴾ أي بما يصلح كل شيء من مخلوقاته . وهذه كقوله تعالى : ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله . إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ .

(١) قات : وهذه الآية من جملة الآيات الدالات على أن ذات الله في السماء؛ ولا يلزم من قوله «أمنتم من في السماء...» ان يكون الله داخل السماء... تعالى عن ذلك علواً كبيراً. فالله أكبر من السموات ومن كل شيء. وليس معنى الآية أن السماء تحتويه سبحانه وتعالى لأن «في» ليست الظرفية... إنما هي تفيد العلو. أي بمعنى (على) ومثل هذا وارد في القرآن كقوله تعالى على لسان فرعون : «أصليبنكم في جذوع النخل» أي في أعالي جذوع النخل لا في داخلها. وعقيدة علو ذات الله، هي عقيدة السلف الصالح بخلاف عقيدة الخلف التي تقول ان الله في كل مكان خسيماً كان أم نفيساً، أو ان الله ليس فوقاً ولا تحتاً ولا يميناً ولا شمالاً ولا أماماً ولا خلفاً ولا هو داخل العالم ولا خارجه . وهذه صفات الممدوم والعاذ بالله تعالى من الكفر والضلال. فما أهدى عقيدة السلف الصالح ! كيف لا والسلف الصالح هم محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام والقرون الخيرة التي شهد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية. فنحن نؤمن يقيناً أن ذات الله في السماء أي فوق السماء، وفوق العرش وفوق الكرسي ، بلا تكيف . ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل ولا تجسيم . إنها فوقية حقيقية تليق بجلاله وعظمته . وهو مع خلقه جميعاً في صفاته الملأ أينما كانوا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك .

﴿أَمِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ ذُوهِ
الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ * (٢٠) ﴿أَمِنْ هَذَا الَّذِي
يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ * (٢١) ﴿أَفَمَنْ
يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ﴾ * (٢٢) ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ * (٢٣) ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي
ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُخْشَرُونَ﴾ * (٢٤) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا
الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ * (٢٥) ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا
نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ * (٢٦) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهٍ تَدَّعُونَ﴾ * (٢٧) ﴿

يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا معه غيره يتبعون عندهم نصراً ورزقاً ، منكراً عليهم فيما اعتقدوه ، وغبراً لهم انه لا يحصل لهم ما أمّلوه ؛ فقال تعالى : ﴿ أَمِنْ هَذَا الذي هو جندٌ لكم ينصركم من دون الرحمن ﴾ أي ليس لكم من دونه من ولي ولا وافي ولا ناصر لكم غيره . ولهذا قال تعالى : ﴿ إن الكافرون إلا في غرور ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ أَمِنْ هَذَا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه ﴾ أي من هذا الذي إذا قطع الله عنكم رزقه ، يرزقكم بعده ؟ أي لا أحد يعطي ويمنع ، ويخلق ويرزق وينصر إلا الله عز وجل وحده لا شريك له ، أي وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره . ولهذا قال تعالى : ﴿ بل لجوا ﴾ أي استمروا في طغيانهم وإفكهم وضلالهم ﴿ في عتوٍ ونفور ﴾ أي في معاندتهم ، ونفور على أديبارهم عن الحق لا يسمعون ولا يتبعون . ثم قال تعالى : ﴿ أَمِنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ أي على طريق واضح مستقيم في الدنيا والآخرة . فالؤمن يمشي يوم القيامة سويًّا على صراطٍ مستقيم مفضٍ به إلى الجنة ، واما الكافر يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم .

روى الإمام أحمد رحمه الله بسنده إلى أنس بن مالك قال : ٤٨٤ [يا رسول الله كيف

يحشر الناس على وجوههم؟ فقال : « أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادراً أن يمشيهم على وجوههم » [وهذا الحديث نخرج في الصحيحين . وقوله تعالى : ﴿ هو الذي أنشأكم ﴾ أي ابتداء خلقكم من العدم ﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ أي العقول والإدراك ﴿ قليلاً ﴾ ما تشكرون ﴿ أي قلماً تستعملونها في طاعته ، وامثاله أوامره وترك زواجره . ﴿ قل هو الذي ذرأكم في الأرض ﴾ أي بثكم ونشركم مع اختلاف ألسنتكم وصوركم . ﴿ وإليه تحشرون ﴾ أي يجمعكم كما فرقكم . ويقول الكفار : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ أي متى يقع يوم الحشر ﴿ قل إنما العلم عند الله ﴾ أي لا يعلم وقته إلا الله إنما أمرني أن أخبركم بجميعة وقوعه ﴿ وإنما أنا نذير مبين ﴾ أي إنما عليّ البلاغ وقد أدبته إليكم . وقال تعالى : ﴿ فلما رأوه زلفةً سيئت وجوه الذين كفروا ﴾ أي لما شاهد الكفار يوم القيامة ووقع ما كذبوا به ساءهم ذلك وقد جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب . ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ ولهذا يقال لهم على وجه التقرع والتوبيخ : ﴿ هذا الذي كنتم به تدعون ﴾ أي تستعجلون .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (٢٨) ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٢٩) ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ (٣٠) ﴿ يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد هؤلاء المشركين بالله ، الجاحدين لنعمه . ﴿ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ أي سواء عذبنا الله أو رحمنا فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم ؛ فخلصوا أنفسكم بالتوبة إلى الله والرجوع إلى دينه ، فلا ينفعكم تمنّي العذاب لنا . ثم قال تعالى : ﴿ قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ﴾ أي توكلنا على الرحمن في كل أمورنا . ولهذا قال تعالى : ﴿ فستعلمون من هو في ضلال مبين ﴾ أي منا ومنكم ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة .

ثم قال تعالى لإظهاراً لرحمته ﴿ قل أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ أي غائراً في الأرض ﴿ فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ أي نابع سائح جار على وجه الأرض ، أي لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل من فضله وكرمه .

آخر سورة الملك والحمد لله وله المنّة وبه العصمة ، وعليه التكلان

سُورَةُ الْقَلَمِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا تَهَاتُ ثَنَانٍ وَخَمِيسُونَ

إلاّ من الآية ١٧ - ٢٢ ومن الآية ٤٨ - ٥٠ فمدنية نزلت بعد سورة العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ
رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مُمْنُونٍ * (٣) وَإِنَّكَ
لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ * (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * (٥) بِأَيِّكُمْ
الْمُفْتُونُ * (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ * (٧)

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة ^(١) وان قوله تعالى : ﴿ ن ﴾ كقوله : ﴿ ص ، ق ﴾ ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور . وقيل المراد بقوله ﴿ ن ﴾ حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل للأرضين السبع !!! ؟ وقيل هو الدواة وأيد هذا التفسير ابن عباس وقتادة والحسن ^(٢) ﴿ والقلم ﴾ الظاهر انه جنس القلم الذي يكتب به . كقوله ﴿ اقرأ بسم ربك الذي خلق ﴾ - إلى قوله - اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ فهو قسم منه تعالى وتنبيه لخلق على

(١) راجع أول تفسير سورة البقرة - المجلد الأول - الصفحة : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) (ن) أصبح تفسيرها «الله أعلم بمراده» . والنون في اللغة : الحوت . وهو أيضاً : الدواة . فان كان ولا بد فتفسير النون بالدواة أقرب مناسبة للقلم . وإلاّ فما مناسبة الحوت مع القلم ! وعلى كل فانه أعلم بمراده .

ما أنعم عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم. ولهذا قال ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ وقيل القلم الذي هو أول الخلق لقوله ﷺ ٤٨٥ [أول ما خلق الله القلم ...] وقوله : ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال ابن عباس وغيره يعني وما يكتبون أو ما يعلمون . وقال السدي : ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ يعني الملائكة وما تكتب من أعمال العباد. والأصح أي يكتبون . وقوله تعالى : ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي لست والله الحمد بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك ، المكذِّبون بما جنتهم به من الهدى والحق المبين . فنمبوك إلى الجنون. ﴿وَأَنْتَ لَكَ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي بل إن لك الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد، على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق، وصبرك على أذاهم . ومعنى غير ممنون أي غير مقطوع . كقوله ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ روى مُعَمَّرٌ عن قتادة : ٤٨٦ [سئلت عائشة عن خُلُقِ رسول الله ﷺ قالت : كان خلقه القرآن] كما هو في القرآن . وعن رجل من بني سواد قال : ٤٨٧ [سألت عائشة فقلت : اخبريني يا أم المؤمنين عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ وإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : قلت حدثيني عن ذلك قالت : صنعتُ له طعاماً . وصنعتُ له حفصة طعاماً ، فقلت لجاريي إذ هي فإن جاءت هي بالطعام فوضعتة قبل فاطرجي الطعام . قالت فجاءت بالطعام قالت فألقت الجارية فوقعت القصعة فانكسرت ، وكان نَطَعَ ^(١) قالت فجمعه رسول الله ﷺ وقال : « أَقْتَصُوا - أو اقْصِي شَكَّ أَسْوَد - ظرفاً مكان ظرفك » قالت فما قال شيئاً . [ومعنى قول عائشة : كان خلقه القرآن ... أي انه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجيةً له . وخلقاً تطبعه . فمهما أمره القرآن فعله . ومهما نهاه عنه تركه . هذا مع ما جبلة الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم . والشجاعة والصفح والجلم . وكل خلق جميل . كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال : ٤٨٨ [خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي : أف قط . ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله : ألا فعلته ؟ وكان ﷺ أحسن الناس خُلُقاً ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كتف رسول الله ﷺ ، ولا شمنت مسكاً ولا عطرأ كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ] وروى أحمد عن عائشة قالت : ٤٨٩ [ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط ، ولا ضرب امرأة ولا ضرب بيده شيئاً قط . إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خيّر بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما . حتى يكون إثماً فإذا كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه ، إلا أن تنتهك حرمة الله فيكون هو ينتقم لله عز وجل]

والأحاديث في هذا كثيرة . ولأبي عيسى الترمذي في هذا كتاب الشمائل . وقوله تعالى : ﴿ فستبصر ويبصرون بأيكم الفتون ﴾ أي فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من الفتون الضالّ منكم ومنهم . وهذا كقوله تعالى : ﴿ سيعلمون غداً من الكذاب الأشر ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ وإنّا أو إياكم لعلّ هدىً أو في ضلال مبين ﴾ ومعنى الفتون ظاهر أي الذي قد افتتن عن الحقّ وضلّ عنه . وإنما دخلت الباء في قوله ﴿ بأيكم ﴾ لتدلّ على تضمين الفعل في قوله ﴿ فستبصر ويبصرون ﴾ وتقديره فستخبر ويخبرون بأيكم الفتون والله أعلم . ثم قال : ﴿ إنّ ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ أي هو يعلم تعالى أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي ، ويعلم الحزب الضالّ عن الحقّ .

﴿ فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٨) وَذُوا لَوْ تَدْهَنُ فَيَذْهَبُونَ ﴿ (٩)
وَلَا تُطِيعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿ (١٠) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿ (١١)
مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿ (١٢) عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿ (١٣)
أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿ (١٤) إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ ﴿ (١٥) سَنَسِيحُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿ (١٦) ﴿

يقول تعالى : كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم . ﴿ فلا تطع المكذّبين . وذوّا لو تدهن فيذهنون ﴾ قال ابن عباس : لو ترخص لهم فيرخصون ثم قال تعالى : ﴿ ولا تطع كلّ حلافٍ مهين ﴾ وذلك إنّ الكاذب لضعفه ومهانتة إنّما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترأ بها على أسماء الله تعالى واستعمالها في كل وقت في غير محلها . قال الحسن : كلّ حلافٍ ، مكابرٍ مهين ضعيف . وقوله تعالى : ﴿ همّازٍ ﴾ أي مغتابٍ ﴿ مشاءٍ بنميم ﴾ يعني الذي يمشي بين الناس تحريشاً وفساداً ، ومشياً بالنميمة وهي الحالقة ، وعن ابن عباس قال : ٩٠ ﴿ [مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال : «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»] متفق عليه وروى الإمام أحمد بسنده إلى حذيفة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ٩١ ﴿ [لا يدخل الجنة قتات] رواه الجماعة إلا ابن ماجه ومعنى القتات النمام . وعن أحمد عن حذيفة مرفوعاً ٩٢ ﴿ [لا يدخل الجنة نمام] وقوله تعالى : ﴿ مناعٍ للخير معتد أثيم ﴾ أي يمنع ما عليه وما لديه من الخير ﴿ معتدٍ ﴾ في تناول ما أحل الله له يتجاوز فيها الحدّ المشروع ﴿ أثيم ﴾

٤٠٨ (٦٨-الْقلم-ج ٢٩) : سيصلى جهنم كل معتدئثم، عتلّ زنيم. مكذب متاع للخير

أي يتناول المحرّمات . وقوله تعالى: ﴿عتلّ بعد ذلك زنيم﴾ أما العتلّ فهو اللفظ الغليظ الصحيح الجموع النوع . وروى الإمام أحمد عن حارثة بن وهب قال قال رسول الله ﷺ : ٤٩٣ [ألا أنبئكم بأهل الجنة، كلّ ضعيف متضعّف لو أقسم على الله لأبرّه ، ألا أنبئكم بأهل النار كل عتلّ جواظ مستكبر] وقال وكيع كل جواظ جعظري مستكبر أخرجاه في الصحيحين وبقية الجماعة إلا أبا داود . والزنيم في لغة العرب : هو الدعي في القوم ومنه قول حسان بن ثابت يذم بعض كفاز قريش :

« وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد »

وعن عكرمة قال : يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء . والزنماء من الشياه : التي في عنقها هنتان معلقتان في حلقها . قال البخاري: رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة ومعنى هذا أنه كان مشهوراً بالسوء كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها . وقوله تعالى : ﴿ أن كان ذا مالٍ وبنين . إذا تلى عليه آياتنا قال أساطيرُ الأولين ﴾ يقول تعالى: هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين كفر بآيات الله عزّ وجل وأعرض عنها، وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين . كقوله تعالى: ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً . وجعلت له مالاّ ممدوداً * وبنين شهوداً ﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿ فقال إن هذا إلاّ سحر يؤثر . إن هذا إلاّ قول البشر . سأصليه سقر ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ قال ابن جرير : سنين أمره بياناً واضحاً حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لا تخفى عليهم السمة على الخراطيم . وعن ابن عباس : أي يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال وقال آخرون يعني سنسمه سمة أهل النار . ولا مانع من اجتماع الجميع في الدنيا والآخرة . وعن عبدالله بن عمر من بعض حديث له مرفوعاً ٤٩٤ [... ومن مات هماراً لمازاً ملقباً للناس كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين] .

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا

مُصْبِحِينَ * (١٧) وَلَا يَسْتَنْتُونَ * (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّنْ

رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * (٢٠) فَتَنَادُوا

مُصْبِحِينَ * (٢١) أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَرِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ * (٢٢)
فَانْطَلِقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ * (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ
مَسْكِينُ * (٢٤) وَغَدُوا عَلَى حَرِّ قَادِرِينَ * (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا
قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ * (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ
أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ * (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْهُمْ * (٣٠) قَالُوا
يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * (٣١) عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا
إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ * (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * (٣٣)

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدي اليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعمة الجسيمة، وهو بعثه محمد ﷺ إليهم. فقابلوه بالتكذيب، والرد والمحاربة. ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ ﴾ أي اختبرناهم ﴿ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ وهي البستان المشتل على أنواع الثمار والفواكه ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لِيَصْرُمْنَهَا ﴾ أي حلفوا فيما بينهم ليعبذن ثمرها لئلا يعلم بهم فقير، ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ﴿ وَلَا يَسْتَنُونَ ﴾ أي فيما حلفوا به، ولهذا حنثهم الله في أيمانهم. فقال تعالى : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ أي أصابتها آفة سماوية ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ أي كالهشيم. وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : ٤٩٥ [إياكم والمعاصي إن العبد ليدنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هبتيء له] ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ فحرموا خير جنتهم بذنوبهم .

﴿ فتنادوا مصبحين ﴾ أي نادى بعضهم بعضاً ليقطعوا ثمرهم ﴿ أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَرِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴾ أي تريدون القطع . قال مجاهد : كان حرثهم عنباً ﴿ فَانْطَلِقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴾ أي بحيث لا يسمع كلامهم ، وفسر الله ما كان يتخافتون به فقال تعالى : ﴿ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينُ ﴾ أي لا تمكنوا اليوم فقيراً يدخلها عليكم. قال الله تعالى : ﴿ وَغَدُوا عَلَى حَرِّ ﴾ أي على قوة وشدة وجد وغيظ. ﴿ قَادِرِينَ ﴾

٤١٠ (٦٨- القلم- ج ٢٩): أرادوا أن يحرموا المساكين حقهم، فحرموا الشجر والتمر وحق المساكين

أي عليها فيما يزعمون ويرومون ﴿ فلما رأوها قالوا إنا لضالون ﴾ أي وصلوها وجدوا أنها استحالت مدهمة سوداء لا يستفح بشيء منها وأدركوا خطأهم . ولهذا قالوا : ﴿ إنا لضالون ﴾ أي تهنا عن طريقها ثم يتقنوا أنها هي . فقالوا : ﴿ بل نحن محرومون ﴾ لا حظ لنا فيها ولا نصيب ﴿ قال أوسطهم ﴾ أي أعدلهم وخيرهم ﴿ ألم أقل لكم لولا تسبحون ﴾ أي تقولون : إن شاء الله ، وقيل : هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أنعم عليكم ﴿ قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين ﴾ أي ندموا حيث لا ينفع الندم ولهذا قالوا : ﴿ إنا كنا ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ﴾ أي يلوم بعضهم بعضاً على ما فرطوا من جانب الفقراء واعترفوا بخطيئتهم ﴿ قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين ﴾ أي معتدين باغين فأصابنا ما أصابنا .

﴿ عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون ﴾ قيل احتسبوا ثوابها في الآخرة وذكر بعض السلف إن هؤلاء من أهل اليمن من قرية اسمها (ضروان) على ستة أميال من صنعاء . وقيل كانوا من أهل الحبشة . فلما عزموا على فعلهم ومنع الفقراء عنها ، عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية : رأس المال والربح والصدقة ، فلم يبق لهم شيء قال الله تعالى ﴿ كذلك العذاب ﴾ أي هكذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ، ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات ، وبدل نعمة الله كفرأ . ﴿ وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ أي عذاب الآخرة أشق وقد ورد عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ : ٣٩٦ [نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل]

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴾ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ
الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٣٦) أَمْ
لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿ (٣٧) إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخِيرُونَ ﴾ (٣٨)
أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِاللَّغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا
تَحْكُمُونَ ﴿ (٣٩) سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴾ (٤٠) أَمْ لَهُمْ
شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿ (٤١) ۞

(١) قلت : وفي تفسير الجلالين : « أي راغبون ليقبل توبتنا ويرد علينا خيراً من جنتنا . وروي أنهم أبدلوا خيراً منها » .

(٦٨ القلم - ج ٢٩) : يوم يكشف عن ساق يسجد المؤمنون ولا يستطيع الكافرون ٤١١

لما ذكر تعالى أهل الجنة الدنيوية التي أفناها الله بما خالفوا أمره ، ناسب أن يبين أن لمن اتقاه وأطاعه جنات النعيم في الآخرة ، لا تبديد ولا تفرغ ، ولا ينقص نعيمها. ثم قال تعالى : ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾ أي أفساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء ... ؟ كلا .. ولهذا قال : ﴿ ما لكم كيف تحكمون ﴾ أي كيف تظنون ذلك ؟

ثم قال تعالى : ﴿ أم لكم كتاب فيه تدرسون إن لكم فيه لما تخيرون ﴾ أي أفأبديكم كتاب منزل من السماء يتضمن حكم ما تدعونه ؟ ﴿ أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة ؟ إن لكم لما تحكمون ﴾ أي أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة ، وسيحصل لكم ما تريدون وتشتهون . ﴿ سلهم آيتهم بذلك زعيم ﴾ أي من هو الكفيل بهذا ؟ ﴿ أم لهم شركاء ﴾ أي من الأصنام والأنداد ﴿ فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين .

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمِّي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾

لما ذكر تعالى ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم ، بين متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الزلازل والبلاء والامتحان والأمر العظام . وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ٤٩٧ [يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً.] ورواه غيره من طرق وقوله تعالى : ﴿ خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذلة ﴾ أي في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا ، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه . ولما دعوا إلى السجود في الدنيا ، فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم ، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة . إذا تجلى الرب عز وجل فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد ، كما كانوا في الدنيا . بخلاف ما عليه

المؤمنون . ثم قال تعالى : ﴿ فذرفي ومن يكذب بهذا الحديث ﴾ يعني القرآن . وهذا تهديد شديد . أي دعني وإياه أنا أعلم به منه كيف استدرجه وأمدّه في غيّه ، وأنظّره ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر . ولهذا قال سبحانه : ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ أي وهم لا يشعرون . بل يعتقدون أن ذلك كرامة من الله . وهو في حقيقة الأمر إهانة . كما قال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾ ولهذا قال ها هنا ﴿ وأملئ لهم إن كيدي متين ﴾ أي وأؤخرهم وأمدّهم وذلك من كيدي ومكري بهم . ولهذا قال تعالى : ﴿ إن كيدي متين ﴾ أي عظيم لمن خالف أمري وكذب رسلي واجترأ على معصيتي . وفي الصحيحين : عن رسول الله ﷺ أنه قال : ٤٩٨ : [إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته] ثم قرأ ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون ؟ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ﴾ أي إنك يا محمد تدعوهم إلى الله عز وجل بلا أجر تأخذهم منهم . بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى وهم يكذبون بما جنتهم به ، بمجرد الجهل والكفر والعناد .

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ
وَهُوَ مَكْظُومٌ ۖ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَن تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ
بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۖ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۖ ﴿٥٠﴾
وَإِنَّ يَكَاذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ
وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۖ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۖ ﴿٥٢﴾﴾

يقول تعالى : ﴿ فاصبر ﴾ يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم ، فإن الله سيحكم لك عليهم ، ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة ﴿ ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ يعني ذا النون وهو يونس بن متى عليه الصلاة والسلام ، حين ذهب مغاضباً على قومه ، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر ، والتقام الحوت له ، وشروء الحوت به في البحار ، وظلمات غمرات اليم ، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير الذي لا يردّ ما أنفذه من التقدير ، حينئذ نادى في الظلمات : ﴿ أن لا إله إلا أنت سبحانه إني كنت من الظالمين ﴾ قال الله تعالى : ﴿ فاستجبنا له ونجّيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ وقال تعالى :

﴿ فلولاً أنه كان من المسبّحين للبت في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ وقال مهنا : ﴿ إذ نادى وهو مكظوم ﴾ أي هو مغموم مكروب ، وفي الحديث ٤٩٩ [أنه لما قال ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين ﴾ خرجت الكلمة تحنّ حول العرش فقالت الملائكة : يا ربّ هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال تبارك وتعالى : أما تعرفون هذا ؟ قالوا : لا . قال : هذا يونس ، قالوا يا ربّ عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة ؟ قال نعم . قالوا : أفلا ترحم ما كان يعمل في الرخاء فتنجيه من البلاء . فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء] ولهذا قال تعالى : ﴿ فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ﴾ وروى أحمد عن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٠٠ [لا ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى] ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة . وقوله تعالى : ﴿ وإنّ يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم ﴾ أي يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقايتهم لك وحمايتهم إياك منهم . وفي هذه الآية : دليل على أن العين إصابته وتأثيرها حقّ بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الأخبار والأحاديث المروية من طرق كثيرة .

روى أبو داود في سننه عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٠١ [لا رقبة إلاّ من عين أو حمة أو دم لا يرقأ] . روى ابن ماجه عن بريدة بن الحبيب قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٠٢ [لا رقبة إلاّ من عين أو حمة] وقد أخرجه مسلم في صحيحه . عن حابس التميمي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ٥٠٣ [لا شيء في الهام ، والعين حق ، وأصدق الطيرة الفأل] ورواه الترمذي وقال غريب . وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٠٤ [العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر لسبقت العين وإذا استغسلتم فاغسلوا] . وعن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يُعوّذُ الحسن والحسين يقول : ٥٠٥ [أعيدكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة . ويقول : هكذا كان إبراهيم ﷺ يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام] .

وقوله تعالى : ﴿ ويقولون إنه لمجنون ﴾ أي يزدرونه بأعينهم - لعنهم الله - ويؤذونه بالسّتهم ويقولون انه لمجنون ، أي لمجيته بالقرآن قال الله تعالى : ﴿ وما هو إلاّ ذكر للعالمين ﴾ .

(٦٩) سُورَةُ الْحَاقَّةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَنَانٍ وَخَمْسُونَ

نزلت بعد سورة الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَاقَّةُ ﴾ (١) ﴿ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ (٢) ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ (٣)
﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾ (٤) ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ (٥)
﴿ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ (٦) ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ
لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَخْلٍ
خَاوِيَةٍ ﴾ (٧) ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ (٨) ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ
قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴾ (٩) ﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ
أَخْذَةً رَابِيَةً ﴾ (١٠) ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ (١١)
﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ (١٢)

الحاقة من أسماء يوم القيامة لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد.. ولهذا عظم الله أمرها فقال ﴿ وما أدراك ما الحاقة ﴾ ثم ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين بها . فقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ وهي الصيحة التي أسكتهم ، والزلزلة التي أسكتهم . ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾ أي باردة ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ شديدة الهبوب حتى نقتب افئدتهم بغير رحمة ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي سلطها عليهم ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ﴾

حسوماً ﴿ أي كوامل متتابعات مشائيم عليهم . كقوله تعالى ﴿ في أيام نحسات ﴾ ويقال إنها التي تسميها الناس « الأعجاز » في آخر الشتاء . وكأنهم أخذوا ذلك من قوله تعالى : ﴿ فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾ قال ابن عباس ﴿ خاوية ﴾ خربة أي جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتاً على أم رأسه ، فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان . وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ قال ٥٠٦ [نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور] ﴿ فهل ترى لهم من باقية ؟ ﴾ أي هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم ، بل بادوا عن آخرهم ، ولم يجعل الله لهم خلفاً . ثم قال تعالى : ﴿ وجاء فرعون ومن قبله ﴾ أي ومن قبله من الأمم المشبهين له . وقوله تعالى : ﴿ والمؤتفكات ﴾ وهم الأمم المكذبون بالرسول ﴿ بالخاطئة ﴾ وهي التكذيب بما أنزل الله وقال مجاهد بالخطايا : ولهذا قال تعالى : ﴿ فعصوا رسول ربهم ﴾ وهذا جنس . أي كل كذب رسول الله إليهم . كما قال تعالى : ﴿ إن كل كذب الرسل فحق وعيد ﴾ ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع . كما قال تعالى : ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ ﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾ وإنما جاء إلى كل أمة رسول واحد . ولهذا قال : ﴿ فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ﴾ أي عظيمة شديدة أليمة . ثم قال تعالى : ﴿ إنا لما طغى الماء ﴾ أي زاد على الحد بإذن الله بسبب دعوة نوح عليه السلام على قومه حين كذبوه وخالفوه فعبدوا غير الله ، فاستجاب الله له وعم أهل الأرض بالطوفان ، إلا من كان مع نوح في السفينة . فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته . ﴿ حملناكم في الجارية ﴾ وهي السفينة الجارية على وجه الماء ﴿ لنجعلها لكم تذكرة ﴾ أي وأبقينا لكم من جنسها . ما تركبون على تيار الماء في البحار .

﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ أي وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن حافظة سامعة عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله .

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ * (١٣) وَحُمِلَ
الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ
الْوَاقِعَةُ * (١٥) وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * (١٦) وَالْمَلَكُ
عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * (١٧)
يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ * (١٨)

ينخبز تعالى عن أهوال يوم القيامة ، وأول ذلك نفخة الفزع . ثم يعقبها نفخة الصعق ، حين يصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله . ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور وهي هذه النفخة ، وقد أكّدها هنا بأنها واحدة لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاج إلى تكرار ولا تأكيد . وقال الربيع . هي النفخة الأخيرة والظاهر ما قلناه ولهذا قال ها هنا ﴿ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾ أي فمدّت مدّ الأديم وتبدلت الأرض غير الأرض ﴿ فيومئذ وقعت الواقعة ﴾ أي قامت القيامة ﴿ وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وفتحت السماء فكانت أبواباً ﴾ .

﴿ والمملك على أرجائها ﴾ الملك اسم جنس أي الملائكة على أرجاء السماء أي أطرافها وقوله تعالى : ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العظيم أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء ، والله أعلم . وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى جابر قال : قال رسول الله ﷺ ٥٧ « أذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه مخفق الطير سبعة عام [وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات وقد رواه أبو داود في كتاب السنة من سننه . وعن العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه ، في ذكر حملة العرش أنهم ثمانية أو عاشر . وعن سعيد بن جبير أنها ثمانية صفوف من الملائكة وكذا عن ابن عباس . وقوله تعالى : ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ أي تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم ، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر . ولهذا قال تعالى : ﴿ لا تخفى منكم خافية ﴾ .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، فإنه أخف عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾) . وروى الإمام أحمد بسنده إلى أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ ٥٨ « [يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فأما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فتأخذ بيمينه وتأخذ بشماله] .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا
كِتَابِي ﴾ (١٩) [إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ] ﴿ (٢٠) فَهُوَ فِي
عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ (٢٣)
كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ (٢٤) ﴿

ينجر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة يمينه وفرحه بذلك ، وانه من شدة
فرحه يقول لمن لقيه ﴿ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِي ﴾ أي خذوا اقرأوا كتابيه لأنه يعلم أن فيه
خيراً وحسنات محضة ، لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات ومعنى هَؤُلَاءِ ، أي هَؤُلَاءِ .

وفي الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال : سمعت رسول الله ﷺ
يقول ٥٠٩ [يذني الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتى اذا رأى أنه قد هلك قال
الله تعالى : إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، ثم يعطى كتاب حسناته يمينه .
وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين]
وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ ﴾ أي قد كنت موقناً في الدنيا أن هذا كائن
لا محالة . كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يظنون أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ فَهُوَ فِي
عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ أي مرضية ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ أي رفيعة قصورها ، حسان حورها ، نعيمة
دورها ، دائم حبورها .

وعن أبي حاتم بسنده إلى أبي أمامة قال سألت رجلاً رسول الله ﷺ ٥١٠ [هل يتزاور أهل
الجنة؟] قال : نعم إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى ، فيحيونهم ويسلمون
عليهم ، ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلى تقصر بهم أعمالهم .] وقد
ثبت في الصحيح ٥١١ [أن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض]
وقوله تعالى : ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ قال البراء بن عازب : (أي قريبة يتناولها أحدكم وهو
نائم على سريرته وكذا قال غير واحد .

وروى الضياء بسنده إلى سلمان عن رسول الله ﷺ قال ٥١٢ [يعطى المؤمن جوازاً على
الصراط : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان أدخلوه جنة
عالية قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ .] وقوله تعالى : ﴿ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾
أي يقال لهم ذلك تفضلاً عليهم وامتناناً وإنعاماً وإحساناً . وإلا فقد ثبت في الصحيح : عن

رسول الله ﷺ انه قال : ٥١٣ [اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً منكم لن يدخله عمله الجنة] قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل » [.

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ ﴾ (٢٥) ﴿ وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِيَةَ ﴾ (٢٦) ﴿ يَا لَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾ (٢٧) ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ ﴾ (٢٨) ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ﴾ (٢٩) ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ (٣٠) ﴿ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ (٣١) ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ (٣٢) ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾ (٣٣) ﴿ وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ (٣٤) ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴾ (٣٥) ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غِسْلِينٍ ﴾ (٣٦) ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ (٣٧) ﴿

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطي أحدهم كتابه في العرصات بشماله ، فحينئذ يندم غاية الندم ﴿ فيقول يا ليتني لم أوت كتابي . ولم أذر ما حسابي . يا ليتني كانت القاضية ﴾ قال الضحاك أي موة لا حياة بعدها ﴿ ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه ﴾ أي لم يدفع عني لا مالي ولا جاهي العذاب عذاب الله وبأسه بل خلص الأمر إليّ وحدي فلا معين ولا مجير . فعندها يقول الله عز وجل : ﴿ خذوه فغلّوه . ثم الجحيم صلّوه ﴾ أي يأمر الزبانية أن تأخذوه عنفاً من المحشر فتغلّوه ، أي تضع الأغلال في عنقه ثم توردّه إلى جهنم فتغمره فيها . وقوله تعالى : ﴿ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلّكوه ﴾ قال كعب الأحبار : كل حلقة منها قدر حديد الدنيا . قال ابن عباس ﴿ فاسلّكوه ﴾ تدخل في أستهم ثم تخرج من فيه ، ثم ينظمون كما ينظم الجراد في العود حين يشوى . وقوله تعالى : ﴿ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين ﴾ أي لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفع خلقه ، ويؤدي حقهم ، فإن الله على العباد أن يوحّدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وللعباد بعضهم على بعضهم حق الإحسان ، والمعاونة على البر والتقوى . ولهذا

أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . وقبض النبي ﷺ وهو يقول : ٥١٤ [الصلاة ، وما ملكت أيمانكم] وقوله تعالى : ﴿ فليس له اليوم ها هنا حميم ولا طعام إلا من غسلين . لا يأكله إلا الخاطئون ﴾ أي ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى لا حميم وهو القريب ، ولا شفيع يطاع ، ولا طعام له هنا إلا من غسلين وهو صديد أهل النار .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٣٨) ﴿ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٣٩)
 ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ (٤٠) ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ ﴾ (٤١) ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴾ (٤٢)
 ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٣)

يقول تعالى مقسماً لخلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته ، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من الغيبات عنهم : إن القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة . فقال تعالى : ﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ﴾ . إنه لقول رسول كريم ﴿ يعني محمداً ﷺ ﴾ أضافه إليه على معنى التبليغ ، لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل . ﴿ وما هو بقول شاعر قليلًا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلًا ما تذكرون ﴾ .

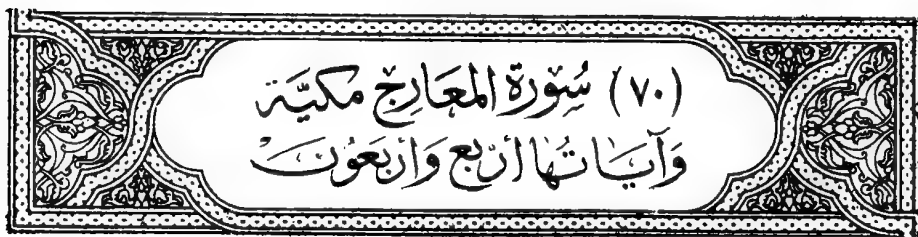
روى الإمام أحمد بسنده إلى عمر بن الخطاب قال (خرجت أتعرضُ رسول الله ﷺ قبل أن أُسلمَ فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقامت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال : فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش ، قال فقرأ : ﴿ انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلًا ما تؤمنون ﴾ قال فقلت كاهن قال : فقرأ : ﴿ ولا بقول كاهن قليلًا ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ إلى آخر السورة قال فوق الإسلام في قلبي كل موقع) فهذه من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كما أوردنا كيفية إسلامه في سيرته المفردة . والله الحمد والمنة .

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤) ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (٤٥) ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (٤٦) ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (٤٧) ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكُرُهُ الْمَتَّقِينَ﴾ (٤٨) ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ (٤٩) ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٥٠) ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٥١) ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٥٢)

يقول تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ أي محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفترياً علينا فزاد في الرسالة أو أنقص منها ، أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة . ولهذا قال تعالى : ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ لانتقمنا منه باليمين لأنها أشد في البطش ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ وهو نياط القلب أي العِرْق المعلق فيه القلب وقوله تعالى : ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ أي فما يستطيع أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه ، والمعنى : بل هو صادق بار راشد لأن الله عز وجل مقرر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات .

ثم قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكُرُهُ الْمَتَّقِينَ﴾ يعني القرآن كما قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ الَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءَ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ ثم قال ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ أي مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن ثم قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي ان القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر على الكافرين ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ أي انه الخبر الصدق الحق الذي لا شك فيه ثم قال : ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي الذي أنزل هذا القرآن العظيم .

آخر اختصار تفسير سورة الحاقة والحمد لله وله المنة



نزلت بعد سورة الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (١) ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ (٢) ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ (٣) ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (٤) ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (٥) ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ (٦) ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ (٧) ﴿﴾

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ تقديره استعجل سائل بعذاب واقع . كقوله تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أي عذابه واقع لا محالة وهو سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع بهم . وقوله تعالى : ﴿وَاقِعٌ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي مرصد معد للكافرين ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ أي لا دافع له إذا أراد الله كونه . ولهذا قال تعالى : ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ أي العلو والدرجات ، وقال مجاهد : معارج السماء ، وقوله تعالى : ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ قال قتادة : تعرج تصعد ﴿وَالرُّوحُ﴾ يحتمل ان يكون المراد به جبريل ويكون من باب عطف الخاص على العام .

وقوله تعالى : ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قيل انها المسافة ما بين سابع سماء إلى سابع أرض ، فقد روى ابن ابي حاتم عن ابن عباس انه قال : انتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات خمسين الف عام وقيل أن المراد

بذلك يوم القيامة . وذلك مروى عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ قال هو يوم القيامة ، واسناده صحيح .

وقد وردت أحاديث في معنى ذلك ومنها :

ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ٥١٥ [من كانت له إبل لا يعطي حقها في نجدها ورسلا قلنا يا رسول الله ما نجدها ورسلا ؟ قلنا : يا رسول الله ما نجدها ورسلا ؟ قال : في عسرها ويسرها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر ، فتطؤه بأخفافها فإذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاهما في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ..] ثم ذكر البقر والغنم إذا لم يعط حقها تطأ كل ذات ظلف .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٥١٠ [ما من صاحب كثر لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون . ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ..] وذكر بقية الحديث في الغنم والإبل كما تقدم . وفيه : « الخيل لثلاثة لرجل أجر ، ولرجل ستر وعلى رجل وزر » إلى آخره ... » [

ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفرداً دون البخاري من حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة . والغرض من إيراده ههنا قوله ﷺ : « حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » . أي تأييداً لمن قال : أنه يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ فاصبر صبراً جميلاً ﴾ أي اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك ، واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه . كقوله ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ﴾ ولهذا قال : ﴿ لأنهم يرونه بعيداً ﴾ أي وقوع العذاب ، وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى استحيل الوقوع ﴿ ونراه قريباً ﴾ أي يعتقده المؤمنون قريباً وإن كان أمده لا يعلمه إلا الله ، إنما هو قريب واقع لا محالة .

﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْدِ ﴾ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ

كَالْعِزِّ (٩) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً (١٠) يُبْصَرُونَ وَهُمْ يَوْدُ

الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ

وَأَخِيهِ • (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَبُّعُهَا (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
ثُمَّ يُنْجِيهِ • (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى • (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى • (١٦)
تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى • (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى • (١٨) ﴿١٨﴾

يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين : ﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾ أي ككدر الزيت . ﴿ وتكون الجبال كالعهن ﴾ أي كالصوف المنفوش . وقوله تعالى : ﴿ ولا يسأل حميم حميماً يبصرونهم ﴾ أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره ، ويفر بعضهم من بعض . كقوله تعالى : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبه وبنيه . لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ بنيه . وصاحبه وأخيه وفصيلته التي تؤويه . ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيهِ كلاً ... ﴾ أي لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض وملئها ذهباً أو من ولده وماله يود إذا رأى أهوال القيامة أن يفتدي نفسه ولا يقبل منه .

﴿ وفصيلته ﴾ قبيلته وعشيرته وقوله تعالى ﴿ كلاً إنها لاطلى ﴾ شدة حر النار ﴿ نزاعة للشوى ﴾ أي تنزع جلدة الرأس وما دون العظم من اللحم وأطراف اليدين والرجلين ومكارم الوجه وتبري اللحم والجلد عن العظم . اللهم نعوذ بمعافاتك من عقوبتك

وقوله تعالى : ﴿ تدعو من أدبر وتولى . وجمع فأوعى ﴾ أي تدعو النار من عمل لها في الدنيا يوم القيامة بلسان طلق ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب وذلك إنهم كما قال تعالى كانوا ممن أدبر وتولى أي كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه ﴿ وجمع فأوعى ﴾ أي جمع المال وربط عليه ومنع حق الله منه في الزكاة والصدقات وقد ورد الحديث ٥١٧ [ولا توعي فيوعي الله عليك] وكان عبد الله بن عكيم لا يربط له كيساً ويقول : سمعت الله يقول : ﴿ وجمع فأوعى ﴾ .

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً • (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً • (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً • (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ • (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ • (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ



مَعْلُومٌ * (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتٍ
 الدِّينِ * (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * (٢٧) إِنْ
 عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
 حَافِظُونَ * (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ
 غَيْرُ مَلُومِينَ * (٣٠) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الْعَادُونَ * (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * (٣٢)
 وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَانِتُونَ * (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
 يُحَافِظُونَ * (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَّمُونَ * (٣٥) ﴿٣٥﴾

يخبر تعالى عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾ ثم فسره بقوله ﴿إذا مسّه الشرّ جزوعاً﴾ أن ينخلع قلبه من شدة الرعب وأيس من الخير. ﴿وإذا مسّه الخير منوعاً﴾ إذا غني بخل ومنع حق الله الذي لعباده . وروى أحمد عن أبي هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ : ٥١٨ : [شر ما في رجل شح هالغ وجبن خالغ] ورواه أبو داود ثم قال تعالى : ﴿إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ أي الذين يحافظون على أوقاتها وواجباتها والسكون والخشوع فيها ومنه الماء الدائم الساكن الراكد . وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة فالذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده - واعتداله وجلوسه - فليس بدائم على صلاته .

وقوله تعالى : ﴿والذين في أمواهم حق معلوم . للسائل والمحروم﴾ أي في أمواهم نصيب مقرر لذوي الحاجات . ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ أي يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب . ولهذا قال تعالى : ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ أي خائفون وجلون ﴿ان عذاب ربهم غير مأْمُون﴾ أي لا يأمنه إلا الذين نفذوا أمر الله . وقوله تعالى : ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ أي يكفونها عن الحرام ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ أي من الإماء ﴿فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ وقد تقدم تفسير

هذا في أول سورة ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ ^(١) وقوله تعالى : ﴿ والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون ﴾ أي اذا أتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا. وهذه صفات المؤمنين وضدّها صفات المنافقين . كما ورد في الحديث الصحيح ٥١٩ [آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان] . وفي رواية ٥٢٠ [إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر] وقوله تعالى : ﴿ والذين هم بشهاداتهم قائمون ﴾ أي محافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتُمونها ﴿ ومن يكتُمها فإنه آثم قلبه ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ والذين هم على صلاتهم محافظون ﴾ أي على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها ، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها ﴿ أولئك في جنات مكرّمون ﴾ بأنواع الملاذ والمسار .

﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴾ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ
وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿ (٣٧) أَيْطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ
جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿ (٣٩) فَلَا أُقْسِمُ
بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرَ
مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿ (٤١) فَذَرْنُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى
يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿ (٤٢) يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ
سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ
ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿ (٤٤) ﴿

ينكر الله على الكفار الذين تفرقوا عن رسول الله ﷺ فرقاً فرقاً مع انهم كانوا في زمانه وشاهدوه وما أيده الله بالمعجزات الباهرات . فيقول الله : ﴿ فما للذين كفروا قبلك مهطعين ﴾ أي نافرين منك منطلقين بسرعة ﴿ عن اليمين وعن الشمال عزين ﴾ معرضين متفرقين يميناً وشمالاً يقولون : ما قال هذا الرجل ... ؟ وعن جابر بن سمرة

٥٢١ [أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم جلق فقال : « مالي أراكم عزين »]
- أي متفرقين جلقاً جلقاً - رواه أحمد ومسلم وأبو داود وغيرهم

وقوله تعالى : ﴿ أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ . كَلَّا ﴾ أي أيطمع هؤلاء ، والحالة هذه من فرارهم عن رسول الله ﷺ ، وفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم...؟! كلاً بل مأواهم جهنم . ثم قال تعالى مقررراً وقوع المعاد والعذاب بهم الذي انكروه واستبعدوا وجوده ، مستبدلاً عليهم بالبداءة التي الإعادة أهون منها ، وهم معترفون بها . فقال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ أي من المني الضعيف كما قال تعالى ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ ثم قال : ﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ أي بخالق السموات والأرض والنجوم التي تبدو من مشارقها وتغيب عن مغاربها وتقرير الكلام أن البعث والنشور والحساب كل ذلك واقع لا محالة ولا يمنعه إنكاركم ولهذا أتى : (لا) في ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفي أي : لا... ليس الأمر كما تزعمون : ﴿ أَقْسَمُ ... ﴾ ^(١) وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبْلَغُ من إقامة القيامة . ولهذا قال : ﴿ نَخْلُقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ؟ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . وقال ههنا : ﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نَبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ ﴾ أي يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه ﴿ وما نحن بمسبوقين ﴾ أي بعاجزين . كما قال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ؟ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ فَذَرِهِمْ ﴾ أي يا محمد ﴿ يَخَوْضُوا وَيَلْعَبُوا ﴾ أي دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم ﴿ حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴾ أي فسيعلمون نتائج ذلك ويدوقون الوبال ﴿ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ أي يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ، ينهضون سراعاً كأنهم إلى أصنامهم يسرعون أي كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى أصنامهم يتدرون أيهم يستلمه أول . وهذا مروي عن مجاهد وغيره . وقوله تعالى : ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ ﴾ أي خاضعة ﴿ تَرَهَّطَهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ .

آخر سورة المعارج والحمد لله وله المنة والفضل

(١) قلت : أي نفى مزاعمهم القائلة بأن لا بعث ولا حشر ولا حساب بقوله : لا ... ثم أقسم . وكل ما جاء من الأقسام مسبوقة بـ « لا » فهو نفى لمزاعم الكفار ... ثم يقسم ...

(٧١) سُورَةُ نُوحٍ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَمَانِيْنَ وَعَشِيْرُونَ

نزلت بعد سورة النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿ (٢) أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴾ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) ﴿

يخبر تعالى عن نوح عليه السلام أنه أرسله إلى قومه ، أمراً له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم ؛ فإن تابوا وأنبأوا رفع عنهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ان أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم . قال يا قوم إني لكم نذير مبين ﴾ أي بين النذارة ظاهره واضح ﴿ أن اعبدوا الله واتقوه ﴾ أي اتركوا محارمه ﴿ وأطيعوا ﴾ فيما أمركم وأنهاكم ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ أي إذا فعلتم ما أمركم به وصدقتم رسالتي التي أرسلت بها إليكم ، غفر لكم ذنوبكم . ﴿ ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴾ أي يمد في أعماركم ^(١) ويدبر أعماركم العذاب ، وقوله تعالى : ﴿ إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ﴾ أي

(١) قلت : إن هذا الامتداد لن يزيد على الذي قدره الله في أم الكتاب إنما يجعل الله العمر في راحة وهناءة فقله : « إلى أجل مسمى » يعني المسمى في أم الكتاب .

بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة الذي لا رادَّ له ولا مانع لأن الله هو العظيم قاهر كل شيء ، والعزيرُ الذي تدين له المخلوقات .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ (٥) ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ (٦) ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴾ (٧) ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ (٨) ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ (٩) ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (١٠) ﴿ يُرْسِلِ السَّيَّءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ (١١) ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (١٢) ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ (١٣) ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (١٤) ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ (١٥) ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ (١٦) ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ (١٧) ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ (١٨) ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ (١٩) ﴿ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ (٢٠) ﴿

يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح ﷺ أنه اشتكى إلى ربه عز وجل ما لقي من قومه وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلا خمسين عاما ، وما بين لقومه ووضَّح لهم ، ودعاهم إلى الرشد والسبيل الأقوم فقال : ﴿ رب إني دعوت قومي ليلًا ونهارًا ﴾ أي لم أترك دعاءهم في ليل أو نهار ، امتثالاً لأمرك وابتغاءً لطاعتك. ﴿ فلم يزدهم دعائي إلا فرارًا ﴾ أي كلما دعوتهم ليقربوا من الحق فروا منه. ﴿ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ﴾ أي سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوههم إليه . كما أخبر تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ « واستغشوا ثيابهم » أي غطوا رؤوسهم

بها لثلاثا يسمعوا ما يقول ﴿ وَأَصْرُوا ﴾ أي استمروا على شركهم ﴿ واستكبروا استكباراً ﴾ أي استنكفوا عن الانقياد للحق ﴿ ثم إني دعوتهم جهاراً ﴾ أي جهرة ﴿ ثم إني أعلنت لهم ﴾ أي بصوت عالٍ ﴿ وأسريت لهم أسراراً ﴾ أي فيما بينهم وبينى فتوَعَّت عليهم الدعوة لتكون أنجحَ فيهم .

﴿ فقلتُ استغفروا ربَّكم انه كان غفَّاراً ﴾ أي توبوا من الشرك ووحِّدوه تعالى ؛ فمن تاب تاب الله عليه مهما عظمت آثامه . ﴿ يرسل السماء عليكم مِزْطَراً ﴾ أي متواصلة الأمطار ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء ^(١) وهكذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار ومنها هذه الآية ﴿ فقلت استغفروا ربَّكم انه كان غفَّاراً يرسل السماء عليكم مِزْطَراً ﴾ ثم قال : لقد طلبت الغيث بمجاذيع السماء التي يستترل بها المطر . وقوله تعالى : ﴿ ويمدِّدكم بأموال وبنينَ ويجعلُ لكم جناتٍ ويجعلُ لكم أنهاراً ﴾ هذا وقام التَّوْبَةُ إذا تبتُّم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه مَدَّكُمْ بِالْمَالِ وَالْبَنِينَ وَأَنْبَتَ لَكُمْ الزَّرْعَ ، وَأَدْرَأَ لَكُمْ الضَّرْعَ ، وَرَزَقَكُمْ الْأَنْهَارَ وَالْجَنَاتِ . ثم عدل إلى التَّوْبَةِ فقال : ﴿ ما لكم لا ترجون لله وقاراً ﴾ أي عظمةً ولا تخافون نِقْمَةً ﴿ وقد خلقكم أطواراً ﴾ أي تطوَّر بكم في خَلْقِكُمْ من نقطة إلى علقه ، إلى مضغعة . وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كيف خلق الله سبع سماء طباقاً ﴾ أي واجدة فوق واحدة ﴿ وجعل القمر فيهنَّ نوراً وجعل الشمس سراجاً ﴾ أي فاوت بينهما في الاستنارة فجعل كلاً منهما على حدة ، فعُرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها ، وقدر القمر منازل وبروجاً وفاوت نوره فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع في النقص حتى يستمرَّ ليلد على مضي الشهور والأعوام . كما قال تعالى : ﴿ ... والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ وقوله تعالى : ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتاً . ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً ﴾ أي هو الذي خلقكم منها ثم يعيدكم فيها حين موتكم ثم يخرجكم حين البعث والنشور . كما بدأكم أول مرة . ﴿ والله جعل لكم الأرض بساطاً ﴾ أي بسطها ومهدّها وقرَّرها وثبتها بالجبال الراسيات ﴿ لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً ﴾ أي خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها . وكل هذا مآتماً ينبتهم

(١) قلت : بعد التوبة إلى الله من قبل الناس جميعاً ، والندم على ما فرطوا من الذنوب ومن هذا دعاء العباس يوم استسقى للناس بمهد عمر فقال : (اللهم إنا نعلم أنك لا تنزل عقاباً إلا بذنب ولا ترفعه إلا بتوبة وها قد تبنا إليك) .

به نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض ونعمه عليهم فهو الذي يجب أن يعبد ويوحّد ولا يشرك به أحد، لأنه لا ندّ له ولا كفّ ولا صاحبة ولا ولد ولا وزير أو مشير، بل هو العليّ الكبير سبحانه وتعالى .

﴿ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٢١) ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كَبِيرًا ﴾ (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ (٢٤)

يخبر تعالى عن نوح عليه السلام أنه أنهى إليه، وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء، إنه مع البيان المتقدم ذكره والدعوة المتنوعة ترغيباً وترهيباً، عصوه وكذبوه، واتبعوا الذين غفلوا عن أمر الله ومُتَّعُوا بِمَالٍ وولده، وما ذلك إلا استدراج وإنظار لا إكرام. ولهذا قال : ﴿ واتبعوا من لم يزدّه ماله وولده إلا خساراً ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ ومكروا مكرًا كبيرًا ﴾ أي باتباعهم لأولئك، لأنهم سولوا لهم أنهم على الحق والهدى. كما يقولون لهم يوم القيامة ﴿ بل مكر الليل والنهار اذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً ﴾ ولذا قال ههنا ﴿ ومكروا مكرًا كبيرًا ﴾ . وقالوا لا تذرُنَّ آلهتكم ولا تذرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله . روى البخاري بسنده عن ابن عباس : ٥٢٢ [صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد : أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمрад ثم لبني غطيف بالحرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي كلاع . وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً ، وسمّوها بأسمائهم ففعلوا ... فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبت] . وقوله تعالى : ﴿ وقد أضلّوا كثيراً ﴾ يعني الأصنام التي اتخذوها أضلّوا بها خلقاً كثيراً ، فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم ، وقد قال الخليل ﷺ في دعائه : ﴿ واجنبي وبنيّ ان نعبد الأصنام ، رب انهن أضللن كثيراً من الناس ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً ﴾ دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى

على فرعون وملكه في قوله ﴿ ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه واغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به

﴿ يٰٓأَنۡصَارَآ • (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرۡ عَلَيَّ ٱلْأَرْضَ مِن ٱلۡكَافِرِينَ دَيَّارَآ • (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّوٓا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا إِلَّا فَاجِرَآ كَفَّارَآ • (٢٧) رَبِّ اغۡفِرۡ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤِمِنَآ وَلِلۡمُؤِمِنِينَ ۖ وَٱلۡمُؤِمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَآ • (٢٨) ﴾

يقول تعالى : ﴿ مما خطيأتهم أغرقوا ﴾ أي من إصرارهم على الكفر ومخالفة رسولهم ﴿ أغرقوا فأدخلوا نارا ﴾ أي نقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار ﴿ فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً ﴾ أي لم يكن لهم مجير من عذاب الله . كقوله تعالى : ﴿ لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ﴾ أي رحمه الله ﴿ وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾ أي لا ترك على وجه الأرض ، منهم أحداً ، ولا دياراً يسكن داراً . فاستجاب الله له فأهلك من على وجه الأرض حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه . وقال : ﴿ سآوي إلى جبل يعصمني من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾ ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح عليه السلام وهم الذين أمره الله بحملهم معه . وقوله تعالى : ﴿ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ﴾ أي إنك إن أبقيت منهم أحداً أضلوا عبادك بعدهم ﴿ ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴾ أي فاجراً في الأعمال ، كافر القلب ، وذلك لخبرته بهم . ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاماً . ثم قال : ﴿ رب اغفر لي ولوالدي وللمن دخل بيتي مؤمناً ﴾ أي لكل من دخل بيته مؤمناً روى الامام أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ٥٢٣ [لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي] ورواه أبو داود والترمذي . وقوله تعالى : ﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً ﴾ هذا دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الأحياء منهم والأموات . أما الظالمون فلا تزدهم إلا خساراً في الدنيا والآخرة . آخر اختصار تفسير سورة نوح والحمد لله .

(٧٢) سُورَةُ الْجِنِّ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا مَائِكَاتٍ وَعَشِيرُونَ

نزلت بعد الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا
سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا • (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ
بِرَّبِّنَا أَحَدًا • (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا
وَلَدًا • (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا • (٤) وَأَنَّا
ظَنَنَّا أَنَّ لَنْ نقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا • (٥) وَأَنَّهُ كَانَ
رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا • (٦)
وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَنْ يَنْبَغْتَ اللَّهُ أَحَدًا • (٧)

يقول تعالى أمراً رسول الله ﷺ أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن ، فآمنوا به
وصدقوه وانقادوا له ، فقال تعالى : ﴿ قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا
إنّا سمعنا قرآنًا عجبا . يهدي إلى الرشد ، أي إلى السداد والنجاح ﴾ فآمنّا به ولن نشرك
بربنا أحدا ﴿ وهذا المقام شبيه بقوله تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون
القرآن ﴾ وقد قدمنا الأحاديث الواردة في ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ﴾ عن ابن عباس : (جد الله : آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه) قوله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ أي تعالى عن اتخاذ صاحبة والأولاد ، أي قالت الجن : تنزه الربُّ جلُّ جلاله حين أسلموا وآمنوا بالقرآن من اتخاذ صاحبة والولد . ثم قالوا : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾ سفيهننا : يعنون إبليس . وشططاً : أي ظلماً كبيراً وباطلاً وزوراً . ولهذا قالوا : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ تَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي ما حسبنا أن الأنس والجن يتمالؤون على الكذب على الله تعالى في نسبة صاحبة والولد إليه ، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنّا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك . وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي كنّا نرى أنّ لنا فضلاً على الإنس . لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها ، كما كانت عادة العرب في جاهليتها ، يعوذون بعضهم ذلك المكان من الجن . أن يصيبهم بشيء يسوءهم . ولما رأيت الجن أنّ الإنس يخافون منهم . فازدادوا جرأة عليهم . وزادوهم أذى وخوفاً .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴾ أي لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولا .

﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴾ (٨) ﴿ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ آلَانَ يَجِدُ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ﴾ (٩) ﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ (١٠)

يخبر تعالى عن الجن حين بعث رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن . وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرصاً شديداً وحفظت من سائر أرجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لثلاث سترقوا شيئاً من القرآن . فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدري من الصادق ، وهذا من لطف الله تعالى بخلقهم ، ورحمته بعباده وحفظه لكتابه العزيز . ولهذا قال الجن : ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا . وانا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾ أي من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهاباً يحرقه ويهلكه ﴿ وَأَنَا

لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ﴿ أي لا ندري أشر أريد بأهل الأرض أم رشدا ، وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل والخير أضافوه إلى الله عز وجل .

وقد ورد في الصحيح ٥٢٤ [والشر ليس إليك] وقد كانت الكواكب يُرمى بها قبل ذلك ، ولكن ليس بكثير بل في الأحيان بعد الأحيان كما في حديث العباس : ٥٢٥ [بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ رمى بنجم فاستنار فقال « ما كنتم تقولون في هذا ؟ » فقلنا : كنا نقول : يولد عظيم ، يموت عظيم . فقال : « ليس كذلك ، ولكن الله اذا قضى الأمر في السماء ...] وذكر تمام الحديث « وهذا هو السبب الذي حمل الجن على تطلب السبب في ذلك فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاريها فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه في الصلاة ، فعرفوا أن هذا الذي حفظت من أجله السماء فأمن من آمن منهم وتمرد في طغيانه من بقي كما تقدم حديث ابن عباس في ذلك عند قوله في سورة الأحقاف ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ﴾ . وقد فرغت الشياطين في ليلة تكاثر فيها رمي الشهب فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم ، فقال : اتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها فأتوه فشم ، فقال : صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا نبي الله ﷺ قائماً يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن ، فدنوا منه حرصاً على القرآن ثم أسلموا فأنزل الله تعالى أمرهم على رسول الله ﷺ (من كتاب السيرة) .

﴿ وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ﴾ (١١) ﴿ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾ (١٢) ﴿ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهَدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ (١٣) ﴿ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ (١٤) ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا

لَجَنَّهُمْ حَطْبًا * (١٥) وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً
غَدَقًا * (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ
عَذَابًا صَعَدًا * (١٧)

يخبر تعالى عن الجن أنهم قالوا ﴿ وَأَنَا مِنَّا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا ﴾ متفرقة
وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَا ظَننَّا أَنَّ لَنَا نِعْمَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نَعْجزَهُ هَرَبًا ﴾ اي نعلم
قدرة الله حاكمة علينا لا نستطيع ولا غيرنا أن يعجزه ﴿ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ ﴾
يفخرون بذلك وإنه لفخر وشرف وصفة حسنة . وقولهم : ﴿ فَمَنْ يُّؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ
بُخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ أي لا يخاف ان ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته . كما قال
تعالى : ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ ﴿ وَأَنَا مِنَّا المسلمون ومنا القاسطون ﴾ أي منا
المسلم ومنا الجائر عن الحق بخلاف المقسط فإنه العادل ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾
أي طلبوا لأنفسهم النجاة ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطْبًا ﴾ أي وقود تسعر بهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾
أي لو سلكوا طريق الإسلام واستقاموا ﴿ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ اي لوسعنا عليهم رزقهم
كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ ﴾ وعلى هذا يكون معنى قوله ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ أي لنختبرهم كما قال مالك عن
زيد بن اسلم : لنبتليهم من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية . وقوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ أي عذاباً مشقاً شديداً موجعاً
مؤلماً لا راحة معه .

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (١٨)
وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا * (١٩)
قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا * (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أُمْلِكُ
لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ

أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْغَمُونَ مِنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾

يأمر الله عباده أن يوحدوه في محال عبادته ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به . كما قال قتادة في قوله تعالى ﴿وَأَن الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ قال كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله ؛ فأمر الله نبيه ﷺ أن يوحدوه وحده . وعن عكرمة : نزلت في المساجد كلها . وقال سعيد بن جبير نزلت في أعضاء السجود أي هي لله فلا تسجدوا بها لغيره وفي الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ ٥٢٦ [أمرت أن أسجد على سبعة أعظم على الجبهة - أشار بيده إلى أنفه - واليدين والركبتين وأطراف القدمين .]

وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال قتادة في تفسير هذه الآية : تلبدت الانس والجن على هذا الأمر ليطفئوه ، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه وقيل في ذلك ولكن هذا هو الأظهر لقوله بعده : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ أي قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عدوانه ﴿إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ أي إنما أعبد ربي وحده لا شريك له . واستجبر به وأتوكل عليه . ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي ، وعبد من عباد الله ليس لي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم . بل المرجع في ذلك كله إلى الله عز وجل . وأنه لا يجبرني من الله أحد لو عصيته فإنه لا يقدر على إنفاذي من عذابه ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ أي لا نصير ولا ملجأ وفي رواية لا ولي ولا موئل .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ أي لا يجبرني منه ويخلصني إلا بإبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها علي . وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي أنا أبلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم ، خالدين فيها أبداً أي لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها .

الله ، ولهذا قال : ﴿ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً ﴾ وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله ﴿ ليعلم ﴾ إلى من يعود ؟ قيل انه عائد إلى النبي ﷺ بمعنى ليعلم نبي الله ان الرسل قد بلغت عن الله وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها وقيل : عن ابن عباس قال : هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي ﷺ من الشيطان حتى يتبين الذين أرسل اليهم وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم .

ويحتمل ان يكون الضمير عائداً إلى الله عز وجل وهو قول حكاة ابن الجوزي في « زاد المسير » ، ويكون المعنى في ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من اداء رسالاته ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ويكون ذلك كقوله تعالى : ﴿ ولعلمن الله الذين آمنوا ولعلمن المنافقين ﴾ ولا شك أن الله يعلم الأشياء قبل وقوعها ﴿ وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً ﴾

آخر اختصار تفسير سورة الجن والله الحمد والمنة

(٧٣) سُورَةُ الْمَزْمَلِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا عَشْرُونَ

إِلَّا الْآيَاتِ ١٠ وَ ١١ وَ ٢٠ فَمَدْنِيَّةٌ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْقَلَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ * (١) قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * (٢) نِصْفَهُ
أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * (٤)
إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَظَنًا
وَأَقْوَمُ قِيلًا * (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * (٧)
وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا * (٩)

يأمر تعالى رسوله ﷺ ان يترك التزمل ، وينهض إلى القيام لربه عز وجل فكان عليه الصلاة والسلام ممتثلاً أمره تعالى ، وبيّن له ها هنا مقدار ما يقوم به فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴾ أي يا أيها النائم المزمل ﴿ قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ﴿ نِصْفَهُ ﴾ أي أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة . أو نقصان قليل لا حرج عليك في ذلك . ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ أي اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره ^(١)

(١) قلت : هكذا هو مراد الله تعالى من قراءة القرآن ، إن كان ذلك في الصلاة أو خارجها ، فلا يكون إلا على تمهل . ولكننا نرى في زماننا هذا من يقرأ القرآن بسرعة غريبة وبشكل لا يضبط لفظه فضلاً عن تدبر معناه من الإمام والمؤتم ، فلا يحصل المستمع على التحقق من الغرض من مراد الله وأمره بالترتيل . وبدهي ألا يحصل الفهم ؛ فإذا لم يحصل الفهم ، لا يمكن العمل به ، وإذا فقد العمل يحصل الزين والتشتت في الآراء =

وكذلك كان يقرأ صلوات الله عليه وسلامه .

وفي صحيح البخاري عن أنس : ٥٢٨ [انه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال : كانت مبدأ ثم قرأ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ يمد : ﴿ بسم الله ﴾ ويمد ﴿ الرحمن ﴾ ويمد ﴿ الرحيم ﴾ . وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت : ٥٢٩ [كان يقطع قراءته آية آية . ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين ﴾ رواه أحمد وأبو داود والترمذي .

وفي الحديث : ٥٣٠ [زينوا القرآن بأصواتكم] و ٥٣١ [ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن .] و ٥٣٢ [لقد أوتي هذا ... زمزماً من زمير آل داود] يعني أبا موسى الأشعري . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ أي ثقیل وقت نزوله من عظمتة ، كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه : ٥٣٣ [أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فكادت ترض فخذي .]

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها ٥٣٤ [إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ : كيف يأتبك الوحي ؟ فقال : « أحياناً يأتي في مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيتُ عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول » قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً] هذا لفظه وقوله تعالى : ﴿ إِن نَّاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ يُقَالُ نَشَأَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ ؛ والغرض ان ناشئة الليل هي ساعاته وأوقاته وكل ساعة منها تسمى ناشئة . وهي الآتات . والمتصود : ان قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة ولهذا قال تعالى : ﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ أي أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار ، لأنه وقت انتشار الناس .

وقوله تعالى : ﴿ إِن لَّكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ فراغاً وبغية ومتقلباً وهذا حين كانت

= وهذا ما يعانيه المسلمون اليوم حكماً وشعوباً . حتى وصل الأمر بأئمة المساجد - إلا من رحم ربك - أن يتباهوا بالإسراع في القرآن والصلاة ، وخاصة في صلاة التراويح !! فإذا قال أحد الأئمة مثلاً : أنا أنهي الثلاث والعشرين ركعة - زعموا - بثلاث ساعة ... قال الآخر : بل أنا أنهيها بربع ساعة ... !!؟ كأنها عملية مناقصة !! هذا فضلاً عن التكسب أي بالقرآن وتوجيهه وجهة ما أنزله الله من أجلها ، وذلك رغبة بالمال ... !!؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ٥٣٥ [... اقرأوه قبل أن يقرأه أقوام يقيمونه كما يقوم السهم يتعجل أجره ولا يتأجله] . وما نزل القرآن إلا لتنفيذ أحكامه ، وتقوم عليه دولة الإسلام .

صلاة الليل فريضة ثم ان الله تبارك وتعالى من على عباده فحففها ووضعها . والدليل ما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن سعيد بن هشام (ملخصاً) :

أنه استأذن على عائشة ٥٣٦ [رضي الله عنها ومعه حكيم بن مفلح فقالت : حكيم - وعرفتته - قال : نعم . قالت : من هذا الذي معك قال : سعيد بن هشام . قالت من هشام ؟ قال ابن عامر . قال : فترحمت عليه وقالت : نعم المرء كان عامراً قلت : يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ قالت : ألسنت تقرأ القرآن ؟ قلت بلى . قالت : فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن . فهممت أن أقوم ثم بدا لي قيام رسول الله ﷺ . قلت : يا أم المؤمنين : أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ قالت : ألسنت تقرأ هذه السورة : ﴿ يا أيها المزمل ﴾ قلت : بلى . قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله واصحابه حولاً ، حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمها في السماء اثني عشر شهراً ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة ...

(وفي هذا الحديث قولها) ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن في ليلة حتى أصبح ، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان . فأنت ابن عباس فحدثه بحديثها فقال : صدقت أما لو كنت أدخل عليها لأنتيتها حتى تشافهني مشافهةً [. رواه بطوله وتامه الإمام أحمد وقد أخرجه مسلم في صحيحه عن قتادة . وقال علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً ﴾ فشق ذلك على المؤمنين ثم خفف الله تعالى عنهم ورحمهم فأنزل بعد هذا : ﴿ علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله - إلى قوله - فاقروا ما تيسر منه ﴾ وسع الله تعالى وله الحمد ولم يضيئ .

وقوله تعالى : ﴿ واذكر اسم ربك وتبّل إليه تبتيلاً ﴾ أي أكثر من ذكره وانقطع إليه ، وتفرغ لعبادته اذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور الدنيا كما قال تعالى : ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾ أي إذا فرغت من أشغالك فانصب في طاعته لتكون نارع البال ﴿ وتبّل إليه تبتيلاً ﴾ وقال ابن عباس : أي اخلص له العبادة . وقال ابن جرير يقال للعابد متبّل .

وقوله تعالى : ﴿ ربّ المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً ﴾ أي هو المالك

المتصرف في المشرق والمغرب الذي لا إله إلا هو وكما أفردته بالعبادة فأفردته بالتوكل فاتخذوه وكيلاً . كما قال تعالى : ﴿ فاعبدوه وتوكل عليه ﴾ ^(١)

﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿ (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿ (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿ (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿ (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿ (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا ﴿ (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿ (١٧) أَلَسَاءَ مُنْفِطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿ (١٨)

يأمر تعالى رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه ، وان يهجرهم هجراً جميلاً وهو الذي لا عتاب معه . ثم قال له متهدداً لكفار قومه . ومتوعداً ، وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء . ﴿ وذرنى والمكذبين أولي النعمة ﴾ أي دعني والمكذبين المترفين أصحاب الأموال ، فإنهم على الطاعة أقدر من غيرهم . وهم يظالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم . ﴿ ومهلهم قليلاً ﴾ أي رويداً . كما قال تعالى : ﴿ نمتّعهم قليلاً ﴾ ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ . ولهذا قال ها هنا ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا ﴾ وهي القيود قاله ابن عباس وغيره . ﴿ وجحيماً ﴾ وهي السعير المضطربة ﴿ وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً ﴾ وطعاماً ذا غصة أي ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج . ﴿ وعذاباً أليماً ﴾ يوم ترجف الأرض والجبال ﴿ أي تزلزل . ﴿ وكانت الجبال كثيباً مهيلاً ﴾ أي تصير ككتبان الرمل بعدما كانت حجارة صماء ثم أنها تنسف نفساً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب حتى تصير الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً أي وادياً ولا أمناً أي رابية ، ومعناه لا شيء من ينخفض ولا يرتفع . ثم قال تعالى مخاطباً لكفار قريش والمراد سائر الناس ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا

(١) قلت : وهذا دليل على أن التوكل عليه عبادة له سبحانه ومن توكل على غيره فقد عبده من عليه توكل .

إليكم رسولاً شاهداً عليكم ﴿ أي بأعمالكم ﴾ ﴿ كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً . فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً ﴾ أي شديداً ويحذرهم تكذيب هذا الرسول كيلا يصيبهم ما أصاب فرعون من النكال كما قال تعالى : ﴿ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ﴾ وأنتم أولى بالهلاك والدمار ان كذبتُم رسولكم ، لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى ابن عمران عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى : ﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً ﴾ أي كيف يحصل لكم أمان من يوم الفرع العظيم إن كفرتم؟ ومعنى قوله : ﴿ يوماً يجعل الولدان شيباً ﴾ أي من شدة أهواله وزلازله وهو يوم القيامة . وقوله تعالى : ﴿ السماء منفطر به ﴾ أي كان وعد هذا اليوم مفعولاً اي واقعاً لا محالة وكائناتاً لا محيد عنه .

﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ (١٩)

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَلِثُلَّةٍ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ (٢٠) ﴾

يقول تعالى : ﴿ إن هذه ﴾ اي السورة ﴿ تذكرة ﴾ أي يتذكر بها أولو الألباب . ولهذا قال : ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربّه سبيلاً ﴾ أي ممن شاء الله تعالى هدايته كما قيد في : السورة الأخرى : ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً ﴾ ثم قال : ﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ﴾ أي تارة هكذا وتارة هكذا من غير قصد منكم ولكن لا تقدرون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل لأنه يشق عليكم ولذلك قال : ﴿ والله يقدر الليل والنهار ﴾ أي تارة

يعتدلان تارةً يزيدان وينقصان . ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾ أي الفرض الذي أوجبه عليكم ﴿ فاقروا ما تيسر من القرآن ﴾ أي من غير تحديد بوقت ولكن قوموا من الليل بما تيسر وعبر عن الصلاة بالقراءة . كما قال في سورة «سبحان» ﴿ ولا تمجهر بصلاتك ﴾ أي بقراءتك ﴿ ولا تخافت بها ﴾ وقد استدلل الأحناف من قوله : ﴿ فاقروا ما تيسر من القرآن ﴾ على عدم وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة فتجزئ إن قرأ بها أو غيرها ، واعتضدوا أيضاً بحديث المسيء صلته الذي في الصحيحين : ٥٣٧ [ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن] وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو في الصحيحين ٥٣٨ [أيضاً وهو : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب]^(١) قوله تعالى : ﴿ علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون تقاتلون في سبيل الله ﴾ أي أي علم أن سيكون في هذه الأمة ذوو أعذار ، من مرض وسفر ، وشغل في الجهاد . وإن هذه الآية من دلائل النبوة لأنها من باب الإخبار بالمغيبات المستقبلة . لأن الآية مكية ، ولم يكن قد شرع القتال بعد .

وقوله تعالى : ﴿ فاقروا ما تيسر منه ﴾ أي قوموا بما تيسر عليكم منه . وقد جاء في الحديث ٥٣٩ [أن رسول الله ﷺ سئل عن رجل نام حتى أصبح فقال : « ذاك رجل بال الشيطان في أذنه » فقليل نام عن المكتوبة ، وقيل نام عن قيام الليل . وفي السنن : ٥٤٠] أوثروا يا أهل القرآن [وحديث آخر : ٥٤١ [من لم يوتر فليس ممناً] وقوله تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ أي أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة . وقد قال ابن عباس وغيره من السلف : أن هذه الآية نسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل وقد ثبت في الصحيحين : ٥٤٢ [أن رسول الله ﷺ قال لذلك الرجل : « خمس صلوات في اليوم والليلة » قال علي غيرها ؟ قال : لا ... إلا أن تطوع] .

وقوله تعالى : ﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾ يعني من الصدقات فإن الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء . وقوله تعالى : ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً ﴾ أي جميع ما تقدمونه بين أيديكم فهو لكم حاصل ، وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا . وعن الحارث بن سويد قال : قال عبد الله قال رسول الله ﷺ

٥٤٣] « أَيُّكُمْ ما له أحب إليه من مال وارثه ؟ » قالوا يا رسول الله ما مِنّا من أحد إلاّ ما له أحب إليه من مال وارثه : قال : « إعلموا ما تقولون » قالوا : ما نعلم إلاّ ذلك يا رسول الله قال : « إنّما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر » [ورواه البخاريّ والنسائيّ .

ثم قال تعالى : ﴿ واستغفروا الله ان الله غفور رحيم . ﴾ أي أكثرُوا من ذكره واستغفاره في أموركم كلّها فإنه غفور رحيم لمن استغفره .

آخر اختصار تفسير سورة المزمّل والحمد لله

(٧٤) سُورَةُ الْمَذْثَرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا سَبِّحَتْ وَخَمْسُونَ

نزلت بعد سورة المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ * (١) قُمْ فَأَنْذِرْ * (٢) وَرَبَّكَ
فَكْبِّرْ * (٣) وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ * (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * (٥) وَلَا
تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ * (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ * (٧) فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ * (٨)
فَذَلِكَ يَوْمٌ مِّنْ يَّوْمٍ عَسِيرٍ * (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ
يَسِيرٍ * (١٠) ﴿

ثبت في صحيح البخاري عن جابر انه كان يقول : (أول شيء نزل من القرآن :
﴿يا أيها المذثر﴾) ، إنما خالفه الجمهور وقالوا : بل : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾
على أن جابراً رضي الله عنه إنما قال قوله ذلك اعتماداً على حديث سمعه من رسول الله
ﷺ يقول فيه : ٥٤٤ : [جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت ، فنظرت
عن يميني فلم أر شيئاً ، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً
ونظرت خلفي فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً فأتيت خديجة فقلت دثروني
وصبوا علي ماءً بارداً - قال - فدثروني وصبوا علي ماءً بارداً ثم قال - فنزلت :
﴿يا أيها المذثر . قم فأندِر . وربك فكبر﴾] رواه البخاري . وقد رواه مسلم من طريق
عقيل ... إلى جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في
حديثه : ٥٤٥ : [... فبينما أنا أمشي اذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبِلَ

السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئتُ منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت إلى أهلي فقلت زمّلوني زمّلوني، فرمّلوني فأُنزل ﴿يا أيها المدثر . قم فأُنذر - إلى - فاهجر ..﴾ [

وهذا يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا ... لقوله : « فإذا الملك الذي كان بحراء وهو جبريل حين أتاه بقوله ﴿اقرأ بسم ربك الذي خلق - إلى - ما لم يعلم﴾ ووجه الجمع : أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة كما روى الإمام أحمد عن جابر ابن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ٥٤٦ [ثم فتر الوحي عني فترة فيينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئتُ منه فرقاً حتى هويت على الأرض فجئت أهلي فقلت لهم : زمّلوني زمّلوني ... فرمّلوني ؛ فأُنزل الله تعالى : ﴿يا أيها المدثر . قم فأُنذر . وربك فكبر﴾ ، وثيابك فطهر . والرجز فاهجر ﴿ثم حمي الوحي وتتابع﴾ [أخرجاه من حديث الزهري به ﴿قم فأُنذر﴾ . أي انذر الناس وبهذا حصل للإرسال (١) كما حصل بالأول النبوة (٢) ﴿وربك فكبر﴾ أي عظم . وقوله تعالى : ﴿وثيابك فطهر﴾ وقيل من الذنوب والمعاصي ، وقيل المقصود طهارة القلب ، وقيل اغسل ثيابك بالماء فقد كان المشركون لا يتطهرون فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه ، وهذا القول اختاره ابن جرير وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب فإن العرب تطلق « الثياب » على القلب ﴿والرجز فاهجر﴾ أي اترك المعصية وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبّسه بشيء من ذلك كقوله تعالى : ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ . وقوله تعالى : ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ أي لا تعطي العطية تلمس أكثر منها قاله ابن عباس وناس من التابعين . وقوله تعالى : ﴿ولربك فاصبر﴾ أي اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عز وجل وقوله تعالى : ﴿فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير﴾ ﴿الناقور﴾ الصور قال مجاهد كهيئة القرن لحديث ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ ٥٤٧ [كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ، وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ ...] وقوله تعالى : ﴿فذلك يومئذ يوم عسير﴾ أي شديد على الكافرين ﴿على الكافرين غير يسير﴾ أي غير سهل عليهم كما قال تعالى : ﴿يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ ويروى عن زرارة بن أوفى قاضي البصرة انه صلى بهم

(١) أي بسورة « المدثر » .

(٢) أي بسورة « اقرأ » .

الصبح فقرأ هذه السورة فلما وصل إلى قوله تعالى : ﴿ فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ﴾ شفق شهقة ثم خرّ ميتاً رحمه الله .

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾ (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً ﴿ (١٢) وَبَنِينَ شُهُوداً ﴿ (١٣) وَمَهْدَتْ لَهُ تَمِيذاً ﴿ (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً ﴿ (١٦) سَأَرَّهُنَّ صَعُوداً ﴿ (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿ (١٨) فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿ (١٩) ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ ﴿ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿ (٢٦) وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿ (٢٨) لَوَاحِةً لِلْبَشَرِ ﴿ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿ (٣٠) ﴿

يقول تعالى متوعداً للوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش لعنه الله . وقد روى ابن عباس قال : دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن ، فلما أخبره خرج على قريش فقال : يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة ، فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي من الجنون . وإن قوله لمن كلام الله . فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا : والله لئن صبا الوليد لتصبو قريش . فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال : أنا والله أكفيكم شأنه . فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد : ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة ؟ فقال : ألسن أكثرهم مالاً وولداً ؟ فقال أبو جهل يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه . فقال الوليد : أفد تحدث به عشيرتي ! فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة ، وما قوله إلا سحر يؤثر فأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾ — إلى قوله — لا تبقي ولا تذر — وقال قتادة زعموا أنه قال : والله لقد نظرت فيما قال الرجل ، فإذا هو ليس بشعر ، وإن له لخلوة وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليعلو وما يُعلَى عليه ، وما أشك أنه سحر... !! فأنزل الله ﴿ قتل كيف قدر ﴾ فيقول تعالى متوعداً لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه

بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدّلها كفراً، وقابلها بالحدّ بآيات الله والافتراء عليها، وجعلها من قول البشر. وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ أي خرج من بطن أمه وحيداً، وحده لا مال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى رزقاً عظيماً فقال: ﴿وجعلت له مالاً ممدوداً﴾ أي واسعاً كثيراً قيل مائة ألف دينار وقيل أرضاً يستغلها، وجعل له ﴿بنين شهوداً﴾ أي حضوراً عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم، وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتسمّى بهم. وكانوا فيما ذكره السدّي وأبو مالك وعاصم بن عمر وقتادة ثلاثة عشر... وهذا أبلغ في النعمة ﴿ومهدت له تمهيداً﴾ أي مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك. ﴿ثم يطمع أن أزيد﴾ كلاًّ إنه كان لآياتنا عنيداً ﴿أي معانداً وهو الكفر بعد العلم. قال الله تعالى: ﴿سأرهقه صعوداً﴾ روى الإمام أحمد بسنده إلى أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: ٥٤٨هـ [ويل: واد في جهنم يهوي به الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره والصعود: جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ثم يهوي به كذلك فيه أبداً. [وقوله تعالى: ﴿إنه فكر وقدّر﴾ أي تروى ﴿فقتل كيف قدر. ثم قتل كيف قدر﴾ دعاءً عليه ﴿ثم نظر﴾ أي أعاد النظرة والتروى ﴿ثم عبس﴾ أي قبض بين عينيه وقطب ﴿وبسر﴾ أي كلع وكره. وقوله ﴿ثم أدبر واستكبر﴾ أي صرف عن الحق ورجع القهقري مستكبراً عن الانقياد للقرآن. ﴿فقال إن هذا إلاّ سحر يؤثر﴾ أي هذا سحر ينقله محمد عن غيره من قبله ويحكيه عنهم. ولهذا قال: ﴿إن هذا إلاّ قول البشر﴾ أي ليس بكلام الله. قال تعالى: ﴿سأصليه سقر﴾ أي سأغمره فيها. وقال تعالى: ﴿وما أدراك ما سقر﴾ تهويل لأمرها. ثم فسّر ذلك بقوله: ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ تأكل أجسادهم جميعاً ثم تبدّل غير ذلك على شكل لا يموتون ولا يحيون. وقوله تعالى: ﴿لواحة للبشر﴾ أي للجلد فندعه اسود من الليل. وقوله تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾ أي من مقدّمي الزبانية عظيم خلقهم غليظ خلقهم.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَنِينَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا
كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ
إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ * (٣١) كَلَّا وَالْقَمَرَ * (٣٢)
وَاللَّيْلَ إِذْ أَدْبَرَ * (٣٣) وَالصُّبْحَ إِذَا أَصْفَرَ * (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى
الْكُبَرَى * (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ * (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ
أَوْ يَتَأَخَّرَ * (٣٧)

يقول تعالى : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار ﴾ أي خزنتها ﴿ إلا ملائكة ﴾ أي زبانية
غلاظاً شداداً ، رداً على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة فقال أبو جهل : يا معشر
قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم. فقال الله تعالى : ﴿ وما جعلنا
أصحاب النار إلا ملائكة ﴾ أي شديدي الخلق لا يغالبون ولا يقاومون .

وقوله تعالى : ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾ أي إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة
عشر إختباراً منا للناس. ﴿ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ﴾ أي يعلمون أن هذا الرسول
حق . فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله . وقوله
تعالى ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيماناً ﴾ أي إلى إيمانهم بما يشهدون من صدق أخبار نبيهم
محمد ﷺ . ﴿ ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم
مرض ﴾ أي من المنافقين ﴿ والكافرون ما ذا أراد الله بهذا مثلاً ﴾ أي يقولون
ما الحكمة من ذكر هذا ههنا؟ قال الله تعالى : ﴿ كذلك يضلُّ الله من يشاء ويهدي من
يشاء ﴾ أي من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام ويتزلزل عند آخرين ، وله
الحكمة البالغة والحجة الدامغة . وقوله تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ أي ما
يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى لثلاثتهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط . كما قاله
طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين ، ومن شايعهم من الملتين الذين
سمعوا هذه الآية ، فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة ، التي اخترعوا
وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها ، فأفهموا صدر هذه الآية ، وقد كفروا بآخرها
وهو قوله ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن
رسول الله ﷺ أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة : ٥٤٩ ... فإذا

هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم [روى الحافظ أبو القاسم الطبراني بسنده إلى جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ ٥٥٠] ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راجع فاذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً سبحانه ما عبدناك حق عبادتك إلا أنألمنشرك بك شيئاً [وقوله تعالى : ﴿ وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾ قال مجاهد وغير واحد ﴿ وما هي ﴾ أي النار التي وصفت ﴿ إلا ذكرى للبشر ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ كلا والقمر والليل إذا أدبر ﴾ أي ولى ﴿ والصبح إذا أسفر ﴾ أي أشرق ﴿ إنها لإحدى الكبر ﴾ أي العظام يعني النار . قاله ابن عباس وغير واحد من السلف ﴿ نذيراً للبشر . لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ﴾ أي لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدي للحق أو يتأخر عنها ويولتي ويردها .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (٣٨) ﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ (٣٩) ﴿ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٤٠) ﴿ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٤١) ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ (٤٢) ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ (٤٣) ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ﴾ (٤٤) ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ (٤٥) ﴿ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (٤٦) ﴿ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ (٤٧) ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (٤٨) ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُغْرِضِينَ ﴾ (٤٩) ﴿ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴾ (٥٠) ﴿ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ (٥١) ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُوتَىٰ صُحُفًا مُنشُورَةً ﴾ (٥٢) ﴿ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴾ (٥٣) ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ ﴾ (٥٤) ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴾ (٥٥) ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ (٥٦) ﴿

يقول تعالى مخبراً أن ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ أي معتقلة بعملها يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره ﴿ إلا أصحاب اليمين ﴾ فإنهم ﴿ في جنات يتساءلون عن المجرمين ﴾

أي يسألون عن المجرمين وهم في غرفات الجنان ، وأولئك في الدركات قائلين لهم : ﴿ ما سلككم في سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين ﴾ أي ما عبدنا ربنا ولا أحسنّا إلى خلقه من جنسنا ﴿ وكنا نخوض مع الخائضين ﴾ أي نتكلم فيما لا نعلم . وقال قتادة : كلما غوى غاوٍ غوينا معه . ﴿ وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين ﴾ يعني الموت . كقوله تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ وقال رسول الله ﷺ : ٥٥١ [أما هو - يعني عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين من ربه] ^(١) قال الله تعالى : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ أي من كان متصفاً بمثل هذه الصفات ، فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة الشافعين . لأن الشفاعة إنما تنجح إذا كان المحل قابلاً ، فأما من وافى الله كافراً يوم القيامة ، فإن له النار لا محالة خالداً فيها . ثم قال تعالى : ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴾ ؟ أي فما هؤلاء الكفرة الذين قبلك عما تدعوهم إليه وتذكّرهم به معرضين . ﴿ كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة ﴾ أي كأنهم في نفارهم عن الحق ، واعراضهم عنه ، حمر من حمر الوحش إذا فرّت ممن يريد صيدها من أسد . وقوله تعالى : ﴿ كلاًّ إنه تذكرة ﴾ أي حقاً أن القرآن تذكرة ﴿ فمن شاء ذكره وما يدكرون إلاّ أن يشاء الله ﴾ كقوله : ﴿ وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ أي هو أهل أن يخاف منه ، وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب . قاله قتادة .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ٥٥٢ [قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ وقال : قال ربكم أنا أهل أن أتقّى فلا يُجعل معي إلهٌ فمن اتقى ان يجعل معي إلهاً كان أهلاً أن أغفر له] رواه أحمد وغيره .

آخر اختصار تفسير سورة المدثر والله الحمد

(١) قلت : وقوله تعالى : (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أي استقم على عبادته كما شرع حتى ينتهي الأجل ويأتيك اليقين أي الموت . وقوله تعالى حكاية عن الكافرين : (وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) أي كان الكفار يكذبون بالعماد والبعث وظلّوا كذلك حتى أتاهم اليقين أي الموت : وقوله صلى الله عليه وسلم « أما هو - يعني عثمان بن مظعون لما توفي - فقد جاءه اليقين من ربه ، أي جاءه الموت ، كل ما تقدم عن الله والرسول في معنى « اليقين » انه الموت . ولكن ما يزال بين المسلمين - من فرق الأئتين والسبعين - من يقول : اليقين : هو المعرفة ... وهي معرفة الإنسان نفسه أنه هو الله ، فتسقط عنه التكاليف لأنه عرف الحقيقة واتضح له بأنه هو الله ، فمن يعبد ؟ ! وهل أحد يعبد نفسه ؟ ! وهكذا دخل الشيطان على هؤلاء فأخرجهم عن الإسلام . وإذا سألت من هؤلاء ؟ أقول : هم أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود اللهم ردهم إلى الحق ، أو عاملهم بما يستحقون .

(٧٥) سُورَةُ الْقِيَامَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا أَرْبَعُونَ

نزلت بعد سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ (١) وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ
اللَّوَّامَةِ ﴿(٢) أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنَّ نَجْمَ عِظَامِهِ﴾ (٣) بَلَىٰ
قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿(٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ
أَمَامَهُ﴾ (٥) يَسْتَلْ أَتَىٰ يَوْمُ الْقِيَمَةِ ﴿(٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ (٧)
وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿(٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ
يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ ﴿(١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ
الْمُسْتَقَرُّ ﴿(١٢) يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (١٣)
بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿(١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ (١٥)

قد تقدم غير مرة أن المقسم عليه إذا كان متنفياً جاز الإتيان بـ ﴿لا﴾ قبل القسم لتأكيد النفي . والمقسم عليه ها هنا ... هو إثبات المعاد والرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الأجساد. ولهذا قال ﴿لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ فأقسم الله تعالى بيوم القيامة وبالنفس اللوامة خلافاً لمن قال أنه تعالى أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة . أما يوم القيامة فمعروف ... وأما النفس اللوامة ، لقد اختلف

المفسرون فيها ... فمن قائل : أن المؤمن يَوْمُ نفسه ، وأن الكافر يمضي في الذنوب قَدْماً ما يعاتب نفسه ! وقال آخرون معاني متقاربة والأشبه بظاهر التزليل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر ^(١) وتندم على ما فات قاله ابن جرير .

وقوله تعالى : ﴿ أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ أي يوم القيامة أيظن أننا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة ... ﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسُوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ أي أيظن الإنسان أننا لا نجمع عظامه ؟ بل سنجمعها وقادرين على أن نسوي بَنَانَهُ أي قدرتنا صالحة لجمعها. وقوله تعالى : ﴿ بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ أي هو الكافر يكذب بيوم الحساب قاله ابن عباس . ولهذا قال بعده ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أي متى القيامة ؟ وإنما سؤاله استبعاداً لوقوعه وتكذيب لوجوده. كما قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ﴿ وَقَالَ تَعَالَىٰ هَٰ هُنَا ﴾ فإذا برق البصر ﴿ أَي حَارٌّ فَيَنْظُرُونَ مِنَ الْفَزَعِ هَكَذَا وَهَكَذَا لَا يَسْتَقِرُّ لَهُمْ بَصَرٌ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ من شدة الرعب والأهوال يوم القيامة . وقوله تعالى : ﴿ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴾ أي ذهب ضوءه ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ قال مجاهد : كَوَّرَا وقوله تعالى : ﴿ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴾ أي يحاول الفرار قائلاً : ﴿ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴾ أي هل من ملجأ أو موئل ... ؟ قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ أي لا نجاة ولا مُعْتَصِم . ولذا قال : ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ أي المرجع والمصير . ثم قال تعالى : ﴿ يَنْبَأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ أي يخبر بجميع أعماله من أولها إلى آخرها . كقوله تعالى : ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾ وقوله ﴿ بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ أي هو شهيد على نفسه عالم بفعله ولو اعتذر وأنكر كما قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ وقوله : ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ أي حجته وقال مجاهد : ولو جادل عنها فهو بصير عليها وهذا هو الصحيح ، ولكن ﴿ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ ﴾ .

﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجْزَلَ بِهِ ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
وَقُرْآنَهُ ﴿ (١٧) فَإِذَا قُرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا
بَيَانَهُ ﴿ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ (٢٠) وَتَذَرُونَ
الْآخِرَةَ ﴿ (٢١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ (٢٣)

(١) قلت : قوله تلوم صاحبها على الخير والشر ... أي تلوم صاحبها لم لم يستزد من فعل الخير ، وتلوم على الشر الذي فعله : ... لم فعله ...؟ وتأمره بالندامة على ما فرط ، وبالاستغفار والتوبة النصوح .

وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٥﴾

هذا تعليم الله عز وجل لرسوله ﷺ في كيفية تلقّيه الوحي من الملك ، فإنه كان يبادره إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له ، وتكفّل الله أن يجمعه في صدره ، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه ، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه . فالحالة الأولى : جمعه في صدره . والثانية : تلاوته . والثالثة : تفسيره وإيضاح معناه . ولهذا قال : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾ أي بالقرآن . كما قال تعالى : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضّى إليك وحيه وقل رب زدني علماً ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ إن علينا جمعه ﴾ أي في صدرك ﴿ وقرآنه ﴾ أي أن تقرأه ﴿ فإذا قرأناه ﴾ أي إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى ﴿ فاتبع قرآنه ﴾ أي فاستمع له ، ثم أقرأه كما أقرأك . ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ أي بعد حفظه وتلاوته ، نبينه لك ونوضحه ، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا .

وقوله تعالى : ﴿ كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ﴾ أي إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزل الله هو : لهُوهم عن الآخرة وحبهم للدنيا . ثم قال تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ أي مشرقة مسرورة ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ أي تراه عياناً . كما رواه البخاري رحمه الله في صحيحه : ٥٥٣ [إنكم سترون ربكم عياناً] وقد تواترت الأحاديث عند أئمة الحديث بما لا يمكن دفعها ولا منعها ؛ لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين : ٥٥٤ [أن ناساً قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : هل تضارّون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب ؟ قالوا لا قال : إنكم ترون ربكم كذلك] . وهناك أحاديث أخرى في الصحيحين وغيرهما ... ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان . ولكن ذكرنا ذلك في مواضع متفرقة من هذا التفسير وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف الأمة ، ومن تأوّل النظر إلى الله تعالى بغير ما ذكر رسول الله ﷺ . وفسّره في حديثه الصادق فقد أبعد النجعة : وإن التأويلات من قوله تعالى : ﴿ كلاّ إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ قال الشافعي رحمه الله تعالى : ما حجب الفجّار إلّا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجلّ وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بما دلّ عليه سياق الآية الكريمة . وهي قوله تعالى : ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ أي تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق .

وقوله تعالى : ﴿ ووجوه يومئذ باسرة . تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾ هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة أي كالحة عابسة . ﴿ تظن ﴾ أي تستيقن ﴿ أن يفعل بها فاقرة ﴾ أي تستيقن أنها هالكة . وهذا المقام كقوله تعالى : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ .



﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الرَّاقِي ﴾ (٢٦) ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ (٢٧) ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ (٢٨) ﴿ وَالتَّتَفَّ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ (٢٩) ﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ (٣٠) ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴾ (٣١) ﴿ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴾ (٣٢) ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴾ (٣٣) ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ (٣٤) ﴿ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ (٣٥) ﴿ أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (٣٦) ﴿ أَلَمْ يَكُ نُفُفَةً مِّن مِّنِي يُنْفَى ﴾ (٣٧) ﴿ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴾ (٣٨) ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الْزُّوْجَيْنِ الْاَلَّذَكَرَ وَالْاُنْثَى ﴾ (٣٩) ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ (٤٠) ﴿

ينحبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال — ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت — فقال تعالى : ﴿ كلا إذا بلغت الرّاقى ﴾ أي إذا انتزعت الروح من الجسد وبلغت الرّاقى والرّاقى جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ﴿ وقيل من راق ﴾ أي من طيب شاف ومن راق يرقى ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ هما الساقان اذا التفتا في الكفن . وقوله تعالى : ﴿ إلى ربك يومئذ المساق ﴾ أي المرجع والمآب . وذلك أن الروح ترفع إلى السموات ، فيقول الله عز وجل : ٥٥٥ [ردّوا عبي إلى الأرض فإني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى] . كما ورد في حديث البراء الطويل .

وقوله جل وعلا ﴿ فلا صدق ولا صليّ . ولكن كذب وتولى ﴾ . هو إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذباً للحق بقلبه ، متولياً عن العمل بقلبه ، فلا خير فيه باطناً ولا ظاهراً . ﴿ ثم ذهب إلى أهله يتمطى ﴾ أي جذلان اشراً بطراً

كسلاناً ، لا همة له ولا عمل ، كما قال تعالى : ﴿ وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ﴾ ويتمطى أي يختال ويتبختر . وقوله تعالى : : ﴿ أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى ﴾ . وعيد على أثر وعيد من الله تعالى للكافر المتبختر في مشيه . كقوله تعالى : ﴿ كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ﴾ . -

روى ابن أبي حاتم عن موسى بن أبي عائشة قال : سألت سعيد بن جبير قلت : ﴿ أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى ﴾ قال : ٥٥٦ [قاله النبي ﷺ لأبي جهل ثم أنزله الله عز وجل] . ورواه النسائي وقوله تعالى : ﴿ أحسب الانسان أن يترك سدى ﴾ أي لا يترك في هذه الدنيا هملًا لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور منه في الدنيا ، محشور إلى الله في الدار الآخرة ، والمقصود هنا اثبات المعاد ، والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد . ولهذا قال تعالى مستدلاً على الإعادة بالبداة... فقال تعالى : ﴿ ألم يك نطفة من مني يُمْنى ﴾ أي أما كان الانسان نطفة ضعيفة من ماء مهيّن يُمْنى : يراق من الأصلاب ويصب في الأرحام . ﴿ ثم كان علقة فخلق فسوى ﴾ أي فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح ، فصار خلقاً آخر سويًا سليم الأعضاء ، ذكراً أو أنثى بإذن الله وتقديره . ولهذا قال تعالى : ﴿ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ . أي أما هذا الذي أنشأ الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه . ولا شك أن تناول القدرة للإعادة بطريق الأولى بالنسبة إلى البداة .

وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى أحد الصحابة أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن فإذا قرأ : ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ قال ٥٥٧ [سبحانهك اللهم فبكى] ، فسئل عن ذلك فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك [ورواه أبو داود بنحوه ولم يسم الصحابي ولا يضر ذلك . وروى أبو داود عن أبي هريرة يقول قال رسول الله ﷺ : ٥٥٨ [من قرأ منكم « بالتين والزيتون » فانتهى إلى آخرها : ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ فليقل : بلى وإنّا على ذلك من الشاهدين . ومن قرأ : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ فانتهى إلى قوله : ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ فليقل : بلى . ومن قرأ « المرسلات » فبلغ ﴿ فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ . فليقل : آمنا بالله [ورواه أحمد والترمذي . آخر اختصار تفسير سورة القيامة . والحمد لله وله المنة .

(٧٦) سُورَةُ الْإِنْسَانِ مَلَكُوتِهِ وَأَيَّانَهَا أَخَذَى وَتَلَاوُنَ

نزلت بعد سورة الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ * (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا * (٣) ﴿

روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ: ٥٥٩ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿الم تنزيل﴾ السجدة و ﴿هل أتى على الإنسان﴾ .

ويخبر تعالى عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً يذكر لحقارته وضعفه. فقال تعالى : ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ ثم بين ذلك فقال جل جلاله : ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة . وقوله تعالى : ﴿نبتيه﴾ أي نختبره ﴿فجعلناه سميعاً بصيراً﴾ أي جعلنا له سمعاً وبصراً يساعده على طاعة الله أو معصيته وقوله تعالى : ﴿إنا هديناه السبيل﴾ أي بيناه ووضحناه كقوله تعالى : ﴿وهديناه النجدين﴾ أي بيننا طريق الخير وطريق الشر . ومن رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٦٠ [كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً] . وروى

الامام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ٥٦١ [ما من خارج يخرج إلاّ ببابه رايتان : راية بيد ملك وراية بيد شيطان فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته . وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته] .

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾ (٤)
 ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ (٥) عَيْنًا
 يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿ (٦) يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ
 وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿ (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى
 حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿ (٨) إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ
 مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿ (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَّوسًا
 قَمْطَرِيرًا ﴿ (١٠) فَوَقَّاهُمْ اللَّهُ شَرًّا ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً
 وَسُرُورًا ﴿ (١١) وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿ (١٢) ﴿

يخبر تعالى عما أُرصد للكافرين من السلاسل والأغلال والسعير في جهنم ، ولما ذكر ما أعدّه هؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده : ﴿ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ﴾ ومعلوم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذابة في الجنة قال الحسن : برد الكافور في طيب الزنجبيل ولهذا قال : ﴿ عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ﴾ أي هذا المزيج هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله ويروون بها . ولهذا ضمن يشرب معنى يروى حتى عداه بالباء ونصب عينا على التمييز . وقوله تعالى : ﴿ يفجرونها تفجيرا ﴾ أي يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم .

وقوله تعالى : ﴿ يوفون بالأنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ﴾ أي يتعبدون الله بالطاعات الواجبات بأصل الشرع وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر قال عليه الصلاة والسلام ٥٦٢ [من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه] رواه

البخاري من حديث مالك ويتركون المحرمات خيفةً من سوء الحساب يوم المعاد ذي الشرّ المنتشر العام على الناس إلاّ من رحم الله . وقوله تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ أي يطعمون الطعام في حال محتتهم له وشهوتهم . كقوله تعالى : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وفي الصحيح : ٥٦٣ [أفضل الصدقة أن تصدّق وأنّ صحيح شحيح تأمل الغني وتخشى الفقر] أي في حال محبّتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه . ولهذا قال : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما ^(١) وصفتهما : والأسير هو اسم مشترك للأسير المسلم والمشرّك . وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة . وقد وصّى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث حتّى أنّه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول ٥٦٤ [الصلاة وما ملكت أيما نكم] ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾ أي رجاء ثواب الله ورضاه ﴿ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ أي لا نطلب منكم مجازاةً تكافؤوننا بها ولا أن تشكرونا عند الناس ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ أي إنّما نفعل هذا لعلّ الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطير . قال ابن عباس : عبوساً ضيقاً قمطيراً طويلاً وقال ابن جرير وذلك أشدّ الأيام وأطولها في البلاء والشدة . قال تعالى : ﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ أي آمنهم بما خافوا منه ﴿ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ نضرة في وجوههم وسروراً في قلوبهم وذلك ان القلب اذا سرّ استنار الوجه . وقوله تعالى : ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا ﴾ أي بسبب صبرهم أعطاهم ونوّلهم وبوأهم جنةً وحريراً ، أي منزلاً رجباً وعيشاً رغداً ولباساً حسناً . وقد قرئت هذه الآية على أبي سليمان الداراني قال : إنّما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا .

﴿ مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ (١٣) ﴿ وَذَانِيَّةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذَلَّلَتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ﴾ (١٤) ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴾ (١٥) ﴿ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ (١٦) ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴾ (١٧) ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ﴾ (١٨) ﴿ وَيَطُوفُ



عَلَيْهِمْ وَلِدَانٌ مُّخْلَدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْثُوا مَنثوراً * (١٩)
وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً * (٢٠) عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَامُ رَبِّهِمْ شَرَاباً
ظَهُوراً * (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ
مَشْكُوراً * (٢٢)

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما آتاهم من الفضل العميم فقال تعالى : ﴿ متكئين فيها على الأرائك ﴾ الاتكاء : التمرق . والأرائك هي السرر تحت الحجال . وقوله تعالى : ﴿ لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ﴾ أي لا حر مزعج ولا برد مؤلم ، بل هي مزاج واحد دائم سرمدى لا يبغيون عنها جولا . ﴿ ودانية عليهم ظلالها ﴾ أي قريبة إليهم أغصانها . ﴿ وذلت قطوفها تذليلاً ﴾ أي متى تعاطاه ، دنا القطف إليه . كقوله تعالى : ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب ﴾ أي يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من فضة وأكواب الشراب قوارير من فضة أي بياض الفضة في صفاء الزجاج يرى ما في باطنها من ظاهرها وهذا مما لا نظير له في الدنيا ، وعن ابن عباس : ليس في الجنة شيء إلا وقد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة . رواه ابن أبي حاتم . وقوله تعالى : ﴿ قدروها تقديرأ ﴾ أي على قدر ريتهم أي لا تزيد عن ربي صاحبها ولا تنقص . وقوله تعالى : ﴿ ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً ﴾ فتارة يخرج لهم الشراب بالكافور البارد وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر أي للأبرار أما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً وقوله تعالى : ﴿ عيناً فيها تسمى سلسيلاً ﴾ سميت بذلك لسلاسة سيلها وحدة جريها وسلاستها في الخلق . وقوله تعالى : ﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لوثوا منشوراً ﴾ أي يطوف عليهم من ولدان الجنة للخدمة ﴿ مخلدون ﴾ أي على حالة واحدة ، ولا يتغيرون عنها ولا تزيد أعمارهم وقوله تعالى : ﴿ إذا رأيتهم حسبتهم لوثوا منشوراً ﴾ أي إذا رأيتهم منتشرين في قضاء حوائج السادة وحسنهم في وجوههم وصباحتهم كأنهم اللؤلؤ المنشور على المكان الحسن . وقوله جل جلاله : ﴿ وإذا رأيت ﴾ أي وإذا رأيت يا محمد ﴿ ثم ﴾ أي هناك في الجنة

ونعيمها وما فيها من السرور ﴿ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً ﴾ أي مملكة لله هناك عظيمة وسلطاناً باهراً . وثبت في الصحيح ٥٦٥هـ [أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً إليها إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها] .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٦٦هـ [إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أذناه] .

وقوله جل جلاله ﴿ عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق ﴾ أي لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم ، والاستبرق منه ما فيه بريق ولمعان ، وهو مما يلي الظاهر كما هو المعبود في اللباس . ﴿ وحلّوا أساور من فضة ﴾ وهذه صفة الأبرار ، وأما المقرّبون . فكما قال تعالى : ﴿ يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴾ ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده ﴿ وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ﴾ أي طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة . وقوله تعالى : ﴿ إن هذا كان لكم جزاء ﴾ وكان سعيكم مشكوراً أي يقال لهم ذلك تكريماً لهم وإحساناً إليهم . كما قال تعالى ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ وقوله تعالى ﴿ وكان سعيكم مشكوراً ﴾ أي جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾ • (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آيْئاً أَوْ كُفُوراً • (٢٤) وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً • (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً • (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا • (٢٧) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا • (٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا • (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا • (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا • (٣١)

يَمُنُّ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ بِمَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ تَنْزِيلًا ﴿١﴾ فَاصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴿٢﴾ أَيُّ فَاصِبٍ عَلَى قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ، وَإِنَّهُ سَيُدَبِّرُكَ بِحَسَنِ تَدْبِيرِهِ . ﴿٣﴾ وَلَا تَطْعُ مِنْهُمْ
أَتَمًّا أَوْ كَفُورًا ﴿٤﴾ أَيُّ لَا تَطْعُ مِنْ أَرَادُوا صَدَّكَ عَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ، بَلْ بَلَغَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ الْفَاجِرِينَ فِي أَعْمَالِهِمْ ، وَالْكَافِرِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
﴿٥﴾ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٦﴾ أَيُّ أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ ﴿٧﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ
وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٨﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ
مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿١٠﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿١١﴾ إِنَّ هَؤُلَاءَ يَجْعَلُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿١٢﴾
أَيُّ هَؤُلَاءِ الْكَافِرَاتِ يَحِبُّونَ الدُّنْيَا وَيُهْرِجُهَا وَيَذْرُونَ الْآخِرَةَ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿١٣﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ
وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴿١٤﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيُّ خَلَقْنَاهُمْ ﴿١٥﴾ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَثْمَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿١٦﴾ أَيُّ أَتَيْنَا
بِقَوْمٍ آخَرِينَ غَيْرِهِمْ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ ﴿١٨﴾ يَعْنِي هَذِهِ السُّورَةُ تَذَكُّرَةٌ ﴿١٩﴾ فَمَنْ
شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ أَيُّ مَنْ شَاءَ اهْتَدَى بِالْقُرْآنِ ﴿٢١﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿٢٢﴾
أَيُّ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَهْدِيَ نَفْسَهُ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ أَيُّ عَلِيمٌ
بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهُدَايَةَ فَيَهْدِيهَا لَهُ ، وَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْغَوَايَةَ فَيَصْرِفُ عَنْهُ الْهُدَى وَلَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ (١) .
وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى ﴿٢٧﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ
وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٨﴾ أَيُّ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَمَنْ يَهْدِهِ فَلَا مُضِلَّ لَهُ
يُضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ .

آخر اختصار تفسير سورة الانسان والله الحمد والمنة .

(١) قلت : ان الذي يستحق من الله الهداية ، هو من سعى لها وأخلص النية ، حتى يعلم الحق . فمثل هذا مستحق
لهداية الله ، أما من غوى وأمن في غوايته ، ولم يفتش عن الحق حتى يلقاه ، فيجازيه الله بصرفه عن الهدى جزاءً
وفاقاً كقوله تعالى : « فَمَا مِنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنِ فَسَنِيرُهُ لِلْغُيُورِ . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَبَ
بِالْحُسْنِ فَسَنِيرُهُ لِلْعُورِ » وكقوله تعالى « وَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ » . والله الحجة البالغة ولا يظلم ربك أحداً .

(٧٧) سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا خَمْسُونَ

إِلَّا آيَةُ ٤٨ فَمَدَنِيَّةٌ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْهُمَزَةِ

روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ٥٦٧ [بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ في غارِ بني إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ فَإِنَّهُ لَيَتْلُوهَا وَإِنِّي لَأَتْلُقَاهَا مِنْ فِيهِ وَإِنْ فَاهُ لِرَطْبٍ بِهَا . إِذْ وَثِبْتُ عَلَيْنَا حَتَّى فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « أَقْتُلُوهَا » فَابْتَدَرْنَاهَا فَذَهَبَتْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « وَقَيْتُ شَرْكَكُمْ كَمَا وَقَيْتُمْ شَرْهَآ » وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

وعن ابن عباس ٥٦٨ [أَنَّ أُمَّ الْفَضْلِ سَمِعَتْهُ يَقْرَأُ ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ فَقَالَتْ يَا بُنَيَّ أَذْكَرْتَنِي بِقِرَاءَتِكَ هَذِهِ السُّورَةَ لِأَنَّهَا لِآخِرِ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهَا فِي الْمَغْرِبِ] أَخْرَجَاهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ * (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا * (٢)
وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا * (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ
ذِكْرًا * (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا * (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعُ * (٧)
فَإِذَا الْنُجُومُ طُمِسَتْ * (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * (٩) وَإِذَا
الْجِبَالُ نُسِفَتْ * (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِتَتْ * (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ
أُجِّلَتْ * (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ * (١٣) وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ * (١٤)
وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * (١٥)

قد اختلف المفسرون من الصحابة والتابعين وغيرهم ... فمن قال : ﴿ والمرسلات عرفاً ^(١) ﴾ هي الملائكة . ومن قال : ان المرسلات ، والعاصفات ، والناشرات هي الرياح أما الفارقات والملقيات فلم يحجر اختلاف في أنها الملائكة ، ومن قال أنها جميعاً هي الملائكة . والأظهر أن المرسلات هي الرياح كما قال تعالى : ﴿ وارسلنا الرياح لواقح ﴾ وهكذا العاصفات هي الرياح وكذا الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب ، كما يشاء الله ^(٢) . وقوله تعالى : ﴿ فالفارقات فرقا . فالملقيات ذكراً أو نذراً ﴾ يعني الملائكة ولا خلاف ههنا فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل وتلقى الى الرسل وحياً فيه إعدار الى الخلق وإنذار لهم من عقاب الله ان خافوا أمره .

وقوله تعالى : ﴿ إن ما توعدون لواقع ﴾ هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام أي ما وعدتم به من قيام الساعة والبعث والحساب والجزاء والعقاب ، واقع لا محالة . ثم قال : ﴿ فإذا النجوم طمست ﴾ أي ذهب ضوءها كقوله تعالى : ﴿ وإذا الكواكب انتثرت ﴾ أي انشقت ووهت أطرافها ﴿ وإذا السماء فرجت ﴾ أي انفطرت ﴿ وإذا الجبال نسفت ﴾ أي ذهب بها فلا عين ولا أثر ﴿ وإذا الرسل أقتت ﴾ أي جمعت كقوله ﴿ يوم يجمع الله الرسل ﴾ وقوله ﴿ لأي يوم أجلت . ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل . ويل يومئذ للمكذبين ﴾ يقول تعالى لأي يوم أجلت الرسل وأرجىء أمرها حتى تقوم الساعة . كقوله تعالى : ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ﴾ وقوله تعالى ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ أي ويل لهم من عذاب الله غداً .

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾ * (١٦) ﴿ ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ ﴾ * (١٧)
﴿ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ * (١٨) ﴿ وَيَلُوكَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ * (١٩)
﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ * (٢٠) ﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ * (٢١)

(١) أي ترسل بالمعروف .

(٢) قلت : هذا ما رجحه الحافظ ابن كثير رحمه الله ، ولكن أراني مع من ذهب إلى أنها جميعاً الملائكة من وجوه ١ - هذه الصفات الواردة هي إلى صفات الملائكة أقرب ٢ - لا مناسبة بين الرياح والملائكة في موضوع القسم . ٣ - ليس هناك من فارق يفصل الصفات الثلاث الأولى عن الصفتين الأخيرتين ، ليعلم أنهما لموصوفتين . ٤ - توالي فآت التعقيب يدل على ان الموصوف شيء واحد . وإن كل صفة موصحة لما قبلها إلى أن تأتي الصفتان المتفق عليهما أنها الملائكة . ٥ - ان أكثر المرجحين على أنها الملائكة حتى ان الذين قالوا أنها الرياح ... منهم من توقف وتردد بين القولين ... والله تعالى أعلم ، وهو الموافق للصواب .

إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ * (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ * (٢٣) وَيَلُومُ
يَوْمَئِذٍ الْمُكْذِبِينَ * (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * (٢٥) أَحْيَاءَ
وَأَمْوَاتًا * (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَاخِحَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً
فُرَاتًا * (٢٧) وَيَلُومُ يَوْمَئِذٍ الْمُكْذِبِينَ * (٢٨) ﴿٢٨﴾

يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ نَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾ يعني من المكذبين للرسول ﴿ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ ﴾ أي من أشبههم . ولهذا قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ . ويل يومئذ للمكذبين ﴿ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُنْتَأً عَلَى خَلْقِهِ وَمَحْتَجًّا عَلَى الْإِعَادَةِ بِالْبَدَاءِ : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ أي ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة الباري عز وجل ﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ يعني جمعه في الرحم وهو قرار الماء من الرجل والمرأة ، والرحم معدة لذلك ، حافظ لما أودع فيه من الماء . وقوله تعالى : ﴿ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ إلى مدة معينة من ستة أشهر^(١) أو تسعة أشهر . ولهذا قال تعالى : ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ . ويل يومئذ للمكذبين ﴿

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا . أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴾ كفاتاً . قال الشعبي بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَاخِحَاتٍ ﴾ يعني الجبال ، ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴾ أي ماء عذبا زلالا ﴿ وَيَلُومُ يَوْمَئِذٍ الْمُكْذِبِينَ ﴾ أي لمن يستمر بعد هذا البيان على تكذيبه وكفره .

﴿ انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ * (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَى
ظُلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْآلِهَةِ * (٣١)
إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ * (٣٣) وَيَلُومُ
يَوْمَئِذٍ الْمُكْذِبِينَ * (٣٤) هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ * (٣٥) وَلَا
يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ * (٣٦) وَيَلُومُ يَوْمَئِذٍ الْمُكْذِبِينَ * (٣٧)
هَذَا يَوْمٌ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ * (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ
كَيْدٌ فَكِيدُوا * (٣٩) وَيَلُومُ يَوْمَئِذٍ الْمُكْذِبِينَ * (٤٠) ﴿٤٠﴾

يخبر تعالى عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار ، أنهم يقال لهم يوم القيامة ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون . انطلقوا إلى ظلٍّ ذي ثلاث شعب ﴾ يعني لهب النار إذا ارتفع يكون له من شدته ثلاث شعب ﴿ لا ظليل ولا يغني من اللهب ﴾ أي ظلّ الدخان لا ظليل هو في نفسه ، ولا يقيهم حر اللهب . وقوله تعالى : ﴿ إنها ترمى بشررٍ كالقصر ﴾ أي يتطاير الشرر من لهبها كالقصر ﴿ كأنه جمالة صفر ﴾ أي كالإبل السود ﴿ ويلٌ يومئذٍ للمكذبين ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ هذا يوم لا ينطقون ﴾ أي لا يتكلمون ﴿ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ أي لا يقدرّون على الكلام ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا ، بل قد قامت عليهم الحجة فهم لا ينطقون . وعرضات يوم القيامة حالات ، والرب تعالى يخبر عن هذه الحالات ، ليدل على شدة الأهوال والزلازل يومئذٍ . ولهذا يقول بعد كلّ فصل من هذا الكلام ﴿ ويل يومئذٍ للمكذبين ﴾

وقوله تعالى : ﴿ هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين . فإن كان لكم كيدٌ فكيّدون ﴾ وهذا تهديد شديد ووعد أكيد، أي إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضي وتنجوا من حكمي فافعلوا ، فإنكم لا تقدرّون على ذلك . كما قال تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان ﴾ وفي الحديث ٥٦٩ [يا عبادي إنكم لن تبلغوا نقعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضرّوني]

- ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾ (٤١) ﴿ وَفَوَاحٍ مِّمَّا يَشْتَبُونَ ﴾ (٤٢) ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣) ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤٤) ﴿ وَيَلُوكَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٤٥) ﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ ﴾ (٤٦) ﴿ وَيَلُوكَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٤٧) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾ (٤٨) ﴿ وَيَلُوكَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٤٩) ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥٠)

يخبر تعالى عن عبادہ المتقين الذين عبدوه بإدائهم الواجبات ، وترك المحرمات ، إنهم يكونون يوم القيامة في جنّاتٍ وعيون . ﴿ وفواكه مما يشتهون ﴾ أي من سائر أنواع الثمار ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ﴾ أي يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم . ثم قال تعالى : ﴿ إنّنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ أي هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل ﴿ ويل يومئذ للمكذّبين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ كلوا وتمتعوا قليلاً إنّكم مجرمون ﴾ خطاب للمكذّبين بيوم الدين وأمرهم أمر تهديد ووعيد . أي تمتعوا مدّة قليلة ثم تساقون إلى نار جهنم ﴿ ويل يومئذ للمكذّبين ﴾ كما قال تعالى : ﴿ تمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ﴾ أي إذا أمروا بالصلاة امتنعوا واستكبروا ولهذا قال تعالى : ﴿ ويل يومئذ للمكذّبين ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ فبأيّ حديث بعده يؤمنون ﴾ كقوله ﴿ فبأيّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون ﴾ ؟ أي إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأيّ كلام يؤمنون به .

روى ابن أبي حاتم بسنده إلى أبي هريرة ٥٧٠ هـ [انه اذا قرأ والمرسلات عرفاً - فقرأ - ﴿ فبأيّ حديث بعده يؤمنون ﴾ فليقل : آمنت بالله وبما أنزل] .

آخر اختصار تفسير سورة المرسلات والله الحمد والمنة .

وبه العصمة ، وعليه التّكّلان .

(٧٨) سُورَةُ النَّبَأِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا أَنْبِئُونَا

نزلت بعد سورة المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * (١) عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ * (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ * (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا * (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا * (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَبَّاجًا * (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا * (١٦)

يتكرر تعالى على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة ، وهو النبأ العظيم ﴿ الذي هم فيه مختلفون ﴾ أي الناس فيه على قولين : مؤمن به وكافر . ثم قال متوعداً لمنكري القيامة : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ وهذا تهديد شديد ووعداً كيد . ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة ، والأمور العجيبة . الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره . فقال : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾ أي مهددة للخلائق ، ذلولاً لهم ، قارة ساكنة . ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ أي جعل لها أوتاداً أرساها بها حتى سكنت ، ولم تضطرب بمن عليها . ثم قال تعالى : ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ يعني ذكراً وأنثى يتمتع كل منهما بالآخر ، ويحصل التناسل بذلك . كقوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ

أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمة ﴿١﴾ وقوله تعالى : ﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾ أي قطعاً للحركة لتحصل الراحة ، من كثرة الترداد والسعي في المعاش ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ أي سكتاً. وقوله تعالى : ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ أي جعلناه مشرقاً مضيئاً، ليتصرف الناس في معاشهم جيئةً وذهاباً. ﴿وبنينا فوقكم سبْعاً شداداً﴾ يعني السموات السبع في اتساعها وارتفاعها وإحكامها وتزيينها . بالكواكب والسيارات ولهذا قال تعالى : ﴿وجعلنا سراجاً وهاجاً﴾ يعني الشمس المنيرة على جميع العالم . وقوله تعالى : ﴿وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً﴾ أي من السحاب التي تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد ، كما يقال : امرأة معصر ، إذ دنا حيضها ولم تحض بمو قيل الرياح . والأظهر أن المراد بالمعصرات السحاب . كما قال تعالى : ﴿الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله﴾ أي من بينه . وقوله تعالى ﴿ماءً ثجاجاً﴾ أي منصباً متتابعاً كثيراً . ومنه قوله ﷺ : ٥٧١ [أفضل الحج : العج والثج] يعني صبّ دماء البدن . وقوله تعالى : ﴿لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً﴾ أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك ، ﴿حباً﴾ يدخر للأناسي والأنعام ﴿ونباتاً﴾ أي خضراً يؤكل رطباً ﴿وجنات﴾ حدائق من ثمرات متنوعة ، وألوان مختلفة ، وطعوم وروائح متفاوتة . ﴿والألفاف﴾ أي مجتمعة .

﴿١﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً • (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً • (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً • (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً • (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً • (٢١) لِلطَّاغِينَ مَابَأ • (٢٢) لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَاباً • (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَاباً • (٢٤) إِلَّا حِمِيًا وَغَسَقًا • (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا • (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً • (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَاباً • (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً • (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً • (٣٠) ﴿١﴾

يخبر تعالى عن يوم الفصل وهو يوم القيامة أنه مؤقت بأجل معدود لا يزداد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته على التعيين : إلا الله عز وجل. كما قال تعالى : ﴿وما تؤخره إلا﴾

لأجل معدود ﴿﴾ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ﴿﴾ قال مجاهد : زُمرًا زُمرًا . قال ابن جرير : يعني تأتي كل أمة مع رسولها ﴿﴾ وفُتِحت السماء فكانت أبواباً ﴿﴾ أي طرقاً ومسالك لنزول الملائكة ﴿﴾ وسيرت الجبال فكانت سراباً ﴿﴾ كقوله تعالى : ﴿﴾ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ﴿﴾ وكقوله تعالى : ﴿﴾ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴿﴾ وقال ههنا ﴿﴾ فكانت سراباً ﴿﴾ أي يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء . وبعد هذا تذهب بالكلية ، فلا عين ولا أثر . كما قال تعالى : ﴿﴾ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً ﴿﴾ وقوله تعالى : ﴿﴾ إن جهنم كانت مرصاداً ﴿﴾ أي مرصدة معدة ﴿﴾ للطاغين ﴿﴾ وهم المردة العصاة ، المخالفون للرسول . ﴿﴾ مآباً ﴿﴾ أي مرجعاً ونزلاً . وقال سفيان الثوري عليها ثلاث قناطر .

وقوله تعالى : ﴿﴾ لا بئين فيها أحقاباً ﴿﴾ أي ما كثر فيها أحقاباً . هي جمع حقب أي مدة من الزمن ، وقد اختلفوا في مقداره ؛ قال علي بن أبي طالب لهلال الهجري : ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل ؟ قال : نجده ثمانين سنة ، كل سنة اثنا عشر شهراً ، كل شهر ثلاثون يوماً ، كل يوم ألف سنة . وروى ابن أبي حاتم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿﴾ لا بئين فيها أحقاباً ﴿﴾ قال : فالحقب شهر والشهر ثلاثون يوماً والسنة اثنا عشر شهراً والسنة ثلاثمائة وستون يوماً كل يوم منها ألف سنة مما تعدون فالحقب ثلاثون ألف سنة ، وهذا حديث منكر جداً ... والقاسم هو والزواوي عنه وهو جعفر ابن الزبير كلاهما متروك . والصحيح أنها لا انقضاء لها كما قال قتادة والربيع بن أنس فهي أحقاب ليس لها عدة إلا الخلود في النار ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿﴾ لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً ﴿﴾ أي لا يجدون في جهنم برداً لقلوبهم ولا شراباً طيباً يتغذون به . ولهذا قال تعالى : ﴿﴾ إلا حميماً وغساقاً ﴿﴾ فأما الحميم فهو الحار الذي بلغ منتهى حره وحموه ، والغساق : هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم ، وجروحهم فهو بارد لا يستطيع من برده ولا يواجه من نثنه . وقد

(١) قلت : إن ذكر الأحقاب هنا ... ليست معنية الذات والعدد ، إنما هي كناية عن الخلود أبداً في النار للطاغين الكافرين الذين كذبوا بآيات الله ويوم الحساب . فهذه صفات الكافرين الخالدين في جهنم . وإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، بل عذاب أبدي لا ينتهي ولا ينقضي . « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » .

قدمنا الكلام على الفساق في سورة ﴿ص﴾ بما أغنى عن إعادته أجارنا الله من ذلك بمنه وكرمه ^(١).

وقوله تعالى : ﴿جزاءً وفاقاً﴾ أي هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة، وفق أعمالهم الفاسدة، التي كانوا يعملونها في الدنيا . ثم قال تعالى : ﴿لأنهم كانوا لا يرجون حساباً﴾ أي لم يكونوا يعتقدون أن ثمّ داراً يجازون فيها ويحاسبون ﴿وكذبوا بآياتنا كذباً﴾ أي وكانوا ، يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه، التي أنزلها على رسله صلى الله على نبينا وعليهم وسلم ، فيقابلونها بالكذب والمعاندة . وقوله : ﴿كذاباً﴾ أي تكذبياً .

وقوله تعالى : ﴿وكل شيء أحصيناه كتاباً﴾ أي وقد علمنا أعمال العباد كلهم ، وكتبناها عليهم وسنجزئهم على ذلك بما يستحقون . وقوله تعالى : ﴿فدوقوا فلنزيدكم إلاّ عذاباً﴾ أي هم في المزيد من العذاب أبداً .

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً﴾ (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً ﴿ (٣٢)
وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً ﴿ (٣٣) وَكَأْساً دِهَاقاً ﴿ (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا
لَغْواً وَلَا كِذَاباً ﴿ (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً ﴿ (٣٦)

يقول تعالى : خبراً عن السعداء ، وما أعدّ لهم سبحانه من الكرامة والنعيم المقيم . فقال تعالى : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً﴾ قال ابن عباس : منتزهاً لأنه قال بعده : ﴿حدائق﴾ أي البساتين ﴿وأعناباً﴾ وكواعب أتراباً ﴿أي وحوراً كواعب أي نواهد لم يتدليّن لأنهن أبكارٌ عرب أتراب أي في سن واحد . وقوله تعالى : ﴿وكأساً دهاقاً﴾ أي مترعة متتابعة ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذَاباً﴾ كقوله تعالى : ﴿لا لغو فيها ولا تأثيم﴾ أي ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ، ولا اثم كذب بل هي دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص . وقوله : ﴿جزاءً من ربك عطاءً حساباً﴾ أي هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به ، وأعطاهم بفضلهم ومنه وإحسانه ورحمته ﴿عطاءً حساباً﴾ أي كافياً ومنه حملي الله أي : الله كافٍ .

(١) قلت : الفساق الذي تقدم ذكره في سورة «ص» لا يخرج معناه عما ورد هنا إجمالاً أي : لا يستطاع برده ولا يواجه نته .

﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ (٢٧) ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ (٣٨) ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴾ (٣٩) ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ (٤٠) ﴿

ينظر تعالى عن عظمته وجلاله وأنه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء . وقوله تعالى : ﴿ لا يملكون منه خطابا ﴾ أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه . كقوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون ﴾ اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا ، ما هو ؟ على أقوال : (أجدها) انهم أرواح بني آدم . (الثاني) هم بنو آدم (الثالث) خلق ليسوا بني آدم إنما هم على صورتهم (الرابع) انه جبريل عليه السلام (الخامس) أنه القرآن .

وقوله تعالى : ﴿ إلا من أذن له الرحمن ﴾ وثبت في الصحيح انه : ٥٧٢ [ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل] وقوله تعالى : ﴿ وقال صوابا ﴾ اي قال حقاً وقوله تعالى : ﴿ ذلك اليوم الحق ﴾ أي الكائن لا محالة ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربّه مآباً ﴾ اي مرجعاً وطريقاً . وقوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ يعني يوم القيامة لتأكيد وقوعه صار قريباً . ﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ﴾ أي يعرض عليه جميع أعماله خيرا وشرا كقوله تعالى ﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾

﴿ ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ﴾ وردت بعض آثار عن أبي هريرة ، وعبدالله ابن عمرو وغيرهما : ان ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات حتى انه يقتص للشاء الجماء من القرناء وإذا فرغ قال لها : كوني ترابا ، فتصير تراباً ، فيتمنى الكافر عند ذلك أن يكون تراباً ويقول : ﴿ يا ليتني كنت ترابا ﴾ وقد ورد هذا المعنى في حديث الصور المشهور . والله أعلم .

(١) قلت : واني أرجح القول الرابع أي انه جبريل عليه السلام فإن من أسمائه الروح لا سيما وذكره مع الملائكة يقوي الترجيح الذي اعتمدناه والله تعالى أعلم .

(٧٩) سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا سِتُّ وَارْبَعُونَ

نزلت بعد سورة النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ (١) ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ (٢) ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ (٣) ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ (٤) ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ (٥) ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ (٦) ﴿تَتَّبِعَهَا الرَّادِفَةُ﴾ (٧) ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (٨) ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ (٩) ﴿يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ (١٠) ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا تَخْرُةً﴾ (١١) ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ (١٢) ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٣) ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١٤)

﴿والنازعات غرقاً﴾ الملائكة حين تنزع أرواح الكفار من بني آدم تغرق في النار ﴿والناشطات نشطاً﴾ حين تنزع أرواح المؤمنين برفق كأنما حلتها من نشاط ﴿والسابحات سبحاً﴾ ﴿فالسابقات سبقاً﴾ (١) ﴿فالمُدبرات أمراً﴾ هي الملائكة تدبّر الأمر بإذن الله من السماء إلى الأرض . وقوله تعالى : ﴿يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة﴾ وقال ابن عباس : هما النفختان الأولى والثانية وعن مجاهد . أما الأولى وهي قوله جل وعلا ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ والثانية وهي الرادفة فهي كقوله تعالى ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا

(١) قال في الجلالين : تسبح من السماء بأمر الله أي تنزل . (٢) أي انها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة .

دكة واحدة ﴿ وروى الترمذي وابن أبي حاتم ٥٧٣ ﴾ [كان رسول الله ﷺ اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه] .
وقوله تعالى : ﴿ قلوب يومئذ واجفة ﴾ اي خائفة ﴿ أبصارها خاشعة ﴾ أي أبصار أصحابها ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال . وقوله تعالى : ﴿ أثنا لمردودون في الحافرة ﴾ يعني مشركي قريش ومن قال بقولهم ، في إنكار المعاد بعد تمزّق أجسادهم وتفتت عظامهم في القبور . ﴿ قالوا تلك إذا كرة خاسرة ﴾ أي قالت قريش لأن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن . قال الله تعالى : ﴿ فإنما هي زجرة واحدة . فإذا هم بالساهرة ﴾ اي فإنما هو أمر الله تعالى يأمر إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث ، فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب عز وجل ينظرون . وقال تعالى : ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فإذا هم بالساهرة ﴾ قيل بالساهرة اقوال مختلفة والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى كما قال مجاهد : كانوا بأسفلها فأخرجوا الى أعلاها .

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ • (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى • (١٦) إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى • (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى • (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى • (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى • (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى • (٢١) ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى • (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى • (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى • (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى • (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى • (٢٦)

قوله تعالى : ﴿ هل أتاك حديث موسى ﴾ أي هل سمعت بخبره ﴿ اذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى ﴾ وهو اسم الوادي على الصحيح كما تقدم في سورة طه ﴿ اذهب الى فرعون إنه طغى ﴾ أي تجبر وتمرد وعتا ﴿ فقل هل لك إلى أن تزكى ﴾ أي هل لك ان تجيب الى مسلك تزكى به ، أي تسلم وتطيع . ﴿ وأهديك الى ربك ﴾ أي أدلك الى عبادته ﴿ فتخشى ﴾ أي فيصير قلبك خاشعاً بعدما كان قاسياً بعيداً عن الخير . ﴿ فأراه الآية الكبرى ﴾ أي وأظهر له موسى مع هذه الدعوة حجة قوية ودليلاً واضحاً على صدق ما جاء به من عند الله .

﴿ فكذب وعصى ﴾ اي كفر قلبه فلم يفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره ، والعلم بالحق لا يلزم الايمان به ، لأن المعرفة علم القلب والإيمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع له .

وقوله تعالى : ﴿ ثم أدبر يسعى ﴾ أي في مقابلة الحق بالباطل من جمع السحرة ، ليقابلوا ما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام من المعجزات الباهرات . ﴿ فحشر فنادى ﴾ أي في قومه ﴿ فقال أنا ربكم الأعلى ﴾ وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله : ﴿ ما علمت لكم من آله غيري ﴾ بأربعين سنة قال الله تعالى : ﴿ فأخذته الله نكال الآخرة والأولى ﴾ أي انتقم منه بأن أغرقه في الدنيا وله في الآخرة عذاب عظيم ﴿ ان في ذلك لعلبرة لمن يخشى ﴾ أي لمن يتعظ ويترجز .

﴿ وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿ (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿ (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿ (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿ (٣١) وَالْجِبَالَ أُرْسَاهَا ﴿ (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿ (٣٣)

يحتج الله على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه ﴿ أنتم ﴾ أيها الناس ﴿ أشد خلقاً أم السماء ﴾ يعني : بل السماء أشد خلقاً منكم وقوله ﴿ بناها ﴾ فسرهُ بقوله : ﴿ رفع سمكها فسوّاها ﴾ أي جعلها عالية البناء بعيدة الفناء ، مستوية الأرجاء مكلّلة بالكواكب في الليلة الظلماء وقوله تعالى : ﴿ واغطش ليلها وأخرج ضحاها ﴾ أي جعل ليلها مظلماً ونهارها مضيئاً ﴿ والأرض بعد ذلك دحاهها ﴾ فسرهُ بقوله ﴿ أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾

وقد تقدم في سورة ﴿ حم ﴾ السجدة أن الأرض خلقت قبل السماء ولكن إنمّا دحيت بعد خلق السماء بمعنى انه أخرج ما كان فيها بالقوة الى الفعل وقوله تعالى : ﴿ والجبال أرساها ﴾ أي أثبتها في أماكنها وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : ٥٧٤ [لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت] وقوله تعالى : ﴿ متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ أي دحا الأرض فأنبع عيونها وأظهر مكنونها وأجرى أنهارها وأنبت زرعها وأثمارها وثبت جبالها لتستقر بأهلها ، كل ذلك متاعاً لخلقها ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ، ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار ، الى ان ينتهي الأمر وينقضي الأجل .

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى • (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى • (٣٥) وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى • (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَفَى • (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا • (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى • (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى • (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى • (٤١) يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا • (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا • (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا • (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا • (٤٥) كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا • (٤٦) ﴾

يقول تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾ أي يوم القيامة ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴾ أي حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره ﴿ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴾ أي أظهرت للناظرين فرآها الناس عياناً ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَفَى ﴾ أي تمرّد وعنا ﴿ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ أي قدّمها على أمر دينه وأخراه ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ أي فإن مصيره إلى الجحيم وإنّ مطعمه الزقوم ومشربه من الحميم ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ أي خاف القيام بين يديه عز وجل ونهى نفسه عن هواها وردّها إلى طاعة مولايها ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ أي منقلبه ومصيره . ثم قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا . إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾ . أي ليس علمها إليك ، ولا إلى أحد بل مردّها إلى الله عزّ وجلّ . كما يقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ وقوله ﴿ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾ كقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴾ أي إنّما بعثتك لتنذير الناس وتحذّرهم من بأس الله وعذابه فمن خشي الله أتبعك فأفلح . والخسار على من كذبك وخالفك . وقوله تعالى : ﴿ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كأنها عندهم كانت عشيّة من يوم أو ضحى من يوم .

آخر اختصار تفسير سورة النازعات والله الحمد والمثنة . وبه العصمة وعليه التكلان .

(٨٠) سُورَةُ عَبَسَ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثِنْتَانِ وَارْبَعُونَ

نزلت بعد سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ • وَتَوَلَّى • (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى • (٢) وَمَا
يُذْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى • (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِكْرَى • (٤) أَمَّا
مَنْ أَسْتَغْنَى • (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى • (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا
يَزَّكَّى • (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى • (٨) وَهُوَ يَخْشَى • (٩)
فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى • (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ • (١١) فَمَنْ شَاءَ
ذَكَرَهُ • (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ • (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ • (١٤)
بِأَيْدِي سَفَرَةٍ • (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ • (١٦)

ذكر غير واحد من المفسرين ٥٧٥ [ان رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطب بعض عظماء قريش . ففي رواية عن أنس رضي الله عنه أنه « أبي بن خلف » وفي رواية أخرى لابن عباس أنهم عتبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيراً ، ويحرص عليهم أن يؤمنوا ؛ فأقبل إليه رجل أعمى ، يقال له : عبد الله بن أم مكتوم . فجعل عبد الله يستقرئ النبي ﷺ آيةً من القرآن وقال : يا رسول الله علمني مما علمك الله فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه ، وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله بعض بصره

وخفق برأسه ثم أنزل الله تعالى : ﴿ عبسَ وتولى . أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى ﴾ . على أن رسول الله ﷺ ، ودلّوا أن كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة أولئك الرجال ، طمعاً ورغبةً في هدايتهم . وقوله تعالى : ﴿ عبسَ وتولى أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ﴾ أي يحصل له زكاة وطهارة في نفسه ﴿ أو يذكر فتنفعه الذكرى ﴾ أي يحصل له اتعاظ وازدجار عن المحارم ﴿ أما من استغنى فأنت له تصدى ﴾ أي أما الغني المستكبر عن دعوتك فأنت تتعرض له لعله يهندي ؟ ﴿ وما عليك إلا يزكى ﴾ أي ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة . وأما من جاءك يسعى وهو يخشى ﴾ أي يقصدك ويؤمك ليهندي بما تقول له . ﴿ فأنت عنه تلهى ﴾ أي تشاغل ؟ ومن هنا أمر الله تعالى رسوله ﷺ بعد ذلك أن لا يخص بالإنذار أحداً ، بل يساوي فيه بين الجميع ، ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه . وابن أم مكتوم هذا كان أحد مؤذني رسول الله ﷺ وكان يقول عليه الصلاة والسلام : ٥٧٦ [إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم] والمشهور أن اسمه عبدالله ويقال عمرو والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ كلاًّ إنها تذكرة ﴾ أي هذه السورة ، أو الوصية بالمساواة بين الناس ، في ابلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم . وقوله تعالى :

﴿ في صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة ﴾ أي هذه السورة أو العظة وكلاهما متلازم بل جميع القرآن في صحف مكرمة أي معظمة موقرة ﴿ مرفوعة ﴾ أي عالية القدر ، ﴿ مطهرة ﴾ أي من الدنس والزيادة والنقص . وقوله تعالى : ﴿ بأيدي سفره ﴾ أي الملائكة يعني سفره بين الله تعالى وبين خلقه وقوله تعالى : ﴿ كرام بررة ﴾ أي خلقهم كريم وأفعالهم بارّة طاهرة ، ومن هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد .

وروى أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ [الذي يقرأ القرآن وهو ما هرب به مع السفرة الكرام البررة . والذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران] أخرجه الجماعة من طريق قتادة .

﴿ قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ﴾ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴾ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلُ

يَسْرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿٢٢﴾
 كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾
 أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا
 فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَيْنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾
 وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَكُمْ
 وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾

يذم الله من أنكر البعث والنشور من بني آدم ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ أي لعن الإنسان وهذا الجنس الإنسان المكذب، لكثرة تكذيبه بلا مستند، بل بمجرد الاستبعاد والجهل. ﴿ ما أكفره ﴾ أي ما أشد كفره ! ثم يبين تعالى له كيف خلقه من الشيء الخفير وأنه قادر على إعادته كما بدأه. فقال تعالى : ﴿ من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ﴾ أي قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد ﴿ ثم السبيل يسره ﴾ أي يسره عليه خروجه من بطن أمه وقال مجاهد : هذه كقوله تعالى : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ أي يبينه له وأوضحناه وسهلنا عليه علمه . وكذا قال الحسن وابن زيد وهذا هو الأرجح والله أعلم . وقوله تعالى : ﴿ ثم أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ أي أنه بعد خلقه له أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ . وقوله تعالى : ﴿ ثم إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ أي بعثه بعد موته ومنه يقال البعث والنشور. ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ ﴿ وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً ﴾ . وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : ٥٧٧ [يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلاَّ عَجْبَ ذَنْبِهِ] وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ولفظه : ٥٧٨ [كل ابن آدم يبلى إلاَّ عجب الذنب منه خلق وفيه يركب] .

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ أي لا يفعله الآن حتى تنقضي المدة ويفرغ القدر من بني آدم من كتب الله أن سيوجد منهم ويخرج الى الدنيا ، وقد أمر به تعالى كوناً وقدرًا فإذا تناهى ذلك عند الله أنشر الخلائق وأعادهم كما بدأهم .

وقوله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ فيه امتنان وفيه استدلال بإحياء النبات

من الأرض الهامدة على احياء الأجسام بعد ما كانت عظاماً بالية وتراباً متفرقاً ﴿ أنّا صببنا الماء صبّاً ﴾ أي أنزلناه من السماء على الأرض ﴿ ثم شققنا الأرض شقاً ﴾ أي أسكنناه فيها فدخل في تخومها ، ويتخلل في أجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع ، وظهر على وجه الأرض . ﴿ فأنبتنا فيها حباً وعبأً وقضباً ﴾ فالحب كل ما يذكر من الحبوب ، والعبأ معروف ، والقضب هو الفصفصة^(١) التي تأكلها الدواب رطبة . ويقال لها القت أيضاً . وقال الحسن البصري : القضب العلف ﴿ وزيتوناً ﴾ وهو معروف وهو أدم وزيته أدم ويستصبح به ويدهن به ﴿ ونخلًا ﴾ يؤكل بلحاً وبسراً ورطباً وتمراً ونبثاً ومطبوخاً ويعتصر منه ربّ وخل . ﴿ وحدائق غلباً ﴾ أي بساتين وشجر ملتف ومجتمع يستظل به ﴿ وفاكهة وأباً ﴾ أما الفاكهة فكل ما يتفكه به من الثمار . والأب : ما أنبتت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس . وقوله تعالى : ﴿ متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ أي عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار الى يوم القيامة .

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ﴾ (٢٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿ (٣٧) وَوُجُوهُ مُسْفِرَةٌ ﴿ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿ (٣٩) وَوُجُوهُ يُومِئِدُ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿ (٤٢) ﴿

قال ابن عباس : الصاخة اسم من اسماء يوم القيامة ، عظمه الله وحذر عبادَه . وقال البغوي الصاخة يعني صيحة يوم القيامة ﴿ يوم يفرُّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه ﴾ أي يراهم ويفرُّ منهم ، ويتعد عنهم لأن الهول عظيم ، والخطب جليل . وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم ان يشفع عند الله في الخلائق يقول : نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي . حتى أن عيسى بن مريم عليه السلام يقول : لا أسأله اليوم إلا نفسي لا أسأله مريم التي ولدني . وقوله تعالى : ﴿ لكل امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه ﴾ أي هو في شغل شاغل عن غيره . وروى ابن أبي حاتم بسنده الى ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ . ٥٧٩ [تحشرون حفاة عراة مشاة غزلاً

قال : فقالت زوجته يا رسول الله ننظر أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ قال : لكل امرئٍ منهم يومئذ شأن يغنيه أو قال ما أشغله عن النظر] .

وقوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ﴾ أي يكون للناس هنالك فريقين وجوه مسفرة أي مستنيرة ﴿ ضاحكة مستبشرة ﴾ أي مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم ، قد ظهر البشر على وجوههم وهؤلاء هم أهل الجنة. ﴿ وجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها قفرة ﴾ أي يعلوها ويغشاها قفرة أي سواد .

وروى ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ ٥٨٠ [يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم] قال فهو قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ عليها غبرة ﴾ [وقوله تعالى : ﴿ أولئك هم الكفرة الفجرة ﴾ أي الكفرة قلوبهم ، الفجرة في أعمالهم . كما قال تعالى : ﴿ ولا يلدوا إلا فاجراً كفّاراً ﴾ .

آخر اختصار تفسير سورة « عبس » والله الحمد والمنّة

وبه العصمة وله الفضل وعليه التكلان

(٨١) سُورَةُ التَّكْوِيْرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا الشَّعْ وَعَشْرُونَ

نزلت بعد سورة المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿ (٢)
وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ
حُشِرَتْ ﴿ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ
زُوِّجَتْ ﴿ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿ (٩)
وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿ (١١) وَإِذَا
الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ
مَا أُحْضِرَتْ ﴿ (١٤) ﴾

روى الإمام أحمد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ ٥٨١ [من سره أن ينظر
الى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ و ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾
و ﴿ إذا السماء انشقت ﴾] ورواه الترمذي .

قوله تعالى : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ التكوير يرجع الشيء بعضه الى بعض ، ومنه
تكوير العمامة وجمع الثياب ؛ فمعنى قوله : ﴿ كورت ﴾ جمع بعضها الى بعض ثم لفت
فرمي بها واذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها .

روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ٥٨٢ [الشمس والقمر يكوران يوم القيامة] وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴾ أي انتثرت كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سَوَتْ ﴾ أي زالت عن أماكنها ونسفت ، فتركت الأرض قاعاً صافصفاً وقوله : ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ أي أهملها أهلها واشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها ، بعد ما كانوا أرغب شيء فيها ، بما أهمتهم من الأمر العظيم المفضع الهائل ، وهو أمر يوم القيامة . والعشار هي الإبل ولا يعرف عن الأئمة سواه والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ أي جمعت . كما قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ قال ابن عباس : (يحشر كل شيء حتى الذباب) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ أي أوقدت ^(١) . روى ابن جرير بسنده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لرجل من اليهود أين جهنم قال البحر فقال ما أراه إلاً صادقاً . ﴿ وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ ﴾ . وقال ابن عباس وغير واحد ، يرسل الله عليها الرياح الدبور فتسعرها وتصير ناراً تأجج وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى : ﴿ وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ عن مجاهد : أن الأمثال من الناس جمع بينهم واختاره ابن جرير وهو الصحيح وعن ابن عباس أن الأرواح تزوج الأجساد ^(٣) فذلك قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ وكذا قال أبو العالية ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير والشعبي . وقال الحسن البصري : أي زوّجت بالأبدان .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ الموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب حية كراهية البنات . فيوم القيامة تسأل الموءودة عن أي ذنب قتلت ؟ ليكون ذلك تهديداً لقاتلتها فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا ؟ وعن ابن عباس ﴿ سُئِلَتْ ﴾ أي طالبت بدمها .

وروى عبد الرزاق بسنده إلى عمر بن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ

(١) و(٢) قلت : راجع سورة الطور (٥٢) آية (٦) وإن البحر قد خلق الله فيه مادة مشتملة هي « البيوتاس » .
وستشتمل بأمر الله متى شاء . (٣) قلت : أرجح ما ذهب إليه ابن عباس من أن الأرواح تزوج الأجساد .

سئلت ﴿ قال : ٥٨٣ ﴾ [جاء قيس بن عاصم الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية قال : «اعتق عن كل واحدة منهن رقبة» قال : يا رسول الله : إني صاحب إبل قال : «فأهدِ إن شئت عن كل واحدة بدنة» !]

وقوله تعالى : ﴿ وإذا السماء كَشُطَّت ﴾ قال الضحاك تنكشط فتذهب وقوله تعالى : ﴿ وإذا الجحيم سعرت ﴾ قال السدي : أحميت وقوله تعالى : ﴿ وإذا الجنة أزلقت ﴾ أي قُرِّبَتْ إلى أهلها ، وقوله تعالى : ﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾ هذا هو الجواب أي اذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها . كما قال تعالى ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾ . وكما قال أيضاً ﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخّر ﴾ . وروى ابن أبي حاتم بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : لما نزلت ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ قال عمر لما بلغ : ﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾ قال لهذا أجري الحديث .

﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُسِ ﴾ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُسِ ﴿ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿ (٢٨) وَمَا تَشَاهُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ (٢٩)

روي عن علي رضي الله عنه : ﴿ فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ﴾ هي النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل . ﴿ والليل إذا عسعس ﴾ أي إذا اشتد ظلامه والمراد : إذا أقبل كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل ، وبالفجر وضيائه إذا أشرق . كما قال تعالى : ﴿ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى ﴾ ﴿ والصبح إذا تنفس ﴾ أي إذا طلع وأضاء وأقبل . وقوله تعالى : ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ يعني إن هذا القرآن لتبلغ رسول كريم

أي ملك شريف وهو : جبريل عليه الصلاة والسلام . ﴿ ذي قوة ﴾ كقوله تعالى : ﴿ علمه شديد القوى ، ذومرة ﴾ أي شديد الخلق شديد البطش والفعل ﴿ عند ذي العرش مكين ﴾ أي له مكانة عند الله عز وجل ، ومنتزلة رفيعة ﴿ مطاعٍ ثم ﴾ أي في السموات وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى وليس هو من أفئدة الملائكة ، بل هو من السادة والأشراف ، معتنى به ، انتخب لهذه الرسالة العظيمة . وقوله تعالى : ﴿ أمين ﴾ صفة لجبريل بالأمانة ، وهذا عظيم جداً أن الرب عز وجل يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل كما زكى عبده ورسوله البشري محمداً ﷺ بقوله تعالى : ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ يعني محمداً ﷺ وقوله تعالى : ﴿ ولقد رآه بالأفق المبين ﴾ يعني ولقد رأى محمدٌ جبريلَ الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل ، على الصورة الملكية التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح . ﴿ بالأفق المبين ﴾ وهي الرؤية الأولى المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وهو بالأفق الأعلى ﴾ ثم دنا فتدلى ﴿ والظاهر والله أعلم أن هذه السورة نزلت قبل الإسراء لأنه لم يذكر فيها إلاَّ هذه الرؤية الأولى ؛ أما الثانية فهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ﴾ فذلك إنما ذكرت في سورة النجم وقد نزلت بعد سورة الإسراء . وقوله تعالى : ﴿ وما هو على الغيب بضنين ﴾ قرىء ضنين وقرىء ظنين وكلاهما متواتر . فعلى قراءة ظنين : أي وما محمد على ما أنزله الله إليه بمتهم . وعلى قراءة ضنين : أي ماضن بالقرآن على الناس بل نشره وبلغه وبذله للناس جميعاً .

وقوله تعالى : ﴿ وما هو بقول شيطان رجيم ﴾ اي وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم أي لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له . كما قال تعالى : ﴿ وما تنزل به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون ﴾

وقوله تعالى : ﴿ فأين تذهبون ﴾ ؟ اي فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن ، مع ظهوره ووضوحه ، وبيان كونه حقاً من عند الله تعالى . وقوله تعالى : ﴿ إنَّ هو إلاَّ ذكر للعالمين ﴾ أي هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون . ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾ أي من أراد الهداية ، فعليه بهذا القرآن ، ولا هداية فيما سواه . ﴿ وما تشاؤون إلاَّ أن يشاء الله رب العالمين ﴾ أي ليست المشيئة موكولة لكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضلَّ ... بل ذلك كله تابع لمشيئته تعالى رب العالمين .

آخر اختصار تفسير سورة التكوير والله الحمد والمنة ، وبه العصمة وعليه التكلان .

(٨٢) سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا شِئْعَ عَشْرَةٍ

نزلت بعد سورة النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾ • (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ • (٢)
وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ • (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ • (٤) عَلِمْتَ نَفْسُ
مَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ • (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ
الْكَرِيمِ • (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ • (٧) فِي أَيِّ
صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ • (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ • (٩)
وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ • (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ • (١١) يَعْلَمُونَ
مَا تَفْعَلُونَ • (١٢) ﴿

روى النسائي عن جابر قال : قام معاذ فضلى العشاء الآخرة فطوّل فقال النبي ﷺ
٤٨٢ [أفنّان أنت يا معاذ ؟ أين كنت عن سبّ اسم ربك الأعلى ، والضحي ، وإذا
السماء انفطرت] . وأصل الحديث مخرج في الصحيحين ولكن ذكر إذا السماء انفطرت
في افراد النسائي .

يقول تعالى : ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ أي انشقت ﴿ وإذا الكواكب انتثرت ﴾ أي
تساقطت ﴿ وإذا البحار فجّرت ﴾ أي تفجرت وذهب ماؤها ﴿ وإذا القبور بعثرت ﴾ أي
تحركت وخرج من فيها ﴿ علمت نفس ما قدمت وأخرت ﴾ أي إذا وقعت كل هذه
الأمور المتقدمة حصل العلم عند النفس ما عملته من خير أو شر .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ أي ما غرك بربك الكريم حتى أقدمت على معصيته كما جاء في الحديث : ٥٨٥ [يقول الله تعالى يوم القيامة : يا ابن آدم ما غرك بي ؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين] .

وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى يحيى البكاء سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ قال ابن عمر : غره والله جهله . وروي عن ابن عباس وغيره : ما غر ابن آدم غير هذا العدو الشيطان . وقال أبو بكر الوراق : لو قال لي : ما غرك بربك الكريم لقلت : غرتي كرم الكريم . وقال مثل هذا القول بعض أهل الإشارة ... ؟؟ !!! إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الجواب ^(١) . وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور . لاسيما وأن هذه الآية نزلت في الأسود بن شريق ضرب النبي ﷺ ولم يعاقب في الحالة الراهنة فأُنزل الله تعالى ﴿ ما غرك بربك الكريم ﴾

وقوله تعالى : ﴿ الذي خلقك فسواك فعدلك ﴾ أي ما غرك بالرب الكريم الذي جعلك سويتاً مستقيماً معتدلاً القائمة منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال .

روى الإمام أحمد بسنده إلى بشر بن جحاش القرشي : ٥٨٦ [أن رسول الله ﷺ بصق يوماً بكفّه فوضع عليها أصبعه ثم قال : قال الله عز وجل : يا ابن آدم أنتي تُعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ... ؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بُردَيْن ، وللأرض منك وثيد ، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت : أتصدق وأنتي أو ان الصدقة ؟] وكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة .

(١) قلت : قوله : (أهل الإشارة ...) أي هم : أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ... وهم الذين لم يبتل الإسلام ببلاء ... بمثل ما ابتلي بهم !!! فتأمل يا أخي المسلم قوله : « غرتي كرم الكريم » وقولهم : « كأنه لقنه الجواب » إن مثل هذه الأقوال ... لا يوسوس بها في النفوس ، إلا الشيطان ، تحريضاً منه على المعصية تدرعاً بمغو الكريم ... فمثل هذا التفكير ... يدفع العبد إلى اللامبالاة بالمعصية أملاً بالغفو ! بينما كرم الله الظاهر في نعمه العظمى التي لا تعد ولا تحصى ، والتي يعيشها الإنسان ، ويتلمسها في كل لحظة ، كان يجب أن يقابل هذا الكرم ، بالإقلاع عن المعصية ، لا التماهي فيها حتى يلقي الله عليها ... أمّن طمعك بكرمه تعالى أن تقابل هذه النعم بالكفر بدل الشكر ... ؟!!!! . كان عليك أن تعالج نفسك قائلاً : ليس من الإنصاف أن أقابل النعمة بالمعصية والكرم بالحدود ، ولو لقيت هذا الكرم من مخلوق لمجملت أن أقابل الإحسان بالإساءة ، فكيف بإحسان الرب سبحانه ... ؟!!!! فالإحسان والكرم والإنعام بواعث على التوبة والإقلاع عن الذنب .. لا التماهي فيه ، أملاً بكرم الكريم !!! هذا هو المراد من قوله تعالى : ما غرك بربك الكريم ، لا كما أوحاه الشيطان إلى حزبه ، خزاه الله وحزبه ووقانا الله شرورهم ، وشرور « إشاراتهم ... » والله تعالى أعلم وهو الموفق للصواب .

وقوله تعالى : ﴿ في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ وفي الصحيحين عن أبي هريرة : ٥٨٧ [أن رجلاً قال يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاماً أسود قال « هل لك من إبل ؟ قال نعم ، قال : فما ألوانها ؟ قال حمر قال فهل فيها من أورك ، قال نعم قال : فأنتي أتاها ذلك ؟ قال : عسى أن يكون نزع عرق قال : وهذا عسى أن يكون نزع عرق] . والمعنى أن الله سبحانه وتعالى قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة ولكن بقدرته ولطفه ، وحلمه يخلق على شكل حسن مستقيم معتدل تام ، حسن المنظر والهيئة .
وقوله تعالى : ﴿ كلاً بل تكذبون بالدين ﴾ أي إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب . وقوله تعالى : ﴿ وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين . يعلمون ما تفعلون ﴾ يعني وان عليكم للملائكة حفظاً كراماً فلا تقابلوهم بالقبايح فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم .

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ (١٩)

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه ، وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ولم يقابلوه بالمعاصي . وقد روى ابن عساكر بسنده الى ابن عمر عن النبي ﷺ قال : ٥٨٨ [إنما سماهم الله الأبرار لأنهم برّوا الآباء والأبناء] ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ولهذا قال : ﴿ يصلونها يوم الدين ﴾ اي يوم الحساب والجزاء والقيامة ﴿ وما هم عنها بغائبين ﴾ أي لا يغيبون عن العذاب ولا يخفف عنهم ساعة واحدة ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوماً واحداً . وقوله تعالى : ﴿ وما أدرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ثم فسره بقوله : ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ﴾ أي لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاص له مما هو فيه إلا بإذن الله لمن يشاء ويرضى . ونذكر هاهنا حديث : ٥٨٩ [يا بني هاشم : أنفذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيئاً] ولهذا قال : ﴿ والأمر يومئذ لله ﴾ قال قتادة : والأمر والله اليوم الله ، ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد .
آخر اختصار تفسير سورة الانفطار والله الحمد والمنة ، وبه العصمة وعليه الإنكال .

(٨٣) سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا سُنَّتٌ وَتِلَاوَةٌ

نزلت بعد سورة العنكبوت وإنها آخر سورة نزلت بمكة المكرمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ * (١) الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ
يَسْتَوْفُونَ * (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * (٣) أَلَا يَظُنُّ
أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * (٥) يَوْمَ يَقُومُ
النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ * (٦)

﴿ ويل للمطففين ﴾ المراد بالتطفيف هنا : البخس في المكيال والميزان إما بالازدياد إن اقتضى من الناس ، وإما بالنقصان إن قضاهم . ولهذا فسر تعالى المطففين الذين قصدهم بالويل وهو الخسار والهلاك بقوله تعالى : ﴿ الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون ﴾ أي يأخذون حقهم بالوافي والزائد ﴿ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ أي يُنقصون . وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان . فقال تعالى : ﴿ وأوفوا الكيل إذا كلمت وزنوا بالقسطاس المستقيم . ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴾ وقد أهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال ثم قال متوعداً لهم : ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ﴾ أي أما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول ، كثير الفزع ، جليل الخطب ، ومن خسر فيه أدخل ناراً حامية . وقوله تعالى : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ أي حفاة عراة غرلاً في موقف صعب ، حرج ضنك على المجرم ، ويغشاهم من أمر الله تعالى ما نعجز القوى والحواس

عنه . روى الإمام مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال ٥٩٠ [يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى إنصاف أذنيه] رواه البخاري ومسلم .

وروى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لبشير الغفاري : ٥٩١ [كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلثائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر ؟] قال بشير المستعان الله ، قال : « فإذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب » [

وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ ٥٩٢] كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة [

سَجِّينَ ﴿٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ ﴿٨﴾ وَتِلْكَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٩﴾ الَّذِينَ يُكْذِبُونَ يَوْمَ الْدِّينِ ﴿١٠﴾ وَمَا يُكْذَبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١١﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٥﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى حقاً ﴿٧﴾ إن كتاب الفجار لفي سجّين ﴿٨﴾ أي إن مصيرهم ومأواهم لفي سجّين . فعيل من السجن ﴿٩﴾ وما أدراك ما سجّين ﴿١٠﴾ أي هو أمر عظيم ، وسجن مقيم ، وعذاب أليم . وهو يجمع الضيق والسفول حيث مصير الفجار إلى جهنم . وهي أسفل سافلين . كما قال تعالى : ﴿١١﴾ وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرّنين دعوا هنالك ثبورا ﴿١٢﴾ وقوله تعالى : ﴿١٣﴾ كتاب مرقوم ﴿١٤﴾ ليس تفسيراً لقوله : ﴿١٥﴾ وما أدراك ما سجّين ﴿١٦﴾ وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجّين أي مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزداد فيه ولا ينقص منه أحد ﴿١٧﴾ ويل يومئذ للمكذّبين ﴿١٨﴾ أي إذا صاروا يوم القيامة إلى ما وعدهم الله من السجن والعذاب المهين والمراد الويل الهلاك والدمار ثم قال تعالى : مفسراً للمكذّبين الفجار الكفرة ﴿١٩﴾ الذين يكذبون بيوم الدين ﴿٢٠﴾ أي لا صدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونه ،



ويستبعدون أمره. قال الله تعالى: ﴿ وما يكذب به إلا كلُّ معتدٍ أثيم ﴾ أي معتدٍ في أفعاله في تعاطي الحرام والمجاوزة في تناول المباح . والأثيم في أقواله إن حدث كذب وإن وعد أخلف وإن خاصم فجر ..

وقوله تعالى : ﴿ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ أي إذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به ويعتقد أنه مجموع من كتب الأوائل . كما قال تعالى : ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ﴾ قال الله تعالى : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ أي ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا إن هذا القرآن أساطير الأولين بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به بما عليها من الرين الذي ليس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا . وقد روى ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ٥٩٣ [ان العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب منها صفق قلبه ، وإن زاد زادت كذلك قوله تعالى : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾] وقال الترمذي حسن صحيح .

وقوله تعالى : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ أي لهم يوم القيامة منزل ونزلٌ سجين ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم واستدل الشافعي من هذه الآية : على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ كما دل عليه منطوق قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ وكما دلت على ذلك الأحاديث المتواترة ﴿ ثم إنهم لصالوا الجحيم ﴾ أي ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن ، من أهل النيران ﴿ ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون ﴾ أي يقال لهم ذلك على وجه التقرير والتوبيخ .

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ۝ (١٨) وَمَا أَذْرَاكَ

مَا عِلِّيُّونَ ۝ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ ۝ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ۝ (٢١)

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ (٢٢) عَلَى الْأَرَانِكِ يَنْظُرُونَ ۝ (٢٣)

تَعْرِفُ فِي وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ

مَخْتُومٍ ۝ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝ (٢٦)

وَمِمَّا أَجَهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ۝ (٢٧) عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۝ (٢٨) ﴿

يقول تعالى : ﴿ حَقًّا ﴾ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلَيْنٍ ﴿ أي مصيرهم إلى عِلَيْنٍ وهو بخلاف سَجِين. والظاهر أن عِلَيْن مأخوذة من العلو وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع ولهذا قال تعالى معظماً شأنه ﴿ وما أدراك ما عِلِّيُّون ﴾ ثم قال مؤكداً لما كتب لهم ﴿ كتاب مرقوم يشهده المقربون ﴾ وهم الملائكة .

ثم قال تعالى : ﴿ إن الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم ﴾ أي يوم القيامة في نعيم ، مقيم وجنات فيها فضل عظيم . ﴿ على الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ أي هم على السرر تحت الحجال ينظرون الى الله عز وجل وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار ﴿ كلا لَأَنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ تعرف في وجوههم نضرة النعيم ﴾ أي تعرف إذا نظرت إليهم صفته الترافة والحشمة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم .

وقوله تعالى : ﴿ يسقون من رحيق مختوم ﴾ أي يسقون من خمر الجنة والرحيق من أسماء الخمر وعن ابن عباس : طيب الله لهم الخمر فكان آخر شيء جعل فيها مسك ختم بمسك .

وعن أبي الدرداء ﴿ ختامه مسك ﴾ شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها .

وقوله تعالى : ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ أي وفي مثل هذا الحال ، فليتنافس المتنافسون ، ليستبق إليه المستبقون . كقوله تعالى ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ أي ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم أي من شراب يقال له تسنيم وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه . ولهذا قال : ﴿ عينا يشرب بها المقربون ﴾ أي يشربها المقربون صرفاً ، وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً قاله ابن مسعود وابن عباس وغيرهما .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ (٢٩)

وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا

فَكَفِينَ ﴿ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿ (٣٢) وَمَا

أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ

يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثَوَّبَ
الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين يستهزئون بهم ويحتقرونهم ﴿ وإذا مروا بهم يتغامزون ﴾ أي محتقرون لهم ﴿ وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ﴾ أي إذا رجع المجرمون إلى منازلهم انقلبوا إليها فكهين أي مهمما طلبوا وجدوا ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم ، بل اشتغلوا باحتقار المسلمين . ﴿ وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ﴾ أي لكونهم على غير دينهم . قال الله تعالى : ﴿ وما أرسلوا عليهم حافظين ﴾ أي وما بعث المجرمون حافظين على المؤمنين ولا كلفوا بذلك ... فلما اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم كما قال تعالى : ﴿ اخسأوا فيها ولا تكلمون ﴾ . إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين ، فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون . لاني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ﴾ ولهذا قال هنا : ﴿ فاليوم ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ الذين آمنوا من الكفار يضحكون ﴾ أي مقابلة ما ضحك بهم أولئك . ﴿ على الأرائك ينظرون ﴾ أي إلى الله عز وجل في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون وليسوا بضالين بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون إلى ربهم في دار كرامته . وقوله تعالى : ﴿ هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾ أي هل جوزي الكفار علي ما كانوا يقابلون به المؤمنين من التنقيص أم لا ؟ .. يعني قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله .

آخر اخصتار تفسير سورة المطففين والله الحمد والمنة والشكر والفضل .

وبه العصمة وعليه التكلان

(٨٤) سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ مَكِّيَّةٌ وَاَيُّهَا خَمْسٌ وَعَشْرُونَ

نزلت بعد سورة الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿١﴾ إِذَا السَّمَاءُ اَنْشَقَّتْ • ﴿٢﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ • ﴿٣﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ • ﴿٤﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ • ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْتَهُ • ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينًا • ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا • ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مُسْرُورًا • ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ • ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا • ﴿١١﴾ وَيَصْلِي سَعِيرًا • ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مُسْرُورًا • ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ • ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا • ﴿١٥﴾

يقول تعالى : ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿ وأذنت لربها وحقت ﴾ أي استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق. ﴿ وحقت ﴾ أي وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم. ﴿ وإذا الأرض مدت ﴾ أي بسطت وفرشت ﴿ وألقت ما فيها وتخلت ﴾ أي ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلت منهم ﴿ وأذنت لربها وحقت ﴾ كما تقدم وقوله ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً ﴾ أي إنك ساعٍ إلى ربك سعياً وعاملاً عملاً ﴿ فملاقيه ﴾ ثم إنك ستلقى ما عملت من خيرٍ أو شر .

ويشهد بذلك ما رواه أبو داود الطيالسي بسنده عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : ٥٩٤ [قال جبريل : يا محمد عش ما شئت فإنك ميت وأحب ما شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه] . وقوله تعالى : ﴿ فَمَا مِنْ أَوْتِي كِتَابِهِ يَمِينَهُ فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ أي دون الحساب على دقائق أعماله وذلك كما روى الإمام أحمد بسنده عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ ٥٩٥ [« من نوقش الحساب عذب »] فقلت : أفليس قال الله تعالى : ﴿ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ قال ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب [وهكذا رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي] .

وقوله تعالى : ﴿ وينقلب إلى أهله مسروراً ﴾ أي يرجع إلى أهله في الجنة فرحاً بما أعطاه الله عز وجل وقوله تعالى : ﴿ وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ﴾ أي بشماله من وراء ظهره ، ﴿ فسوف يدعو ثوراً ﴾ أي خساراً وهلاكاً ﴿ ويصلى سعيراً . إنه كان في أهله مسروراً ﴾ أي فرحاً في الدنيا لا يفكر في العواقب ، ولا يخاف مما أمامه فأعقب ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل ﴿ إنه ظن أن لن يحور ﴾ أي كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته ، والخور الرجوع . قال الله تعالى : ﴿ بلى إن ربّه كان به بصيراً ﴾ يعني بلى سعيده ويجازيه على أعماله ، إنه كان به عليماً خبيراً .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿ (١٨) لَتَرْكَبَنَّ ظَبَاقًا عَنْ ظَبَقِ ﴿ (١٩) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ ﴿ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿ (٢٥)



روي عن علي وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين قالوا : الشفق الحمرة وقال عبد الرزاق بسنده عن أبي هريرة قال : الشفق البياض فالشفق هو جمرة الأفق من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة . وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر عن رسول

الله ﷺ انه قال: ٥٩٦ [وقت المغرب ما لم يغب الشفق] ﴿وما وسق﴾ أي وما ساق كل شيء إلى مأواه ﴿والقمر اذا اتسق﴾ إذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلاً لليل وما وسق وقوله تعالى: ﴿لتركن طبقاً عن طبق﴾ روى البخاري عن ابن عباس: ٥٩٧ [حالا بعد حال قال هذا ببيكم ﷺ] قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس في هذه الآية من القراء والمفسرين: والصواب من التأويل قول من قال لتركن أنت يا محمد حالا بعد حال وأمرأ بعد أمر من الشدائد والمراد = وإن كان الخطاب موجهاً إلى رسول الله ﷺ = جميع الناس وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أهوالاً. وقوله تعالى: ﴿فما لهم لا يؤمنون. واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾ فماذا يمنعهم من الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر. وما لهم اذا قرئت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن لا يسجدون إعظاماً وإكراماً واحتراماً. وقوله تعالى: ﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾ أي من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق ﴿والله أعلم بما يوعون﴾ أي يكتمون في صدورهم ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ أي فأخبرهم يا محمد بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذاباً أليماً.

وقوله تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعني لكن الذين آمنوا أي بقلوبهم وعملوا الصالحات أي بجوارحهم ﴿لهم أجر﴾ أي في الدار الآخرة ﴿غير ممنون﴾ أي غير مقطوع كما قال تعالى: ﴿عطاء غير مجدوذ﴾.

إن الله عز وجل له المنّة على أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة وانما دخلوها بفضلته ورحمته لا بأعمالهم فله عليهم المنّة دائماً سرمداً والحمد لله وحده أبداً ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

آخر اختصار تفسير سورة الانشقاق والله الحمد والمنّة.

وبه التوفيق والعصمة

(٨٥) سُورَةُ الْبُرُوجِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثَنَانٌ وَعَشْرُونَ

نزلت بعد سورة الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * (١) * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * (٢) *
وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * (٣) * قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * (٤) * النَّارِ ذَاتِ
الْوُقُودِ * (٥) * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * (٦) * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ
بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * (٧) * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ * (٨) * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ * (٩) * إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ
يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ * (١٠) *

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج
والسماء والطارق . ويقسم الله تعالى بالسماء ، وبروجها هي النجوم العظام . واختار ابن
جرير أنها منازل الشمس والقمر^(١) . وقوله تعالى : ﴿ واليوم الموعود وشاهد ومشهود ﴾
فيرَوَى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال ٥٩٨ [اليوم الموعود : يوم القيامة

(١) قلت : لعل ما فسرهُ ابن كثير رحمه الله تعالى أقرب إلى الصواب والله تعالى أعلم . مما فسرهُ ابن جرير
لأن هناك منازل غير منازل الشمس والقمر لا يحصيها إلا الله تعالى . فالْمَقْصُودُ بِالْبُرُوجِ كُلِّ بَرُوجِ السَّمَاءِ
فَقَوْلُهُ تَعَالَى : « ذات البروج » يعني البروج جميعها ليظهر عظم المقسوم به .

وشاهد : يوم الجمعة ، وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلاّ أعطاه إياه ، ولا يستعذ فيها من شر إلاّ أعاده . ﴿ ومشهود ﴾ يوم عرفة]

وقوله تعالى: ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ أي لعن أصحاب الأخدود . وجمعه أخاديد وهي الحفر في الأرض . وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا الى ما عندهم من المؤمنين بالله عزّ وجل ، فقهرروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم ، فأبوا عليهم فحضروا لهم في الأرض أخدوداً ، وأججوا فيه ناراً وأعدّوا لها وقوداً يسعرونها به ، ثم أرادوهم .. فلم يقبلوا منهم . فقفدوهم فيها . ولهذا قال تعالى: ﴿ قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ﴾ . أي مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين . قال الله تعالى : ﴿ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ أي وما كان لهم عندهم ذنب إلاّ إيمانهم بالله العزيز الحميد الذي لا يضام من لا ذنب جنا به المنيع ، الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره . وإن كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به فهو العزيز الحميد وإن خفي سبب ذلك على كثير من الناس . ثم قال تعالى : ﴿ الذي له ملك السموات والأرض ﴾ من تمام الصفة انه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ﴿ والله على كل شيء شهيد ﴾ أي لا يغيب عنه شيء في جميع السموات والأرض ولا تخفى عليه خافية .

وقد اختلف أهل التفسير في أصل هذه القصة من هم ... ؟ قال أسباط عن السدي في قوله تعالى: ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ قال : كانت الأخدود ثلاثة : خد بالعراق ، وخذ بالشام وخذ باليمن رواه ابن أبي حاتم . وقد روى الإمام أحمد بسنده عن صهيب ان رسول الله ﷺ قال : ٥٩٩ [كان فيمن قبلكم ملك ، وكان له ساحر ، فلما كبر الساحر قال للملك : اني قد كبر سني وحضر أجلي ، فادفع إليّ غلاماً لأعلّمه السحر فدفعت اليه غلاماً كان يعلمه السحر ، وكان بين الساحر وبين الملك راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه ، وكان إذا اتى الساحر ضربه وقال ما حبسك ؟ وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا : ما حبسك ؟ فشكا ذلك الى الراهب فقال : إذا اراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي . وإذا اراد أهلك ان يضربوك فقل حبسني الساحر . قال فبينما هو ذات يوم ... إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس ، فلا يستطيعون ان يجوزوا... فقال : اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر... قال فأخذ حجراً فقال : اللهم ان كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر ، فاقتل هذه الدابة

حتى يحوز الناس ، ورماها فقتلها ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك فقال : اي بني انت أفضل مني وإنك ستبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل علي . فكان الغلام يرى الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم ، وكان للملك جليس فعمي فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال : اشفني ولك ما هاهنا أجمع . فقال : ما أنا أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل . فإن آمنت به دعوتُ الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه .

ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يا فلان من ردَّ عليك بصرك ؟ فقال ربي فقال أنا ؟ قال لا ... ربي وربك الله ، قال ولك رب غيري ؟ قال : نعم ربي وربك الله . فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام ، فبعث إليه فقال : إي بني : بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء ؟ ! قال : ما أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل . قال : أنا ؟ قال : لا قال : أو لك رب غيري ؟ قال ربي وربك الله ، فأخذه أيضا بالعذاب فلم يزل به حتى دلَّ على الراهب ، فأتى بالزاهب فقال لرجع عن دينك فأبى ، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض . وقال للأعمى : لرجع عن دينك فأبى ، فوضع المنشار في مفرق رأسه ، حتى وقع شقاه إلى الأرض وقال للغلام ارجع عن دينك فأبى ، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا وقال إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدوه ، فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال : اللهم اكفنيهم بما شئت... فرجف بهم الجبل فدهدوهوا أجمعون ، وجلته الغلام يتلمس حتى دخل على الملك . فقال ما فعل أصحابك ؟ قال كفانيهم الله تعالى . فبعث به مع نفر في قرقور فقال : إذا لجمتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر فلججوا به البحر فقال الغلام : اللهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعون .

وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك : انت لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به فإن أنت فعلت ما أمرك به قتلتي وإلا فإنك لا تستطيع قتلي ، قال وما هو ؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد ، ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي ثم قل : باسم الله رب الغلام فإنك إذا فعلت ذلك تقتلني . ففعل ووضع السهم في كبده فوسه ثم رماه وقال : بسم الله رب الغلام فوق السهم في صدغه . فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات . فقال الناس آمناً برب الغلام . فقيل للملك : رأيت ما كنت تحذر ؟ فقد والله نزل بك ، قد آمن الناس كلهم . فأمر بأفواه السكك فخذت فيها الأخاديد وأضرمت فيها النيران ، وقال : من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها ، فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون ، فجاءت

امرأة بابن لها ترضعه فكأنها تقاعست أن تقع في النار فقال الصبي أصبري يا أماء فإنك على الحق [.

وهكذا رواه مسلم في آخر الصحيح عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة به نحوه . ورواه النسائي بسنده مختصراً ، وقد جَوَّدَه الإمام ابو عيسى الترمذي .

ويقال ان الملك هو ذو نواس ، والبلاد هي نجران دخل أهلها النصرانية ، وذو نواس كان قد تهوّد مع من تهوّد من أهل اليمن . ولأنهم دخلوا النصرانية... حرقهم في الأخدود فقتل منهم في غداة واحدة عشرين ألفاً ولم ينبجُ منهم سوى رجل واحد يقال له دوس ذو ثغلبان، ذهب فارساً وطردها وراءه، فلم يقدرُوا عليه، فذهب إلى قيصر ملك الروم، فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة وأرسل معه جيشاً من نصارى الحبشة فاستنقذوا اليمن من اليهود . واستمر ملكهم فيهم سبعين سنة ثم استنقذه سيف بن ذي يزن من النصاري لما استجار بكسرى ملك الفرس ورجع الملك إلى حِمَيْر^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ﴾ أي حرقوا ﴿ ثم لم يتوبوا ﴾ أي لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا . ﴿ فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾ وذلك أن الجزاء من جنس العمل ؛ قال الحسن البصري : انظروا إلى هذا الكرم والجود ، قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة — سبحانه اللهم ما أحلمك وما أكرمك—.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِيهِ وَيُعِيدُهُ ﴾ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ (١٥) فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ (١٧) فِرْعَوْنُ وَثَمُودَ ﴿ (١٨) بَلْ

(١) قلت : كان هذا من سيف بن ذي يزن على أثر عودة ابرهة الحبشي من محاولة غزوه لبيت الله وتشتت جيشه ومقتلهم جميعاً بفعل طير الأبايل وموت ابرهة متأثراً من رمي « أبايل » . ثم تولى ابنه يكسوم من بعده ثم ابنه مسروق ، ثم خرج سيف بن ذي يزن الحميري إلى كسرى ، فاستعان به على الحبشة فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه فرد الله إليهم بلادهم ، وما كان في آبايهم من الملك ... وجاءته وفود العرب بالتهنئة . من كل فج .

الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ * (٢٠)
بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ * (٢٢) ﴿٢٢﴾

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن ﴿ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم . ولهذا قال ﴿ ذلك الفوز الكبير ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ ^(١) أي أن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوي ، فإنه تعالى ذو القوة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر ، أو هو أقرب . ولهذا قال تعالى : ﴿ إنه هو يبدىء ويعيد ﴾ أي من قوته وقدرته التامة يبدىء الخلق ويعيده كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع ﴿ وهو الغفور الودود ﴾ أي يغفر الذنب لمن تاب إليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أي شيء كان . والودود قال ابن عباس وغيره : الحبيب . وقوله ﴿ ذو العرش ﴾ ان صاحب العرش العظيم العالمي على جميع الخلائق . والمجيد فيه قراءتان ، الرفع على أنه صفة للرب عز وجل ، والجر على أنه صفة للعرش وكلاهما معنى صحيح ﴿ فعال لما يريد ﴾ أي مهما أراد فعله لا معقب لحكمه لا يسأل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله . — قيل لأبي بكر وهو في مرض الموت هل نظر إليك الطبيب؟ قال : نعم . قالوا : فما قال لك؟ قال : قال لي إني فعال لما أريد .

وقوله ﴿ هل أتاك حديث الجنود . فرعون وثمود ﴾ أي هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس ، وأنزل عليهم من النعمة التي لم يردّها عنهم أحد؟ وهذا تقرير لقوله تعالى : ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ أي إذا أخذ الظالم أخذه أخذاً أليماً شديداً أخذ عزيز مقتدر ^(٢) وقوله تعالى : ﴿ بل الذين كفروا في تكذيب ﴾ أي هم في شك وريب وكفر وعناد ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ أي هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ، ولا يُعجزونه .

(١) قلت : ان بطش الله صفة من صفاته التي لا ينبغي ان تشابهها أية صفة من صفات المخلوقين . ولكن لا تزال أقوال أهل (وحدة الوجود) المدونة في كتبهم .. تمنع بالزندقة والكفر إذ يقول « قائلهم ؟؟ » بعد أن قرأ : (إن بطش ربك لشديد) : (وأن بطشي لأشد) والعايا بالله من الكفر والردة وشرّ إلحاد هذه الطريقة الباغية التي ما وجدت إلا مناوأة للإسلام . ولكن الله سبحانه يرد دائماً كيدهم في نحرهم بإلهام من يشاء من عباده لنصرة دينه وإعلاء كلمته .

(٢) قلت : فما قول من يقول : وإن بطشي لأشد ... ؟ هل يستطيع أن يأخذ أخذ عزيز مقتدر؟ وهل إذا بطش الله به بطشاً بسيطاً ففسخه مثلاً جردياً ... فهل يستطيع أن يردّ بطش الله عنه ؟ الجواب : لا . فكيف إذا استطاع أن يكون بطشه أشد من بطش الله ، في الوقت الذي لا يستطيع أن يردّ بطش الله عن نفسه؟ نعوذ بالله من الكفر . هذا القول نستبعد صدوره عن أي مسلم .

(٨٥-البروج-ج ٣٠) : كفر من يزعم أن مخلوقاً يبدل في اللوح المحفوظ شيئاً ٥٠٣

﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ أي عظيم كريم ﴿ في لوح محفوظ ﴾ أي هو في الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص ، والتحريف والتبديل ^(١) .

آخر اختصار تفسير سورة البروج والله الحمد والمنّة

(١) قلت : ولكن الزنادقة أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود خزاهم الله لا يعتقدون أن اللوح المحفوظ محفوظ ...!!!!؟ ذلك لأنهم يزعمون أن باستطاعتهم أن يبدلوا فيه ما شاءوا ... وأن يشيئوا فيه ما أرادوا ... ويدعون : أن أحد مشايخهم محاببه ما كان موجوداً من شقاء مريده ، وأثبتته سعيداً ...!!!!؟ ومن المؤلم المخزي أنه ما يزال في أفراد هذه الأمة ، من يصدق بترهاتهم وأباطيلهم وزندقاتهم ... فإذا كان الأمر كما زعموا ، من أن اللوح المحفوظ ، يمكن أن يمس وتمحى منه المقادير ... فلماذا سماه الله محفوظاً ...؟ على أننا نتحداهم -إن ظلوا على هذه العقيدة الخاسرة- أن يمحوا من اللوح المحفوظ شقاوتهم هم ... قبل شقاوة مريديهم ، ويمحوا قدر خلودهم في الجحيم أبداً ... إن كانوا فاعلين ... اللهم عليك بالظالمين فأنهم لا يعجزونك .

(٨٦) سُورَةُ الطَّارِقِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا سَبْعُ عَشْرَةَ

نزلت بعد سورة البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿ (٢)
النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿ (٣) إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿ (٤) فَلْيَنْظُرِ
الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ
الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿ (٨) يَوْمَ تُبْلَى
السَّرَائِرُ ﴿ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿ (١٠) ﴿

روى النسائي عن جابر قال : صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء فقال النبي ﷺ ٦٠٠ [أفَتَأْتَانِ أَنتَ يَا معاذ ! ما كان بكفيك أن تقرأ بالسما والطارق والشمس وضحاها ونحوها ؟] .

يقسم تبارك وتعالى بالسما وما جعل فيها من الكواكب النيرة ولهذا قال : ﴿ والسما والطارق ﴾ ثم قال : ﴿ وما أدراك ما الطارق ﴾ ثم فسره بقوله ﴿ النجم الثاقب ﴾ (١) قال قتادة وغيره : انما سمي النجم طارقاً لأنه انما يرى بالليل ويختفي بالنهار ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح ٦٠١ [نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً أي يأتيهم فجأة بالليل] . وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء ٦٠٢ [إلا طارقاً يطرق بخير يا

(١) قلت : زعم « بمضمهم...؟؟؟ » أن الطارق والنجم الثاقب هو : محمد صلى الله عليه وسلم !!! وهذا باطل... والرسول صلوات الله عليه وسلامه أجل من ذلك وهو أشرف من كل مخلوق في الأرض وفي السما، والأشرف لا يشبه بما دونه شرفاً !!! وما كان عليه الصلاة والسلام يوماً ما نجماً ثم تحول إلى بشر كما يزعمون...؟؟؟ !!!

رحمن [وقوله ﴿الثاقب﴾ أي مضيء محرق للشياطين. وقوله تعالى : ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ أي كل نفس عليها حافظ يحرسها من الآفات. كما قال تعالى : ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ وقوله تعالى : ﴿فلينظر الإنسان ممّ خلّق﴾ تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد، والمعاد أهون عليه. كما قال تعالى : ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ وقوله تعالى : ﴿خلق من ماء دافق﴾ يعني المني يخرج دفقاً من الرجل ومن المرأة فيتولد منهما الولد بإذن الله عزّ وجل . ولهذا قال : ﴿يخرج من بين الصّلب والرائب﴾ صلب الرجل وترائب المرأة وماؤها أصفر رقيق لا يكون الولد إلاّ منهما قال ابن عباد : هذه الترائب ووضع يده على صدره . وروي عنه : بين ثديي المرأة . وقوله تعالى : ﴿أنّه على رجعه لقادر﴾ أي على رجوع الإنسان المخلوق من ماء دافق أي إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة. لقادر لأن من قدر على البداءة قدر على الإعادة من باب أولى . ولهذا قال ﴿يوم تَبْلَى السرائر﴾ أي يوم القيامة. أي تظهر ويبقى السر علانية . وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال ٦٠٣ [يرفع لكل غادر لواء عند أسنّه يقال هذه غدره فلان بن فلان] قوله تعالى : ﴿فما له من قوة ولا ناصر﴾ أي لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع من أحد ذلك .

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الرَّجْعِ﴾ * (١١) ﴿وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ * (١٢)
 إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ * (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ * (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ
 كَيْدًا * (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا * (١٦) فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْمُ لَهُمْ
 رُؤْيَا * (١٧)

﴿والسما ذات الرجع﴾ تمطر ثم تمطر فترجع رزق العباد كل عام . ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم ﴿والأرض ذات الصدع﴾ هو انصداعها عن النبات وقوله تعالى : ﴿إنّه لقولُ فصل﴾ حق وعدل ﴿وما هو بالهزل﴾ بل هو جد حق ﴿إنهم يكيدون كيداً﴾ أي ان الكافرين يكذبهم يُصدون عن سبيل الله ويمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن^(١) ﴿فمهّل الكافرين﴾ أي أنظرهم ولا تستعجل لهم ﴿أهمّ لهم رويدا﴾ أي قليلاً وسترى ماذا أحلّ بهم من العذاب والنكال والهلاك كما قال تعالى : ﴿تمتّعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذابٍ غليظ﴾ آخر تفسير سورة الطارق ولله الحمد والمنة .

(١) (وأكيد كيداً) أي أمدّم في طغيانهم استدراجاً من حيث لا يعلمون ، ثم آخذهم أخذ عزيز مقتدر

(٨٧) سُورَةُ الْأَعْلَى مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثَلَاثُ عَشْرَةَ

نزلت بعد سورة التكوير

روى الامام أحمد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : ٦٠٤ [كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾] تفرد به أحمد . وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ : ٦٠٥ [هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها والليل إذا يغشى] وروى الامام أحمد عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ ٦٠٦ [قرأ في العيدين « سبح اسم ربك الأعلى » وهل أتاك حديث الغاشية » . وان وافق يوم الجمعة قرأهما جميعاً] ولفظ مسلم وأهل السنن ٦٠٧ [كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة « سبح اسم ربك الأعلى » ، وهل أتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما] وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبزى وعائشة أم المؤمنين ٦٠٨ [أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر ... بسبح اسم ربك الأعلى و« قل يا أيها الكافرون » وقل هو الله أحد . « زادت عائشة : والمعوذتين »] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿ (٢)
وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿ (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿ (٤) فَجَعَلَهُ
غُثَاءً أَوْ حَوَى ﴿ (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴿ (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ
يَعْلَمُ الْغُيُوبَ ﴿ (٧) وَنُيْسِرُكَ لِلنَّاسِ ﴿ (٨) فَذَكَرُكَ إِن



نَفَعَتِ الذِّكْرَى * (٩) سَيِّدَ كَرٍّ مَنْ يَخْشَى * (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا
الْأَشْقَى * (١١) الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى * (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَى * (١٣) ﴿﴾

روى الإمام أحمد عن عقبه بن عامر الجهني ٦٠٩ [لما نزلت فسيح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله ﷺ : اجعلوها في ركوعكم ، فلما نزلت : سبح اسم ربك الأعلى قال : اجعلوها في سجودكم] ورواه أبو داود وابن ماجه .

وعن ابن عباس ان رسول الله ﷺ ٦١٠ [إذا قرأ ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ قال : سبحان ربي الأعلى] وعن عبد خير قال سمعت علياً قرأ : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ فقال سبحان ربي الأعلى . وقوله تعالى : ﴿ الذي خلق فسوى ﴾ أي خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات . وقوله تعالى : ﴿ والذي قدر فهدي ﴾ هدى الإنسان للشقاوة والسعادة ، وهدى الأنعام لمراتها . كقوله تعالى اخباراً عن موسى أنه قال لفرعون ﴿ ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : ٦١١ [ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء] .

وقوله تعالى : ﴿ والذي أخرج المرعى ﴾ أي من جميع صنف النباتات والزرع ﴿ فجعله غثاءً أحوى ﴾ أي هشياً متغيراً وقوله تعالى ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾ أي سنقرئك قراءة لا تنساها ﴿ إلا ما شاء الله ﴾ فلا عليك أن تركه وقوله تعالى : ﴿ إنه يعلم الجهر وما يخفى ﴾ أي يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه من ذلك شيء . وقوله تعالى : ﴿ ونيسرك ليسرى ﴾ أي نسهل عليك أفعال الخير ، ونشرع لك شرعاً مستقيماً لا حرج فيه ولا عسر . وقوله تعالى : ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾ أي ذكر حيث تنفع التذكرة ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا تضعه عند غير أهله ... كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم . وقوله تعالى : ﴿ سيدكر من يخشى ﴾ أي سينتظ بالرسالة من قلبه يخشى الله . ﴿ ويتجنبها الأشقى ﴾ الذي يصل النار الكبرى . ثم لا يموت فيها ولا يحيى ﴿ أي لا يموت فيسريح ولا يحيى حياة تنفعه . لأنه يعاقب فيها باليم العذاب وأنواع النكال . وروى

الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : ٦١٢ [أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس - أو كما قال - تصيبهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحمًا اذن في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبشوا على أنهار الجنة فيقال : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل] . ورواه مسلم .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ * (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ
فَصَلَّى * (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * (١٦) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ
وَأَبْقَى * (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * (١٨) صُحُفِ
إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى * (١٩) ﴿

يقول تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ وقد روى أبو بكر البزار بسنده عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ قال : ٦١٣ [من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أني رسول الله ﴿ وذكر اسم ربه فصلى ﴾ قال هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها] وقال قتادة : زكَّى ماله وأرضى خالقه .

ثم قال تعالى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ أي تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها على ما فيه نفعكم وصلاحكم في معاشكم ومعادكم ﴿ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ أي ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى لأن الدنيا فانية والآخرة باقية ؛ فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى ... ؟ وروى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : ٦١٤ [من أحب دنياه أضر بآخرفته ، ومن أحب آخرفته أضر بدنياه فأثروا ما يبقى على ما يفنى] تفرد به أحمد . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ .

أي إن مضمون هذه السورة هي في صحف إبراهيم وموسى . وروى الحافظ أبو بكر البزار عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ قال النبي ﷺ ٦١٥ [كان كل هذا - أو كان هذا - في صحف إبراهيم وموسى]

آخر اختصار تفسير سورة « الأعلى » والله الحمد والمنة .

(٨٨) سُورَةُ الْغَاشِيَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبِئَانَهَا سِتُّ وَعَشْرُونَ

نزلت بعد سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ • (١) و﴿ جُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾ • (٢)
عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ • (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً • (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ
أَنِيبَةٍ • (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ • (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا
يُغْنِي مِنْ جُوعٍ • (٧) ﴿

﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ الغاشية من أسماء يوم القيامة لأنها تغشى الناس وتعمهم
﴿ وجودٌ يومئذٍ خاشعَةٌ ﴾ أي ذليلة تخشع ولا ينفعها عملها، وقوله تعالى: ﴿ عاملة
ناصبَةٌ ﴾ أي قد عملت عملاً كثيراً ونصبت فيه ، وصليت يوم القيامة ناراً حامية
﴿ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴾ أي حارة شديدة الحر ﴿ تسقى من عين أنيبة ﴾ أي انتهى حرها
وغلبانها . وقوله تعالى : ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع ﴾ قال ابن عباس وغيره :
هو الشبرق ، وقال البخاري : قال مجاهد : الضريع نبت يقال له الشبرق يسميه أهل الحجاز
الضريع إذا يبس وهو سمٌ ، وهو من شرّ الطعام ، وأبشعه وأخبثه ؛ وقوله تعالى :
﴿ لا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾ يعني لا يحصل به مقصود ، ولا يندفع به محذور .
﴿ جُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾ • (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ • (٩) فِي

جَنَّةٍ عَالِيَةٍ • (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةٌ • (١١) فِيهَا عَيْنٌ
جَارِيَةٌ • (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ • (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ • (١٤)
وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ • (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ • (١٦)

لما ذكر حال الأشقياء ثنَّى بذكر السعداء. فقال: ﴿وجوه يومئذ﴾ أي يوم القيامة
﴿ناعمة﴾ أي يُعرف النعيم فيها، إنما حصل ذلك بسعيها ﴿لسعيها راضية﴾ قد رضيت
عملها. وقوله تعالى: ﴿في جنة عالية﴾ أي رفيعة بهية في الغرفات آمنون. ﴿لا تسمع
فيها لاغية﴾ أي لا تسمع في الجنة التي لا همَّ فيها كلمة لغو. كما قال تعالى: ﴿لا يسمعون
فيها لغواً ولا تأثيماً. إلاّ قليلاً سلاماً سلاماً﴾ وقوله تعالى: ﴿فيها عين جارية﴾
وهذه نكرة في سياق الإثبات وليس المراد بها عيناً واحدة وإنما هذا جنس، يعني:
فيها عيون جاريات. وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال ٦١٦ [أنهار
الجنة تفجر من تحت تلال أو من تحت جبال المسك] فيها سرر مرفوعة. أي عالية ناعمة
كثيرة الفرش، مرتفعة السمك عليها الحور العين. قالوا فإذا أراد وليّ الله أن يجلس على
تلك السرر العالية تواضعت. ﴿وأكواب موضوعة﴾ يعني أواني الشرب معدة مرصدة
لمن أرادوها من أربابها. ﴿ونمارق مصفوفة﴾ أي وسائد مصفوفة ﴿وزرابي مَبْثُوثَةٌ﴾
أي البسط مَبْثُوثَةٌ ها هنا، وها هنا، لمن أراد الجلوس عليها.

وعن أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: ٦١٧ [ألا هل من مشمرٍ
للجنة، فإن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلأأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد،
ونهر مطرد، وثمرّة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلّك كثيرة، ومقام في أبد،
في دار سليمة وفاكهة، وخضرة، وحبيرة، ونعمة، في محلة عالية بهية. قالوا نعم
يا رسول الله... نحن المشمرون لها، قال: قولوا: إن شاء الله. قال القوم: إن شاء
الله [ورواه ابن ماجه].

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ • (١٧) وَإِلَى
السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ • (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ • (١٩)
وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ • (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ • (٢١)
لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ • (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ • (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ

اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ • (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ • (٢٥) ثُمَّ إِنَّ
عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ • (٢٦) ﴿٢٦﴾

يقول تعالى آمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ فإنها خلق عجيب ، وتركيبها غريب وانها في غاية القوة والشدة وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل ، وتنقاد للقائد الضعيف ، وتؤكل ، ويتفجع بوبرها ويشرب لبنها ، ونُسبوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل ﴿ وإلى السماء كيف رفعت ﴾ أي كيف رفعها الله عز وجل عن الأرض هذا الرفع العظيم ﴿ وإلى الجبال كيف نصبت ﴾ أي جعلت منصوبة ، فإنها ثابتة راسية لثلاث تמיד الأرض بأهلها وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن ﴿ وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ أي كيف بسطت ومدت ومهدت فنبه البدوي على الاستدلال بما يشاهده من البعير والسماء والجبل والأرض ، على قدرة الخالق وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف ، وأنه الإله الذي يعبد وحده . وقوله تعالى : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر ﴾ أي فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم « فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » ولهذا قال ﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾ أي لست تخلق الإيمان في قلوبهم ، وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ ٦١٨ [أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل ثم قرأ : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾] وهذا الحديث مخرج في الصحيحين بدون ذكر هذه الآية . وقوله تعالى : ﴿ إلا من تولّى وكفر ﴾ أي تولّى عن العمل بأركانه ، وكفر بالحق بجنانه ولسانه . وهذا كقوله تعالى : ﴿ فلا صدق ولا صلتى ولكن كذب وتولّى ﴾ ولهذا قال ﴿ فيعذبه الله العذاب الأكبر ﴾ وروى الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي أنه مرّ على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ فقال : ٦١٩ [سمعت من رسول الله ﷺ يقول : كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله] .

وقوله تعالى : ﴿ إن إلينا إيابهم ﴾ أي : مرجعهم ومنقلبهم ﴿ ثم إن علينا حسابهم ﴾ أي نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .
عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ ٦٢٠ [كان يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى ، والغاشية ، في صلاة العيد والجمعة] . وسأل الضحاك بن قيس النعمان بن بشير ٦٢١ [بم كان رسول الله يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة ؟ قال : هل أتاك حديث الغاشية] .
آخر اختصار تفسير سورة الغاشية والله الحمد والمنة والشكر والفضل

(٨٩) سُورَةُ الْفَجْرِ هَكِيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثَلَاثُونَ

نزلت بعد سورة الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ * (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ * (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * (٣)
وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُ * (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ * (٥) أَلَمْ
تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * (٧) الَّتِي لَمْ
يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ * (٨) وَتَمُودَ الَّذِي جَابُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ * (٩)
وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * (١٠) الَّذِي طَغَا فِي الْبِلَادِ * (١١) فَأَكْثَرُوا
فِيهَا الْفُسَادَ * (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * (١٣) إِنَّ
رَبَّكَ لِبَالِمٍ صَادٍ * (١٤)

﴿والفجر﴾ أما الفجر فمعروف وهو الصُّبْحُ . والمراد به فجر يوم النحر خاصة .
﴿وليالٍ عشرٍ﴾ هي عشرُ ذي الحجة وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس مرفوعاً:
٦٢٢ [ما من أيام العملُ الصالحُ أحبُّ إلى الله فيهن من هذه الأيام يعني عشر ذي
الحجة قالوا ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خرج
بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء] وروى الامام أحمد عن جابر عن النبي ﷺ
قال ٦٢٣ [ان العشرَ عشرُ الأضحى ، والوترُ يومُ عرفة ، والشفعُ يومُ النحر لكونه العاشر ^(١)] .

(١) قلت : وهناك أقوال أخرى في تفسير الشفع والوتر ، إنما اخترنا أقواها وأقربها مناسبة والله أعلم .

﴿والليل إذا يسر﴾ قال ابن عباس : إذا ذهب . وقيل إذا سار . وقال عكرمة : يعني ليلة جمع ليلة المزدلفة . روى ابن أبي حاتم بسنده إلى عبد الله بن عمرو قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في قوله ﴿والليل إذا يسر﴾ قال : يسر يا سار ولا تبيتن إلاَّ بجمع . وقوله تعالى : ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ أي لذي عقل وإنما سمي العقل حَجْرًا لأنه يحجُرُ على الإنسان من تعاطي ما لا يليق به ، من الأفعال والأقوال . وهذا القسم هو بأوقات العبادة ، وبنفس العبادة من حج وصلاة ، وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقَرَّب بها إليه عبادُه المتقون المطيعون له . ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم . قال بعد : ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ . وهؤلاء عاد الأولى وهم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح عليه السلام ، وهم الذين بعث فيهم هود عليه السلام ، فكذبوه وخالفوه . فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلك الآخرين بريح صرصر عاتية وقد ذكر الله قصتهم في القرآن ، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون . وقوله : ﴿إرم ذات العماد﴾ عطف ببيان زيادة تعريف بهم . وقال قتادة والسدي : إن إرم بيت مملكة عاد وهذا قول جيد . وقوله تعالى ﴿ذات العماد﴾ أي كانوا طوالا وقيل ان العماد أبنية بنوها ، أو أعمدة بيوتهم فعلى كل ، سواء كان هذا أو هذا... فهم قبيلة وأمة من الأمم وهم المذكورون في القرآن في غير موضع المقرونون بشمود ، كما هاهنا والله تعالى أعلم ... لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم ، وإنما نهبت على ذلك لثلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها (إرم ذات العماد) مبنية بلبن الذهب والفضة ، قصورها ودورها ، وبساتينها وانحصاءها لآلئ وجواهر ، وتراها بنادق المسك ، وأنهارها سارحة ، وثمارها ساقطة ودورها لا أنيس بها ، وسورها وأبوابها تصفر ليس بها داع ولا محجب ، وانها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام وتارة باليمن وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك من البلاد . فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين ومن وضع زنادقتهم ، ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك .

وهناك حكايات أخرى عنها يطول شرحها لا يصح منها شيء ... فهذه الحكايات وأمثالها قريب مما يخبر به كثير من المشعوذين والمتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطير الذهب والفضة ، وألوان الجواهر واليواقيت والآلئ ، والإكسير الكبير لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها فيحتالون على أموال الأغنياء

والضعفة والسفهاء، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقير، ونحو ذلك من الهديانات. والذي يجزم به أن في الأرض دفتان جاهلية وإسلامية وكنوزاً كثيرة من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله. فأما على الصفة التي زعموها فكذب وافتراء وبهت. ولم يصح ذلك شيء مما يقولون والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب.

وقوله تعالى : ﴿ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ﴾ يعني يقطعون الصخر بالوادي قال ابن عباس ينحتونها ويخرقونها. وقال ابن اسحق : كانوا عرباً وكان منزلهم بوادي القرى. وقوله تعالى : ﴿ وفرعون ذي الأوتاد ﴾ وعن ابن عباس : الأوتاد الجنود الذين يشدون له أمره. وقال ثابت البناني عن أبي رافع : قيل لفرعون ذي الأوتاد لأنه ضرب لامرأته المؤمنة ، أربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رحي عظيمة حتى ماتت .

وقوله تعالى : ﴿ الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ﴾ أي قوم عاد وثمود وقوم فرعون تمزدوا وعتوا ، وعاثوا في الأرض بالفساد والأذية للناس. ﴿ فصبَّ عليهم ربك سوطاً عذاب ﴾ أي أنزل عليهم رجزاً من السماء وأحل بهم عقوبة لا يردّها عن القوم المجرمين . وقوله تعالى : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ قال ابن عباس : يسمع ويرى . يعني يرصد خلقه فيما يعملون ويجازي كلّا بسعيه ، وسيحكم فيهم يعدله ، ويقابل كلّا بما يستحق ، وهو المنتزه عن الظلم .

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ (١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ (١٧) وَلَا تَحَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴾ (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (٢٠)

يُنكرُ الله على بعض عباده ، اعتقادهم انه إذا وسع عليهم رزقهم كان إكراماً لهم . وإن ضيق عليهم كان إهانةً لهم . فقال الله تعالى : ﴿ كَلَّا ﴾ أي ليس الأمر كما زعموا ... فإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب ، ويضيق على من يحب وعلى من لا يحب ... وإنما المدار على الطاعة لله في كلا الحالين ، إذا كان غنياً بأن يشكر الله على ذلك ، بإكثار الطاعة له ، كما وإن كان فقيراً بأن يصبر = بمواصلة الطاعة واجتناب المعصية. ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ . =

وقوله تعالى : ﴿ بل لا تكرمون اليتم ﴾ فيه أمر بالإكرام له . وقد روى عبد الله بن المبارك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ [٢٤هـ] خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحَسَّنُ إليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساءُ إليه — ثم قال بأصبعيه — : أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا [وروى أبو داود عن سهل بن سعيد أن رسول الله ﷺ قال : ٦٢٥] « أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة » وقرن بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام [﴿ ولا تحاضون على طعام المسكين ﴾ يعني لا يأمرؤن بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ، ويحث بعضهم على بعض في ذلك ﴿ وتأكلون التراث ﴾ يعني الميراث ﴿ أكلاً لمأ ﴾ أي حلالاً كان أو حراماً ﴿ وتُحبون المال حباً جماً ﴾ أي كثيراً فاحشاً .

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ (٢١) ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (٢٢) ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ (٢٣) ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ (٢٤) ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴾ (٢٥) ﴿ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ (٢٦) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ (٢٧) ﴿ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾ (٢٨) ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ (٢٩) ﴿ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (٣٠)

ينخر تعالى عن أهوال القيامة فقال : ﴿ كَلَّا ﴾ أي حقاً ﴿ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ أي سوَّيت الأرض والجبال وقامت الخلائق من قبورهم لربهم ﴿ وجاء ربك ﴾ (١) يعني لفصل القضاء بين خلقه كما يشاء ، والملائكة يبحثون بين يديه صفوفاً صفوفاً . وقوله تعالى : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ ٦٢٦ [يؤتى بجَهَنَّمَ يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها] وقوله تعالى : ﴿ يومئذ يتذكَّر الإنسان ﴾ أي عمله وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه ﴿ وأنَّى له الذِّكْرَى ﴾ أي وكيف تنفعه الذِّكْرَى ﴿ يقول يا ليتني قدَّمت لحياتي ﴾ يندم على ما أسلف من المعاصي إن كان عاصياً ويودُّ لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعاً كما روى أحمد عن محمد بن عمرة عن أصحاب رسول الله ﷺ قال :

٦٢٧ [لو أن عبداً خرَّ على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت في طاعة الله لحقره يوم القيامة ولودَّ أنه رُدَّ إلى الدنيا كيما يزدادَ من الاجر والثواب]. قال الله تعالى: ﴿ لا يعذب عذابه أحد ﴾ أي ليس أحد أشدَّ عذاباً من تعذيب الله لمن عصاه ﴿ ولا يوثق وثاقه أحد ﴾ أي ليس أحداً أشدَّ قبضاً ووثقاً من الزبانية لمن كفروا بربه عز وجل . وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين فأما النفس الزكية المطمئنة ، وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق ، فيقال لها: ﴿ يا أيُّها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك ﴾ أي ارجعي إلى جواره وثوابه في جنته ﴿ راضية ﴾ أي في نفسها ﴿ مرضية ﴾ أي قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها ﴿ فادخلي في عبادي ﴾ أي في جملتهم ﴿ وادخلي جنتي ﴾ وهذا يقال عند الاحتضار وفي يوم القيامة . وكما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره فكذلك ههنا .

روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الأوزاعي بسنده إلى أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال لرجل ٦٢٨ [قل: اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة تؤمن بقلائك ، وترضى بقضائك وتقنع بمطائك]

آخر اختصار تفسير سورة الفجر والله الحمد والمنّة .

(٩٠) سُورَةُ الْبَلَدِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا عِشْرُونَ

نزلت بعد سورة (ق)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿ (٢)
وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿ (٤) أَيْحَسِبُ
أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴿ (٦)
أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿ (٨) وَلِسَانًا
وَشَفَتَيْنِ ﴿ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿ (١٠) ﴾

﴿ لا ﴾ ردٌّ على الكفار ﴿ أقسم بهذا البلد ﴾ أي أقسم بمكة ﴿ وأنت حل بهذا البلد ﴾ أي بكونك حلالاً به غير محرم ، يحلّ لك القتال فيه ^(١) فقد أحل الله مكة ساعة من نهار لنبيه عليه الصلاة والسلام ، وقد ورد بذلك الحديث المتفق عليه : ٦٢٩ [إن هذا البلد حرّمه ^(٢) الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يُعَصَّدُ شجره ^(٣) ولا يُخْتَلَى خلاه ^(٤) وإنما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فليبلغ الشاهد الغائب] وفي لفظ آخر ٦٣٠ [فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا : إن الله أذن لرسوله ، ولم يأذن لكم] ﴿ ووالد ﴾

(١) قلت : أي أقسم بمكة الحرام التي أحلتها لك أي بحلّها وأنت فيها . (٢) حرمة : أي حرم القتال فيه .

(٣) لا يعصّد شجره : أي لا يقطع . (٤) لا يختل خلاه : أي لا يُنتزَعُ نباته الرطب .

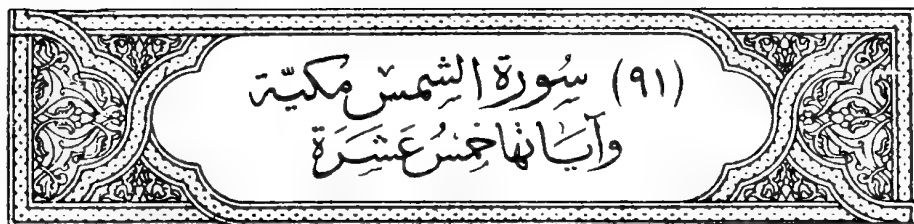
وما ولد ﴿ يعني بالوالد وما ولد. الوالد آدم وما ولد ولده. وهذا الذي ذهب اليه مجاهد وأصحابه، حسن قوي لأنه تعالى لما أقسم بأمر القري، وهي المساكن أقسم بعده بالسكن وهو آدم أبو البشر وولده. وقوله تعالى: ﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴾ أي في مكابدة الأمور ومشاقها وقيل: ﴿ في كبد ﴾ أي متصباً والكبد: الاستواء والاستقامة. أي خلقناه مستوياً مستقيماً. وقوله تعالى: ﴿ أنحسب أن لن يقدر عليه أحد ﴾ أي لن يقدر على سؤاله عن ماله من أين اكتسبه وأين أنفق؟ وقوله تعالى: ﴿ يقول أهلكم مالا لبد ﴾ أي مالا كثيراً ﴿ أنحسب أن لم يره أحد ﴾ أي أنحسب أن لم يره الله عز وجل؟! وقوله تعالى: ﴿ ألم نجعل له عينين ﴾ أي يبصر بهما ﴿ ولساناً ﴾ ينطق به، فيعبر عما في ضميره. ﴿ وشفتين ﴾ يستعين بهما على الكلام، وأكل الطعام، وجمالاً لوجهه وفمه... ؟ ٦٣٠ قال النبي ﷺ « يقول الله تعالى يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعماً عظيماً لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاء، فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك، وإن رأيت ما حرمت عليك فاطبق عليها غطاءها، وجعلت لك لساناً وجعلت له غلاًفاً فانطق بما أمرك وأحللت لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك. وجعلت لك فرجاً وجعلت لك سراً، فأصب بفرجك ما أحللت لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سرك، ابن آدم إنك لا تحمل سخطي ولا تطيق انتقامي ». ﴿ وهديناه النجدين ﴾ أي الطريقين الخير والشر. ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ أنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ (١).

﴿ فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَقَبَةَ ﴾ (١١) وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿ (١٢)
فَكَ رَقَبَةٍ ﴿ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿ (١٤) يَتِيماً ذَا
مَقْرَبَةٍ ﴿ (١٥) أَوْ مَسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَتَوَاصَوْا بِالصِّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ
الْمِثْمَةِ ﴿ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿ (١٩)
عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿ (٢٠)

(١) الهداية هنا: هداية دلالة أي دله على الطريق، وهو الذي يختار الحق فيكون شاكراً، أو يختار الباطل فيكون كافراً... والعباد بالله. وليست الهداية هداية إلزام لخير أو شر،... كيما يكون العبد مستحقاً للنعم... بفضل... أو العذاب... بمذله.

﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ أي أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير ﴿العقبة﴾ قحمة شديدة فاقتموها بطاعة الله ثم قال: ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال: ﴿فك رقبة أو إطعام﴾ أي أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير ثم بيّنها فقال تعالى ﴿وما أدراك ما العقبة . فك رقبة﴾ الرقبة: المملوك . وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ٦٣١ [« من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إربأ أي عضو- منها، إربأ منه من النار حتى أن ليعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج » فقال علي بن الحسين : أنت سمعت هذا من أبي هريرة فقال سعيد : نعم فقال علي بن الحسين للغلام أفره غلامه ^(١) ادع مطرفاً ، فلمّا قَام بين يديه قال : اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله] رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن سعيد بن مرجانة به وعند مسلم أن هذا الغلام الذي اعتقه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطى فيه عشرة آلاف درهم . وقوله تعالى : ﴿ أو إطعام في يوم ذي مسغبة ﴾ قال ابن عباس أي ذي مجاعة. ﴿ أو يتيماً ﴾ أي أطعم في مثل اليوم ﴿ ذا مقربة ﴾ أي ذا قرابة من المطعم. كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد عن سلمان بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: ٦٣٢ [الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة] وقوله تعالى : ﴿ أو مسكيناً ذا متربة ﴾ أي فقيراً مدقماً لاصقاً بالتراب وهو الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب ولا أحد له . وقوله تعالى : ﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ أي ثم هو أي المتصدق مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة، مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل. كما قال تعالى : ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة ﴾ أي كان من المؤمنين العاملين صالحاً ، المتواصين بالصبر على أذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث : ٦٣٣ [الزاحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء] . وقوله تعالى : ﴿ أولئك أصحاب الميمنة ﴾ أي المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين . ثم قال ﴿ والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة ﴾ أي أصحاب الشمال ﴿ عليهم نارٌ مؤصدة ﴾ أي مطبقة عليهم فلا محيد عنها ولا خروج منها، ولا فرج إلى آخر الأبد. «فلا تستقرّ أقدامهم على قرار، ولا ينظرون إلى أديم السماء أبداً، ولا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبداً ، ولا يدوقون فيها باردَ شراب أبداً » رواه ابن أبي حاتم عن أبي عمران الجوني .

آخر اختصار تفسير سورة البلد ، والله الحمد والمنة .



نزلت بعد سورة القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاها * (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا * (١٠)

تقدّم حديث جابر الذي في الصحيحين : [أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ « هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى »] .

قال مجاهد ﴿ الشمس وضحاها ﴾ أقسم الله بالشمس ونهارها ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ تبعها ﴿ والنهار إذا جلاها ﴾ أي إذا غشيها النهار ^(١) ﴿ والليل إذا يغشاها ﴾ يعني إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق ﴿ والسماء وما بناها ﴾ (ما) بمعنى (من) ، يعني والسماء وبانيها ﴿ والأرض وما طحاها ﴾ يعني بسطها وهذا أشهر الأقوال وعليه الأكثر من المفسرين وأهل اللغة . قال الجوهري : طحوته مثل دحوته أي بسطته .

وقوله تعالى : ﴿ ونفس وما سواها ﴾ أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة

(١) قلت : أي أظهرها بجلاء .

كما قال تعالى : ﴿ فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ وفي صحيح مسلم : قال رسول الله ﷺ : ٦٣٤ [يقول الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم] وقوله تعالى : ﴿ فألهما فجورها وتقواها ﴾ أي فأرشدها إلى فجورها وتقواها ، وبين لها الخير والشر .

وقوله تعالى : ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ أي قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله عز وجل ، ويحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دسى الله نفسه .

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في قول الله عز وجل ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ قال النبي ﷺ ٦٣٥ [أفلحت نفس زكاها الله عز وجل ^(١)] ٦٣٦ [ومن دعائه ﷺ إذا مر بهذه الآية ... ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾ . وقف ثم قال : « اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها ، وخير من زكاها »]

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴾ (١١) ﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ (١٢)
فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ (١٣) ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا
فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾ (١٤) ﴿ وَلَا يَخَافُ
عُقَابَهَا ﴾ (١٥)

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي ، فأعقبهم بذلك تكذيباً في قلوبهم بما جاء به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين . ﴿ إذ انبعث أشقاه ﴾ أي أشقى القبيلة وهو « قدار بن سالف » عاقر الناقة وهو أحيمر ثمود وهو الذي قال الله تعالى : ﴿ فنادوا أصحابهم فتعاطى فَعَقَرُ ﴾ وكان هذا رئيساً مطاعاً في قومه . وروى ابن أبي حاتم عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ لعلي : ٦٣٧ [ألا أحدثك بأشقى الناس ؟ قال : بلى : قال : رجلان : أحيمر ثمود الذي عقر الناقة

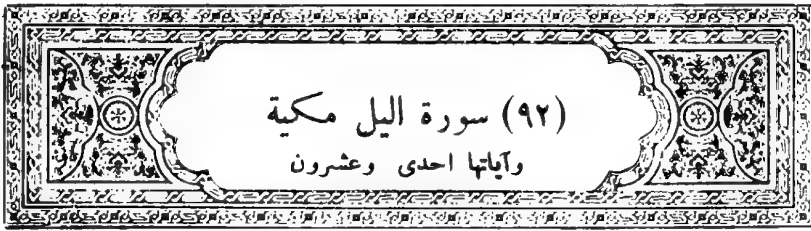
(١) ولا يزكّيها الله إلا إذا زكاها صاحبها بطاعة الله ولهذا قال « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » فيكون تزكية الله لها جزءاً وفاقاً على طاعتها : كما قال تعالى : « فأما عن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » .

والذي يضربك يا علي على هذا يعني قرنه - حتى تبطل منه هذه) يعني لحينه

وقوله تعالى ﴿فقال لهم رسول الله﴾ يعني صالحاً عليه السلام ﴿ناقة الله﴾ أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء ﴿وسقياها﴾ أي لا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم . قال الله تعالى ﴿فكذبوه ففقروها﴾ أي كذبوه فيما جاءهم به ثم عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم ﴿فدمدم عليهم ربهم بذنبهم﴾ أي غضب عليهم فدمرهم ﴿فسواها﴾ أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء لأنهم تابعوا أحيمر ثمود في عقر الناقة صغيروهم وكبرهم وذكرهم واثامهم ولذا دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها ﴿ولا يخاف عقباها﴾ أي لا يخاف الله من أحدٍ تبعة^(١) والله أعلم .

آخر اختصار تفسير سورة والشمس وضحاها ، والله الحمد والمنة .

(١) قلت : هذا بطش الله بثمود وقد تقدم بطشه تعالى بعاد ، وبغرعون وقومه وسواهم ... فأين الذي كان يقول : (وإن بطشي لأشد) ؟ !! إنه اليوم عند ربه ... فإذا كان لم يتب من قوله قبل أن يموت .. فسوف يريه الله كيف يكون بطشه به في قعر جهنم ... حتى يعلم أنه الحق . فتأمل يا أخي ، كيف تفقد « وحدة الوجود » أصحابها إلى النار وتدفعهم فيها دفعا ... أعاذنا الله منها ومنهم .



نزلت بعد سورة الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى * (١) وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى * (٢) وَمَا
خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * (٤) فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ
وَاتَّقَى * (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * (٧)
وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ
لِلْعُسْرَى * (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى * (١١)

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ : [فهلاً صليت : بسبح اسم ربك الأعلى ،
والشمس وضحاها والليل إذا يغشى ...]

أقسم تعالى : ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ أي إذا أغشي الخليفة بظلامه ﴿ والنهار إذا تجلّى ﴾
أي بإشراقه وضياؤه ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وخلقناكم أزواجاً ﴾
ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضاً متضاداً ، ولهذا قال تعالى :

﴿ إن سعيكم لشتى ﴾ أي أعمالكم متخالفة ، فمن فاعل خيراً ومن فاعل شراً . قال
الله تعالى : ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ أي أعطى ما أمر باخراجه ، واتقى الله في أموره
﴿ وصدّق بالحسنى ﴾ أي بالمجازاة على ذلك ، قاله قتادة . كما روى ابن أبي حاتم عن
أبي بن كعب قال : ٦٣٨ [سألت رسول الله عن الحسنى ، قال : الحسنى : الجنة] .

(١) أعني رسالة الله الخالدة التي نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم وهي القرآن العظيم ، أعظم كتاب وأجل رسالة .

وقوله تعالى: ﴿فَسَنِّيْسِرْهُ لِلْيَسْرِ﴾ قال ابن عباس: يعني للخير وقال زيد بن أسلم يعني للجنة وقال بعض السلف: من ثواب الحسنة، الحسنة بعدها ومن جزاء السيئة، السيئة بعدها. ولهذا قال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ أي بما عنده ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ قال ابن عباس: أي بخل بماله واستغنى عن ربه عز وجل رواه ابن أبي حاتم ﴿وكذب بالحسنى﴾ أي بالجزاء في الدار الآخرة ﴿فَسَنِّيْسِرْهُ لِلْعُسْرِ﴾ أي لطريق الشر. كما قال تعالى ﴿وَنَقَلَبْ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. والآيات في هذا المعنى كثيرة، دالة على أن الله عز وجل، يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدر. والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة. روى البخاري بسنده عن علي رضي الله عنه قال: ٦٣٩] كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَقِيعِ الْغُرَقْدِ فِي جَنَازَةِ فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ أَعْمَلُوا فَكُلُّ مِيسِرٍ لَمَّا خُلِقَ لَهُ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِّيْسِرْهُ لِلْيَسْرِ﴾ - إلى قوله - [لِلْعُسْرِ] ﴿وَهَنَّاكَ أَحَادِيثُ أُخْرَى فِي نَفْسِ الْمَالِ مِنْ طَرَفٍ مُخْتَلَفَةٍ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ، نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ثُمَّ رَوَى السَّنَدُ إِلَى عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعْتَقُ عَلَى الْإِسْلَامِ بِمَكَّةَ فَكَانَ يَعْتَقُ عَجَائِزَ وَنِسَاءً أَسْلَمْنَ. فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ أَيُّ بَنِيٍّ أَرَأَيْتَ تَعْتَقُ أَنْسَاءً ضَعْفَاءَ فَلَوْ أَنَّكَ تَعْتَقُ رِجَالًا جُلْدَاءَ يَقُومُونَ مَعَكَ وَيَمْنَعُونَكَ وَيَدْفَعُونَ عَنْكَ فَقَالَ: إِي أَبَتِ إِنَّمَا أُرِيدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ. قَالَ فَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ بَيْتِي أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ قال مجاهد إذا مات.. وقال زيد بن أسلم: إذا ترَدَّى في النار.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿ (١٣)
فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿ (١٥) الَّذِي
كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿ (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ
يَتَزَكَّى ﴿ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿ (١٩) إِلَّا
أَتْبَغَاءَ وَجهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿ (٢١)

أي نبين الحلال والحرام ﴿وان لنا للآخرة والأولى﴾ أي الجميع ملكنا وبتصرفنا

وأنا المتصرف فيهما . وقوله تعالى : ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى ﴾ أي توهج . وروى الإمام أحمد بسنده إلى سماك بن حرب قال : سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول : ٦٤٠ [سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول : « أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ » حَتَّى لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِالسُّوقِ لَسَمِعَهُ مِنْ مَقَامِي هَذَا ، قَالَ حَتَّى وَقَعَتْ خَمِيصَةٌ كَانَتْ عَلَى عَاتِقِهِ عِنْدَ رَجْلَيْهِ] .

وروى مسلم عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ ٦٤١ [ان أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشر أكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي الرجل ، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً .] وقوله تعالى ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ أي لا يدخلها دخولاً يحيط به من جميع جوانبه إلاّ الأشقى . ثم فسره ﴿ الذي كذب ﴾ أي بقلبه ﴿ وتولى ﴾ أي عن العمل بجوارحه وأركانه . وروى الامام أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ٦٤٢ [كُلُّ أُمَّتِي تَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مِنْ أُنْبَى .] قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى [ورواه البخاري .

وقوله تعالى : ﴿ وَسَيَجْنِبُهَا الْأَنْقَى ﴾ أي وسيزحزح عن النار التقى النقي الأنقى ثم فسره بقوله ﴿ الذي يؤتي ماله يتزكى ﴾ أي يصرف ماله في طاعة ربه للزكي نفسه وماله وما وهبه من دين ودنيا ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى ﴾ أي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً ، فهو يعطي في مقابلة ذلك ، وانما دفعه ذلك ﴿ ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴾ أي طمعاً في أن يحصل له رؤيته في روضات الجنة . قال الله تعالى ﴿ ولسوف يرضى ﴾ أي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتى أن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك ، ولا شك انه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها ، فإن لفظها لفظ العموم . وهو قوله تعالى : ﴿ وَسَيَجْنِبُهَا الْأَنْقَى ﴾ الذي يؤتي ماله يتزكى - وما لأحد عنده من نعمة تجزى ﴿ ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الصفات وسائر الأوصاف الحميدة فإنه كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بذلاً لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسوله ﷺ . رضي الله عنه وأرضاه .

آخر اختصار تفسير سورة الليل والله الحمد والمنة .

(٩٣) سُورَةُ الضُّحَى مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا إِحْدَى عَشْرَةٌ

نزلت بعد سورة الفجر

روى الامام أحمد بسنده عن الأسود بن قيس قال سمعت جندباً يقول : ٦٤٣ [اشتكى النبي ﷺ فلم يَقُمْ ليلةً أو ليلتين فَأَتَتْ امرأةٌ فقالت : يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك. فانزل الله عز وجل ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (٩٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالضُّحَى ﴾ (١) ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ (٢) ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (٣) ﴿ وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ (٤) ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ (٥) ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ (٦) ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾ (٧) ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ (٨) ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ (٩) ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ (١٠) ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (١١)

ذكر بعض السلف منهم ابن اسحق أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريل إلى رسول الله ﷺ حين تبدي له في صورته التي خلقه الله عليها . ودنا اليه وتدلَّى منهبطاً عليه وهو بالأبطح : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ قال : قال له هذه السورة : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ وعن ابن عباس : ٦٤٤ [لما نزل على رسول الله ﷺ

القرآن أبطأ عنه جبريل أياما فتغيّر بذلك فقال المشركون : ودّعه ربه وقلاه. فأنزل الله : ﴿ ما ودّعك ربك وما قلى ﴾ [وهذا قسم منه بالضحى وما جعل فيه من الضياء ﴾ والليل إذا سجى ﴾ أي سكن فأظلم. كما قال تعالى : ﴿ فالتق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسانا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ما ودّعك ربك ﴾ أي ما تركك ﴿ وما قلى ﴾ أي ما أبغضك . ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ أي وللدار الآخرة خير لك في هذه الدار ومعلوم من سيرته بالضرورة أنه كان عليه الصلاة والسلام أزهد الناس في الدنيا . وقد روى الإمام أحمد بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال : ٦٤٥ [اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأثّر في جنبه ، فلما استيقظ جعلت أُمسح جنبه وقلت : يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير فقال رسول الله ﷺ ما لي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها] ورواه ابن ماجه . والترمذي وقال حسن صحيح .

وقوله تعالى : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ أي في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته من الشفاعة فيهم. وروى ابو عمرو الأوزاعي عن عبد الله بن عباس : ٦٤٦ [عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزاً كنزاً ففسّر بذلك فأنزل الله سبحانه : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾] ثم قال تعالى يعدّد نعمه على عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه ﴿ ألم يجدك يتيماً فآوى ﴾ وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه. ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب ، وله من العمر ست سنين. ثم كان في كفالة جدّه عبد المطلب إلى أن توفّي ، وله من العمر ثمان سنين. فكفله عمه أبو طالب ، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقّره ويكفّ عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره ، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان ، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره إلى أن توفّي أبو طالب قبل الهجرة بقليل ... فاجترأ عليه سفهاء قريش وجهالهم فاختار الله له الهجرة إلى بلد الأنصار ؛ فلما وصل إليهم آووه ونصروه وأحاطوه وقاتلوا بين يديه رضى الله عنهم أجمعين. وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به . وقوله تعالى : ﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾ كقوله : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿ ووجدك عائلاً فأغنى ﴾ أي كنت فقيراً ذا عيال فأغناك الله عمّن سواه فجمع له بين مقامي ثواب الصبر والشكر وفي

الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ٦٤٧ [ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس] وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ : ٦٤٨ [قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافاً ، وقنعه الله بما آتاه] .

ثم قال تعالى : ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ﴾ أي كما كنت يتيماً فأواك الله فلا تقهر اليتيم أي لا تذله وتنهره ، ولكن أحسن إليه وتلطف به ﴿ وأما السائل فلا تنهر ﴾ أي وكما كنت ضالاً فهداك الله فلا تنهر السائل في العلم المسترشد ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ أي وكما كنت عائلاً وفقيراً فأغنك الله فحدث بنعمة الله عليك . كما جاء في الدعاء المأثور النبوي ٦٤٩ [واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا .] وقال ابو داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال ٦٥٠ [لا يشكر الله من لا يشكر الناس] .

آخر اختصار تفسير سورة الضحى والله الحمد والمنة

(٩٤) سُورَةُ الشَّرْحِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَابِتٌ

نزلت بعد سورة الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ • (١) ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ
وِزْرَكَ ﴾ • (٢) ﴿ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ • (٣) ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ • (٤)
﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ • (٥) ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ • (٦) ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ
فَانْصَبْ ﴾ • (٧) ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ • (٨)

يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ يعني إنا شرحنا لك صدرك أي نورناه وجعلناه
فسيحاً رحيباً واسعاً. كقوله: ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ وكما شرح
الله صدرك كذلك جعل شرعه فسيحاً واسعاً، سمحاً سهلاً، لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق .
وقوله تعالى: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴾ بمعنى ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تأخر ﴾ وقوله تعالى ﴿ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ أي الذي أثقلك حمله . وقوله تعالى :
﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ أي لا أذكرُ إلا ذُكِرْتَ معي: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمداً رسول الله .)

وقال حسان بن ثابت من قصيدة له :

مَنْ اللَّهُ مِنْ نَوْرِ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذَّنُ أَشْهَدُ
فَدُّو الْعَرْشَ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

أَغْرَ عَلَيْهِ لِلنَّبِوةِ خَاتَمُ
وَضَمَّ الْإِلَهَ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِبُجْلِهِ

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ أخبر تعالى أنَّ مع العسر يوجد اليسر، ثم أكدَّ هذا الخبر . وروى ابن أبي حاتم عن عائذ بن شريح قال: سمعت أنس بن مالك يقول ٦٥١ [كان النبي جالساً وحياله حجير، فقال: « لو جاء العسر فدخل هذا الحجير لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه » فأنزل الله عز وجل ﴿ فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾]

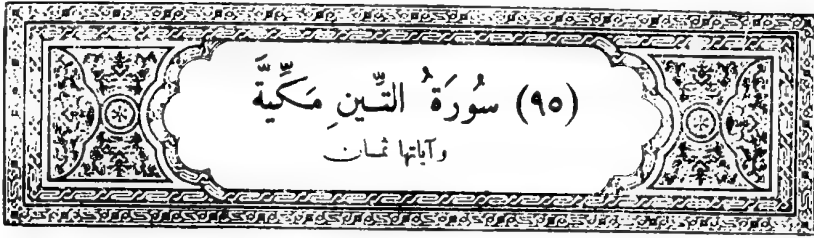
قال الشاعر :

ولرب نازلة يضيقُ بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرجُ
كملتُ فلما استحكمت حلقاتها فرجتُ وكان يظنُّها لا تفرجُ

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَب . وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾ أي إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها، فانصب إلى العبادة، وطم إليها نشيطاً فارغ البال وأخلص لربك النية والرغبة. ومن هذا القبيل قوله ﷺ في الحديث المتفق على صحته: ٦٥٢ [لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان] .

وقوله: ٦٥٣ [إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدأوا بالعشاء] .

آخر اختصار تفسير سورة الأنشراح والله الحمد والمنة .



نزلت بعد سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا
الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾
ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ تَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾
أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

روى مالك وشعبة عن البراء بن عازب : ٦٥٤ [كان النبي ﷺ يقرأ في سفره في
أحدى الركعتين بـ ﴿ والتين والزيتون ﴾ فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه] أخرجه
الجماعة ﴿ والتين والزيتون وطور سينين . وهذا البلد الأمين ﴾ التين والزيتون محلة التين
والزيتون وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى عليه السلام . ﴿ وطور سينين ﴾
وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام ﴿ وهذا البلد الأمين ﴾
هو مكة البلد الذي من دخله كان آمناً وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ .

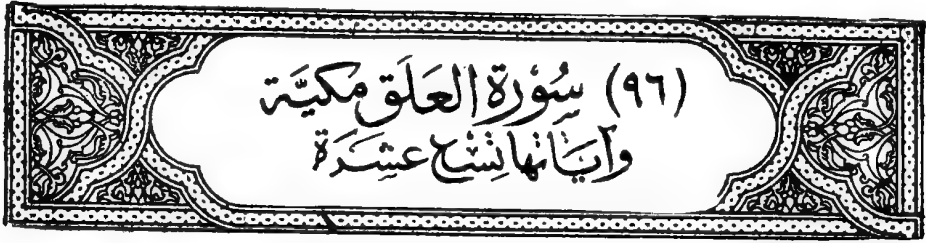
وقالوا في آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : « جاء الله من طور سيناء يعني الذي
كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام وأشرق من ساعير يعني جبل بيت المقدس الذي
بعث الله منه عيسى عليه السلام ، واستعلن من جبال فاران يعني جبال مكة التي أرسل الله
منها محمداً ﷺ » فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان ،
ولهذا أقسم بالأشرف ثم الأشرف منه ثم الأشرف منهما .

وقوله : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ هذا هو المقسم عليه وهو أنه تعالى

خلق الانسان في أحسن صورة ، وشكل منتصب القامة سوي الأعضاء حسنها ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين ﴾ أي إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل. ولهذا قال: ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ قال بعضهم ﴿ أسفل سافلين ﴾ أي أرذل العمير ولو كان هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك لأن المهرم قد يصيب بعضهم إنما المراد ما ذكرناه أي إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل . كقوله تعالى: ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ فلهم أجر غير ممنون ﴾ أي غير مقطوع كما تقدم .

ثم قال : ﴿ فما يكذبك ﴾ أي يا ابن آدم ﴿ بعد بالدين ﴾ أي بالجزاء في المعاد . ولقد علمت البداءة ، وعرفت أن من قدر على البداءة فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى ، فأتي شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا ... ؟ والخطاب هنا للإنسان المكذب .. وقوله تعالى : ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ أي أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجر ولا يظلم أحداً ، ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه .

وفي الحديث عن أبي هريرة مرفوعاً: ٦٥٥ [فإذا قرأ أحدكم ﴿ والتين والزيتون ﴾ فأتى على آخرها ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ فليقل : بلى وإنّا على ذلك من الشاهدين] آخر اختصار تفسير سورة ﴿ والتين والزيتون ﴾ والله الحمد والمنة .



وهي أول سورة نزلت من القرآن في غار حراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ • (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ • (٥) ﴿٥﴾

إن أول ما نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات ، وهن أول رحمة رحم الله بها العباد ، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم ، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الانسان من علقه . وإن من كرمه تعالى أن علّم الإنسان ما لم يعلم ، فشرّفه وكرّمه بالعلم ، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة . والعلم تارة يكون في الأذهان ، وتارة يكون باللسان ، وتارة يكون في الكتابة بالبنان ذهني ولفظي ورسمي . والرسمي يستلزمها من غير عكس فلهذا قال : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ . وفي الأثر : ٦٥٦ [قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَةِ] وفيه : ٦٥٧ [مَنْ عَمِلَ بِمَا عُلِّمَ وَرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ] .

وحديث ابتداء الوحي : روى الأمام أحمد عن عائشة قالت ٦٥٨ [أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي : الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يأتي غار حراء ، فيتحنّث - وهو التعبّد - فيه الليالي ذوات العدد

ويتزود لذلك. ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فجأه الوحي وهو في غار حراء. فجاءه الملك فيه، فقال: اقرأ... قال رسول الله ﷺ: فقلت: ما أنا بقارىء - قال: - فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ... فقلت: ما أنا بقارىء. فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ بسم ربك الذي خلق - حتى بلغ - ما لم يعلم﴾ قال: فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال « زملوني زملوني » فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: « يا خديجة مالي؟ » وأخبرها الخبر وقال: وقد خشيتُ على نفسي فقالت له: كلا أبشر.. فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي. وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأً قد تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت خديجة: إني ابن عم: اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة: ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم؟» فقال ورقة: نعم. لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي. وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كي يردى من رؤوس شواهد الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً. فيسكن بذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع. فإذا طالت عليه فترة الوحي، غدا لمثل ذلك. فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك [وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى ﴿٧﴾

إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا

إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ

بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ

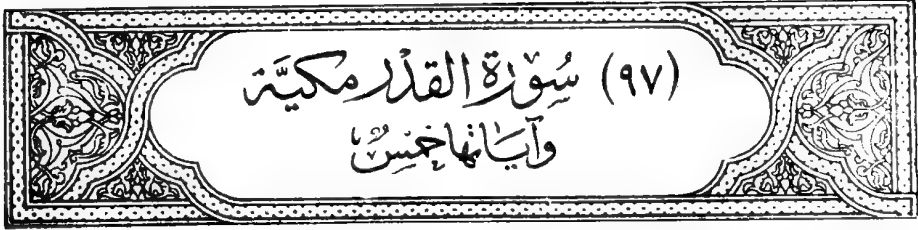
يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةِ

كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ • (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ • (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ • (١٨)
كَلَّا لَا تَطْعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ • (١٩)

يخبر تعالى عن الإنسان انه ذو طغيان ، إذا رأى نفسه قد كثر ماله ثم تهده فقال : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۚ إِنَّ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ۚ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجْعَىٰ ﴾ أي إلى الله المصير والرجوع ، وسيحاسبك على مالك من أين جمعته ، وفيه صرفته . وقد روي حديث مرفوع : ٦٥٩ منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب دنيا . ثم قال : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴾ نزلت في أبي جهل لعنه الله توعده النبي ﷺ على الصلاة عند البيت . ثم قال : ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴾ يعظ أبا جهل بالحسن أولاً أي فما ظنك يا أبا جهل إن كان هذا الذي تنهاه ، على الطريق المستقيمة في فعله . ﴿ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴾ بقوله . وأنت تزجره وتتوعده على صلاته . ولهذا قال : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ أي أما علم ان الله يراه ويسمع كلامه ، وسيجازه على فعله أتم الجزاء ؟ ثم قال مهتداً : ﴿ كَلَّا لَنْ يَنْتَهَىٰ ﴾ أي ان لم يرجع عن عناده ﴿ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ لنسفعها سواداً يوم القيامة ثم قال : ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ كاذبة في مقالها خاطئة في أفعالها ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ أي قومه يستنصر بهم ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب أحزبنا أو حزبه .

روى البخاري عن ابن عباس قال : ٦٦٠ [قال أبو جهل : لئن رأيتُ محمداً يصلي عند الكعبة لأطأنَّ على عنقه . فبلغ النبي ﷺ فقال : « لئن فعل لأخذته الملائكة »] وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَا تَطْعُهُ ﴾ يعني يا محمد لا تطعه فيما ينهاك عنه ، وصل حيث شئت والله حافظك وناصرك وعاصمك من الناس ﴿ واسجد واقترب ﴾ كما ثبت في الصحيح - صحيح مسلم - عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ٦٦١ [أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثر وافيه من الدعاء] وتقدم أيضاً أن رسول الله ﷺ وسلم كان يسجد في ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ و ﴿ اقرأ بسم ربك الذي خلق ﴾

آخر اختصار تفسير سورة العلق والله الحمد والمنة .



نزلت بعد سورة عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ • (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ • (٣) تَنْزِيلُ الْمَلَكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ • (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ • (٥)

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ أي إنا أنزلنا القرآن في ليلة مباركة هي ليلة القدر وهي في شهر رمضان المبارك ^(١) وقد نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا . ثم نزل شيئاً فشيئاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ وما أدراك ما ليلة القدر ﴿ هذا تعظيم لشأن هذه الليلة التي اختصها الله بإنزال القرآن العظيم فيها لا سيما وهي : ﴿ خير من ألف شهر ﴾ أي أن عملاً فيها خير من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر. وذلك كقوله ﷺ : ٦٦٢ [رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة مما سواه من المنازل] رواه أحمد. وروى أبو هريرة قال : لما جاء رمضان قال رسول الله ﷺ ٦٦٣ [قد جاءكم شهر رمضان مبارك افترض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر . من حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ] ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها ألف شهر. ثبت

(١) قلت : وذلك خلافاً لما يقولون أنها في نصف شعبان وليس من دليل صحيح معهم . راجع تعليقتنا بقول سورة

في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ٦٦٤ [من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه] .

وقوله تعالى : ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ﴾ أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركاتها والملائكة ينتزكون مع تنزل البركة والرحمة. كما ينتزكون عند قراءة القرآن ، ويحيطون بحلق الذكر^(١) ، ويضعون أجنتهم لطالب العلم الصادق تعظيماً له . وأما الروح فالمراد به جبريل عليه السلام وقوله ﴿ سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ أي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوء أو يعمل فيها أذى وتُقضى فيها الأمور وتقدر فيها الآجال والأرزاق. كما قال تعالى : ﴿ فيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾^(٢) وقيل أن الملائكة تنزل وتمر بالمصلين ليلة القدر وتسلم عليهم حتى مطلع الفجر .

في أي ليلة هي ...؟

١ - وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : ٦٦٥ [ليلة القدر في العشر البواقي - من رمضان من قامهن ابتغاء حسبتهن فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهي ليلة وتر : تسع ، سبع ، خامسة ، أو ثالثة .]

٢ - وروى مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ : ٦٦٦ [إنها ليلة سبع وعشرين] .

٣ - وعن معاوية وابن عمر وابن عباس وغيرهم عن رسول الله ﷺ : ٦٦٧ [أنها ليلة سبع وعشرين]^(٣) .

٤ - وقد حكى بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن من قوله ﴿ هي ﴾ لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة والله أعلم .

أمارتها :

قال رسول الله ﷺ ٦٦٨ [إن أماراة ليلة القدر أنها صافية بليغة كأن فيها قمرأ ساطعاً ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب يرمي به حتى يصبح .] وإن أمارتها : ٦٦٩ [أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ] وهذا إسناد حسن .

آخر اختصار تفسير سورة القدر والله الحمد والمنة .

(١) قلت : يعني جلق العلم ، وقراءة القرآن ، لالحلق الرقص كما تفعل الطرق الصوفية اليوم (٣ و٢) فما قول من لا يزالون يقولون أنها في (١٥) شعبان اعتقد أنهم سيرجعون عن قولهم هذا بعد اطلاعهم على قول الله وأقوال رسوله (ص).

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ مَلَانِيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَكَّانُ

نزلت بعد سورة الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ * (١) رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً * (٢) فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ * (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ * (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ * (٥)

روى الامام أحمد بسنده إلى عمار بن أبي عمار قال: سمعت أبا حبة البدري وهو وهو مالك بن عمرو بن ثابت الأنصاري قال: ٦٧٠ [لما نزلت : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ... ﴾ قال جبريل : يا رسول الله إن ربك يأمرك ان تقرئها (أبياً) فقال النبي ﷺ لأبي : إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة . قال أبي وقد ذكرت ثم يا رسول الله ؟ قال : نعم قال : فبكى أبي]

حديث آخر :

وروى الإمام أحمد بسنده إلى أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب ٦٧١ [إن الله أمرني أن أقرأ عليك : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ... ﴾

قال : وسمّاني لك ؟ قال : نعم . فبكى . [ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث شعبة به .

وروى الحافظ أبو موسى المديني ، وابن الأثير ، من طريق الزهري عن اسماعيل بن أبي كلثم عن مطر المزني - أو المدني - عن النبي ﷺ : ٦٧٢ [إن الله يسمع قراءة : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ ويقول : أبشر عبدي ، فوعزتي لا أنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة ولا مكنّ لك في الجنة حتى ترضى] . .

أمّا أهل الكتاب : فهم اليهود والنصارى . والمشركون : عبدة الأوثان والنيران من العرب والعجم . قال مجاهد : لم يكونوا ﴿ منفكين ﴾ يعني متّهين حتى يتبيّن لهم الحق ﴿ حتى تأتيهم البينة ﴾ أي هذا القرآن ثم فسر البينة بقوله ﴿ رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة ﴾ يعني محمداً ﷺ وما يتلوه من القرآن العظيم . وقوله تعالى : ﴿ فيها كتب قيّمة ﴾ أي عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ لأنها من عند الله عز وجل .

وقوله تعالى : ﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلاّ من بعد ما جاءتهم البينة ﴾ يعني بذلك أهل الكتب المتزلة على الأمم قبلنا ، بعدما أقام الحجج والبيّنات تفرقوا واختلفوا في الذي أَرادَه الله من كتبهم . وقوله تعالى : ﴿ وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ كقوله : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحى إليه أنه لا إله إلاّ أنا فاعبدون ﴾ ولهذا قال : ﴿ حنفاء ﴾ أي متحنفين من الشرك إلى التوحيد وقد تقدم « الحنيف » في سورة الأنعام ^(١) بما أغنى عن إعادته ههنا ﴿ وقيموا الصلاة ﴾ وهي أشرف عبادات البدن ﴿ ويؤتوا الزكاة ﴾ وهي الإحسان إلى الفقراء ﴿ وذلك دين القيّمة ﴾ أي الملة القائمة العادلة وقد استدل كثير من الأئمة كالزهري والشافعي بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الإيمان

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ

جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ

جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

يخبر تعالى عن كفره أهل الكتاب ، والمشركين أنهم خالدون في جهنم ﴿ أولئك هم شر البرية ﴾ أي شر الخليقة . ثم أخبر سبحانه عن حال الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بأبدانهم ، بأنهم خير البرية وقد استدل أبو هريرة بهذه الآية ومعه طائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة لقوله : ﴿ أولئك هم خير البرية ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ جزاؤهم عند ربهم ﴾ أي يوم القيامة ﴿ جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أبداً ﴾ أي بلا انفصال ولا انقطاع ولا فراغ ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ ومقام رضاه عنهم ، أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم ﴿ ورضوا عنه ﴾ فيما منحهم من الفضل العميم .

وقوله تعالى : ﴿ ذلك لمن خشي ربّه ﴾ أي هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه ، وعبدته كأنه يراه .

روى الامام أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ٦٧٣ [ألا أخبركم بخير البرية ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال : رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هيعة استوى عليه . ألا أخبركم بخير البرية ؟ قالوا بلى يا رسول الله : قال : رجل في ثلثة من غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة . ألا أخبركم بشر البرية ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : الذي يسأل بالله ولا يعطي به] .

آخر اختصار تفسير سورة البينة والله الحمد والمنة .

(٩٩) سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا مَكِّنَاتٌ

نزلت بعد سورة النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ (١) وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ
أَثْقَالَهَا ﴿ (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴾ (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ
أَخْبَارَهَا ﴿ (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ
أُشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٧)
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ (٨) ﴾

قال ابن عباس ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ أي تحركت من أسفلها ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ يعني ألفت ما فيها من الموتى ، قاله غير واحد من السلف وهذه كقوله تعالى : ﴿ وإذا الأرض مدت وألفت ما فيها وتخلت ﴾ وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : ٦٧٤ [تلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة ، فيحیی القاتل فيقول . في هذا قتلت ، ويحيى القاطع فيقول في هذا قطعت . رحمني ويحيى السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه

شيئاً] . وقوله عز وجل : ﴿ وقال الإنسان ما لها ﴾ أي استنكر أمرها فبعدما كانت ثابتة صارت مضطربة ثم ألفت ما في جوفها من الأموات الأولين والآخرين وقوله تعالى : ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ أي تحدث بما عمل العاملون على ظهرها فقد روى الإمام أحمد بسنده إلى أبي هريرة قال ٦٧٥ [قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ قال : أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها] ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب .

وقوله تعالى : ﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾ بمعنى أوحى إليها أي أمرها أن تنشق عنهم فانشقت ، وأن تقول فقالت : ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ﴾ أي فرقاً وأنواعاً وأصنافاً بين شقي وسعيد ﴿ ليروا أعمالهم ﴾ أي ليعملوا ويحاسبوا بما عملوا خيراً أو شراً ولهذا قال : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ . روى الإمام أحمد بسنده عن الحسن ٦٧٦ [عن صعصة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ قال : حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها] .

وفي صحيح البخاري عن عدي مرفوعاً : ٦٧٧ [اتقوا النار ولو بشق تمرة ، ولو بكلمة طيبة] وله أيضاً في الصحيح ٦٧٨ [لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المستسقي ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط] . وفي الصحيح أيضاً ٦٧٩ [يا معشر نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة] يعني ظلّفها . وفي الحديث الآخر ٦٨٠ [ردّوا السائل ولو بظلف محرق] وروى الإمام أحمد عن عائشة أن النبي ﷺ كان يقول ٦٨١ [يا عائشة اياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً] وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود : أن رسول الله ﷺ قال : ٦٨٢ [يا أيكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه ...]

آخر اختصار تفسير سورة « إذا زلزلت » والله الحمد والمنة .

(١٠٠) سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا اخْدَى عَشْرَةٌ

نزلت بعد سورة العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿ وَالْعَادِيَّاتِ صَبْحًا ﴾ (١) ﴿ فَالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا ﴾ (٢)
﴿ فَاَلْمَغِيرَاتِ صُبحًا ﴾ (٣) ﴿ فَاتْرُنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ (٤) ﴿ فَوْسَطْنَ بِهِ
جَمْعًا ﴾ (٥) ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ (٦) ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ
لَشَهِيدٌ ﴾ (٧) ﴿ وَإِنَّهُ لَحَبُّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (٨) ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ
مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ (٩) ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ (١٠) ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ
يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ (١١)

يقسم تعالى : بالخيول إذا أجريت في سبيله فعدت وضيحت وهو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو ﴿ فالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا ﴾ يعني اصطكاك نعالها بالصخر فتقدح منه النار .
﴿ فَاَلْمَغِيرَاتِ صُبحًا ﴾ يعني الإغارة وقت الصباح ٦٨٣ [كان رسول الله ﷺ يغير صباحاً ويستمع الأذان فإن سمع أذاناً وإلا أغار] . وقوله تعالى : ﴿ فَاتْرُنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ يعني غباراً في مكان معترك الخيول ﴿ فَوْسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ أي توسطن ذلك المكان كلهن وعن علي ابن أبي طالب أنها الإبل . وعن ابن عباس هي الخيل فبلغ علياً قول ابن عباس فقال : ما كانت لنا خيل يوم بدر . وما كان معنا إلا فرسان : فرس للزبير وفرس للمقداد ؛ فكيف تكون العاديات صبحاً ؟ إنما العاديات صبحاً من عرفة الى المزدلفة ، فإذا أووا الى

المزلفة أورو النيران . قال ابن عباس : فنزعت عن قولي ، ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه . قال ابن جرير والصواب أنها الخيل حين تقدح بخوافرها ^(١) ﴿ إن الإنسان لربه لكنود ﴾ أي انه لنعم ربه لكفور جحود . والكنود الكفور . وقال الحسن هو الذي يعد المصائب وينسى نعم الله عليه . ﴿ وإنه على ذلك لشهيد ﴾ أي إن الإنسان على كونه كنوداً لشهيد أي بلسان حاله . وقوله تعالى : ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ أي انه لحب المال لشديد أو حريص بخيل من محبة المال وكلاهما صحيح .

ثم قال تعالى مهزداً في الدنيا ومرغباً في الآخرة : ﴿ أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور ﴾ أي أخرج ما فيها من الأموات ﴿ وحصل ما في الصدور ﴾ قال ابن عباس وغيره يعني أبرز وأظهر ما كانوا يُسِرُّون في نفوسهم ﴿ إن ربهم بهم يومئذ لخبير ﴾ أي لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ويجازيهم عليه أوفر الجزاء ولا يظلم مثقال ذرة .

آخر اختصار تفسير سورة العاديات والله الحمد والمنة .

(١) قلت : ونحن مع ابن عباس رضي الله عنه ، أنها الخيل ، - حتى ولو رجع عن قوله إلى قول علي رضي الله عنهما أنها الإبل ... - لأننا إذا قلنا أنها الإبل تصيح من عرفة إلى مزدلفة ، فهذا وصف مخالف للوصف الوارد في الآية ١ - لأن الإبل لا تقدح النار من خلفها ... ٢ - لأن الدفع من عرفة إلى مزدلفة إنما هو عند الغروب بينما الآية تقول : « فالموريات قدحاً » فالمغريات صبحاً .

٣ - أما تفسير « فالموريات قدحاً » : (بأن الناس إذا أروا إلى المزدلفة أورو النيران) فالآية تقول (فالموريات قدحاً) بالتأنيث ولو كان المراد الناس لقال : فالمورين قدحاً .

٤ - قوله تعالى (فالمغريات صبحاً) يدل على شدة العدو لان الإغارة تتطلب الغاية القصوى في العدو والحري على الأعداء . بينما الدفع من عرفة إلى مزدلفة ، ومن مزدلفة إلى منى ، لا يكون إغارة ... بل على العكس فان النبي صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين بالسكينة في مشيهم ، والسكينة عكس الإغارة . وهكذا يتضح أن المراد من العاديات الخيل لا الإبل والله تعالى أعلم وهو الموفق للصواب .

سُورَةُ الْقَارِعَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا أَحَدَى عَشْرَةَ

نزلت بعد سورة قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

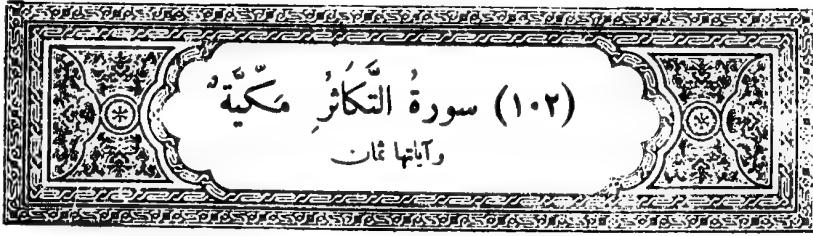
﴿ الْقَارِعَةُ ﴾ • (١) مَا الْقَارِعَةُ • ﴿ (٢) وَمَا أَذْرَاكَ مَا
الْقَارِعَةُ • ﴿ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ • ﴿ (٤)
وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ • ﴿ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ • ﴿ (٦)
فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ • ﴿ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ • ﴿ (٨) فَأُمُّهُ
هَارِيَةٌ • ﴿ (٩) وَمَا أَذْرَاكَ مَا هِيَّةَ • ﴿ (١٠) نَارُ حَامِيَةٍ • ﴿ (١١) ﴿

القارعة من أسماء يوم القيامة كالخاقة والطامة والصاخة والغاشية وغير ذلك. ثم قال تعالى معظماً أمرها ﴿ ما القارعة وما أدراك ما القارعة ﴾ ثم فسّر ذلك بقوله : ﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ﴾ في انتشارهم وتفرقهم من حيرتهم مما هم فيه كقوله : ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ أي كالصوف المنفوش الذي شرع في التمزق . ثم أخبر تعالى : عما يؤول إليه عمل العاملين من الكرامة والإهانة بحسب عملهم. فقال : ﴿ فأما من ثقلت موازينه ﴾ أي رجحت حسناته على سيئاته ﴿ فهو في عيشة راضية ﴾ يعني في الجنة ﴿ وأما من خفت موازينه ﴾ أي رجحت سيئاته على حسناته ﴿ فأُمُّهُ هَارِيَةٌ ﴾ فهو ساقط هارٍ بأم رأسه في جهنم . وقيل معناه : فأمة

فأَمَّهُ التي يرجع إليها في المعاد كأنها الهاوية، أو هي الهاوية، وهي اسم من أسماء النار. قال ابن جرير وإنما قيل للهاوية أمّه لأنه لا مأوى له غيرها. ولهذا قال تعالى مفسراً للهاوية ﴿وما أدراك ما هية نار حامية﴾ أي حارة شديدة الحر قوية الالهب والسعير. روى أبو مصعب بسنده إلى أبي هريرة أن النبي ﷺ قال ٦٨٤ [نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية فقال إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً] ورواه البخاري ومسلم وفي بعض ألفاظه : ٦٨٥ [إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها] .

وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال ٦٨٦ [اشتكت النار فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها وأشد ما تجدون في الصيف من حرها] .

آخر اختصار تفسير سورة القارعة والله الحمد والمنة .



نزلت بعد سورة الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ * (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * ﴿٢﴾ كَلَّا
سَوْفَ تَعْلَمُونَ * (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
عِلْمَ الْيَقِينِ * (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ﴿٧﴾
ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ * ﴿٨﴾

﴿ألهاكم التكاثر﴾ في الأولاد والأموال ، وشغلنكم الدنيا عن الآخرة. ﴿حتى زرتم المقابر﴾ أي حتى جاءكم الموت. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ٦٨٧ [يقول العبد مالي مالي وإنما له من ماله: ما أكمل فأفنى ، ولبس فأبلى ، أو تصدق فأمضى ، وما سوى ذلك فذاهب وتاركة للناس .] وفي الصحيحين عن أنس أن النبي ﷺ قال ٦٨٨ [يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل]. وروى ابن عساكر في ترجمة الأحنف بن قيس (أنه رأى في يد رجل درهماً فقال لمن هذا الدرهم ؟ فقال الرجل : لي فقال : إنما هو لك إذا انفقته في أجر أو ابتغاء شكر . ثم أنشد متمثلاً قول الشاعر

أنت للمال إذا أمسكته * فإذا انفقته فالمال لك

وقوله ﴿كلّا سوف تعلمون ، ثم كلّا سوف تعلمون﴾ قال الحسن هذا وعيد بعد

وعيد ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ أي لو علمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة حتى صرتم إلى المقابر. ثم قال: ﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ هذا تفسير الوعيد المتقدم وهو قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ توعدهم بهذا الحال. وهو رؤية أهل النار التي إذا زفرت زفرة واحدة خرَّ كل ملك مقرب ونبي مرسل على ركبته من المهابة والعظمة ومعاينة الأحوال. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ النَّعِيمَ﴾ أي ثم لتسألن يومئذٍ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك.

روى ابن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: [بينما أبو بكر وعمر جالسان إذ جاءهما النبي ﷺ فقال: ٦٨٩ «ما أجلسكما ههنا؟» قالا والذي بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلاّ الجوع. قال: «والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره.» فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار فاستقبلتهم المرأة فقال لها النبي ﷺ: أين فلان فقالت ذهب يستعذب لنا ماء. فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال: مرحباً ما زار العباد شيء أفضل من نبي زارني اليوم. فعلت قربته بكرب نخلة وانطلق فجاءهم بعذق؛ فقال النبي ﷺ: «ألا كنت اجتنت؟» فقال: أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم، ثم أخذ الشفرة فقال له النبي ﷺ: «إياك والخلوب» فذبح لهم يومئذ فأكلوا؛ فقال لهما النبي ﷺ: «لتسألن» عن هذا يوم القيامة. أخرجكم من بيوتكم الجوع فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا.. فهذا من النعم] ورواه مسلم وأبو يعلى وابن ماجه وقد رواه أهل السنن الأربعة. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ النَّعِيمَ﴾ قال: النعم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم. وهو قوله تعالى: ﴿إِن السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ وثبت في صحيح البخاري وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: ٦٩٠ [نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ] ومعنى هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين، لا يقومون بواجبهما. ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه، فهو مغبون. آخر اختصار تفسير سورة التكاثر والله الحمد والمنة.

(١٠٣) سُورَةُ الْعَصْرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثَلَاثٌ

نزلت بعد سورة الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿ (٢) إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (٣)

﴿ والعصر ﴾ الزمان وقال زيد بن أسلم : صلاة العصر والمشهور الأول . فأقسم تعالى بذلك على ان الإنسان لفي خسارة وهلاك ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ فاستثنى من جنس الإنسان من الخسران الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ أي على المصائب والأقذار وأذى من يؤذيه ممن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر .

وذكر عمرو بن العاص أنه وفد على مسيلمة الكذاب قبل أن يسلم عمرو فقال له مسيلمة ، ماذا نزل على صاحبكم في هذه المدة ؟ فقال : لقد نزل عليه سورة وجيزة بليغة . فقال : وما هي ؟ فقال : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ ففكر مسيلمة هنيهة ثم قال : وقد أنزل عليّ مثلها . فقال له عمرو : وما هو ؟ فقال يا وبّر يا وبّر وإنما أنت اذنان وصدر ، وسائرك حفر نقر ، ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنك لتعلم أنني أعلم أنك تكذب .

وقال الشافعي رحمه الله تعالى : لو تدبّر الناس هذه السورة لوسّعتهم .

آخر اختصار تفسير سورة والعصر ولله الحمد والمنة .

(١٠٤) سُورَةُ الْهُمَزَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا نُسِّعَ

نزلت بعد سورة القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿(٢)
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ (٣) ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ
مَا الْحُطَمَةُ ﴿(٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى
الْأَفْتَدَةِ ﴿(٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ (٨) فِي غَمْدٍ مُّمدَّدةٍ ﴿(٩)﴾

﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ الهمّاز بالقول، واللمّاز بالفعل. يعني يزدرى الناس وينتقص بهم، وقد تقدم ذلك في قوله تعالى ﴿هَمَازٍ مَّشَاءٍ بَنِيمٍ﴾ (١) قال ابن عباس همزة لمزة طعان معياب. قال قتادة: الهمزة واللمزة لسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم. وقال مجاهد الهمزة باليد والعين واللمزة باللسان (٢) وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ أي جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده. وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أي يظن أن جمعه المال يخلّده في هذا الدار ﴿كَلَّا﴾ أي ليس الأمر كما زعم. ثم قال ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ أي ليلقى في النار لأنها تحطم من فيها. ولهذا قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ نار الله الموقدة التي تطلّع على الأفئدة ﴿أي تحرقهم إلى

(١) راجع سورة القلم رقم ٦٨/ الآية رقم ١١ من هذا المجلد.

(٢) الهمزة المفتاب، واللمزة المعياب.

(١٠٤-الهمزة-ج٣٠) : الهماز ونالمازون والماعون الزكاة ستحرقهم النار حتى تنفذ إلى أفئدتهم ٥٥١

الأفئدة وهم أحياء . وقوله تعالى : ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّصَدَّةٌ﴾ أي مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد^(١) وقوله تعالى : ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ أي مؤصدة بعمد من نار ممددة .
آخر اختصار تفسير سورة الهمزة والله الحمد والمنة .

(١) راجع سورة البلد عند قوله تعالى : «عليهم نار مؤصدة» .



نزلت بعد سورة (الكافرون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ * (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدُهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ * (٥) ﴿

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ أصحاب الفيل هم الذين قدموا مع أبرهة الحبشي من اليمن لهدم الكعبة. فتولى تعالى وحده، الدفاع عن بيته المحرم. وهذه من النعم التي آمن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود. فأبادهم الله، وأرغم آناهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، وردّهم بشر خيبة. وكانوا قومًا نصارى وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأصنام ولكن كان هذا من باب الإراصاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال وأن الله لم ينصر قريشاً على الحشّة لخيرتهم عليهم ولكن صيانةً للبيت العتيق الذي شرفه الله وعظمه ووقره ببعثة خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

موجز القصة: بنى أبرهة الحبشي كنيسةً في صنعاء شاهقة مزخرفة الأرجاء، وقد عزم أن يصرف حج العرب إليها بدلاً من الكعبة! ونادى بذلك في مملكته، فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك... وغضبت قريش غضباً شديداً، حتى قصدها بعضهم وتوصل

إلى دخول الكنيسة ليلاً فأحدث فيها... وكرّ راجعاً فأخبر أبرهة بذلك ؛ فأقسم انه ليسيرنّ إلى بيت مكة وليخربنه حجراً حجراً . وذكر مقاتل بن سليمان أن فتية من قريش دخلوها وأجّجوا فيها ناراً وكان يوماً شديد الريح فاحترقت وسقطت إلى الأرض . فسار أبرهة في جيش كثيف عرمرم ، واستصحب فيلاً عظيماً كبير الحثة يقال له محمود ورأى العرب انه حقّ عليهم المحاجة دون البيت فخرج « ذو نفر » في قومه وهو أحد أشراف اليمن وملوكهم ولكن هزمه أبرهة وأسرّه ، وكذلك اعترض أبرهة نفيل بن حبيب الخثعمي هو وقومه مدة شهرين فهزمهم أبرهة أيضاً وأسر نفيلاً وهم بقتله ثم عفا عنه واستصحبه ليدله في بلاد الحجاز ولما مر بالطائف صانعه أهلها وأرسلوا معه « أبا رغال » دليلاً فلما انتهى أبرهة بجيشه إلى (المغمس) وهو قريب من مكة نزل به وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها فأخذوه وكان فيه مثناً بعير (لعبد المطلب) ، وأرسل أبرهة (حنطة الحميري) وأمره أن يأتيه بأشرف قريش ، ويخبرهم أنه لم يأت الحربهم ، إلا أن يصدّوه عن البيت . فعاد حنطة ومعه عبد المطلب فأجلّه أبرهة ونزل عن السرير ، وجلس معه على البساط ، وسأله -بواسطة ترجمانه- عن حاجته فقال حاجتي ان يردّ علي الملكُ مثنيّ بعير أصابها لي . فقال أبرهة ، أعجبتُ بمرآك وزهدني فيك كلامك ! أتكلمني في مثني بعير أصبتها لك ، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك ، قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه !! فقال عبد المطلب : إني أنا ربّ الإبل وإن للبيت ربّاً سيمنعه قال : ما كان ليمنع مني . قال أنت وذلك . ثم ردّ أبرهة الإبل إلى عبد المطلب ﴿ ألم يجعل كيدهم في تضليل ﴾ ثم رجع إلى قريش فأمرهم بالتحصن في رؤوس جبال مكة تخوفاً عليهم من معرة الجيش ثم قام ومعه نفر من قريش يدعون الله فأخذ عبد المطلب بحلقه باب الكعبة وقال :

لا همّ ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك ، لا يغلبنّ صليبهُم ومحالُّهم أبداً محالك^(١) .

ولما هيا أبرهة فيله ووجهوه نحو مكة أقبل (نفيل بن حبيب) حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال : (أبرك محمود... وارجع راشداً من حيث أتيت ، فإنك في بلد الله الحرام.) ثم أرسل أذنه فبرك الفيل. وخرج (نفيل) يشتد حتى أصعد في الجبل والتحق بقريش . أما أصحابُ الفيل ففرضوا الفيل ليقوم ، فأبى ... وجعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات إلاّ ذهب إليها واذا وجهوه إلى الحرم ربض .

﴿ وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصفٍ مأكول ﴾

روى ابنُ أبي حاتم بسنده عن عبيد بن عمير قال : ولما أراد الله أن يهلك أصحابَ الفيل بعث عليهم طيراً أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار : حجرين في رجله ، وحجراً في منقاره قال فجاءت حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناكيرها فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر . هذا وإن عبدَ المطلب وجماعة من قريش ومعهم (نفيل الخثعمي) ومطعم بن عدي ، وعمر بن عائذ المخزومي ومسعود بن عمرو الثقفي على حراء ينظرون ما الحبشة يصنعونه وما أنزل الله بأصحابِ الفيل من النعمة وجعل نفيل يقول :

أين المفر؟ والآله الطالبُ والأشرمُ المغلوبُ ، ليس الغالبُ

وذكر مقاتل بن سليمان : أن قريشاً أصابوا مالاً جزيلاً من أسلابهم وما كان معهم وأن عبد المطلب أصاب يومئذٍ من الذهب ما ملأ حفرةً .

قال عطاء بن يسار : ليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة ، بل منهم من هلك سريعاً ومنهم من جعل يتساقط لحمه عضواً عضواً وهم هاربون . فلما بعث الله محمداً ﷺ كان فيما يعدُّ به على قريش من نعمته عليهم وفضله ما ردَّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال :

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل . وارسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارةٍ من سجيل فجعلهم كعصفٍ مأكولٍ ﴾ .

الأبابيل : الجماعات الكثيرة تأتي من هنا وهناك . قال ابن هشام لم تتكلم العرب بواحدة ولكن قال النسائي سمعت بعض النحويين يقول : واحد الأبابيل إيبيل . أما السجيل قال ابن هشام أخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب الشديد الصلب . قال وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وإنما هو : (سنج) و (جل) يعني بالسنج (الحجر) والجل (الطين) فهي كما قال ابن عباس : حجارة من سجيل قال طين في حجارة . والعصف : ورق الزرع وورق البقل إذا أكلته البهائم فرائثه ... والمعنى : أن الله سبحانه وتعالى أهلكهم ودمرهم وردَّهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيراً ، وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح كما جرى للمكهم أبرهة . وكان أبرهة ممن تساقط عضواً عضواً وأتملةً أتملةً وإنه انصدع قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء . وما مات والله إلا وأخبرهم بما جرى لهم ثم مات ، فملك بعده ابنه

(يكسوم) ثم من بعده ابنه الثاني (مسروق) ثم طردهم جميعاً الملك سيف بن ذي يزن الحميري بمعونة كسرى .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة ٦٩١هـ إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فليبلغ الشاهد الغائب ،

آخر اختصار تفسير سورة الفيل والله الحمد والمبنة .

(١٠٦) سُورَةُ قُرَيْشٍ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا النَّبِيُّ

نزلت بعد سورة التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ (١) إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢)
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ
خَوْفٍ ﴿٤﴾

﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ أي لإيلافهم واجتماعهم في بلدهم آمين ، وقيل ما كانوا يألّفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن ، وفي الصيف إلى الشام ، في التجارة وغير ذلك . ثم يرجعون إلى بلدهم آمين في أسفارهم . وأما في إقامتهم في البلد ، فكما قال الله تعالى : ﴿أولم يروا أننا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم﴾ .

ثم أرشدّهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة ، فقال : ﴿فليعبدوا رب هذا البيت﴾ فليوحّدوه بالعبادة . كما قال تعالى : ﴿قل إنما أمرت أن أعبد ربّ هذه البلدة الذي حرّمها وله كلّ شيء وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ وقوله تعالى : ﴿الذي أطعمهم من جوع﴾ أي هو رب البيت ﴿وآمنهم من خوف﴾ أي تفضّل عليهم بالأمن والرخص . فليفرّدوه بالعبادة وحده لا شريك له ، ولا يعبدوا من دونه صنمًا ولا زندًا ولا وثنًا . ولهذا من استجاب لهذا الأمر ، جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ، ومن عصاه سلبها منه . كما قال تعالى : ﴿وضرّب الله مثلاً قريةً كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كلّ مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون﴾

آخر اختصار تفسير سورة لإيلاف قريش والله الحمد والمنة .



نزلت بعد سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾ • (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ
الْيَتِيمَ • (٢) وَلَا يَحْضُرْ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ • (٣) فَوَيْلٌ
لِلْمُصَلِّينَ • (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ • (٥) الَّذِينَ هُمْ
يُرَاءُونَ • (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ • (٧) ﴿

يقول تعالى : أَرَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ الَّذِي يُكَذِّبُ بِبُيُوتِ الْمَعَادِ وَالْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ ﴿ فذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴾ أي الذي يقهره ويظلمه حقه ﴿ وَلَا يَحْضُرْ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ أي الذي لا شيء له يقوم بأوده . ثم قال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ فعن سعد بن أبي وقاص قال ٦٩٢ [سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال «هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها»] (١) ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ فقد روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله ﷺ ٦٩٣ [من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره] ومما يتعلق بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ ان من عمل عملاً لله فاطلع عليه الناس فأعجبوه ذلك ان هذا لا يعد رياءً والدليل على ذلك ما رواه الحافظ ابو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ٦٩٤ [كنت أصلي فدخل علي رجل فأعجبني ذلك فذكرته لرسول الله ﷺ فقال : « ثبت لك أجران أجر السر وأجر العلانية »] ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ أي لا أحسنوا عبادة ربهم ولا أحسنوا

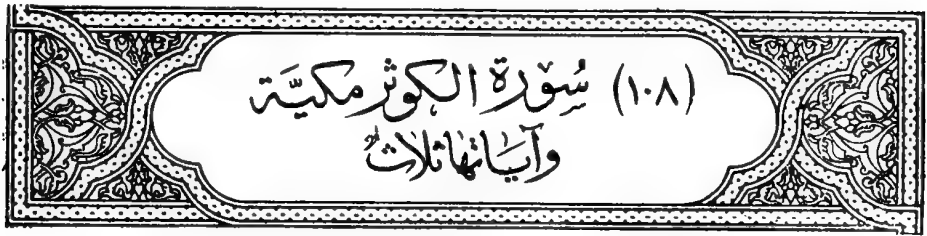
(١) لنا رسالة في «موضوع الصلاة الفائقة» «نصوص الشريعة الثابتة في حكم قضاء الصلوات الفائقة» .

إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم. فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى. وقيل إن الماعون الزكاة روى ذلك عن علي وابن عمر. قال الحسن البصري : إن صلي رأى وإن فاتته لم يأس عليها ويمنع زكاة ماله وفي لفظ صدقة ماله . وسئل ابن مسعود عن الماعون فقال : هو ما يتعاطاه الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك وعن ابن عباس أنه متاع البيت ، وترك المعاونة بمال أو منفعة ولهذا قال محمد بن كعب ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ قال المعروف ولهذا جاء في الحديث ٦٩٥٠ [كل معروف صدقة] وروى ابن مانع بسنده إلى عامر بن ربيعة عن علي بن فلان النميري، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ٦٩٦ [المسلم أخو المسلم إذا لقيه جاءه بالسلام ويرد عليه ما هو خير منه لا يمنع الماعون قلت : يا رسول الله ما الماعون ؟ قال : الحجر والحديد وأشباه ذلك .] والله أعلم .

آخر اختصار تفسير سورة الماعون والله الحمد والمنة .

على ذكر الصلاة الفائتة :

(ليس من دليل على جواز تأخير الصلاة عمداً عن وقتها ، حتى يكون :— لمؤخرها عمداً— دليل على استدراكها وقضائها. وليس للقائلين بجواز قضائها من دليل يتشبهون به... إلاً قوله ﷺ : [من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلاً ذلك] وهذا الحديث كما هو واضح حجة عليهم لا لهم . لأنهم يقيسون العمد على المعذور . وهذا قياس مع الفارق ، كما هو واضح . لأن الشارع الحكيم اعتبر النائم عن الصلاة أو الناسي لها معذوراً ، فأمره بصلاتها « أداء » فور استيقاظه أو تذكره... فهو والحالة هذه معذور إذ ليس بمقدوره أن يستيقظ أو يتذكر ، إلاً أن يشاء الله له ذلك. فأين حال هذا... من حال العمد اليقظ المتذكر؟ والرسول ﷺ يقول : [من ترك صلاة واحدة — أي عمداً — برئت منه ذمة الله ورسوله] أو كما قال... ويحتجون أيضاً بقضاء الرسول والصحابة الصلوات يوم غزوة الخندق... مع أنهم يعلمون أن هذا منسوخ بصلاة الخوف ، ولا حجة لهم به . وقد وضحنا هذه القضايا توضيحاً تاماً في رسالتنا « نصوص الشريعة الثابتة في حكم قضاء الصلوات الفائتة » وهي تحت الطبع . وإن الذين أفتوا بجواز قضاء الصلاة الفائتة ، فتحوا— ولو بدون قصد— باباً بل أبواباً لتركها نهائياً. إذ أن الذي يعتقد بإمكانية استدراكها بالقضاء ... قد يترك الوقت والوقتين والثلاثة... ثم اليوم واليومين والأسبوع والأسبوعين... إلى أن يتركها نهائياً. والعياذ بالله تعالى . بينما إذا علم أن من فوت صلاة واحدة يستحيل عليه استدراكها ، ولو صلى الدهر... ! حرص كل الحرص على أن لا تفوته صلاة قط . ومن هنا يظهر الفارق جلياً بين نتائج كل من القولين : بالقضاء ... أو عدمه . والله أعلم وهو الموت للصواب . « نسيب »



وكثير من القراء قال أنها مدنية ! نزلت بعد سورة العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿ (٢)
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ (٣)

روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال : ٦٩٧ [بينما رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذا أغفى إغفاءً ثم رفع رأسه متبسماً ، قلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال لقد نزلت عليّ أنفأ سورة ، فقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك الكوثر . فصلِّ لربك وانحر . إن شانئك هو الأبتر ﴾ ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أممي يوم القيامة آتيته عدد النجوم في السماء فيختلج ^(١) العبد منهم فأقول : رب إنه من أممي ، فيقول إنك لا تدري ما أحدث بعدك] وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية ^(٢) وكثير من الفقهاء على أن البسمة من السورة وأنها منزلة معها ^(٣) وعن أنس مرفوعاً : ٦٩٨ [دخلت الجنة فإذا بنهرٍ حافتاه خيام اللؤلؤ] .

(١) يعني تجذبه الملائكة وترده عن الخوض .

(٢) لقول أنس بن مالك ، بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا في المسجد .. الحديث .. فأنس أنصاري وقوله في المسجد ، يدل على أنه مسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة . أي نزلت سورة الكوثر بالمدينة ، إذا فهي مدنية لا مكية .

(٣) لعل قراءته عليه الصلاة والسلام بالبسمة في أول الكوثر للاستفتاح لا أنها من أصل السورة .

وروى البخاري بسنده إلى أنس بن مالك قال : لما عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال [أتيت على نهر حافته قباب اللؤلؤ المجوّف فقلت ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر]^(١) . وأما قوله : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ فقد تقدم أنه نهر في الجنة كما في حديث أنس المتقدم بروايته . وقوله تعالى : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر الذي تقدم وصفه ... فأخلص لربك وانحر أي أخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ، ونحرك أي نسكك يعني ذبحك فانحر على اسمه تعالى وحده لا شريك له : كما قال تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ... ﴾ ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول : [٦٩٩] من صلى صلاتنا ونسكنا فقد أصاب النسك ، ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له فقام أبو بردة بن نيار فقال : يا رسول الله إني نسكت شاتي قبل الصلاة وعرفت أن اليوم يوم يشتهى فيه اللحم فقال شاتك شاة لحم قال : فإن عندي عناقاً^(٢) . هي أحب إليّ من شاتين أفنجزىء عني ؟ قال : تجزئك ولا تجزىء أحداً بعدك] .

وقوله تعالى : ﴿ إن شاتك هو الأبر ﴾ أي مبغضك يا محمد ، ومبغض ما جئت به من الهدى والحق ، والبرهان الساطع ، والنور المبين ، هو الأبر الأقل الأذل ، المنقطع ذكره . وقال السدي : كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا : بتر فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا : بتر محمد فأنزل الله : ﴿ إن شاتك هو الأبر ﴾ حاشا وكلاً ... بل قد أبقي الله ذكره على رؤوس الأشهاد ، وأوجب شرعه على رقاب العباد ، مستمراً على دوام الآباد ، إلى يوم المحشر والمعاد ، صلوات الله عليه وسلامه إلى يوم التناد .

آخر اختصار تفسير سورة العصر والله الحمد والمنة .

(١) وتام الحديث : (... ففربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء فإذا مسك . أو فر قلت ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل) .

(٢) العناق : الأنثى من أولاد الماعز قبل استكمالها السنة ج أعنت وعنوق .

سُورَةُ الْكَافِرُونَ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا سِتُّ

نزلت بعد سورة الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * (٢)
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * (٤)
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ * (٦)

ثبت في صحيح مسلم عن جابر ٧٠٠ [أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة وبقل هو الله أحد في ركعتي الطواف] وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ٧٠١ [أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر] وفي مسند أحمد عن ابن عمر ٧٠٢ [أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد] .

وروى أبو القاسم الطبراني بسنده إلى جبلة بن حارثة وهو أخو زيد بن حارثة أن النبي ﷺ قال : ٧٠٣ [إذا أويت إلى فراشك فاقرأ : قل يا أيها الكافرون حتى تمر بآخرها فإنها براءة من الشرك] ومن بعض حديث عن ابن عباس مرفوعاً : ... ٧٠٤ [قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن] .

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون ، وهي أمرة بالاخلاص لله فقوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ يشمل كل كافر على وجه الأرض ، ولكن

المواجهين بهذا الخطاب هم كفار قريش . وقيل أنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة ، ويعبدون معبوده سنة . فأنزل الله تعالى هذه السورة وأمر رسوله ﷺ فيها ، أن يتبرأ من دينهم بالكلية فقال : ﴿ لا أعبد ما تعبدون ﴾ يعني الأصنام والأنداد ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ وهو الله وحده لا شريك له . فما ها هنا بمعنى من ؛ ثم قال ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ أي ولا أعبد عبادتكم أي لا أسلكها ولا أقتدي بها ، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبّه ويرضاه ، ولهذا قال : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ أي لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم . كما قال : ﴿ إن يتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ فنبأ من جميع ما هم فيه . ولهذا كان معنى : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أي لا معبود إلا الله ، ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ . والمشركون يعبدون غير الله ، عبادة لم يأذن بها الله . ولهذا قال لهم الرسول ﷺ : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ كما قال تعالى ﴿ وإن كذبوك فقل لي عملي ولکم عملکم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ﴾ وقال تعالى : ﴿ لنا أعمالنا ولكم أعمالکم ﴾ وقد استدلل الشافعي رحمه الله وغيره بهذه الآية الكريمة ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ على أن الكفر ملة واحدة ، فورث اليهود من النصارى وبالعكس إذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به ، لأن الأديان ما عدا الإسلام ، كلها كالشيء الواحد في البطلان . وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم تورث النصارى من اليهود وبالعكس ، لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ ٧٠٥ [لا يتوارث أهل ملتين شتى] .

آخر اختصار تفسير سورة (الكافرون) والله الحمد والمنة .

(١١٠) سُورَةُ النَّصْرِ مَلَكُوتُهَا وَأَيُّهَا ثَلَاثُ

نزلت بمِنِّي في حَجَّةِ الْوَدَاعِ بعد سورة التوبة . فتعد مدنيّةً ، وهي آخر سورة نزلت من القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ
فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿ (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ
تَوَّابًا ﴾ (٣)

روى البخاري عن ابن عباس قال (كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر ، فكان بعضهم وجد في نفسه فقال : لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم ... فدعاني ذات يوم فأدخلني معهم . فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريههم ... فقال : ما تقولون في قول الله عز وجل ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ... ؟ فقال بعضهم : أمرنا ان نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ؛ وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً . فقال لي : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا ... فقال : ما تقول ؟ فقلت هو أجلُّ رسول الله ﷺ أعلمه له . قال : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ فذلك علامةُ أجلك ، ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ فقال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلا ما تقول (تفرد به البخاري .

روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال ٧٠٦ [لما نزلت : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ قال رسول الله ﷺ : « نَعَيْتُ إِلَيَّ نَفْسِي » فإنه مقبوض في تلك السنة] .
وروي أيضاً عن عائشة قالت ٧٠٧ كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قوله :

«سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب إليه» وقال: «إن ربي كان أخبرني أنني سأرى علامة في أممي وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده واستغفره إنّه كان تواباً ، فقد رأيتها : ﴿ إذا جاء نصر الله ... ﴾ [ورواه مسلم .

فبعد أن نزلت هذه السورة ، كان رسول الله ﷺ أشدَّ ما يكون اجتهداً في أمر الآخرة. وقال رسول الله ﷺ [٧٠٨] «جاء الفتح وجاء نصر الله وجاء أهل اليمن فقال رجل : يا رسول الله وما أهل اليمن ... ؟ قال قوم رقيقة قلوبهم ، لينة طباعهم ، الإيمان يمان والفرقة يمان [. فالمنعنى الذي فسره بعض أهل بدر من جلساء عمر ، كما تقدم من حديث البخاري ، من أنه تعالى أمرنا إذا فتح علينا المدائن والحصون ، ان نحمده ونشكره ونسبحه ، هو معنى ملبح صحيح. وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثمانين ركعات فقال قائلون : هي صلاة الضحى ؛ وأجيبوا : بأنه لم يكن يواظب عليها في الحضر فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافراً ، لم ينو الإقامة بمكة ؟ ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان ، قريباً من تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة ويفطر ، هو وجميع الجيش. وكانوا نحواً من عشرة آلاف ، قال هؤلاء وإنما كانت صلاة الفتح. قالوا : فيستحبُّ لأمير الجيش إذا فتح بلداً ، أن يصلي فيه أوّل ما يدخله ثمانين ركعات. وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح «المدائن» . ثم قال بعضهم يصليها كلها بتسليم واحدة . والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين ، كما ورد في سنن أبي داود : [٧٠٩] «أن رسول الله ﷺ كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين [(١).

وأما ما فسره ابن عباس وعمر رضي الله عنهما كما جاء في حديث البخاري نفسه من ان هذه السورة نعي فيها إلى رسول الله ﷺ روحه الكريمة ، فمعناه : أعلم انك اذا فتحت مكة وهي قريتك التي أخرجتك ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا ، فنهياً للقدوم علينا ، فالآخرة خير لك من الدنيا ، ولسوف يعطيك ربك فترضى. ولهذا قال : ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ . والمراد بالفتح ها هنا « فتح مكة » قولاً واحداً فإن أحياء العرب كانت تتلوّم — أي تترث — بإسلامها فتح مكة . يقولون إن ظهر على قومه فهو نبيٌّ وعن جابر الجاوي بن عبد الله قال [٧١٠] قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد الله فسلم علي ، فجعلت أحدثه عن افتراق الناس وما أحدثوا ، فجعل جابر يبكي ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس دخلوا في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا » آخر تفسير سورة النصر لله الحمد والمنة

(١) ونرجوا الله تعالى أن نصليها غداً في كل بلد نحرره من فلسطين ، بل ومن العالم أجمع. كما نوصي الأجيال بملفا بهذه الأمانة ... إلى أن تكون كلمة الله هي العليا على الأرض .

(١١١) سُورَةُ الْمَسَدِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا خَسِرٌ

نزلت بعد سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * (٣) وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ * (٥)

روى البخاري عن ابن عباس ٧١١] أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى : يا صباحاه... فاجتمعت إليه قريش فقال : رأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم وممسكم ، أكنتم تصدقوني ؟ قالوا : نعم قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال أبو لهب : ألمذا جمعتنا ؟ تباً لك . فأنزل الله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ [أي خسرت وخابت ، وضل عمله وسعيه . وأبو لهب هو أحد أعمام رسول الله ﷺ واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وكنيته أبو عتيبة وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه . وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له ، والازدراء به ، والتقص له ولدينه . وعندما كان النبي يدعو : (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا . والناس مجتمعون عليه كان أبو لهب يلحق به ويقف وراءه ويقول : إنه صابىء كاذب ويتبعه حيث ذهب) ﴿ وَتَبَّ ﴾ أي وقد تبَّ يعني تحققت خسارته وهلاكه . وكان أبو لهب يقول : إن كان ما يقوله ابن أخي حقاً فلإني افتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي. فأنزل الله : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ ﴾ ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ يعني ولده . وقوله تعالى : ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ أي ذات شرر ولهب

ولإحراق شديد . ﴿ وامرأته حمالة الخطب ﴾ وكانت من سادات نساء قريش ، وهي أم جميل . واسمها : أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان ، وكانت عوناً لزوجها على كفره وعناده . ولهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم . ولهذا قال تعالى : ﴿ حمالة الخطب في جيدها حبل من مسد ﴾ وعن سعيد بن المسيب إنه كان لها قلادة فاخرة فقالت لأنفقنَّها في عداوة محمد ! يعني فأعقبها الله منها حبلاً من مسد في النار وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى : ﴿ في جيدها حبل من مسد ﴾ أي في عنقها حبل من نار ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها ثم كذلك دائماً . قال العلماء : وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فإنه منذ نزل قوله تعالى : ﴿ سيصلى ناراً ذات لب وامرأته حمالة الخطب في جيدها حبل من مسد ﴾ فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لا باطنياً ولا ظاهراً ولا مسراً ولا معلناً ، فكان هذا من أقوى أدلة النبوة ^(١) .

آخر اختصار تفسير سورة اللب فله الحمد والمنة .

(١) قلت : ولكن رغم كل هذا ... ما يزال في هذه الأمة ، « جماعة ... ؟ » يشفقون على أبي لب فيتأذون من قراءة سورة « تبت يدا أبي لب » وكثيراً ما ينهون عن قراءتها زاعمين أن في ذلك إيذاءً لرسول الله ! ! ؟ لأنه عمه . مع أن رسول الله عليه الصلاة والسلام متبرئ منه ، لأنه مشرك . وكيف ينزل الله على حبيبه ونبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، سورة تؤذيه ! ! ! ؟ إن هذه السورة إخبار بما أعد الله لعنوه وعدو رسوله أبي لب من العذاب في قرار جهنم ، إنتقاماً منه لما كان يقوم به من الكفر بالرسالة ، والتكذيب والإيمان . في العداوة والإيذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم . إذاً فإن هذه السورة ما هي إلا تأكيد من الله لرسوله ، وغيرة عليه جميعاً له ، فكيف يتأذى بها الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ والحقيقة ... أن أولئك (الجماعة ...) هم الذين يتأذون من تلاوة السورة ... ومما يؤسف له ... أنهم زوروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن بعض من كان يكثر من قراءة « تبت يدا أبي لب .. » في الصلاة ، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه يقول له معاتباً : سبحان الله ... ! ! ! ! أما تحفظ من القرآن سوى « تبت يدا أبي لب » ثم أمره أن يقلع عن قراءتها ! ! ! وهذا منام كذب مزور عليه صلى الله عليه وسلم من قبلهم كما بدت لهم دائماً ... وقانا الله شرورهم وزورهم وزندقاتهم الكافرة الفاجرة . وإننا إرضاء لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم - إغاضة لمحبي أبي لب نرد هذه السورة : (تبت يدا أبي لب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب) سيصلى ناراً ذات لب وامرأته حمالة الخطب * في جيدها حبل من مسد) . وإننا نوالي من وإلى رسول الله ونعادي من عاداه .

(١١٢) سُورَةُ الْإِخْلَاصِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأَانَهَا أَزْبَعُ

نزلت بعد سورة الناس

سبب نزولها : روى الإمام أحمد عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ : ٧١٢ [يا محمد : أنسب لنا ربك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ وروى الطبراني عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ٧١٣ [لكل شيء نسبة ونسبة الله : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾ والصمد ليس بأجوف] .

فضلها ٧١٤ [كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء ، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به ... افتتح : بـ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة : فكلّمه أصحابه فقالوا : إنك تفتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بالأخرى ، فإما أن تقرأ بها ، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى ، فقال : ما أنا بتاركها ، إن أحببت أن أؤمكم بذلك فعلت وإن كرهتم تركتكم ، وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال « يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة » قال إني أحبها ، قال « حبك إياها أدخلك الجنة »]

وروى البخاري عن أبي سعيد ٧١٥ [إن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ يردّها فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، وكان الرجل يتقالتها فقال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن »] .

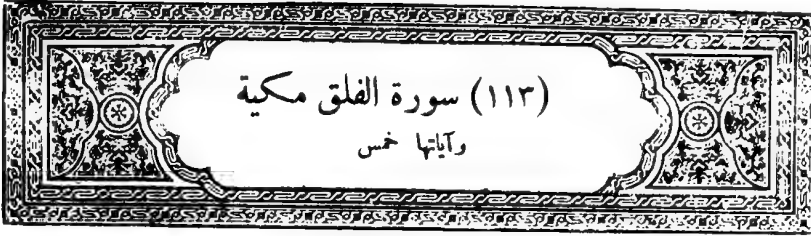
وروى البخاري عن عائشة عن النبي ﷺ ٧١٦ [كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة ، جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات] وهكذا رواه أهل السنة من حديث عقيل به .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ • (١) اللَّهُ الصَّمَدُ • (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ • (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ • (٤) ﴿١﴾

﴿ قل هو الله أحد ﴾ يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير له ولا نديد ولا شبيه ولا عديل . ولا يطلق هذا اللفظ إلا على الله عز وجل ، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله . وقوله تعالى ﴿ الله الصمد ﴾ قال ابن عباس : يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم وقالوا هو السيد . والذي لا جوف له . ولا يأكل ولا يشرب ، وهو الباقي بعد خلقه وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل . وقوله تعالى : ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾ أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة . قال مجاهد : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ أي ليس له من خلقه نظير يساميه ، أو قريب يدانيه ، تعالى وتقدس وتنزه . ﴿ بديع السموات والأرض أننى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء ﴾ وقال تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ﴾ لقد جئتم شيئاً إداًء تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداًء أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً لقد احصاهم وعداهم عدداً وكلهم آتية يوم القيامة فردا ﴾ وفي صحيح البخاري : ٧١٧ [لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيه] .

آخر اختصار تفسير سورة الاخلاص والله الحمد والمنة .



نزلت بعد سورة الفيل

روى الإمام أحمد بسنده عن زر بن حبیش قال : قلت لأبي بن كعب ان ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه فقال : ٧١٨ [أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل عليه السلام قال له : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ فقلتها قال : ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ فقلتها . فنحن نقول ما قال النبي ﷺ] ورواه البخاري والنسائي .

ولعل ابن مسعود لم يسمعها من النبي ﷺ ولم يتواتر عنده ، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك ، إلى قول الجماعة . فإن الصحابة رضي الله عنهم أثبتوها في المصاحف الأئمة ، ونفذوها إلى سائر الآفاق . وقد روى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ ٧١٩ [ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾] . وعن أبي سعيد : ٧٢٠ [أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجن وأعين الإنس .] قال الترمذي حسن صحيح .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ • (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ
• (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ • (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ
فِي الْعُقَدِ • (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ • (٥) ﴿

قيل في الفلق تفاسير شتى والأصح : الصبح . وهو اختيار البخاري في صحيحه رحمه الله تعالى . وقوله تعالى : ﴿ من شر ما خلق ﴾ أي من شر جميع المخلوقات . ﴿ ومن شر غاسق إذا وقب ﴾ قال مجاهد : غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس . حكاه البخاري عنه وكذا قاله ابن عباس وغيره . وقال آخرون هو القمر وعمدة اصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد عن الحارث بن أبي سلمة قال : قالت عائشة رضي الله عنها : ٧٢١ [أخذ رسول الله بيدي فأراني القمر حين طلع وقال : تعوذ بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب] ورواه الترمذي والنسائي . قال أصحاب القول الأول : وهو آية الليل اذا ولج . هذا لا ينافي قولنا لأن القمر آية الليل ، ولا يوجد له سلطان إلا فيه . وكذلك النجوم لا تضيء إلا بالليل ، فهو يرجع إلى ما قلناه والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ ومن شرّ النفاثات في العقد ﴾ يعني : السواحر إذا رقيّن ونفثن في في العقد .

وروى البخاري في كتاب الطب في صحيحه عن عائشة قالت : ٧٢٢ [كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي نساءه ولا يأتيهن ، قال سفيان (٢) وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا فقال : يا عائشة أعلمت أن الله قد افتاني فيما استفتيته فيه . أتاني رجلان فقعده أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي . فقال الذي عند رأسي للآخر : ما بال الرجل ؟ قال : مطبوب قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف اليهود كان منافقاً . قال : وفيم ؟ قال : في مشط ومشاطة . قال : وأين ؟ قال : في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان . قالت : فأتى البئر حتى استخرجه . فقال : « هذه البئر التي أريتها ... وكان ماءها نقاعة الحناء ، وكان نخلها رؤوس الشياطين » قال : فاستخرج . فقلت : أفلا تنشّرت ؟ (٣) فقال : « أما الله فقد شفاني . وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً »] ورواه مسلم وأحمد . والجف : قشر الطلع . والراعوفة حجر في أسفل البئر تأتي يقوم عليه الماتح ..

وقال المفسر الثعلبي في تفسيره قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما : كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فدبت إليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة من أسنان مشطه فأعطاهم اليهود فسحروه فيها .

(١) تفسير اعوذ بالله : راجع تفسير الاستعاذة والبسملة في المجلد الأول ص ٩-١٢ / .

(٢) أي ابن عينة .

(٣) النشرة عمل ضد السحر .

وروى الإمام أحمد بسنده إلى زيد بن أرقم قال ٧٢٣ [سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياماً قال : فجاء جبريل فقال إن رجلاً من اليهود سحرك وعقد لك عقداً في بئر كذا وكذا فأرسل إليهما من يجيء بها . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخرجها فجاء بها فحللها ، قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال ، فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات .] وروى ابن جرير : ٧٢٤ [ان جبريل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اشتكى يا محمد ؟ فقال : نعم . فقال : باسم الله أرقيك ، من كل داء يؤذيك ، ومن شر كل حاسد وعين ، الله يشفيك] ولعل هذا كان من شكواه يوم سحره . ثم عافاه الله تعالى وشفاه ورد كيده السحرة الحساد من اليهود في رؤوسهم ، وجعل تدميرهم في تدبيرهم وفضحهم . ولكن مع هذا لم يعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سحره يوماً من الدهر ، بل كفى الله وشفى وعافى .

آخر اختصار تفسير سورة الفلق والله الحمد والمنة .

(١١٤) سُورَةُ النَّاسِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا سِتُّ

نزلت بعد سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * (١) مَلِكِ النَّاسِ * (٢) إِلَهِ النَّاسِ * (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ * (٦)﴾

هذه ثلاث صفات من صفات الرب عزّ وجل: الربوبية، والملك، والألوهية، فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه. فجميع الأشياء مخلوقة له مملوكة عبيد له. فأمر المستعيز أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات من شرّ الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان فإنه ما من أحد من بني آدم، إلّا وله قرين يزيّن له الفواحش، ولا يألوّه جهداً في الخيال^(١)، والمعصوم من عصمه الله. وقد ثبت في الصحيح أنه: ٧٢٥ [ما منكم من أحد إلّا قد وُكِّل به قرينه. قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال نعم. إلّا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلّا بخير] وثبت في الصحيحين عن أنس قوله ﷺ: ٧٢٦ [إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ...] وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي تيمية يحدث عن رديف رسول الله ﷺ قال: ٧٢٧ [عثر بالنبي ﷺ حماره فقلت: تعس الشيطان. فقال النبي ﷺ: لا تقل تعس الشيطان فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم. وقال: بقوّتي صرعه. وإذا قلت: بسم الله، تصاغر حتى يصير مثل الذباب.] تفرد به أحمد وإسناده جيد قوي. وفيه دلالة على أن القلب متى ذكّر الله

تصاغر الشيطان وغلب، وإن لم يذكر الله تعظم وغلب: وقال سعيد بن جبیر عن ابن عباس في قوله: ﴿الوسواس الخناس﴾ قال الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس. وقال المعتمر بن سليمان عن أبيه: ذكر أن الشيطان الوسواس، ينفث في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح، فإذا ذكر الله خنس. وقوله تعالى: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾ يعني بالناس: الناس والجن تغليبا. وقال ابن جرير: وقد استعمل فيهم رجال من الجن فلا بدع من إطلاق الناس عليهم. وقوله تعالى: ﴿من الجنة والناس﴾ وهذا يقوَّى إطلاق الناس على الجنة والناس. وقيل: قوله ﴿من الجنة والناس﴾ تفسير للذي يوسوس في صدور الناس من شياطين الإنس والجن. كما قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾.

وكما قال الإمام أحمد عن أبي ذر قال: ٧٢٨] أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فقال: يا أبا ذر هل صليت؟ قلت: لا. قال: قم فصل. قال: فقامت فصليت ثم جلست. فقال يا أبا ذر: تعوذ بالله من شر شياطين الأنس والجن قال: فقلت يا رسول الله: وللانس شياطين...؟! قال: نعم... [الحديث. وروى الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس قال:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: ٧٢٩] يا رسول الله اني لأحدث نفسي بالشيء لأن أخر من السماء أحب إليّ من أن أتكلم به قال: الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة [ورواه أبو داود والنسائي.

آخر اختصار تفسير سورة الناس والله الحمد والمنّة

* * *

وهكذا فقد تمّ بتوفيق الله هذا الكتاب: «تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير» فالحمد لله الذي تمّ بنعمه الصالحات الباقيات وصلى الله على من نزلت عليه من ربّه هذه الآيات البيّنات فبلغها للناس فكانت هُدى للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. وكان الفراغ منه في ٢٤ رمضان سنة ١٣٩٠ الموافق ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لك اللهم لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك

حمدًا لك اللهم وشكرًا على ما أنعمت وأفضلت ... أكرمتني بخير الأعمال وأجلتها ،
وشرفتنني بما سهلت لي من تقريب كتابك إلى عبادك ، ولا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، وإنك
تجعل الحزن إن شئت سهلاً . اللهم فما أصبت فيه ، فمِنكَ الوهب والتيسير . وما أخطأت
فيه ، فمِنِّي الذنب والتقصير . اللهم فاغفر لي حوْني ، وتجاوز عن ذنبي ، وعاملني بفضلِكَ
والرحمة ، وأنقذني بلطفك من البَقْعة . اللهم لا تجازني بما أستحق ... فإنك بالعفو أجدر
وبالصفح أحق . وإنك يا ربِّي عفوٌّ تحبُّ العفو فاعفُ عني ، وإنك يا ربِّي لأولَى بي مِنِّي .
اللهم اجعل عملي هذا لوجهك الكريم ، وثَقْبَلْهُ مِنِّي وزحزحني به عن النار ،
وأدخلني دارَ النعيم ، واجعله في صحائفِي وأثقل به موازيني ، وادخره لي عندك يومَ
القيامة يوم لا ينفع مالٌ ولا بنونٌ إلا من أتى الله بقلب سليم .

اللهم اجعل أفضل صلواتك ، وأكمل تحيَّاتك ، وأتمى بركاتك ، وأتم تسليماتك ،
على عبدك ورسولك محمدٍ أفضل خلقك . وخير عبادك ، وصفوة أنبيائك وأوليائك .
وأكرمهم عليك . وأعظمهم لديك .

اللهم إني أشهد أن طاعته من طاعتك ، ومعصيته من معصيتك . ومحبتُهُ من محبتك ،
وهُداه من هُداك ، ورضاه من رضاك .

اللهم إني أشهدُكَ بأنِّي لا أطيعُ أحداً من خلقك سواه ، ولا أتَّبِعُ أحداً من عبادك إلا على هُداه .
اللهم فثبتني على سنَّتِهِ ، وأحيني على شِرعَتِهِ ، وأمتني على مِلَّتِهِ ، واحشُرني على محبَّتِهِ .
اللهم إني أشهدُ أنه ﷺ بلغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ، ونصح الأمة . اللهم فاجزه عَنَّا وعن
الإسلام والمسلمين خير الجزاء . وآتِهِ الوسيلةَ والفضيلةَ وابعْثه مقاماً محموداً الذي وعدته .

اللهم اغفر لي ولوالديَّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب . اللهم اغفر وارحم المفسر الأول عبدك
إسماعيل بن كثير واجزه عَنَّا بما هو أهله ، وأدخلنا وإيَّاه والمسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .
اللهم وألهم ملوك المسلمين رؤساءهم وحكامهم أن يحكموا بكتابك وسنة نبيك ، واجمعهم في دولة
إسلامية واحدة ، رشيدة راشدة ، بفضلِكَ ومنكَ وكرمِكَ . وصلِّ اللهم على محمد ، وعلى
آله وصحبه وسلِّم تسليماً كثيراً . والحمدُ للجلال في البدء والختام ، يا ذا الجلال والإكرام .

عبدك وابن عبدك وأمتك

« نسيب »

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ..﴾

نزلت هذه الآية الكريمة في شأن الأوس والخزرج ... لما أثار بعض اليهود ذكريات حروبهم بينهم ، فثارت نفوسهم وطلبوا أسلحتهم ، وكادوا أن يقتلوا ... لولا أن بلغ ذلك رسول الله ﷺ فأناهم ، وجعل يسكنهم ويقول : (أبدعوى الجاهلية ... !! وأنا بين ظهرانيكم ... ؟) ويقول : (دعوها ... إنها منته) فندموا وألقوا السلاح . وكنتُ علقتُ على اختصار تفسير هذه الآية الكريمة في ذيل الصفحة رقم / ٢٩٩ / من المجلد الأول من هذا المختصر ... بقولي : (فهل تناسى الدول العربية بهم ، فيتناسون فرقتهم ، ويصدّقون في حرب اليهود ، حتى يُزيحهم عن فلسطين ... ؟ فتعود لأهلها العرب والمسلمين ... هذا ما ندعوا الله أن يكون) .

وقد كان ذلك والحمد لله بداية ... ونرجوا الله تعالى أن يبقى الصف متحداً حتى النهاية ... فيطهر العرب والمسلمون فلسطينهم من أرجاس اليهود الذين غضب الله عليهم . إنها والحمد لله بداية طيبة ... فقد اتحد العرب جميعاً اتحاداً وثيقاً ، وتضامنوا تضامناً متيناً ، وصدّقوا الحملة على اليهود في ١٠ رمضان ١٣٩٣ وكان شعارهم (الله أكبر) فزلزلوا اليهود وأخرجوهم من أمنع حصونهم في (سيناء) و (الجولان) . حتى لاذوا بالفرار و (الله أكبر) تفرغ أسماعهم ... أتى توجّهوا ... فانهلعت نفوسهم ، وانخلعت قلوبهم ... وجنود الله في أثرهم كأنهم القضاء المحتوم ، يتعقبونهم في كل مكان ... ومن كل مكان ... حتى انجلت الجولة الأولى عن نصير مؤزر محجل ... تبشّر بجولات قادمة ... وانتصارات محققة بإذن الله .

أيها العرب : رأيتم لما عدتم لبعض أوامر الله بالاتحاد ، واعتصمتم بحبله ، كيف نصركم الله على أعدائكم ، وألف حولكم قلوب الشعوب والدول الإسلامية وغير الإسلامية في أفريقيا وآسيا والعالم أجمع ... ؟ فقطع أكثرهم علاقاتهم بالدولة اليهودية . وأبتدوكم ... ؟ فكيف بكم إذا تضامنتم جميعاً وعدتم صادقين إلى أحكام كتاب الله

وسنة رسوله ﷺ ... ؟ ستكونون والله إن فعلتم ... أعظم قوة ضاربة على وجه الأرض ، وتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، وتعودُ راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) مرفقةً على الدنيا رمزاً للأمن والسلام والخير والحق والهدى ... فهيّا يا أيها العرب والمسلمون إلى ذلك الهدف الأسمى ، والغاية المنشودة .
﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾

خادم الدعوة السلفية للصراط المستقيم
محمد نسيب الرفاعي

٣٧ - سورة الصافات مكية نزلت بعد سورة الأنعام

- ١ صفوف الصلاة كصفوف الملائكة أمام ربهم
- ٢ الشهب حرسُ السماء ، تُحرق كلَّ من يسترق السمعَ من الجن
- ٣ منذ مبعث محمد ﷺ حفظت السماء من استراق السمع
- ٤ كل داعٍ سيوقف يوم القيامة مع من استجابوا إليه
- ٥ الضالون يحملون في النار أوزارهم ، والمضِلون يحملون أوزارهم وأوزار تابعيهم
- ٦ المؤمنون في الجنات يحبرون ... تضاعف حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم
- ٧ حمرة الجنة خلوة من آفات حمرة الدنيا القذرة
- ٨ تحاور مؤمن في الجنة ، وكافر في النار : (إنك كدت ترديني).
- ٩ طعام أهل الجحيم الزقوم ممزوجاً بصددهم
- ١٠ ما آمن من قوم نوح إلا قليل برغم المدة الطويلة
- ١١ إبراهيم ﷺ يدعو أباه وقومه إلى هجر عبادة الأصنام
- ١٢ إبراهيم ﷺ يحطم أصنام قومه ويقول مؤنباً (أتعبدون ما تحتون)
- ١٣ هجرة إبراهيم ، إرزاقه البنين في هرمه ، ابتلاؤه وإسماعيل بالأمر بالذبح

- ١٤ فاز إبراهيم وإسماعيل في الاختبار ، وحظيا من الله بالرضاء والفداء .
- ١٥ إسماعيل هو الذبيح بنص التوراة والقرآن ، وبعد الفداء وُلِدَ إسحق .
- ١٦ كان إلياس عليه السلام رسولا لأهل (بعلبك) من بلاد الفينيقيين بلبنان .
- ١٧ (إلياسين) يعني إلياس النبي عليه السلام لا آل محمد عليه السلام .
- ١٨ صلى يونس عليه السلام وذكر الله في بطن الحوت .
- ١٩ دعوة يونس (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) .
- ٢٠ جعل الكفار بين الله والجن نسباً سبحانه .
- ٢١ الكفار لا يفقهون شيئاً ، إنهم كالأنعام بل أضلّ .
- ٢٢ الله ورسله لهم الغالبون ، وهم المنصورون . والكفار بعذاب الله يستعجلون .
- ٢٣ تنزه الله عما يصفه الكافرون وسلام على رسله والحمد له .

٣٨ - سورة ص مكية نزلت بعد سورة القمر

- ٢٤ كيف ينتفع الكفار من القرآن إذا كانوا مستكبرين عنه ؟ .
- ٢٥ عجب الكفار من دعوة محمد عليه السلام إلى عبادة إله واحد .
- ٢٦ استبعدوا تخصيص محمد عليه السلام من بينهم بإنزال القرآن عليه .
- ٢٧ أحبّ صلاة وصيام إلى الله صلاة وصيام داود عليه السلام .
- ٢٨ أوتي داود عليه السلام النبوة والملك والعدل والصواب وفصل الخطاب .
- ٢٩ القصص الإسرائيلية إذا لم تؤيد بكتاب أو سنة فلا عبرة لها .
- ٣٠ إذا الحاكم حكم بهواه يضل عن الحق ، وله عذاب شديد .
- ٣١ ما حفظ القرآن من حفظ حروفه ، وأضاع حدوده .
- ٣٢ دعا سليمان ربه أن يهبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده .
- ٣٣ أمر الله داود ببناء المقدس ثم أكمله سليمان عليه السلام .
- ٣٤ سخر الله لسليمان الريح ، والجن البنائين والغواصين .
- ٣٥ صبر أيوب مثل خالد على الدهر على ما أصابه من البلوى .
- ٣٦ يا هناء أهل الجنة نعيم مقيم وعطاء غير منقطع وحياة خالدة .
- ٣٧ ويا شقاء أهل النار العذاب مقيم والشراب حميم والأكل زقوم .
- ٣٨ يتلاعن الضالّون والمضللون ويتلاومون ، ولكل ضعف من النار وفيها خالدون .
- ٣٩ استكبار إبليس أوجب عليه اللعنة ، وهذا درس بليغ للمستكبرين .
- ٤٠ الداعي إلى الله ، لا يأخذ أجراً على دعوته إلا من الله .

٣٩ - سورة الزمر مكية نزلت بعد سورة سبأ

- ٤١ العمل المقبول عند الله هو المؤسس على توحيده الخالص
- ٤٢ ولا يكون التوحيد خالصاً إلا باجتنب الطاغوت
- ٤٣ تعهدكم من مهودكم إلى الحدودكم بلطفه ، فقابلتموه بالكفر بدل الشكر؟! . .
- ٤٤ كان الجاهليون يشركون في الرخاء ومشركو زماننا يشركون في الرخاء والشدّة ؟
- ٤٥ لا يستوي الطائع والعاصي ولا يفرق بينهما إلاّ العاقلون
- ٤٦ ينذر الله العاصين بالنار ويبشر الطائعين بالجنة
- ٤٧ من علم الله منه اختيار الشقاوة وكتبها عليه ، فلا يسعده أحد
- ٤٨ مثل الحياة الدنيا كزرع ناضر استحال هشيماً تذروه الرياح
- ٤٩ سماع القرآن يلين الجلود والقلوب ، أما الصراخ والصرع فمن الشيطان
- ٥٠ ليس من يواجه العذاب يوم القيامة كمن هو آمن منه
- ٥١ العبودية لو اُخذ خير منها لجماعة - حتمية احتكام الخصمين أمام الله
- ٥٢ جزاء المحسنين تكفير أسوأ أعمالهم ، ومكافأتهم بأحسن ما عملوا
- ٥٣ أليس الله بكاف عبده ؟ فكيف تخوفوني بمن دونه
- ٥٤ تقبض أرواح النّائمين ، فتمسك المقدّر موتها وترسل الأخرى لأجلها
- ٥٥ إذا ذكر الله وحده أشمأزّ المشركون ، وإذا أشرك به يستبشرون
- ٥٦ لو يملك الكافر ملء الدنيا ومثله ، لافتدى نفسه من العذاب
- ٥٧ توسعة العيش مع الكفر والعصيان فتنة ، فلا يغتر بها أحد
- ٥٨ فتح الله باب التوبة والرجوع إليه للجميع ، إنه التواب الرحيم
- ٥٩ عجلوا بالتوبة قبل الموت وقبل حلول العذاب الذي لا تحتملونه
- ٦٠ المستكبرون عن الإيمان سيدخلون جهنم ويسقون عصارة أهل النار
- ٦١ المشركون (ما قدروا الله حق قدرة) حينما عبدوا معه غيره
- ٦٢ رجف المنبر برسول الله لتمجيد الرب ، ولم ترجف قلوب المشركين
- ٦٣ بعث النار من كل ألف ، تسعمائة وتسع وتسعون
- ٦٤ يساق الكفار زُمرّاً إلى جهنم ويساق المؤمنون زُمرّاً إلى الجنة
- ٦٥ محمّد ﷺ أول شفيع وأول من يقرع باب الجنة ويدخلها
- ٦٦ الملائكة حافّون حول العرش ، يسبحون بحمد الله ويمجدونه

٤٠ - سورة المؤمن مكية نزلت بعد سورة الزمر

- ٦٧ الله ذو العزة التي لا ترام والعلم الذي لا يخفى عليه شيء
- ٦٨ المؤمن العاصي يجب إعاقته بدعوته إلى التوبة ولا يُعين الشيطان عليه
- ٦٩ من أعان باطلاً على حقٍ برئت منه ذمة الله ورسوله
- ٧٠ حملة العرش الثمانية ، يدعون للمؤمنين بالمغفرة والرحمة والفوز بالجنة
- ٧١ أخلصوا العبادة لله ولو كره الكافرون ، أدعوه وأنتم موقنون بالإجابة
- ٧٢ إن الله قد حرّم الظلم على نفسه ، فلا يظلم أحداً
- ٧٣ تقطعت بالمشركين الأسباب فلا صديق ولا شفيع ولا مغفرة مؤمّلة
- ٧٤ أي مكر بيّته الكفار بالمؤمنين يظهره الله ويبطله
- ٧٥ مؤمن آل فرعون ، قال كلمة حق عند سلطان جائر
- ٧٦ تأكد فرعون صدق موسى ولكنه أبى إلاّ الجحود
- ٧٧ مؤمن آل فرعون : جريء في الحق ، عالم به ، داعية إليه
- ٧٨ جزاء السيئة مثلها ، والعمل الصالح مع الإيمان يدخل الجنة
- ٧٩ هذه الأنداد لا تستجيب لكم لا في الدنيا ولا في الآخرة
- ٨٠ عذاب القبر حقٌ ، وكان رسول الله يتعوّذ منه بكل صلاة
- ٨١ ينصر الله رسله في حياتهم ، أو ينتقم لهم بعد موتهم
- ٨٢ الكفار يدفعون الحق بالباطل بلا حجة ، إن الباطل كان زهوقاً
- ٨٣ كما لا يستوي الأعمى والبصير ، كذلك لا يستوي الأبرار والفجار
- ٨٤ الدعاء عبادة ، فمن دعا غير الله فقد عبد الذي دعاه
- ٨٥ الذي يخلق ويقول للشيء كن فيكون ، هو المستحق للعبادة وحده
- ٨٦ أين معبوداتكم من دون الله ؟ ينقذوكم من عذاب الحريق ... ؟!!!
- ٨٧ ليس لنبيٍّ ولا رسولٍ أن يأتي بمعجزة إلاّ بإذن الله
- ٨٨ نعم الله تعالى على عباده أجدر أن تؤدّي بهم إلى الإيمان
- ٨٩ كل من يقول بنجاة فرعون فهو معه أينما كان

٤١ - سورة فصلت مكية نزلت بعد سورة غافر « المؤمن »

- ٩٠ القرآن بشير للمؤمنين لأخذهم به ، ونذير للكافرين لإعراضهم عنه
- ٩١ محاولة قریش لإرجاع محمد ﷺ عن دعوته
- ٩٢ كاد سفير قریش أن يؤمن ، فقالوا له سحرك محمد بلسانه

- ٩٣ خلق الله الأرض في يومين ثم خلق السماء في يومين
- ٩٤ ثم دحى الأرض في يومين فأخرج ماءها ومرعاها
- ٩٥ يمتنعون بقوتهم من بأس الله ، والله خالق قوتهم ، أفلا يعقلون
- ٩٦ جاء عذابهم ببريح صرصر أقوى منهم فكان عذابهم جزاءً وفاقاً
- ٩٧ لو انتبه الغافل ... لأدرك أن أعضائه شهود عليه
- ٩٨ ظنهم بأن الله لا يسمعهم !!! أرداهم وجعل مثواهم النار
- ٩٩ أضلَّ الله المشركين بما كفروا وأشركوا به تعالى
- ١٠٠ من قال : ربي الله ثم استقام عليها وعمل لها حتى مات أفلح ونجح
- ١٠١ البشرى للمستقيمين بالجنة عند الموت وفي القبر وعند البعث
- ١٠٢ الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن ، وبالصبر والحلم والعفو
- ١٠٣ لا تسجدوا للشمس والقمر ، فالذي خلقهما هو المستحق لذلك وحده
- ١٠٤ لا يستوي الآمن يوم القيامة ، والذي تنتظره النار لكفره وإلحاده
- ١٠٥ إصبر يا محمد كما صبر قبلك الرسل أولو العزم عليهم السلام
- ١٠٦ عملك يعود خيره أو شره عليك ولا يظلم الله أحداً
- ١٠٧ إذا أصاب الإنسان ضررٌ دعانا ... فلما كشفناه عنه بطر وكفر
- ١٠٨ سريهم الدلائل العملية بانتصار الإسلام عليهم وأنه هو الحق

٤٢ - سورة الشورى مكية نزلت بعد سورة فصلت

- ١٠٩ الوحي إما كصلصلة الجرس ، أو بأن يتمثل جبريل رجلاً يتكلم
- ١١٠ من اختار الهدى ففي الجنة ، ومن اختار الضلال ففي النار
- ١١١ لو شاء الله لجعلهم مهتدين ، ولم يفعل ... لأنه خيرهم بتكاليفهم
- ١١٢ جميع الرسل أرسلوا لأقوامهم بالتوحيد الخالص لله تعالى
- ١١٣ هذه آية الكرسي فيها عشرة أحكام
- ١١٤ غضب الله على من يصد عن سبيله - أعدوا العدة للساعة
- ١١٥ من يرد ثواب الآخرة نزل له فيه إلى سبعة ضعف
- ١١٦ ومن يعمل لثواب الدنيا فحسب ، لاحظ له في الآخرة
- ١١٧ من معنى المودة لقربى الرسول ، الإحسان لذريته الطاهرة واحترامهم
- ١١٨ يغفر الله الكثير من السيئات ، ويكثر القليل من الحسنات ويضاعفها

- ١١٩ الله حكيم في تقدير الغنى والفقر على عباده
 ١٢٠ الله أحلم من أن يثني العقوبة في الآخرة على عقوبة الدنيا
 ١٢١ اجتناب كبائر الإثم والفواحش ، والعفو عند المقدرة من صفات المؤمنين
 ١٢٢ إقام الصلاة والتشاور والزكاة ونصرة الحق والعفو من صفات المؤمنين
 ١٢٣ جزاء سيئة سيئة مثلها ، ومن عفا فهو خير له
 ١٢٤ استجيبوا أيها المشركون إلى داعي الله قبل يوم الحساب
 ١٢٥ كل أحوال المؤمن خير — يجعل الله من يشاء نجيباً أو عقيماً
 ١٢٦ القرآن هدى للمؤمنين ، وعمى على الكافرين

٤٣ سورة الزخرف مكية نزلت بعد سورة الشورى

- ١٢٧ القرآن عربيٌ جليٌ عليٌ حكيم ، بريٌ من الزيف
 ١٢٨ الجنب لا يمس القرآن حتى يعتسل إكراماً للقرآن وتعظيماً
 ١٢٩ نبه الله تعالى بإحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد
 ١٣٠ يقرون بأنه الخالق ، ثم يشركون به ويجعلون له أحسن القسمين
 ١٣١ يحتجون بمشيئة الله والله أنكر عليهم عبادة غيره وأمرهم بالتوحيد
 ١٣٢ المترفون غالباً قادة الباطل ، والمتكبرون على الحق
 ١٣٣ تبرؤ إبراهيم من أبيه المشرك — الله أعلم حيث يجعل رسالته
 ١٣٤ من يتعامى عن القرآن يقيض الله له شيطاناً يصدّه عنه
 ١٣٥ القرآن شرف لمحمد وللعرب وللمسلمين عامة
 ١٣٦ أرسل الله على قوم فرعون : الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
 ١٣٧ استخف فرعون قومه فأطاعوه ، وهكذا كل طاغية متأله على جماعته
 ١٣٨ كل ما عبد من دون الله (برضاه) فهو طاغوت في النار
 ١٣٩ إن (ما تعبodon ...) تعني الاصنام فما علاقة عيسى والعزير والملائكة
 ١٤٠ سينزل عيسى عليه السلام إماماً عادلاً ، وحكماً مقسطاً يحكم بالإسلام
 ١٤١ كل محبة في غير الله تعالى ، تنقلب يوم القيامة عداوة

- أهل جهنم لا يموتون فيها ولا يحيون ، بل في عذاب مقيم ١٤٢
الشرط لا يقتضي الوقوع - ليست الشفاعة إلا للمؤمنين ١٤٣
اصفح يا محمد عن المشركين ، فسوف يعلمون كيف يكون انتقامي ١٤٤

٤٤ سورة الدخان مكية نزلت بعد سورة الزخرف

- الليلة التي (فيها يفرق كل أمر حكيم) ليلة ٢٧ رمضان لا ١٥ شعبان ١٤٥
الدخان أحد علامات يوم القيامة العشر ١٤٦
يتمنى الكفار لو يكشف العذاب عنهم ليؤمنوا ، وهل ينفعهم إيمانهم آنذاك ؟ . . . ١٤٧
البطشة الكبرى هي يوم القيامة لا يوم بدر ١٤٨
إذا أخلص المؤمنون ، ينصرهم الله على أعدائهم ويورثهم أرضهم ونعمتهم . . . ١٤٩
لا معاد في الدنيا إنما المعاد يوم القيامة ١٥٠
أسلم/تبع/ وقومه ، ثم ارتدوا بعده ، حج البيت عام ٧٠٠ ق . ب ١٥١
يوم القيامة لا يغني قريب قريباً ولا صديق صديقاً ١٥٢
في جهنم : دوام العذاب بالنار والزمهرير والحميم والغساق والمهل والزقوم . . . ١٥٣
في الجنة : دوام النعيم والصحة والحياة والشباب والرغد والزوجات الحسان . . ١٥٤
الظفر في الدارين لمحمد والأنبياء والمؤمنون ، وللكفار العنة وسوء الدار ١٥٥

٤٥ سورة الحاثية مكية نزلت بعد سورة الدخان

- في الكون دلائل لا تحصى ، على وجود الله تعالى ووحدانيته ١٥٦
الويل لمن يسمع آيات الله تتلى عليه ، ثم يصر على الكفر ١٥٧
الأمر بالمسألة والصفح قبل تشريع الجهاد ١٥٨
هذا القرآن ، بصائر للناس وهدى رحمة للموقنين به ١٥٩
من اتخذ آلَه هواه ، يحتم على سمعه وبصره وقلبه ١٦٠
من سب الدهر لمصيبة أصابته ، فكأنما سب الله لأنه هو فاعلها ١٦١
تستحضر يوم القيامة ، جميع الأعمال بلا زيادة أو نقص ١٦٢
الله يعامل الكافر معاملة الناسي له في نار جهنم ١٦٣
العظمة والكبرياء لله وحده فمن نازعه فيهما أسكنه النار ١٦٤

٤٦ الأحقاف مكية نزلت بعد سورة الحاثية

- قل يا محمد للمشركين : الذين يدعونهم من دوفي ، ماذا خلقوا ؟ ١٦٥

- ١٦٦ أتعبدون من هم عن عبادتكم غافلون ، ويوم الحشر منكم يتبرّأون .
- ١٦٧ لا يشهد أحد لأحد بالجنة إلاّ للذي نصّ عليه الشارع الحكيم .
- ١٦٨ كل فعل أو قول من الدّين لم يثبت عن الرسول وصحابته ، فهو بدعة .
- ١٦٩ أقلّ مدّة الحمل ستة أشهر ، وأكثر مدّة الرضاع عامان .
- ١٧٠ العمل الخالص لوجه الله والمطابق للشريعة هو الذي يرضاه الله .
- ١٧١ يحذر بمن بلغ الأربعين أن يتوب نهائيا ويعزم ألاّ يعود .
- ١٧٢ حال الأشقياء العاقين لوالديهم والمكذبين بالحق .
- ١٧٣ استعجلوا العذاب ... فدمر منهم كلّ شيء .
- ١٧٤ يحذر الله المشركين أن يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم من الدمار .
- ١٧٥ يحذرهم مما وقع بالأحقاف وسبأ ومدين وقوم لوط ، أن يقع بهم .
- ١٧٦ اجتماع وفود الجن برسول الله ﷺ وإيمانهم به .
- ١٧٧ لا يجوز تنجيس العظام . فهي طعام إخواننا الجن .
- ١٧٨ ليس في الجن أنبياء ولا رسل بل فيهم النذر .
- ١٧٩ مؤمنو الجن وصالحوهم يدخلون الجنة كالإنس بلا تفاوت .
- ١٨٠ اصبر كما صبر أولو العزم : نوح إبراهيم موسى عيسى محمد ﷺ .

٤٧ سورة محمد مدنية نزلت بعد سورة الحديد

- ١٨١ من آمن بما أنزل على محمد غفرت سيئاته وأصلح باله .
- ١٨٢ إذا وقع لدى المؤمنين أسرى من المشركين فإمّا منّا أو فداء .
- ١٨٣ رفع الله عقاب السماء ، وشُرع الجهاد ليختبر الصابرين .
- ١٨٤ من ينصر الله بإقامة أحكامه ، ينصره الله ويثبت قدميه .
- ١٨٥ رأيتم ما حلّ بالمشرّكين قبلكم ... ؟ فما ظنكم أن يفعل الله بكم ... ؟ .
- ١٨٦ ليس من هو في الدرجات العلى كمن هو في الدرجات .
- ١٨٧ يقول الشيطان : أهلكتُ الناس بالأهواء ، فهم يحسبون أنهم مهتدون .
- ١٨٨ من يُفسد في الأرض ويقطع الرّجم ، يلعنه الله ويُنصمه ويُعصمه .
- ١٨٩ البغي وقطيعة الرّجيم ، يعجلان العقوبة في الدنيا مع أدخار عقوبة الآخرة .
- ١٩٠ من أسرّ سريرة ، أبداه الله على صفحات وجهه ، وفتلت لسانه .
- ١٩١ الذنوب لا تبطل العمل ، إنّما يبطله الشرك .
- ١٩٢ الله لا يسألكم أموالكم ، إلاّ مواساةً لفقرائكم ، ويعود ثوابها إليكم .

المال محبوب ، لا يصرف إلا فيما هو أحب منه. ١٩٣

٤٨ سورة الفتح مدنية نزلت بعد سورة الجمعة

- ١٩٤ كانت الحديبية في ذي القعدة لسنة ٦/ من الهجرة النبوية
- ١٩٥ قسمت غنائم خيبر على من حضر الحديبية فحسب ، وكانوا /١٤٠٠/.
- ١٩٦ غفر الله لنبيه محمد ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر
- ١٩٧ الله فوق العرش ويده فوق أيديهم وهو معهم بعلمه وسمعه وبصره
- ١٩٨ من بايع محمداً تحت الشجرة يوم الحديبية ، فكأنما بايع الله
- ١٩٩ لا يدخل النار من بايع تحت الشجرة يوم الحديبية
- ٢٠٠ سأل المخلفون الخروج إلى خيبر ، فمنعوا لأنه خاص بأهل الحديبية
- ٢٠١ سيُغْفَرُ للمخلفين إن استجابوا لقتال أقوام أشداء ، أو يعذبوا في الدارين
- ٢٠٢ الفتح القريب : فتح خيبر ففتح مكة ثم فتح الشرق والغرب
- ٢٠٣ ما تواقف الإيمان والكفر ، إلا وكان النصر المؤزر للإيمان وأهله
- ٢٠٤ قدر الله عدم دخوله مكة ، حفاظاً على حياة مؤمنين مكتومين فيها
- ٢٠٥ وألزمهم كلمة التقوى : يعني : لا إله إلا الله
- ٢٠٦ وفادة عروة بن مسعود ودهشته لفرط حب المسلمين وطاعتهم للرسول ﷺ
- ٢٠٧ وفادة سهيل بن عمرو ، وعقد الصلح معه عشر سنين سنة ٦ هـ
- ٢٠٨ فرار أبي جندل مؤمناً إلى الرسول ﷺ ، فسلمه لأبيه وفاء للعهد
- ٢٠٩ أبو بصير وأبو جندل يؤلفان عصابة ومؤمني مكة ضد المشركين
- ٢١٠ فتح خيبر وتصديق الله رؤيا الرسول بدخول المسجد الحرام
- ٢١١ بشارة الله لرسوله وللمؤمنين بفتح مكة ، وانتصار الإسلام على الجميع
- ٢١٢ محمد ﷺ ومن معه أشداء غلاظ على الكفار ، رحماء بالمؤمنين
- ٢١٣ صفة هذه الأمة بالتوراة والإنجيل - النهي عن سب الصحابة (رض)

٤٩ سورة الحجرات مدنية نزلت بعد سورة المجادلة

- ٢١٤ لا اجتهاد في مورد النص ، ولا رأي مع الدليل
- ٢١٥ رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ يحبط العمل
- ٢١٦ غض الصوت عند رسول الله ﷺ حياءً أو ميتاً مجلبة للرحمة
- ٢١٧ وجوب تحري الأخبار ، صدقها من كذبها قبل الحكم

٢١٨	النبي ﷺ لا يطع أحداً على هواه بل بالحق
٢١٩	قاتلوا الطائفة الباغية حتى ترجع إلى الحق وأصلحوا بين المسلمين
٢٢٠	لا تحارقوا ... فلعن المحتقر عند الله ، أرفع منزلة من المحتقر
٢٢١	الظن أكذب الحديث ، وهو التهمة والتخون / لا تجسسوا
٢٢٢	لا تغتب أخاك ، لا تحقره ، لا تغمز ولا تلمز ولا تهم
٢٢٣	كفارة غيبتك أخاك ، أن تذكره بخير في كل مجلس اغتبه فيه
٢٢٤	التفاضل : بالعلم والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الرجم
٢٢٥	الإسلام باللسان والإيمان في القلب
٢٢٦	لا تمنوا على الرسول إسلامكم ، فإن المنة لله وحده

٥٠ سورة (ق) مكية نزلت بعد سورة المرسلات

٢٢٧	سورة (ق) أول الحزب المفصل
٢٢٨	كان رسول الله ﷺ يقرأ (ق) في الجمعات والأعياد
٢٢٩	استبعدوا أن يكون النبي بشراً مثلهم كما استبعدوا البعث
٢٣٠	الذي قدر أن يخلق الكون قادر على البعث قطعاً
٢٣١	الملائكة أقرب إلى الإنسان من جبل الوريد إليه
٢٣٢	كل أحد يوم القيامة ، يكون مؤمناً مستبصراً ولكن لا ينفع ذلك
٢٣٣	للإنسان قرين ملكي يأمره بالخير ، وقرين جني يأمره بالشر
٢٣٤	كلما ألقى في جهنم جماعة تقول : هل من مزيد
٢٣٥	أنعم النعم في الجنة : رؤية وجه الله الكريم
٢٣٦	كانت الصلاة المفروضة ثنتين ، الفجر والعصر ثم شرعت خمس صلوات
٢٣٧	الرسول الأعظم ﷺ أول من تنشق عنه الأرض

٥١ سورة الذاريات مكية نزلت بعد سورة الأحقاف

٢٣٨	الذاريات : الريح . الحاملات وقرأ : السحاب . الجاريات يسراً : السفن
٢٣٩	الكفار لا يفتنون إلا من كان مثلهم من أمل الجحيم
٢٤٠	في مال الأغنياء حق معلوم للسائل والمحروم
٢٤١	من تفكر في خلق جسمه علم إنما خلق للعبادة
٢٤٢	جبريل وميكائيل وإسرافيل ، في ضيافة إبراهيم

- استحالت أرض قوم لوط بحيرةً منتنةً خبيثةً ٢٤٣
خلق الله من كل شيء زوجين اثنين فهل يستحق العبادة غيره ؟ ٢٤٤
العبادة سبب خلق المخلوقات جميعاً ٢٤٥

٥٢ سورة الطور مكية نزلت بعد سورة السجدة

- كان يقرأ ﷺ في صلاة المغرب بالطور ٢٤٦
يوقد البحر يوم القيامة ناراً تتأجج ٢٤٧
المتقون فاكهون في الجنة ، متقابلون على سررها ٢٤٨
يرفع درجات الابن بأبيه وبالعكس ، ولا يؤخذ أحداً بذنب أحد ٢٤٩
يحمد أهل الجنة ربهم أن وقاهم عذاب السموم ٢٤٠
القرآن مفترى ؟ ! هاتوا سورة مثله — الله خالق الكلّ وتعبدون سواه ؟ ٢٥١
فإن كانوا يريدون بالإسلام كيداً ، فسيردّه الله في نحورهم ٢٥٢
التسبيح ، عند افتتاح الصلاة ، والقيام من النوم ، والقيام من المجلس ٢٥٣
ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها ١٢٨

٥٣ سورة النجم مكية نزلت بعد سورة الإخلاص

- أمره ﷺ لابن عمرو ، بكتابة حديثه ، نسخ لأمره بعدم الكتابة ٢٥٥
الذي دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، هو : جبريل عليه السلام ٢٥٦
قوله : (أتاني ربي في أحسن صورة) مختصر من حديث المنام ٢٥٧
عائشة تسأله ﷺ عن رآه في المرتين ... فيؤكد : (إنما هو جبريل) ٢٥٨
لو كان الرسول ﷺ رأى ربه ، لأخبر بذلك وقاله للناس ٢٥٩
أمر الرسول بعض أصحابه ، فهدموا كل وثن في الجزيرة العربية ٢٦٠
ليس كل ظن مذموماً ، إنما المذموم : الظن المكفر ، والظن السوء ٢٦١
اجتناب الكبائر يكفر الصغائر ، والاستخفاف بالصغائر يحذر للكبائر ٢٦٢
النهى عن تزكية النفس ، والمدح في الوجه ٢٦٣
الشافعي رحمه الله : يفتي بعدم وصول قراءة القرآن للأموات ٢٦٤
الذي خلق الإنسان من نطفة ، هو الذي يبعثه بعد موته ٢٦٥
لما قرأ النبي (فاسجدوا ...) سجد ، فسجد المسلمون والمشركون والإنس والجن ٢٦٦

٥٤ سورة القمر مكية نزلت بعد سورة الطارق

- أخبار الله ورسوله : باقتراب قيام الساعة ٢٦٧
- ثبوت انشقاق القمر بالتواتر، معجزة لرسول الله ﷺ ٢٦٨
- يسلي الله نبيه ﷺ ، ويأمره بالإعراض عن كفر بانشقاق القمر ٢٦٩
- الله يثأر لأنبيائه ممن كذبهم وكفر ، كقومي نوح وهود عليهما السلام ٢٧٠
- وثأر تعالى لنبيه صالح بصيحة جعلت ثمود هشيماً مشوراً ٢٧١
- وثأر لنبيه لوط من قومه فأهلكهم عن آخرهم إلا المؤمنين ٢٧٢
- يحذر الله قريشاً أن يحل بهم ما حل بالأمم السابقة ٢٧٣
- الذين يقولون : (لا قدر) مجوس هذه الأمة ، لا تعودوهم ولا تشهدوهم ٢٧٤
- السعداء : في نعيم ونهر ، والأشقياء : في جحيم وسعير ٢٧٥

٥٥ سورة الرحمن مدنية نزلت بعد سورة الرعد

- قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمن على وفد الجن المؤمن ٢٧٦
- ونحن نقول : اللهم ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب ، فلك الحمد ٢٧٧
- خلق الإنسان من صلصال كالفخار ، والجان من نار ٢٧٨
- يذكر الله الإنسان والجن ، بآلائه ونعمه التي لا تعد ولا تحصى ٢٧٩
- أنفذوا إن استطعتم من السموات والأرض فراراً من هول المحشر ٢٨٠
- الكفار يعرفون من سواد وجوههم ، والمؤمنون بغرتهم وتحجيلهم من أثر الضوء ٢٨١
- إن من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق ٢٨٢
- في الجنة للمؤمنين : فرش الاستبرق ، الثمار الدانية ، الحور العين الأبقار ٢٨٣
- لا جزاء لمن أنعم الله عليه بالتوحيد إلا الجنة ٢٨٤
- مقارنة بين الجنةيين الأوليين ، والجنةيين الآخرين ٢٨٥
- الله : يُجَلُّ فلا يعصى ، ويكرم فيعبد ، ويشكر فلا يكفر ٢٨٦

٥٦ سورة الواقعة مكية نزلت بعد سورة طه

- من قرأ سورة الواقعة كل ليلة ، لم تُصبه فاقة أبداً ٢٨٧
- الناس ثلاثة أصناف : السابقون المقربون ، وأهل اليمين ، وأهل الشمال ٢٨٨
- في كل أمة مؤمنة سابقون ، وأصحاب اليمين وخيرهم في أمة محمد ﷺ ٢٨٩
- الطعام واحد فكله مما يليك ، والفاكهة مختلفة فتخيرها مما تشاء ٢٩٠

- في الجنة : سِدْرٌ مَخْضُودٌ ، وَطَلْحٌ مَنضُودٌ ، وَظِلٌّ مَّدُودٌ ٢٩١
- حتى العجايز الرمص ، يحشرون أبكاراً غُرباً أتراباً يذبن ملاحاً وطرافة . . . ٢٩٢
- ذات الأزواج في الدنيا تختار أحسنهم أخلاقاً زوجاً لها في الجنة ٢٩٣
- أصحاب الشمال : في سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ وَغَسَلِينَ وَزُقُومٍ ٢٩٤
- أيها المكذَّبون : علمتم أنه تعالى خلقكم من عدم ، فكيف تستبعدون إعادتكم . . ٢٩٥
- علمتم : أننا الزارعون والمطرون والرازقون ثم تكفرون ولا تشكرون؟! . . . ٢٩٦
- من أنبت الشجر ، وأنزل المطر ؟ أليس الله ... ؟ فسبحوا بسمه العظيم ٢٩٧
- المطهَّرون : هم الملائكة السفرة الكاتبون البررة في السماء الدنيا ٢٩٨
- لا يجوز للجنب مسَّ المصحف إلاَّ بعد الاغتسال ٢٩٩
- لا خوف على المقرَّين وأصحاب اليمين ؛ فإنهم أصحاب الجنة ٣٠٠
- عند الاحتضار : المؤمن الصادق يبشر بالنعيم والكافر المكذب يبشر بالبحيم . . ٣٠١

٥٧ سورة الحديد مدنية نزلت بعد سورة الزلزلة

- إذا أردت النوم ، فاضطجع على شقك الأيمن وقل اللهم رب السموات ٣٠٢
- الله على العرش استوى ، وهو مع خلقه بصفاته أينما كانوا ٣٠٣
- أعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ٣٠٤
- أعجب المؤمنين إيماناً قوم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها ٣٠٥
- من آمن وأنفق قبل الفتح لا يستوي بمن فعل ذلك بعده ٣٠٦
- ربَّ نخلةٍ عروقهادرٌ وياقوت لأبي الدحداح في الجنة ٣٠٧
- نور المؤمنين على الصراط ، والمنافقون يسلبون نورهم هناك ٣٠٨
- النار أولى بالمنافقين من كل منزل ، جزاء كفرهم ٣٠٩
- سمى الله تعالى عن التشبه بأهل الكتاب ٣١٠
- المصدِّقون والصدِّيقون والشهداء هم أعظم المؤمنين أجراً ٣١١
- مثل الدنيا كزرع يبس فصار حطاماً ، والآخرة نعيم لا يبلى ٣١٢
- إن الله علم الأشياء قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف عام ٣١٣
- أرسل الله الحق بالقرآن ، والقوة بالحديد ، لتحميهِ وتقرِّه ٣١٤
- العمل المتقبَّل ما شرعه الله ، لا ما ابتدعه الناس و(استحسنوه...) ٣١٥
- أمة محمد ﷺ خير الأمم ، وفضل الله يؤتیه من يشاء ٣١٦

٥٨ سورة المجادلة مدنية نزلت بعد سورة (المنافقون)

- عائشة لم تسمع « المجادلة » وسمعتها الله من فوق سبع سمواته ٣١٧
 (الظهار) : هو أن يقول الزوج لزوجته : أنت علي كظهر أمي ٣١٨
 المظاهر لا تحل له زوجته إلا بعد الكفارة ٣١٩
 كفارة الظهار : عتق أو صيام أو إطعام (من قبل أن يتماسا) ٣٢٠
 ما من نجوى إلا والله يسمعها ويعلمها من فوق سبع سمواته ٣٢١
 كان اليهود والمنافقون يتناجون في معصية الرسول ﷺ ٣٢٢
 نهى رسول الله ﷺ أن يتسار إثنان دون الثالث فيحزن ٣٢٣
 ما أمروا بالقيام لسعد تعظيماً ، بل مساعدة ليزلوه بسبب إصابته (إقرأ التعليق) ٣٢٤
 أمر الله بدفع صدقة إذا ناجى أحد رسول الله ﷺ ثم نسخت ٣٢٥
 اليمين الغموس ، بأن تحلف بالله على شيء وتعلم أنك كاذب ٣٢٦
 ما يستحوذ الشيطان إلا على حربه المنافقين والكافرين وأمثالهم ٣٢٧
 المؤمن لا يواد من حاد الله ولو كان أباه أو ابنه أو أخاه ٣٢٨
 حزب الله المفلحون هم الذين لا يوادون من حاد الله ٣٢٩

٥٩ سورة الحشر مدنية نزلت بعد سورة البيّنة

- كل شيء في الكون يسبح الله تعالى ويمجّده ٣٣٠
 تأمر بنو النضير على قتل رسول الله ﷺ فأجلاهم ٣٣١
 قطع نخل بني النضير وحرقه أو تركه كان يذن الله ٣٣٢
 الفية كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ٣٣٣
 مصارف الفية : لله ولرسوله وذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . . . ٣٣٤
 الداعي إلى الحق : يجب ألا يخالف ما ينهى عنه ٣٣٥
 ومصارف الفية : لفقراء المهاجرين ، والذين تبوأوا الدار (أي الأنصار) . . . ٣٣٦
 (والذين جاءوا من بعدهم) استوعبت المسلمين عامة ٣٣٧
 منافقوا المدينة ورطوا يهود بني النضير ، ثم تخلّوا عنهم ٣٣٨
 مثلهم كمثّل الشيطان الذي يتخلّى عن يغويهم ثم يترأ منهم ٣٣٩
 تصدّع الجبال من خشية الله ولا تصدّع قلوب المشركين ٣٤٠
 من أحصى الأسماء الحسنى أي فهمها ولم يصرفها لغير الله دخل الجنة . . . ٣٤١
 جميع المخلوقات تسبح بحمد الله حقيقة ولكننا لا نفقه تسميهم ٣٤٢

٦٠ سورة الممتحنة مدنية نزلت بعد سورة الأحزاب

٣٤٣	ليس للمؤمن أن يوادَّ أعداءَ الله خوفاً على أهله وماله
٣٤٤	لعل الله قال لأهل بدر : إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
٣٤٥	لا توالوا من إذا غلبوكم لا يرحمونكم ، ونفهمهم منقطع عنكم
٣٤٦	على المؤمنين أن يتبرأوا من المشركين ولو كانوا آباءهم وأبناءهم
٣٤٧	لا بأس من الإحسان إلى الكفار المسلمين وخاصة الأقربين
٣٤٨	من يتولَّى الكفار فإنه منهم
٣٤٩	إستثناء إرجاع المهاجرات المؤمنات من شروط صلح الحديبية
٣٥٠	فسخ الأنكحة بين المسلمين والمشركين ، ولزوجين المسلم والمشرك استرداد مهره
٣٥١	بائع الرسول ﷺ النساء على التوحيد وعدم السرقة والزنى وقتل الأولاد
٣٥٢	والأب يدخلن على أزواجهن غير أولادهن وألأ يعصين في معروف
٣٥٣	النهي عن موالاته الكفار كافة

٦١ سورة الصف مدنية ، نزلت بعد سورة التغابن

٣٥٤	أما شئ عند الله تعالى أن تقولوا مالا تفعلون
٣٥٥	الصف للصلاة والصف للقتال ، يجب الله أن يكونا كالبنين المرصوص
٣٥٦	بشارة النبيين ، وآخرها بشارة عيسى ﷺ بالنبي الأمي محمد ﷺ
٣٥٧	ما أنزل الله الإسلام إلا ليظهره على الأديان عامة ويختمها به
٣٥٨	كان المسلمون أنصاراً محمد ﷺ كما كان الحواريون أنصار عيسى ﷺ
٣٥٩	ألقي شبه عيسى على أصغر الحواريين وجزأه الجنة

٦٢ سورة الجمعة مدنية نزلت بعد سورة الصف

٣٦٠	كان الرسول ﷺ يقرأ في صلاة الجمعة ، بسورتي (الجمعة) و (المنافقون)
٣٦١	نزول الرسالة في العرب ، لا ينافي أن تكون للناس كافة
٣٦٢	مثل الذين حمّلوا التوراة ولم ينفذوا أحكامها كالحمار يحمل أسفاراً
٣٦٣	لو باهل اليهود رسول الله ، لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً
٣٦٤	الاغتسال ، التبكير ، بطلان البيع ، الإنصات لخطبة الجمعة : كفارة لما بعدها
٣٦٥	لا ظهر بعد الجمعة ، حرمة ترك الخطيب ، صحة الجمعة بالنفر القليل
٣٦٦	البقاء لما عند الله من الأجر خير من اللهو والتجارة

١٣ سورة (المنافقون) مدنية نزلت بعد سورة الحج

٣٦٧	المنافقون يقولون ما لا يعتقدون فكذبهم الله تعالى
٣٦٨	علامات المنافقين التي يعرفون بها
٣٦٩	قام ابن سلول ينافق في المسجد فأسكنه الصحابة فترك الجمعة
٣٧٠	الدعوات إلى غير الإسلام إنها دعوات متنتة
٣٧١	يا رسول الله ان كنت قاتلاً أبي ، مرني آتِكَ برأسه
٣٧٢	لا تَوَجِّلْ نَفْسَ حَلْ أَجْلِهَا ، ولا رَجْعَةً لِلدُّنْيَا بعد الموت

٦٤ سورة التغابن مدنية نزلت بعد سورة التحريم

٣٧٣	علم الله من يستحق الهداية ممن يستحق الضلال
٣٧٤	استبعد الكفار أن تكون هدايتهم على يدي بشر مثلهم
٣٧٥	التغابن من أسماء يوم القيامة
٣٦٧	من استسلم لقضاء الله ، هدى الله قلبه ، وعوضه عما فاتته
٣٧٧	الأزواج والأولاد والمال ، فتنة . فإياكم أن تفتنوا
٣٧٨	الصدقات جزاؤها على الله ، ونزلت منزلة القرض له

٦٥ سورة الطلاق مدنية نزلت بعد سورة الإنسان

٣٧٩	لا تطلق المرأة في الحيض ، ولا في طهرٍ مستها فيه
٣٨٠	يجب أن تقضي المطلقة عدتها في بيت زوجها
٣٨١	المطلقة المبتوتة ، ليس لها نفقة ولا سكنى
٣٨٢	الطلاق يقع بمجرد التلفظ به ، ولا يجب فيه إسهاد بل يستحب (إقرأ التعليق)
٣٨٣	عدة المطلقة اليائسة ، والمطلقة غير البالغة ثلاثة أشهر
٣٨٤	عدة الحامل المطلقة ، أو المتوفى عنها زوجها ، لحين وضعها
٣٨٥	النفقة على المطلقات الحاملات حتى يلدن ولهن أجرُ الإرضاع
٣٨٦	اعتبروا يا أمة محمد بما عاقب الله الكفار من قبل
٣٨٧	علة خلق الكائنات لأجل عبادة الله وحده ، والعلم بكافة صفاته
٣٨٨	الأرضون السبع - والله أعلم - هي الأفلاك السبعة وأرضنا ذرة منها

٦٦ سورة التحريم مدنية نزلت بعد سورة الحجرات

٣٨٩	حرّم الرسول ﷺ أم ولده إبراهيم ، فعاتبه الله وأمره بإعادتها
-----	--

- ٣٩٠ ليس التحريم طلاقاً إلاّ بنية الطلاق ، وكفارة التحريم كفارة يمين
- ٣٩١ تحريم مارية ، وتحريم العسل ، وإقعنتان مستقلتان
- ٣٩٢ هدد الله نساء نبيّه ﷺ إمّا أن يستقمن ، أو يزوجه خيراً منهن
- ٣٩٣ المسلم مسؤول عن أهل بيته أمراً ونهياً ، ترغيباً وترهيباً
- ٣٩٤ المؤمن نوره يسعى بين يديه ، والمنافق يطفأ نوره
- ٣٩٥ إن نساء الأنبياء معصومات من الوقوع في الفاحشة لحُرمة الأنبياء
- ٣٩٦ (ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة) اختارت الجار قبل الدار
- ٣٩٧ أكمل النساء آسية ومريم وخديجة ، وفضل عائشة كفضل الثريد على سائر الطعام

٦٧ سورة الملك مكية ، نزلت بعد سورة الطور

- ٣٩٨ سورة تبارك شافعة ، وقد خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة
- ٣٩٩ يد الله صفة له لا هي نعمته ولا قدرته بل يده حقيقة بلا كيف
- ٤٠٠ ندامة الكفار في جهنم حيث لا تنفع الندامة
- ٤٠١ الأجر والمغفرة للذين يخشون ربهم بالغيب — طلب الرزق لا ينافي التوكل
- ٤٠٢ ذات الله تعالى فوق كل مخلوق ، ووسعت صفاته كل شيء
- ٤٠٣ من هذا الذي يرزق غير الله ، إن أمسك الله رزقه ؟
- ٤٠٤ ومن هذا الذي يحير من عذاب الله ، غير الله تعالى ؟

٦٨ سورة القلم مكية نزلت بعد سورة العلق

- ٤٠٥ يقسم الله بالقلم تنبيهاً لشرف العلم وتدوينه
- ٤٠٦ كان خلقه ﷺ القرآن وخاطبه ربه (وإنك لعلی خلقٍ عظيم)
- ٤٠٧ ستعلم يا محمد وسيعلمون لمن العاقبة — النّمام لا يدخل الجنة
- ٤٠٨ سيصلى جهنم كلّ معتدٍ أثيم ، عتلّ زنيم ، مكذب متناع للخير
- ٤٠٩ مانعو الزكاة حرموا من مالمهم في الدنيا والآخرة
- ٤١٠ أرادوا أن يحرموا المساكين حقهم ، فحرموا الشجر والثمر وحق المساكين
- ٤١١ يوم يكشف عن ساق يسجد المؤمنون ، ولا يستطيع الكافرون
- ٤١٢ النعم التي ينعم الله بها على المكذبين هي استدراج ، ثم يأخذهم بغتة
- ٤١٣ العين حق وأصدق الطيرة القتال

٦٩ سورة الحاقة مكية نزلت بعد سورة الملك

- ٤١٤ إهلاك ثمود بالصيحة ، وأهلك غاد بريح صرصر عاتية .
- ٤١٥ كفار قوم نوح أخذوا بعذاب الغرق ، والمؤمنون حملوا في الجارية
- ٤١٦ نفخة الصور ، وأهوال يوم القيامة
- ٤١٧ هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان : أدخلوه جنة عالية .
- ٤١٨ يسلسل الكفار بالأغلال في أدبارهم وتخرج من أفواههم
- ٤١٩ وهذه السورة من أسباب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- ٤٢٠ (ولو تقول ... لأخذنا ...) ولكن لن يتقول الصادق الأمين

٧٠ سورة المعارج مكية نزلت بعد سورة الحاقة

- ٤٢١ عذاب الله واقع بالكافرين بلا شك ولا ريب .
- ٤٢٢ ويل للمانع الزكاة : كثره صفائح نار ، وتدوسه إبله وبقره وغنمه أبدأ .
- ٤٢٣ تدعو النار أهلها بلسان فصيح ، وتلتقطهم كما يلتقط الطير الحب .
- ٤٢٤ الإنسان هلوع جزوع منوع ، إلا المصلين المزكّين العفيفين .
- ٤٢٥ والأمناء والقائمون بشهاداتهم بالحق ، والمقيمين الصلاة (أولئك في جنات مكرمين)
- ٤٢٦ ذرهم يا محمد في عنادهم حتى يلقوا ما يوعدون .

٧١ سورة نوح مكية نزلت بعد سورة النحل

- ٤٢٧ أمر الله نوحاً ﷺ أن ينذر قومه بأسّ الله وحلوله .
- ٤٢٨ لم ترد دعوة نوح ﷺ لقومه ، إلاّ فراراً من رسالته .
- ٤٢٩ نوح ﷺ نوح لقومه أساليب الترغيب والترهيب بلا فائدة .
- ٤٣٠ أصنام قوم نوح ﷺ هي تماثيل لرجال صالحين سابقين .
- ٤٣١ دعاء نوح باستئصال الكافرين والمغفرة للمؤمنين .

٧٢ سورة الجن مكية نزلت بعد سورة الأعراف

- ٤٣٢ إسماع الجن للرسول ﷺ وهو يقرأ القرآن وإيمانهم بالرسالة والرسول .
- ٤٣٣ لما نزل القرآن ملئت السماء حرصاً وطردت الشياطين من مقاعدها .
- ٤٣٤ أرسل إبليس سبعة من الجن ليكتشفوا له الخبر ... فرجعوا مسلمين .
- ٤٣٥ من الجن من أسلم ومنهم من تمرد وبقي على كفره .
- ٤٣٦ (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) .

- ٤٣٧ الله يحفظ رسله بملأئكته ليتمكنوا من أداء رسالاته
- ٤٣٨ علم الله الأشياء قبل وقوعها وأحاط بها وأحصاها عدداً

٧٣ سورة المزمل مكية نزلت بعد سورة القلم

- ٤٣٩ أمر الله تعالى رسوله ﷺ بقيام الليل وترتيل القرآن
- ٤٤٠ كانت قراءته ﷺ للقرآن آيةً بتمهل (إقرأ التعليل)
- ٤٤١ قيام الليل كان فريضةً على المسلمين عاماً ثم خففه الله إلى تطوع
- ٤٤٢ إصبر يا محمد على تكذيب قومك لك وأمهلم قليلاً
- ٤٤٣ من يعصى الرسول يأخذه الله أخذاً وبيلاً
- ٤٤٤ أو تروا يا أهل القرآن - الصدقة وديعة خير عند الله لفاعلها
- ٤٤٥ أكثروا من الذكر والاستغفار في الأمور كلها

٧٤ سورة المدثر مكية نزلت بعد سورة المزمل

- ٤٤٦ نزول المدثر لم يكن أول القرآن ، إنما بعد فترة الوحي
- ٤٤٧ الأمر بتعظيم الرب وتطهير القلب ، والشباب ، وهجر المعصية والصبر
- ٤٤٨ كاد أن يؤمن الوليد بن المغيرة لولا أبو جهل لعنهما الله
- ٤٤٩ وعيد الله للوليد بن المغيرة لاستكباره عن الحق ونفوره منه بعد علمه به
- ٤٥٠ ذكر عدد ملائكة النار ليستيقن أهل الكتاب بصدق رسالة محمد ﷺ
- ٤٥١ ما عبدناك حق عبادتك إلا أننا لم نشرك بك شيئاً
- ٤٥٢ اليقين : الموت . وليس هو كما يدعي أهل الحلول والاتحاد والوحدة

٧٥ سورة القيامة مكية نزلت بعد سورة القارعة

- ٤٥٣ إذا سبقت (لا) القسم ، فهي نفى لمزاعم الكفار . . . ثم يقسم
- ٤٥٤ من خلقت بعيد ، ولا مفر للمكذب بالبعث من النار
- ٤٥٥ حق لوجوه المؤمنين أن تنضر ، وهي تنظر إلى خالقها تعالى
- ٤٥٦ وحق لوجوه الكفار أن تكون باسرة (فلا صدق ، ولا صلتى)
- ٤٥٧ (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) بلى

٧٦ سورة الانسان مدنية نزلت بعد سورة الرحمن

- ٤٥٨ خلق الله الإنسان ودلّه على طريقَي الخير والشر
- ٤٥٩ حال الأبرار في الدنيا : طاعات بالواجبات ووفاء بالنذور لله تعالى

- وإطعام المسكين واليتيم والأسير لا يؤملون مكافأة إلاّ من الله ٤٦٠
وحالهم في الآخرة : إاثبتهم بالجنة وحياتها الناعمة الخالدة ٤٦١
لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ٤٦٢
إن هذه السورة تذكرة لمن شاء أن يسلك طريق الحق ٤٦٣

٧٧ سورة المرسلات مكية نزلت بعد سورة الهنزة

- نزلت المرسلات على النبي ﷺ في غار بمنى مع أصحابه ٤٦٤
ويل للمكذّبين من عذاب الله يوم القيامة ٤٦٥
ويل يومئذ للمكذّبين بقدره الله تعالى بعد هذا البيان ٤٦٦
وصف النار اللاهية التي كان الكفّار يكذبون بها ٤٦٧
أما العباد المتقون فهم في جنّات فاكهون خالدون ٤٦٨

٧٨ سورة النبأ مكية نزلت بعد سورة المعارج

- نعم الله العديدة ، الموجبة لتوحيده تعالى والإيمان به ٤٦٩
المنعم المتفضل بالنعمة الجزيلة وحده ، هو المستحق للعبادة وحده ٤٧٠
نفخة الصور ، وقيام الساعة ، وحال الكفّار فيها ٤٧١
حال المتقين ومالهم من النعيم المقيم في الجنة ٤٧٢
لا يؤذن بالكلام إلاّ لمن يتكلّم بالحق وهم الرسل ﷺ ٤٧٣

٧٩ سورة النازعات مكية نزلت بعد سورة النبأ

- الراجفة والرادفة نفختا الصور الأولى والثانية ٤٧٤
البعث حق وخسران المكذّب به - دعوة موسى لفرعون ٤٧٥
استكبار فرعون وأدعاؤه الربوبية والألوهية ، ومجازاته باللعنة في الدنيا والآخرة ٤٧٦
الجنة لمن خاف ربه بالغيب - قيام الساعة فجأة وعلمها لله ٤٧٧

٨٠ سورة عبس مكية نزلت بعد سورة النجم

- عتاب الله تعالى لرسوله ﷺ من عبوسه في وجه الأعمى ٤٧٨
أمره تعالى بالمساواة بين الشريف والوضيع في تبليغ دعوة الله ٤٧٩
مراحل خلق الإنسان وحياته وموته ٤٨٠
أحوال القيامة وانشغال كل امرئ بنفسه عمّن سواه ٤٨١
وجوه المؤمنين يومئذ مستبشرة ، ووجوه مسودة ، أولئك الكفرة الفجرة ٤٨٢

٨١ سورة التكوين مكية نزلت بعد سورة المسد

- ٤٨٣ من أحب رؤية أهوال القيامة كالعيان ، فليقرأ (التكوين والانفطار والانشقاق)
 ٤٨٤ إذا تفجرت الشمس والكواكب ، ونسفت الجبال ، والتهبت البحار وقام الناس
 ٤٨٥ واشتكت الموءودة ، وهيئت الجنة والنار ، علمت كل نفس ما عملت . . .
 ٤٨٦ لا مشيئة لأحدٍ إلا بمشيئة الله تعالى

٨٢ سورة الانفطار مكية نزلت بعد سورة النازعات

- ٤٨٧ إذا قامت الساعة انفطرت السماء وانتثرت الكواكب وبعثت القبور
 ٤٨٨ كيف تكفر بالله الكريم الذي سواك فعدلك
 ٤٨٩ إنما يحملهم على مقابلة الكريم بالمعاصي تكذيب قلوبهم بالمعاد والحساب . . .

٨٣ المطففين مكية نزلت بعد العنكبوت آخر سورة نزلت بمكة

- ٤٩٠ الخسار والهلاك للمطففين بيعاً وشراء
 ٤٩١ سجين : سجن مقيم يجمع الضيق والسفول وهو أسفل سافلين
 ٤٩٢ ما يكذب بيوم الدين والقرآن العظيم إلا كلُّ مُعتدٍ أثيم
 ٤٩٣ الأبرار تعرف في وجوههم نضرة النعيم من رؤية الربِّ الكريم
 ٤٩٤ المؤمنون يضحكون من الكفار مقابل ما ضحكوا منهم في الدنيا

٨٤ سورة الانشقاق مكية نزلت بعد سورة الانفطار

- ٤٩٥ تنشق السماء يوم القيامة طاعةً لربِّها الذي أمرها بذلك
 ٤٩٦ من أعطي كتابه بيمينه أفلح ، ومن أعطي كتابه بشماله هلك
 ٤٩٧ الذين آمنوا وعملوا الصالحات له أجر غير منقطع

٨٥ سورة البروج مكية نزلت بعد سورة الشمس

- ٤٩٨ يقسم الله بالسماء ذات البروج والنجوم العظام دلالة على عظمتها
 ٤٩٩ اللهم إن كان دينُ الراهب أحب إليك فاقتل الدابة ، فقتلت
 ٥٠٠ قال الملك : بسم الله ربِّ الغلام ، فقتله ... فآمن الناس بربِّ الغلام
 ٥٠١ أشفقت أن تحرق ورضيعها ، فنطق : إصبري يا أمّاه فإنك على الحق
 ٥٠٢ نعوذ بالله من بطش الله ، فلا بطش أشدَّ من بطشه
 ٥٠٣ كذب وكفر من زعم أن مخلوقاً ما يبدل أو يمحو من اللوح المحفوظ شيئاً . . .

٨٦ سورة الطارق مكية نزلت بعد سورة البلد

- يعلم ﷺ مُعَاذاً أَنْ يَقْرَأَ مِنَ السُّورِ الْقَصَارِ ، كسورة (الطارق) ٥٠٤
 لَا يَكُونُ الْوَلَدُ إِلَّا بِأَسْبَابٍ امْتِزَاجَ مَاءِ نِسَاءٍ الزَّوْجِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ — ٥٠٥
 كَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدِينَ وَالْجُمُعَةِ : بِالْأَعْلَى وَالْغَاشِيَةِ ٥٠٦
 (... فَهَدَى) الْهَدَايَةَ هَهُنَا مَعْنَاهَا الدَّلَالَةُ أَيْ دَلَّكَ عَلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ٥٠٧
 طَوْبَى لِمَنْ آثَرَ مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى ٥٠٨

٨٨ سورة الغاشية مكية نزلت بعد سورة الذاريات

- كَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ ، سُورَةَ الْجُمُعَةِ وَسُورَةَ الْغَاشِيَةِ ٥٠٩
 فِي الْجَنَّةِ : نُورٌ يَتَلَأَلُ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ وَزَوْجَةٌ حَسَنَاءٌ وَمَقَامٌ خَالِدٌ ٥١٠
 إِلْفَاتُ النَّظَرِ إِلَى مَخْلُوقَاتِهِ تَعَالَى لِلدَّلَالَةِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ ٥١١

٨٩ سورة الفجر مكية نزلت بعد سورة الليل

- أَحَبُّ الْعَمَلِ الصَّالِحِ إِلَى اللَّهِ ، الْعَمَلُ فِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ ٥١٢
 رَدُّ خِرَافَةِ مَدِينَةِ /إِرَامَ / وَبِنَاؤُهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ٥١٣
 طَغْيَانُ أَقْوَامٍ عَادَ وَثُمُودَ وَفِرْعَوْنَ ، وَإِكْثَارُهُمُ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ٥١٤
 نَدَمُ الْكَفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَا فَرَّطُوا مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى ٥١٥
 رِضَاءُ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ بِالْجَنَّةِ وَرِضَا اللَّهِ عَنْهَا ٥١٦

٩٠ سورة البلد مكية نزلت بعد سورة (ق)

- أَحَلَّ اللَّهُ مَكَّةَ لِنَبِيِّهِ سَاعَةً ثُمَّ حَرَّمَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ٥١٧
 اللَّهُ دَلَّ عَلَى الْخَيْرِ دَلَالَةً تَعْرِيفَ لَا إِجْبَارَ ٥١٨
 كُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ لَا يَرْتَكِزُ عَلَى الْإِيمَانِ فَهُوَ هَبَاءٌ مَشْثُورٌ ٥١٩

٩١ سورة الشمس مكية نزلت بعد سورة القدر

- قَسَمَ اللَّهُ بِمَخْلُوقَاتِهِ دَلِيلَ عَلَى عَظَمَتِهَا فَجَلَّ الْخَلْقَ الْأَعْظَمَ ٥٢٠
 قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَزَكَاهَا اللَّهُ ٥٢١
 عَصِيَانِ ثُمُودَ رَبِّهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ أَدَّى إِلَى اسْتِثْصَالِهِمْ ٥٢٢

٩٢ سورة الليل مكية نزلت بعد سورة الأعلى

- من تصدّق عن إيمان وتصديق بالرسالة الخالدة ... يسره الله للجنة ٥٢٣
وأما من حرم الفقير حقّه وكذب بالرسالة يسره الله للنار ٥٢٤
الأنقى سيجنّه الله ناراً تظلى وسيرضيه بالجنة الوارفة الظلال ٥٢٥

٩٣ سورة الضحى مكية نزلت بعد سورة الفجر

- يقسم الله تعالى أنه ما ترك رسوله وما أبغضه ٥٢٦
جمع الله لرسول ﷺ مقامي الصبر والشكر ٥٢٧
كما كنت يتيماً فأواك ، فأحسن إلى اليتيم ، وتلطّف به ٥٢٨

٩٤ سورة الانشراح مكية نزلت بعد سورة الضحى

- من تكريمه لرسوله محمد ﷺ ، ضمّ اسمه إلى اسمه بالتشهد ٥٢٩
قم إلى العبادة نشيطاً فارغ البال ، وأخلص لربك النية والرغبة ٥٣٠

٩٥ سورة التين مكية نزلت بعد سورة البروج

- كلّ نوع الإنسان في النار إلا المؤمنين الصالحين ٥٣١
بإنهائك سورة التين ، قل : بلى وإنّا على ذلك من الشاهدين ٥٣٢

٩٦ سورة العلق مكية ، وهي أول سورة نزلت من القرآن

- تنويه الله سبحانه بشرف القراءة والعلم والتدوين ٥٣٣
أول ما نبّئ به رسول الله ﷺ : (اقرأ ...) ٥٣٤
أبو جهل أحقر من أن يمسّ رسول الله بسوءٍ والله حاميه وناصره ٥٣٥

٩٧ سورة القدر مكية نزلت بعد سورة عبّس

- عبادة ليلة القدر ، تفوق عبادة ألف شهر ، ليس فيها ليلة القدر ٥٣٦
ليلة القدر ٢٧ رمضان (فيها يفرق كل أمر حكيم) ٥٣٧

٩٨ سورة البيّنة مدنية نزلت بعد سورة الطلاق

- أمر الله رسوله ﷺ أن يقرىء البيّنة سورة البيّنة ٥٣٨
ما أمر الأولون والآخرين إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين ٥٣٩
جهنم مثوى الكافرين شرّ البرية ، والجنة مثوى المؤمنين خير البرية ٥٤٠

٩٩ سورة الزلزلة مدنية نزلت بعد سورة النساء

- ٥٤١ تنزل الأرض وتلقي ما فيها من الأموات
- ٥٤٢ من يعمل مثقال ذرة من خير أو شر يره أمامه

١٠٠ سورة العاديات مكية نزلت بعد سورة والعصر

- ٥٤٣ يقسم الله بالخيال المغيرات في سبيله لنصرة دينه وإعلاء كلمته
- ٥٤٤ الله خبير بأفعال عباده وسيجازيهم بحسبها

١٠١ سورة القارعة مكية نزلت بعد سورة قريش

- ٥٤٥ ثقل موازين العبد أو خفتها بقدر إحسانه أو إساءته
- ٥٤٦ نارنا في الدنيا ، جزء من سبعين جزء من نار جهنم

١٠٢ سورة التكاثر مكية نزلت بعد سورة الكوثر

- ٥٤٧ شغلنكم الدنيا عن الآخرة حتى جاءكم الموت
- ٥٤٨ سيسأل الله عباده عن النعم وعن الشكر عليها

١٠٣ سورة العصر مكية نزلت بعد سورة الإنشراح

- ٥٤٩ البشر خاسرون إلا المؤمنون العاملون الداعون إلى الحق الصابرون

١٠٤ سورة الهمزة مكية نزلت بعد سورة القيامة

- ٥٥٠ الويل لمن يأكلون لحوم الناس ، النار مشواهم
- ٥٥١ الهمّازون للمازون ، المانعون للزكاة ستحرقهم النار حتى تنفذ إلى أفئدتهم

١٠٥ سورة الفيل مكية نزلت بعد سورة (الكافرون)

- ٥٥٢ بنى أبرهة كنيسة عظيمة بصنعاء ليحج إليها الناس بدل الكعبة
- ٥٥٣ غضب العرب عامة وأرسلوا من أحرقتها ودمرها تدميراً تاماً
- ٥٥٤ أين المفرّ والإله الطالب * والأشرم المغلوب ليس الغالب
- ٥٥٥ حرّر الملك سيف بن ذي يزن اليمن من الأحباش وطردهم منها

١٠٦ سورة قريش مكية نزلت بعد سورة التين

- ٥٥٦ فلتشكر قريش الله تعالى نعمة الغنى والأمن ... بإفراده العبادة.

١٠٧ سورة الماعون مكية نزلت بعد سورة التكاثر

- ٥٥٧ الويل لمن أخر الصلاة عن وقتها حتى يخرج
٥٥٨ الماعون متاع البيت من حجر وحديد ودلو وأشباه ذلك

١٠٨ سورة الكوثر مكية وقيل مدنية. نزلت بعد سورة العاديات

- ٥٥٩ . . . الكوثر نهر في الجنة وعد الله رسوله ، عليه خير كثير وآيته عدد النجوم
٥٦٠ . . . الرسول ليس الأبر ، إنما مبغضه هو الأبر

١٠٩ سورة (الكافرون) مكية نزلت بعد سورة الماعون

- ٥٦١ . . . ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ تعدل ربع القرآن .
٥٦٢ . . . ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ براءة من الشرك .

١١٠ سورة النصر مدنية نزلت بمن حجة الوداع آخر سورة من القرآن

- ٥٦٣ . . . كان في هذه السورة نعي رسول الله ﷺ
٥٦٤ . . . يُسنُّ لأمير الجيش إذا فتح بلدًا صلاة ثمان ركعات

١١١ سورة الذهب مكية نزلت بعد سورة الفاتحة

- ٥٦٥ . . . كان أبو لهب اللعين أشدَّ الناس عداوةً وتكذيباً للرسول ﷺ ولدينه . . .
٥٦٦ . . . أبو لهب وزوجته حمالة الخطب في قرار السعير جزاء عداوتهما للرسول ﷺ

١١٢ سورة الإخلاص مكية نزلت بعد الناس

- ٥٦٧ . . . ﴿ قل هو الله أحد ﴾ نسبة الله . وإنها لتعدل ثلث القرآن .
٥٦٨ . . . الله أحد صمد ، لا والد له ولا ولد ، ولا يماثله أحد .

١١٣ سورة الفلق مكية نزلت بعد الفيل

- ٥٦٩ . . . المعوذتان : الفلق والناس مثبتتان في مصاحف الأئمة ونفذهما إلى الآفاق . . .
٥٧٠ . . . غروب الشمس والقمر واحد بتعيين ابتداء الليل لا يتنايان . . .
٥٧١ . . . جبريل ﷺ يرقى محمداً ﷺ يوم سحره ليبد بن الأعصم . . .

١١٤ سورة الناس مكية نزلت بعد الفلق

- ٥٧٢ . . . لكل قرن من الجن يزيّن له الفواحش ، ويحبب إليه الفساد . . .
٥٧٣ . . . الاستعاذة بالله وحده من شياطين الأنس والجن . . .
٥٧٤ . . . اللهم لا أحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك . . .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

فهرس أحاديث المجلد الرابع

الصفحة درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
--------------------	---------------------------	------

٣٧ - الصفات

١	صح	كان رسول الله ﷺ يأمر بالتخفيف ويؤمّننا بالصفات	١
١	صح م	فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف	١
١	صح م	ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم ؟ قلنا وكيف	١
٤		أبما داع دعا إلى شيء كان موقوفاً معه إلى يوم القيامة	٤
٧		أخبرني عن قول الله عز وجل (كأنهم بيض مكنون)	٧
٩		اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت . .	٩
١١	صح فق	لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات	١١
١١	صح	إن في المعاريض لمدوحة عن الكذب	١١
١٢	صح بخ	إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعتة	١٢
١٨	صح فق	ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى . . .	١٨
١٨		أن يونس النبي عليه الصلاة والسلام حين بدا له أن يدعو	١٨
١٩		... (وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون) قال : يزيدون	١٩
٢١		أطت السماء وحق لها أن تئطّ ليس فيها موضع قدم إلاّ	٢١
٢٢	صح فق	... « الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم	٢٢
٢٣		من قال دبر كل صلاه (سبحان ربك رب العزة عما	٢٣

٣٨ - سورة ص

٢٥	صح	... قال ﷺ يا عم أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم »	١٦
٢٦	صح	... دعا رسول الله ﷺ عمه إلى قوله : لا إله إلا الله .	١٧
٢٧	صح فق	أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود وأحب الصيام إلى	١٨
٢٩	صح	... فسجدها داود عليه الصلاة والسلام فسجدها رسول	١٩
٢٩	صح	المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن . . .	٢٠
٣١	صح فق	... فصلتي العصر بعدما غربت الشمس ، ثم صلتى بعدها	٢١
٣٣	صح فق	إن عفريتاً من الجن تفلت عليّ البارحة - ليقطع عليّ	٢٢
٣٣	صح م	أعوذ بالله منك - ثم قال - ألعنك بلعنة الله	٢٣
٣٣		قال الله عز وجل لداود عليه السلام ابن لي بيتاً في الأرض	٢٤
٣٥	صح بخ	بينما أيوب يغتسل عرياناً خراً عليه جرادٌ من ذهب . .	٢٥

٣٩ - سورة الزمر

٤٤	صح م	يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم . .	٢٦
٤٥		دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو في الموت فقال له	٢٧
٤٧	صح	إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة أهل الغرف كما تراءون	٢٨
٤٧		قلنا يا رسول إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنّا من أهل	٢٩
٥١		... يا رسول الله أتكرّر علينا الخصومة قال ﷺ نعم . .	٣٠
٥١	صح	رأى رسول الله شاتين تنتطحان فقال : أتدري فيما	٣١
٥٣	صح	أفلح من هدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به	٣٢
٥٣	صح	احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك	٣٣
٥٣		من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى	٣٤
٥٦	صح م	بأي شيء كان رسول الله ﷺ يفتح صلاته من الليل	٣٥
٥٦	صح	من قال : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب	٣٦
٥٨	صح فق	ان أناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا ..	٣٧
٥٨	صح	... يا رسول الله إن لي غدرات وفجرات فهل يغفر لي	٣٨
٥٩	صح م	... لولا أنكم تدنّبون لخلق الله عز وجل قوماً يذنبون .	٣٩

٥٩	صح	كفارة الذنب الندامة	٤٠
٥٩	صح	كل أهل النار يرى مقعده من الجنة ، فيقول لو أن الله	٤١
٦٠		إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر في صورة	٤٢
٦١	صح فق	... يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على	٤٣
٦١	صح فق	... يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول	٤٤
٦٢	صح م	ان رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ... (وما قدروا الله .	٤٥
٦٢	صح م	يخرج الدجال في أمي فيمكث فيهم أربعين يوماً . . .	٤٦
٦٥	صح م	أنا أول شفيع في الجنة	٤٧
٦٥	صح م	أتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت	٤٨
٦٥	صح فق	أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر .	٤٩
٦٥	صح فق	إن في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان . . .	٥٠
٦٥	صح م	ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول	٥١
٦٦	صح فق	أدخلت الجنة فإذا فيها جنازات للؤلؤ وإن ترابها المسك . .	٥٢

٤٠ - سورة المؤمن أو غافر

٦٧		من قرأ آية الكرسي وأول (حسم) عصم ذلك اليوم من	٥٣
٦٧	صح	إن بيتهم الليلة فقولوا : حسم لا ينصرون	٥٤
٦٩		من أعان باطلاً ليضحض به حقاً فقد برئت منه ذمة الله .	٥٥
٦٩	صح م	إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك	٥٦
٧١	صح	كان يقول عقب الصلوات المكتوبات لا إله إلا الله وحده	٥٧
٧١		أدعوا الله تبارك وتعالى وأنتم موقنون بالإجابة . . .	٥٨
٧٢	صح	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم	٥٩
٧٥	صح	... وأفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر . . .	٦٠
٧٦		ما من إمام يموت يوم يموت وهو غاشٍ لرعيته إلا لم	٦١
٨٠	صح بخ	إن يهودية دخلت عليها ... فقالت : نعوذ بالله من عذاب	٦٢
٨٠		... ثم انطلق بي إلى خلق كثير من خلق الله رجال . . .	٦٣
٨٣	صح	... أربع خصال واحدة منهن لي ، واحدة لك واحدة	٦٤
٨٤	صح	إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ (ادعوني أستجب لكم ...)	٦٥

٨٤	من لم يدعُ اللهَ غضب عليه	٦٦
٨٩	ان الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغر	٦٧
٤١ - سورة فصلت		
٩١	« فرغت » ؟ قال نعم . فقال ﷺ ... (فإن أعرضوا	٦٨
٩١	... فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله	٦٩
٩٢	... قالوا ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني سمعت	٧٠
٩٧	... ألا تسألوني عن أي شيء ضحكت قالوا يا رسول الله	٧١
٩٧	أسباب نزول (وما كنتم تسترون أن يشهد عليكم	٧٢
٩٧	لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن بالله الظن	٧٣
٩٩	ما قتلت نفس ظلماً إلا كان ابن آدم الأول كفل من دمها	٧٤
١٠٠	تفسير : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا	٧٥
١٠٠	قل آمنت بالله ثم استقم	٧٦
١٠١	ان الملائكة تقول لروح المؤمن أخرجني أيتها الروح الطيبة	٧٧
١٠١	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله . .	٧٨
١٠٢	المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة	٧٩
١٠٢	الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن فأرشد الله الأئمة وغفر	٨٠
١٠٢	... وتلك لحوم حرمها الله عز وجل على النار لحوم	٨١
١٠٣	أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه	٨٢
١٠٣	لا تسبوا الليل والنهار ولا الشمس والقمر ولا الرياح . .	٨٣

٤٢ - سورة الشورى

١٠٩	يا رسول الله : كيف يأتيك الوحي	٨٤
١١٠	والله انك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله . . .	٨٥
١١٠	أتدرون ما هذان الكتابان ، قلنا لا إلا أن نخبرنا . . .	٨٦
١١٤	أنت مع من أحببت	٨٧

الصفحة	درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
١١٦	صح	بشر هذه الأمة بالسنة والرقعة والنصر والتمكين في	٨٨
١١٦	صح	رأيت عمرو بن لحي بن قمعه يجر قصبه في النار . . .	٨٩
١١٧	صح فق	إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي	٩٠
١١٧		لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحكم الله ولرسوله .	٩١
١١٨	صح م	لله تعالى أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه	٩٢
١١٩ الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم معروفاً في	٩٣
١١٩	.	إنما أخاف عليكم ما يخرج الله تعالى من زهرة الحياة الدنيا	٩٤
١١٩		وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته .	٩٥
١٢٠	صح	والذي نفسي بيده ما يصيب المؤمن من نصب ولا	٩٦
١٢٠		ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عز وجل	٩٧
١٢١	صح	إن رسول الله ﷺ ما انتقم لنفسه قط إلا أن تهتك .	٩٨
١٢٣	صح	ما زاد الله تعالى عبداً بعفوٍ إلا عزاً	٩٩
١٢٣	.	إن رجلاً شتم أبا بكر رضي الله عنه والنبي ﷺ جالس	١٠٠
١٢٥	صح	المؤمن ... إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له	١٠١
١٢٦	صح	إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت . . .	١٠٢

٤٣ - سورة الزخرف

١٠٣	... سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنّا له مقرّنين . .	صح	١٢٩
١٠٤	... إنّ النبي ﷺ كان إذا ركب راحلته كبّر ثلاثاً ثم	صح م	١٢٩
١٠٥	لو أنّ الدنيا وزن عند الله جناح بعوضة ما سقى	صح	١٣٤
١٠٦	لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في . . .	صح فق	١٣٤
١٠٧	ان هذا الأمر لا ينازعهم فيه أحد إلاّ أكبه الله	صح بنخ	١٣٥
١٠٨	كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من	١٣٩
١٠٩	يا معشر قريش انه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير		١٣٩
١١٠	ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلاّ أوثوا بالجلد . .		١٣٩
١١١	لو أن رجلين تحابا في الله أحدهما بالشرق والآخر بالمغرب		١٤١

٤٤ - سورة الدخان

١١٢	لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس...	صح	١٤٦
١١٣	إن رسول الله ﷺ قال لابن صياد : إني أخبأت لك خبأً	صح فق	١٤٧
١١٤	يهيج الدخان بالناس ، فأما المؤمن فيأخذه كالزكمة وأما	صح	١٤٧
١١٥	إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، ألا لا غربة	صح	١٥٠
١١٦	لا تسبوا تبعاً فإنه قد أسلم		١٥١
١١٧	ما أدري تبع نبياً كان أم غير نبي		١٥١

الصفحة	درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
١٥٣	مرسل	إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ لَكَ (أولى لك فأولى ...)	١١٨
١٥٤	صح فق	ويؤْتَى بالمولود في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة	١١٩
١٥٤	صح م	يقال لأهل الجنة إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحَّوْا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا .	١٢٠
١٥٤		سئل النبي ﷺ أينام أهل الجنة فقال ﷺ : النوم أخو	١٢١
١٥٤	صح	إِعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً لن يدخله	١٢٢
٤٥ - سورة الجاثية			
١٥٧	صح م	نهي رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو	١٢٣
١٦٠	صح فق	يقول تعالى : يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر . .	١٢٤
١٦١	صح	لا تسبوا الدهر فإن الله تعالى هو الدهر	١٢٥
١٦٣	صح	إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِلْجَنَّةِ : أنت رحمتي أرحم بك مَنْ أشاء	١٢٦
١٦٣	صح	إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِبَعْضِ الْعَبِيدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ألم أزوجك	١٢٧
١٦٤	صح م	يقول الله تعالى : العظمة إزاراي والكبرياء ردائي فمن	١٢٨
٤٦ - سورة الاحقاف			
١٦٧	صح بخ	... وما يدريك أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمَهُ ؟	١٢٩
١٦٧	صح بخ	ما أدري وأنا رسول الله ﷺ ما يفعل به	١٣٠
١٦٨	صح فق	أسباب نزول آية وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله	١٣١
١٧٠		العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خَفَّفَ اللَّهُ تَعَالَى حَسَابَهُ .	١٣٢
١٧١		يؤْتَى بِحَسَنَاتِ الْعَبْدِ وَسَيِّئَاتِهِ فَيَقْتَصُّ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ . . .	١٣٣
١٧٣	صح فق	كان رسول الله ﷺ إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف ذلك من	١٣٤
١٧٤	صح م	... اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت	١٣٥
١٧٥	صح	(ولإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن) . . .	١٣٦
١٧٥	صح فق	ما قرأ رسول الله على الجن ولا رآهم . إنطلق رسول الله	١٣٧
١٧٦	صح	هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن يبطن نخلة . .	١٣٨
١٧٦	صح م	... هل صحب رسول الله ﷺ ليلة الجن منكم أحداً ؟	١٣٩
١٧٧	صح	من أحبَّ منكم أن يحضر أمر الجن الليلة ... فليفعل . .	١٤٠
١٧٨	صح	قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال .	١٤١

الصفحة	درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
١٨٠	صح	... يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد .	١٤٢
٤٧ - سورة محمد ﷺ			
١٨١	صح	... يهديكم الله ويصلح بالكم	١٤٣
١٨٢	صح	قتل النبي ﷺ النضر بن الحارث وعقبة ... من أسارى	١٤٤
١٨٢	صح	... ما عندك يا ثمامة ؟ فقال : إن تقتل تقتل ذادم . . .	١٤٥
١٨٣	صح	لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقاتل	١٤٦
١٨٣	صح	... الآن جاء القتال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على	١٤٧
١٨٣	صح	يعطى الشهيد ست خصال : عند أول قطرة من دمه	١٤٨
١٨٣	صح م	يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين	١٤٩
١٨٣		يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته	١٥٠
١٨٣	صح بخ	إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة	١٥١
١٨٤		من بلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع إبلاغها	١٥٢
١٨٤	صح	تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة .	١٥٣
١٨٥	صح	المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء	١٥٤
١٨٦	صح حسن	في الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر العسل وبحر الخمر . .	١٥٥
١٨٦	صح	إذا سألت الله تعالى فاسأله الفردوس فإن أوسط الجنة .	١٥٦
١٨٧	صح بخ	وبعثت أنا والساعة كهاتين	١٥٧
١٨٧	صح	... اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري .	١٥٨
١٨٧	صح	... كان يقول في آخر الصلاة : اللهم اغفر لي ما قدمت	١٥٩
١٨٧	صح	يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإنني أستغفر الله وأتوب إليه	١٦٠
١٨٧		عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منهما فإن إبليس	١٦١
١٨٨	صح بخ	خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت	١٦٢
١٨٩	صح بخ	... قال رسول الله ﷺ اقرأوا إن شئتم فهل عسيتم إن	١٦٣
١٨٩	صح	ما من ذنب أحرى أن يجعل الله تعالى عقوبته في الدنيا	١٦٤
١٨٩	صح بخ	... إن الرحم معلقة بالعرش ، وليس الواصل بالمكافئ	١٦٥
١٩٠		إن منكم منافقين فمن سميت فليقم ثم قال : قم يا فلان	١٦٦
١٩٠		كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أنه ليس شيء	١٦٧

٤٨ - سورة الفتح

١٦٨	... كُنَّا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة مئة ، والحديبية	صح بخ	١٩٥
١٦٩	نزلت على النبي ﷺ : (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك	صح فق	١٩٥
١٧٠	... إي والذي نفس محمد بيده لفتح		١٩٥
١٧١	... فقال : أفلا أكون عبداً مشكوراً	صح فق	١٩٥
١٧٢	والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم شيئاً يعظمون حرمان		١٩٦
١٧٣	ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله . .	صح	١٩٦
١٧٤	من سل سيفه في سبيل الله فقد بايع الله		١٩٨
١٧٥	لا نبرح حتى نناجز القوم	صح	١٩٨
١٧٦	كُنَّا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فقال لنا رسول الله ﷺ	صح	١٩٨
١٧٧	لا يدخل النار أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة		١٩٩
١٧٨	... كذبت لا يدخلها... فإنه قد شهد بدرًا والحديبية .	صح م	١٩٩
١٧٩	... أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس	صح	٢٠٢
١٨٠	لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه	صح م	٢٠٤
١٨١	... (وألزمهم كلمة التقوى) قال : لا إله إلا الله . .		٢٠٥
١٨٢	خرج رسول الله ﷺ يريد زيارة البيت والاعتماد به .		٢٠٥
١٨٣	... ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من	صح بخ	٢٠٨
١٨٤	أفلم تكن نخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى	صح	٢١٠
١٨٥	رحم الله المحلقين قالوا : والمقصرين يا رسول الله قال	صح فق	٢١٠
١٨٦	... أمير رسول الله ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة ليرى	صح فق	٢١١
١٨٧	... إنما سعى النبي ﷺ بالبيت وبالصفاء والمروة ليرى	صح م	٢١١
١٨٨	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم	صح	٢١٢
١٨٩	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا	صح	٢١٢
١٩٠	إن الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من		٢١٢
١٩١	لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده		٢١٣

٤٩ - سورة الحجرات

٢١٤	ضعيف	... بم تحكم قال : بكتاب الله تعالى ، قال ﷺ فإن لم	١٩٢
٢١٥	صح بخ	أسباب نزول : (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي	١٩٣
٢١٥	صح بخ	... فقل له إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة	١٩٤
٢١٥	صح	إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي	١٩٥
٢١٦	صح	... يا محمد يا محمد وفي رواية يا رسول الله فلم يجبه	١٩٦
٢١٧	صح	قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الاسلام فدخلت	١٩٧
٢١٨	صح	... الإسلام علانية والإيمان في القلب قال ثم يشير بيده	١٩٨
٢١٨		اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر	١٩٩
٢١٨		من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن :	٢٠٠
٢١٩	صح بخ	إن ابني هذا سيد ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين	٢٠١
٢١٩	صح	أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قلت يا رسول الله	٢٠٢
٢١٩	صح فق	قيل للنبي ﷺ لو أتيت عبد الله بن أبي فأنطلق إليه . . .	٢٠٣
٢٢٠	صح	إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن	٢٠٤
٢٢٠	صح م	المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور .	٢٠٥
٢٢٠	صح	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه	٢٠٦
٢٢٠	صح	والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه	٢٠٧
٢٢٠	صح	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم	٢٠٨
٢٢٠	صح	الكبر بطر الحق وغمص الناس - ويروى - وغمط	٢٠٩
٢٢١		فينا نزلت في بني سلمة (ولا تنازروا بالألقاب)	٢١٠
٢٢١	صح	إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث	٢١١
٢٢١	صح	... ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام	٢١٢
٢٢٢	صح	... ما الغيبة ؟ قال ﷺ ذكرك أخاك بما يكره	٢١٣
٢٢٢	صح	كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه	٢١٤
٢٢٢		يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه	٢١٥
٢٢٢	صح	لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون .	٢١٦
٢٢٢	صح	قلنا يا رسول الله حدثنا ما رأيت ليلة أسري بك	٢١٧

الصفحة	درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
٢٢٣	صح	... حتى مرَّ بجيفة حمار فقال أين فلان وفلان إنزلا	٢١٨
٢٢٣		أتدرون ما هذه الريح ؟ هذه ريح الذي يغتابون الناس	٢١٩
٢٢٣		من حمى مؤمناً من منافق يغتابه ، بعث الله تعالى ملكاً	٢٢٠
٢٢٤	صح	تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم	٢٢١
٢٢٤	صح بخ	... فخيارككم في الجاهلية خياركم في الاسلام إذا فقهوا	٢٢٢
٢٢٤	صح م	إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى	٢٢٣
٢٢٤		... يا أيها الناس إن الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية . . .	٢٢٤
٢٢٤		يا رسول الله : ألا أي الناس خير ؟ قال ﷺ	٢٢٥
٢٢٦		المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء : الذين آمنوا بالله	٢٢٦
٢٢٦	صح	يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ؟ .	٢٢٧
٢٢٦	صح	جاءت بنو أسد ... يا رسول الله أسلمنا وقاتلتك العرب	٢٢٨

٥٠ - سورة (ق)

٢٢٧		قدمنا رسول الله ﷺ في وفد ثقيف قال فنزلت الأحلاف	٢٢٩
٢٢٨	صح م	ما كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد ؟ قال : (ق) و .	٢٣٠
٢٢٨	صح م	... ما أخذت (ق) إلا على لسان رسول الله ﷺ . .	٢٣١
٢٣١	صح	يقول الله تعالى يؤذيني ابن آدم يقول لن يعيدني كما بدأني	٢٣٢
٢٣١	صح	إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل . . .	٢٣٣
٢٣٢	صح	إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى . . .	٢٣٤
٢٣٢	صح	سبحان الله إن للموت سكرات	٢٣٥
٢٣٢	صح	كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته	٢٣٦
٢٣٢	ض	يخرج عنق من النار يتكلم ويقول وكلت اليوم بثلاثة .	٢٣٧
٢٣٤	صح بخ	يلقى في النار وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع قدمه . .	٢٣٨
٢٣٤	صح م	لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد	٢٣٩
٢٣٤	صح م	احتجَّت الجنة والنار فقالت النار في الجبارون والمتكبرون	٢٤٠
٢٣٥	صح	ورجل ذكر الله ففاضت عيناه	٢٤١
٢٣٥	صح	إنك لتشتهي الطير في الجنة فيخترُ بين يديك مشوياً . .	٢٤٢
٢٣٦	صح فق	أما إنكم ستعرضون على ربكم فرونه كما ترون القمر	٢٤٣

الصفحة	درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
--------	-------------	---------------------------	------

٢٣٦	...	كان ... يصلي لأثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر	٢٤٤
٢٣٧	صح م	أنا أول من تنشق عنه الأرض	٢٤٥

٥١ - سورة الذاريات

٢٤٠	صح	... يا أيها الناس أطعموا الطعام وصلوا الأرحام . . .	٢٤٦
٢٤٠	صح	إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا	٢٤٧
٢٤٠		للسائل حق وإن جاء على فرس	٢٤٨
٢٤٥	حسن غريب	يا ابن آدم : تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك	٢٤٩

٥٢ - سورة الطور

٢٤٦	صح فق	سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور	٢٥٠
٢٤٦	صح بخ	... فطفت ورسول الله ﷺ يصلي إلى جانب البيت	٢٥١
٢٤٧	صح فق	... ثم رفع بي إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله . . .	٢٥٢
٢٤٩		سألت خديجة النبي ﷺ عن ولدين لها ماتا في الجاهلية .	٢٥٣
٢٤٩	صح	إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول :	٢٥٤
٢٤٩	صح م	إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث	٢٥٥
٢٥١	صح بخ	سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ . .	٢٥٦
٢٥٣		إن المناق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير . .	٢٥٧
٢٥٤	صح م	سبحانك الله وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا	٢٥٨
٢٥٣	صح بخ	من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده	٢٥٩
٢٥٣	صح	... سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت . .	٢٦٠
٢٥٤	صح فق	لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهداً	٢٦١
٢٥٤	صح م	ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها	٢٦٢

٥٣ - سورة النجم

٢٥٥	...	فقال : أكتب فوالذي نفسي بين ما خرج مني إلا الحق	٢٦٣
٢٥٧	صح بخ	إن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح	٢٦٤
٢٥٧	صح	رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه حللتا رفرف قد ملأ	٢٦٥
٢٥٧	صح م	سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك فقال : نور أنى	٢٦٦

٢٥٧	صح م	... وفي رواية : رأيت نوراً	٢٦٧
٢٥٧	صح	رأيت ربِّي عز وجل ... (لكنه مختصر من حديث المنام)	٢٦٨
٢٥٧	صح	أتاني ربِّي في أحسن صورة ... — أحسبه يعني في النوم	٢٦٩
٢٥٨	صح	رأيت جبريلَ على السِّدرة المنتهى وله سِتْمَةٌ جناح . .	٢٧٠
٢٥٨	صح فق	... سألت رسول الله ﷺ عنها فقال : (إنما ذاك جبريل)	٢٧١
٢٥٨	صح م	رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته مرتين	٢٧٢
٢٥٨	صح م	لما أسرى رسول الله ﷺ انتهى به إلى سِدرة المنتهى . .	٢٧٣
٢٦٠		قولوا بالله مولانا ولا مولى لكم	٢٧٤
٢٦٠	صح بخ	من حلف فقال : واللّاتِ والعزى فليقل لا إله إلاّ الله	٢٧٥
٢٦١	صح	إياكم والظن فإن الظنّ أكذبُ الحديث	٢٧٦
٢٦١	صح	اللهم لا تجعل الدنيا أكبرَ همِّنا ولا مبلغَ علمنا	٢٧٧
٢٦٢	صح فق	إنّ الله كتب على ابنِ آدمَ حظّه من الزنى	٢٧٨
٢٦٣	صح فق	مدح رجلٌ رجلاً عند النبي ﷺ ... وبلك قطعت عنق	٢٧٩
٢٦٣	صح م	... أمرنا ﷺ إذا لقينا المدّاحين أن نخشوا في وجوههم	٢٨٠
٢٦٣	صح	أنفق بلالاً ولا نخش من ذي العرش إقلالاً	٢٨١
٢٦٤	صح	إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاّ من ثلاث	٢٨٢
٢٦٤	صح	إنّ أطيبَ ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه	٢٨٣
٢٦٤	صح	من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتّبعه	٢٨٤
٢٦٦		سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون	٢٨٥
٢٦٦	صح	قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم فسجد وسجد من	٢٨٦

٥٤ - سورة القمر

٢٦٧	صح فق	بعثت أنا والساعة هكذا وأشار بأصبعيه السَّبابة والوسطى	٢٨٧
٢٦٨	صح فق	... سألو رسول الله ﷺ أن يرِيهم آية فأراهم القمر	٢٨٨
٢٦٨	صح م	... إنشقّ فلقتين ، فلقة من دون الجبل وفلقة خلف الجبل	٢٨٩
٢٦٨	صح	... انظروا السفّار فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق	٢٩٠
٢٧٣	صح بخ	... أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد	٢٩١
٢٧٤	صح م	جاء مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاضمون في القدر	٢٩٢

٢٧٤	(ذوقوا مسَّ سقر) نزلت في أناس من أمي يكونون في	٢٩٣
٢٧٤	لكل أمة مجوس ومجوس أمي الذين يقولون : لا قدر	٢٩٤
٢٧٥	استعن بالله ولا تعجز فإن أصابك أمر فقل قدر الله . .	٢٩٥
٢٧٥	إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض	٢٩٦
٢٧٥	... إن أول ما خلق الله القلم ثم قال له أكتب . . .	٢٩٧
٢٧٥	يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً . .	٢٩٨

٥٥ - سورة الرحمن

٢٧٥	غريب	... لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد . . .	٢٩٩
٢٧٦	صح	ما بالي أسمع الجن أحسن جواباً لربها منكم قالوا : وما	٣٠٠
٢٧٨	صح م	خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من نار	٣٠١
٢٧٩	.	يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال	٣٠٢
٢٨٠ من شأنه أن يغفر ذنباً ، ويفرج كرباً ويرفع قوماً	٣٠٣
٢٨٢	صح فق	جنتان من فضة آيتهما وماضيهما وجنتان من ذهب . .	٣٠٤
٢٨٢	.	(ولمن خاف مقام ربه جنتان) قلت وإن زنى وإن سرق	٣٠٥
٢٨٢ يسير الراكب في ظل الفتن منها مئة سنة	٣٠٦
٢٨٤	صح فق	إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر .	٣٠٧
٢٨٤ (يقول هل جزاء من انعمت عليه بالتوحيد إلاّ الجنة	٣٠٨
٢٨٥	صح فق	إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً .	٣٠٩
٢٨٦	.	فلم أر عبقرتاً يفري فريه	٣١٠
٦	.	الظن بذي الجلال والإكرام	٣١١
٢٨٦	صح م	... اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال	٣١٢

٥٦ - سورة الواقعة

٢٨٧	.	من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً . . .	٣١٣
٢٨٧ كانت صلاته أخف من صلاتكم وكان يقرأ في	٣١٤
٢٨٩	صح	خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . .	٣١٥
٢٨٩	صح	إن في هذه الأمة سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب .	٣١٦

الصفحة	درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
٢٨٩		— في لفظ — مع كل ألف سبعون ألف	٣١٧
٢٨٩		وفي لفظ آخر مع كل واحد سبعون ألفاً	٣١٨
٢٨٩		أما والذي نفسي بيده ليعثن فيكم يوم القيامة مثل الليل	٣١٩
٢٩٠	صح	ثم أخذ بيدي فانطلقنا إلى منزل أم سلمة فقال ﷺ . . .	٣٢٠
٢٩٠		إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى	٣٢١
٢٩٠		إن طير الجنة كأمثال البخت يرعى في شجر الجنة . . .	٣٢٢
٢٩٠	صح	إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخرب بين يديك	٣٢٣
٢٩١	صح	إن الله لينفعنا بالأعراب ومساثلهم قال : أقبل أعرابي	٣٢٤
٢٩١	صح فق	إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام . . .	٣٢٥
٢٩٢	صح فق	إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع	٣٢٦
٢٩٢	صح فق	... فإذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها مثل قلال هجر . .	٣٢٧
٢٩٢	صح فق	... إنني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولم أخذته	٣٢٨
٢٩٢		قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى : (حور	٣٢٩
٢٩٣	صح فق	أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر . .	٣٣٠
٢٩٣	صح	(ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين) ... هما جميعاً من	٣٣١
٢٩٦	صح	لا تقولن زرعن ولكن قل حرثن	٣٣٢
٢٩٧	صح فق	نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزء	٣٣٣
٢٩٨	صح	لا ... والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط . .	٣٣٤
٢٩٨	صح م	إن رسول الله ﷺ سئى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو	٣٣٥
٢٩٨	صحيح لغيره	... أن لا يمسه القرآن إلا طاهر	٣٣٦
٢٩٨	صحيح لغيره	ولا يمسه القرآن إلا طاهر	٣٣٧
٢٩٩		تجعلون رزقكم شكركم أنكم تكذبون، تقولون مطرنا	٣٣٨
٢٩٩	صح م	... يتزل الغيث فيقولون بكو كذب وكذا	٣٣٩
٣٠٠	صح	... أيتها الروح الطيبة ... أخرجني إلى روح وريحان	٣٤٠
٣٠٠	صح	إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله	٣٤١
٣٠١	صح فق	إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في	٣٤٢
٣٠١	صح	لما نزلت ... (سبح اسم ربك الأعلى) قال ... إجعلوها	٣٤٣

الصفحة درجة الحديث	الحديث النبوي الشريف	رقمه
--------------------	----------------------	------

٣٠١	صح بخ	كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ٣٤٤
-----	-------	--

٥٧ - سورة الحديد

٣٠٢	صح م	إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن . . . ٣٤٥
٣٠٣	صح	يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ٣٤٦
٣٠٤	صح م	... أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ٣٤٧
٣٠٥	شح م	أحكام التكاثر ، يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك . . ٣٤٨
٣٠٥	صح م	ورواه مسلم بزيادة : (وما سوى ذلك فذهب وتاركة ٣٤٩
٣٠٥	صح بخ	... ولكن أعجب المؤمنين وإيماناً قوم يجيئون بعدكم ٣٥٠
٣٠٦		... دعوا لي أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل ٣٥١
٣٠٦	صح	لا تسبوا أصحابي والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم ٣٥٢
٣٠٦		سبق درهم مئة ألف ٣٥٣
٣٠٦	صح	... يا رسول الله وإن الله ليريد منك القرض ؟ قال : نعم ٣٥٤
٣٠٨		إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سراً منه .. ٣٥٥
٣١٠	صح	إن أهل الجنة ليراعون أهل الغرف ما بينهم ٣٥٦
٣١١	صح فق	إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة ٣٥٧
٣١٢	صح	موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ٣٥٨
٣١٢	صح بخ	للجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك ٣٥٩
٣١٣	صح م	قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ٣٦٠
٣١٥		... هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ٣٦١
٣١٥	صح	... لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فإن قوماً ٣٦٢
٣١٥	صح	... أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء ٣٦٣
٣١٦	صح بخ	مثلكم ومثل اليهود والنصارى. كمثل رجل استعمل عمالاً ٣٦٤

٥٨ - سورة المجادلة

٣١٧	صح بخ	الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة ٣٦٥
٣١٧		تبارك الله الذي وعي سمعه كل شيء ، إني لأسمع . . ٣٦٦
٣١٨	صح	في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة ٣٦٧

الصفحة	درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
٣١٩		إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لَامْرَأَتِهِ : يَا أَخْتِي	٣٦٨
٣١٩	صح	أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ	٣٦٩
٣٢٠	صح	أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنِّي ظَاهَرْتُ مِنْ أَمْرَائِي	٣٧٠
٣٢٢	صح	أَسْبَابُ نَزُولِ (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوُا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ . .	٣٧١
٣٢٢	صح	دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَهُودٌ فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكَ .	٣٧٢
٣٢٢	صح	إِنَّهَا قَالَتْ لَهُمْ عَلَيْكُمْ السَّامُ وَالذَّامُ وَاللَّعْنَةُ	٣٧٣
٣٢٢	صح	... إِنْ أَلَّهِ يَدْنِي الْمُؤْمِنُ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَتْفَهُ وَيَسْتَرُهُ وَيَقْرُرُهُ	٣٧٤
٣٢٣	صح	إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا فَإِنْ ذَلِكَ	٣٧٥
٣٢٣	صح	مِنْ بَنِي اللَّهِ مُسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ	٣٧٦
٣٢٣	مرسل	رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا يَفْسَحُ لِأَخِيهِ	٣٧٧
٣٢٣	صح فق	لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ فَيَجْلِسُ فِيهِ وَلَكِنْ	٣٧٨
٣٢٤	صح	قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزَلُوهُ (إِقْرَأِ التَّعْلِيْقَ)	٣٧٩
٣٢٤	صح	مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتِمَّثَلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ	٣٨٠
٣٢٤	صح	لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ	٣٨١
٣٢٥	صح	مَا تَرَى دِينَارًا ؟ قَالَ : لَا يَطْبِقُونَ . قَالَ نِصْفَ دِينَارٍ . .	٣٨٢
٣٢٧		أَسْبَابُ نَزُولِ (فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَهُمْ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ ...)	٣٨٣
٣٢٧		مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تَقَامُ فِيهِ الصَّلَاةُ	٣٨٤
٣٢٨	مرسل	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَخْفِيَاءَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَبْرِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ	٣٨٥
٣٢٩	مرسل	اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ وَلَا لِفَاسِقٍ عِنْدِي يَدًا وَلَا نِعْمَةً . .	٣٨٦

٥٩ - سورة الحشر

٣٣٤		كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ .	٣٨٧
٣٣٤	صح	لَا نُورِثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ	٣٨٨
٣٣٤	صح	إِقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا ... فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمَا عُمَرُ وَقَالَ : . .	٣٨٩
٣٣٥	صح	جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَتْ : بَلِّغْنِي إِنَّكَ تَنْهَى	٣٩٠
٣٣٦		قَالَ الْمُهَاجِرُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ	٣٩١
٣٣٦	صح فق	أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَابَنِي	٣٩٢
٣٣٦	صح م	إِيَّائِي وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ	٣٩٣

الصفحة درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
--------------------	---------------------------	------

٣٤٠	صح	... فجاوز الجذع إلى نحو المنبر فعند ذلك حنّ الجذع	٣٩٤
٣٤١	صح	العظمة ازاري ، والكبرياء ردائي	٣٩٥
٣٤١	صح فق	ان لله تسعة وتسعين اسماً مئة إلا واحداً من أحصاها .	٣٩٦
٣٤١		هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك . . .	٣٩٧

٦٠ - سورة الممتحنة

٣٤٣	صح	اللهم عمّ عليهم خبرنا	٣٩٨
٣٤٤	صح فق	... إنطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها	٣٩٩
٣٤٤	صح	صدق حاطب فلا تقولوا لحاطب إلا خيراً	٤٠٠
٣٤٤		ضرب رسول الله ﷺ أمثالا واحداً وثلاثة وخمسة	٤٠١
٣٤٥	صح م	إن رجلاً قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال في النار . .	٤٠٢
٣٤٧	صح	ألم أجدكم ضالاً لا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين	٤٠٣
٣٤٨	صح فق	قدمت أمتي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا	٤٠٤
٣٤٨	صح	المقسطون على منابر من نور	٤٠٥
٣٤٩	صح	... على ألاّ يأتيك منّا رجل وإن كان على دينك إلاّ	٤٠٦
٣٤٩	صح	هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط فمخرج أخوها	٤٠٧
٣٤٩	صح	الامتحان : بالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما	٤٠٨
٣٤٩	صح	... إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها فافعلوا ... ففعلوا . .	٤٠٩
٣٤٩	صح	إنّ رسول الله ردّ ابنته زينب على أبي العاص	٤١٠
٣٤٩	ضعيف	إنّ رسول الله ﷺ ردّ ابنته زينب على أبي العاص بمهر	٤١١
٣٥٠	صح	إنّ الرسول ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية ، جاءه	٤١٢
٣٥٠	صح بخ	... كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنين بهذه الآية.	٤١٣
٣٥١	صح بخ	قلنا يا رسول الله ألا تصافحنا قال : إني لا أصافح	٤١٤
٣٥١	صح	... أبايعك على ألاّ تشركي بالله شيئاً ولا تسرقني ولا تزني	٤١٥
٣٥١	صح فق	... تباعوني على أن لا تشركوا بالله ولا تسرقوا ولا تزنوا	٤١٦
٣٥١	صح	... أنا مع أمتي رائطة بنت سفيان الخزاعية والنبي ﷺ	٤١٧

الصفحة درجة الحديث مطلع الحديث النبوي الشريف رقمه

٣٥١	صح فق	... ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها قالت أسعدتني	٤١٨
٣٥١	صح	... فقالت : ما تقول في هذين السوارين ؟ فقال : جمرتان	٤١٩
٣٥٢	صح	يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني . . .	٤٢٠
٣٥٢	صح	أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم	٤٢١
٣٥٢	صح فق	ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا	٤٢٢
٣٥٢	صح فق	إن رسول الله بريء من الصالحة والحالقة والشاقة . . .	٤٢٣

٦١ - سورة الصف

٣٥٤		تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله أي الأعمال	٤٢٤
٣٥٤	صح فق	آية المنافق ثلاث إذا وعد أخلف وإذا حدث كذب و... .	٤٢٥
٣٥٥		ثلاثة يضحك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل . . .	٤٢٦
٣٥٦	ضح فق	إن لي أسماء ... أنا محمد أنا أحمد ، وأنا الماحي . . .	٤٢٧
٣٥٨	صح	من رجل يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي	٤٢٨

٦٢ - سورة الجمعة

٣٦٠	صح م	... كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين	٤٢٩
٣٦١	صح فق	كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة	٤٣٠
٣٦٢		من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار .	٤٣١
٣٦٣	صح بخ	قال أبو جهل لعنه الله إن رأيت محمداً عند الكعبة . . .	٤٣٢
٣٦٣	صح فق	أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا	٤٣٣
٣٦٤	صح فق	إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة	٤٣٤
٣٦٤	صح	إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن اثتوها تمشون	٤٣٥
٣٦٤	صح فق	إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل	٤٣٦
٣٦٤	صح	من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم	٤٣٧
٣٦٤	صح فق	من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح الساعة الأولى	٤٣٨
٣٦٥		من دخل سوقاً من الأسواق فقال لا إله إلا الله وحده .	٤٣٩
٣٦٥	صح فق	قدمت غير مرة المدينة ورسول الله ﷺ يخطب فخرج	٤٤٠
٣٦٥	صح	بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة قدم غير إلى المدينة	٤٤١
٣٦٦		كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن	٤٤٢

٦٣ - سورة (المنافقون)

٤٤٣	إن للمنافقين علامات يُعرفون بها : تحبثهم لعنة وطعامهم	٣٦٨
٤٤٤	... ما بال دعوى الجاهلية ؟ دعوها فإنها متنتة	صح فق ٣٧٠
٤٤٥	... فقال عبد الله بن أبيّ : لئن رجعنا المدينة ليخرجنّ	صح بخ ٣٧٠
٤٤٦	... يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي .	صح ٣٧٠
٤٤٧	والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ .	صح ٣٧١

٦٤ - سورة التغابن

٤٤٨	عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاءً إلاّ كان خيراً له .	فق ٣٧٦
٤٤٩	كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين رضي	صح ٣٧٧
٤٥٠	ليس عدوك الذي إن قتلته كان فوزاً لك ، وإن قتلك	٣٧٧
٤٥١	إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم	صح فق ٣٧٧
٤٥٢	ان الله تعالى يقول : من يقرض غير مظلوم ولا عديم .	صح فق ٣٧٨

٦٥ - سورة الطلاق

٤٥٣	طلق رسول الله ﷺ حفصة فأتت أهلها : أنزل الله تعالى	٣٧٩
٤٥٤	إن عبد الله بن عمر طلق امرأة له وهي حائض	صح فق ٣٧٩
٤٥٥	... فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء	صح ٣٧٩
٤٥٦	كيف ترى في الرجل طلق امرأته حائضاً فقال : طلق ابن	صح ٣٧٩
٤٥٧	إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها	٣٨٠
٤٥٨	من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من . . .	٣٨٣
٤٥٩	يا غلام إني معلمك كلمات أحفظ الله يحفظك . . .	صح ٣٨٣
٤٦٠	إن سبيعة الأسلمية توفي عنها زوجها وهي حامل فلم	صح فق ٣٨٤
٤٦١	... إن سبيعة أخبرته ... فأفتاني بأني قد حلت حين	صح م ٣٨٤
٤٦٢	... أما أنه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة . .	٣٨٦
٤٦٣	من ظلم قيد شبرٍ من الأرض طوّقه الله من سبع أرضين	صح فق ٣٨٧
٤٦٤	ما السموات السبع ومن فيهن وما بينهن والأرضون	صح ٣٨٧

٦٦ - سورة التحريم

٤٦٥	إن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطأها ، فلم تزل به	صح	٣٩٠
٤٦٦	قلت لعمر بن الخطاب من المراتان ؟ ... قال عائشة	صح	٣٩٠
٤٦٧	لا تخبري أحداً وإن أم إبراهيم عليّ حرام	صح	٣٩٠
٤٦٨	... فكفر عن يمينه فصير الحرام يميناً	صح فق	٣٩٠
٤٦٩	كان النبي يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش	صح بخ	٣٩٠
٤٧٠	لما اعتزل النبي ﷺ نساءه ... فقلت أطلقتهن ؟ قال لا	صح م	٣٩١
٤٧١	مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين فإذا بلغ عشر	صح	٣٩٣
٤٧٢	التوبة النصوح ... هو الندم على الذنب حين يفرط منك	صح	٣٩٣
٤٧٣	من أحسن في الإسلام لم يؤخذ بما عمل في الجاهلية و .	صح	٣٩٤
٤٧٤	... اللهم لا تخزني يوم القيامة		٣٩٤
٤٧٥	وكيف تعرف أمتك يوم القيامة قال : غر محجلون من	ضعيف	٣٩٤
٤٧٦	... أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة و .	صح	٣٩٧
٤٧٧	كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية و .	صح فق	٣٩٧

٦٧ - سورة الملك

٤٧٨	إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت ل صاحبها حتى غفر له		٣٩٨
٤٧٩	سورة في القرآن خاصمت في صاحبها حتى أدخلته الجنة (تبارك...)		٣٩٨
٤٨٠	إن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ (السم التتريل، و .		٣٩٩
٤٨١	لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به		٤٠٠
٤٨٢	سبعة يظلهم الله تعالى في ظل عرشه	صح فق	٤٠١
٤٨٣	لو إنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق	صح	٤٠١
٤٨٤	يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم		٤٠٣

٦٨ - سورة القلم

٤٨٥	أول ما خلق الله القلم	صح	٤٠٦
٤٨٦	سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ قالت : كان خلقه	صح	٤٠٦
٤٨٧	... أما تقرأ القرآن (وإنك لعل خلق عظيم)	صح	٤٠٦

٤٠٦	صح فق	خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي : أف قط	٤٨٨
٤٠٦	صح	ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً له قط ، ولا ضرب	٤٨٩
٤٠٧	صح فق	مرَّ رسول الله ﷺ بقبرين فقال : إنها ليعذبان	٤٩٠
٤٠٧	صح فق	لا يدخل الجنة قتات (نمام)	٤٩١
٤٠٧	صح	لا يدخل الجنة نمام	٤٩٢
٤٠٨	صح فق	ألا أنبئكم بأهل الجنة ، كل ضعيف متضعف لو أقسم	٤٩٣
٤٠٨		... ومن مات هتّاراً لما زأ ملقباً للناس كان علامته . .	٤٩٤
٤٠٩		إيّاكم والمعاصي إن العبد ليدنب الذنب فيحرم به رزقاً	٤٩٥
٤١٠		إن رسول الله ﷺ نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل	٤٩٦
٤١١	صح فق	يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة . .	٤٩٧
٤١٢	صح	إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته	٤٩٨
٤١٣	صح	إنه لما قال : (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من	٤٩٩
٤١٣	صح فق	لا ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى	٥٠٠
٤١٣	صح	لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم لا يرقأ	٥٠١
٤١٣	صح م	لا رقية إلا من عين أو حمة	٥٠٢
٤١٣	صح	لا شيء في إلهام والعين حق وأصدق الطيرة القول . . .	٥٠٣
٤١٣	صح	العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبق العين . .	٥٠٤
٤١٣	صح	أعيذ كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة . .	٥٠٥

٦٩ - سورة الحاقة

٤١٥	صح	نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور	٥٠٦
٤١٦	صح	أذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش . . .	٥٠٧
٤١٦		يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فأما عرضتان	٥٠٨
٤١٧	صح	يدني الله العبد يوم القيامة ، فيقرره بذنوبه كلها . . .	٥٠٩
٤١٧		هل يتزاور أهل الجنة ؟ قال : نعم . إنه ليهبط أهل	٥١٠
٤١٧	صح	إن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء	٥١١
٤١٧		يعطى المؤمن جوازاً على الصراط : بسم الله الرحمن	٥١٢
٤١٨	صح	إعملوا وسددوا وقاربوا	٥١٣

الصفحة	درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
٤١٩	صح	الصلاة وما ملكت أيمانكم	٥١٤
٧٠ - سورة المعارج			
٤٢٢	صح	من كانت له أبل لا يعطي حقها في نجدها ورسلاها . .	٥١٥
٤٢٢	صح م	ما من صاحب كثر لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح . .	٥١٦
٤٢٣		لا توعي فيوعي الله عليك	٥١٧
٤٢٤		شر ما في رجل ، شخ هالع وجبن خالع	٥١٨
٤٢٥	صح	آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف و . .	٥١٩
٤٢٥		إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر . .	٥٢٠
٤٢٦	صح	إن رسول الله خرج عليهم وهم حلت فقال « ما لي . .	٥٢١
٧١ - سورة نوح			
٤٣٠	صح	صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب . .	٥٢٢
٤٣١	صح	لا تصحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي . . .	٥٢٣
٧٢ - سورة الجن			
٤٣٤	صح	والشر ليس إليك	٥٢٤
٤٣٤		بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذا رمى بنجم . .	٥٢٥
٤٣٦	صح	أمرت أن أسجد على سبعة أعظم على الجبهة و . . .	٥٢٦
٤٣٧	صح	ما المسؤول عنها أعلم من السائل	٥٢٧
٧٣ - سورة المزمل			
٤٤٠	صح بخ	إنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال : كانت مدّاً . .	٥٢٨
٤٤٠	صح	كان يقطع قراءته آية آية : (بسم الله الرحمن الرحيم . .	٥٢٩
٤٤٠	صح	زيتوا القرآن بأصواتكم	٥٣٠
٤٤٠	صح	ليس منا من لم يتغن بالقرآن	٥٣١
٤٤٠	صح	لقد أوتي هذا ... مزماراً من مزامير آل داود	٥٣٢
٤٤٠	صح	أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فكادت . .	٥٣٣
٤٤٠	صح	كيف يأتيك الوحي ؟ فقال : أحياناً كصلصلة الجرس . .	٥٣٤
٤٤٠	صح	... اقرأوه قبل أن يقرأه أقوام يقيمونه كما يقوم السهم . .	٥٣٥

٤٤١	صح	يا أم المؤمنين : أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ ؟ قالت :	٥٣٦
٤٤٤	صح فق	اقرأ ما تيسر معك من القرآن	٥٣٧
٤٤٤	صح فق	لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب	٥٣٨
٤٤٤	صح	إن رسول الله ﷺ سئل عن رجل نام حتى أصبح فقال	٥٣٩
٤٤٤	صح	أو تروا يا أهل القرآن	٥٤٠
٤٤٤	صح	من لم يوتر فليس منا	٥٤١
٤٤٤	صح فق	... خمس صلوات في اليوم والليلة . قال عليّ غيرها ؟	٥٤٢
٤٤٥	صح بخ	أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه ؟ قالوا	٥٤٣

٧٤ - سورة المدثر

٤٤٦	صح بخ	جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت . .	٥٤٤
٤٤٦	صح م	... فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت	٥٤٥
٤٤٧	صح فق	... ثم فتر الوحي عني فترة . فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً	٥٤٦
٤٤٧	صح	كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته	٥٤٧
٤٤٩	صح	ويل وادٍ في جهنم يهوي به الكافر أربعين خريفاً . . .	٥٤٨
٤٥٠	صح فق	... فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك . . .	٥٤٩
٤٥١	صح	ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف .	٥٥٠
٤٥٢	صح	... أما هو - يعني عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين	٥٥١
٤٥٢		قال ربكم : أنا أهل أن أتقي فلا يجعلُ معي إله . .	٥٥٢

٧٥ - سورة القيامة

٤٥٥	صح	... إنكم سترون ربكم عياناً	٥٥٣
٤٥٥	صح	إن أناساً قالوا : يا رسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة	٥٥٤
٤٥٦	صح	ردُّوا عبدي إلى الأرض فلإني منها خلقتهم	٥٥٥
٤٥٧		أولى لك فأولى ... قاله النبي ﷺ لأبي جهل	٥٥٦
٤٥٧		سبحانك اللهم فبلى ، فسئل عن ذلك فقال : سمعت	٥٥٧
٤٥٧	صح	من قرأ بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها ... فليقل : بلى و	٥٥٨
٤٥٨	صح م	كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة (السم تزيل) ... و	٥٥٩

٧٦ - سورة الانسان

٥٦٠	كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه . .	٤٥٨
٥٦١	ما من خارج يخرج إلاّ ببابه رايتان راية بيد ملك . . .	٤٥٩
٥٦٢	من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا	٤٥٩ صح بخ
٥٦٣	أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل	٤٦٠ صح
٥٦٤	الصلاة وما ملكت أيمانكم	٤٦٠ صح
٥٦٥	إنّ الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجاً منها . . .	٤٦٢ صح
٥٦٦	إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي	٤٦٢

٧٧ - سورة المرسلات

٥٦٧	بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ في غار بمعى . .	٤٦٤ صح فق
٥٦٨	إن أم الفضل سمعته ﷺ يقرأ (والمرسلات ... في صلاة	٤٦٤ صح فق
٥٦٩	يا عبادي إنكم لن تبغوا نفعي فتبغوني ولن تبغوا ضري	٤٦٧ صح
٥٧٠	إذا انتهى أحدنا من المرسلات (فليقل آمنت بالله بما نزل)	٤٦٨

٧٨ - سورة النبأ

٥٧١	(أفضل الحجج : العجج والتجج) يعني صبّ دماء البدن	٤٧٠ صح
٥٧٢	ولا يتكلم يومئذ إلاّ الرسل	٤٧٣ صح

٧٩ - سورة النازعات

٥٧٣	إذا ذهب ثلثا الليل ... فقال اذكروا الله ... جاءت	٤٧٥ صح
٥٧٤	لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها	٤٧٦

٨٠ سورة عبس

٥٧٥	... فأقبل إليه رجل أعشى فقال يا رسول الله علمني ممّا	٤٧٨ صح فق
٥٧٦	... كلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم . .	٤٧٩ صح
٥٧٧	ياكل التراب كل شيء من الإنسان إلاّ عجب الذنب	٤٨٠ صح فق
٥٧٨	كل ابن آدم يبلى إلاّ عجب الذنب منه خلق وفيه يركب	٤٨٠ صح فق
٥٧٩	تحشرون حفاة عراة مشاة غرلاً قال فقالت : زوجته .	٤٨١ صح
٥٨٠	يلجم الكافر العرق ثم تقع الغيرة على وجوههم . . .	٤٨٢ صح

٨١ سورة التكويد

٤٨٣		من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي العين . . .	٥٨١
٤٨٤	صح بخ	الشمس والقمر يكوران يوم القيامة	٥٨٢
٤٨٥		... فقال يا رسول الله : وأدت ثماني بنات لي في الجاهلية	٥٨٣

٨٢ - سورة الانفطار

٤٨٧	صح فق	أفتان أنت يا معاذ ؟ أين كنت عن سبّ اسم ربك الأعلى	٥٨٤
٤٨٨	صح	يقول الله تعالى يوم القيامة : يا ابن آدم ما غرّك بي . .	٥٨٥
٤٨٨	صح	... قال الله عز وجل يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك	٥٨٦
٤٨٩	صح فق	... إن امرأتى ولدت غلاماً أسود قال : هل لك من إبل	٥٨٧
٤٨٩		إنما ستأهم الأبرار لأنهم برّوا الآباء والأبناء	٥٨٨
٤٨٩	صح	يا بني هاشم : أنقذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم	٥٨٩

٨٣ - سورة المطففين

٤٩١	صح فق	يوم يقوم الناس لربّ العالمين حتى يغيب أحدهم في	٥٩٠
٤٩١		كيف أنت في يوم يقوم الناس فيه ثلاثمئة سنة لربّ	٥٩١
٤٩١		... كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة	٥٩٢
٤٩٢	صح	إنّ العبد إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه.	٥٩٣

٨٤ - سورة الانشاق

٤٩٦	صح فق	قال جبريل : يا محمد عش ما شئت فإنك ميت ، وأحب	٥٩٤
٤٩٦	صح فق	من نوقش الحساب عذب	٥٩٥
٤٩٧	صح م	وقت المغرب ما لم يغب الشفق	٥٩٦
٤٩٧	صح بخ	حالا بعد حال قال هذا نبيكم ﷺ	٥٩٧

٨٥ - سورة البروج

٤٩٨		اليوم الموعود يوم القيامة وشاهد يوم الجمعة . ومشهود	٥٩٨
٤٩٩	صح	قصة أصحاب الأخدود : كان فيمن قبلكم ملك وكان	٥٩٩

٨٦ - سورة الطارق

٥٠١	صح	أفتان أنت يا معاذ ! ما كان يكفيك أن تقرأ بالسمااء	٦٠٠
-----	----	---	-----

٦٠١	نهي أن يطرق الرجل أهله طروقاً أي يأتيهم فجأة . . .	صح	٥٠٤
٦٠٢	الآن طارقاً يطرق بخير يا رحمن	صح	٥٠١
٦٠٣	يرفع لكل غادر لواء عند أسته يقال هذه غدره فلان .	صح فق	٥٠٥

٨٧ - سورة الأعلى

٦٠٤	كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة (سبح اسم ربك		٥٠٦
٦٠٥	هلاً صليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها	صح فق	٥٠٦
٦٠٦	قرأ في العيدين بسبح اسم ربك الأعلى وهل أذاك . . .	صح	٥٠٦
٦٠٧	كان يقرأ في العيدين بسبح اسم ربك الأعلى وهل أذاك	صح م	٥٠٠
٦٠٨	كان يقرأ في الوتر : بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها	صح	٥٠٦
٦٠٩	لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله . . .	صح	٥٠٧
٦١٠	إذا قرأ (سبح اسم ربك الأعلى قال : سبحان ربي	صح	٥٠٧
٦١١	إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات	صح	٥٠٧
٦١٢	أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها . . .	صح م	٥٠٨
٦١٣	من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أني رسول	صح	٥٠٨
٦١٤	من أحب دنياه أضرب بأختره ومن أحب آخرته أضرب		٥٠٨
٦١٥	كان كل هذا ... في صحف إبراهيم وموسى	صح	٥٠٨

٨٨ - سورة الغاشية

٦١٦	أنهار الجنة من تحت تلال أو جبال المسك		٥١٠
٦١٧	ألا هل من مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها	صح	٥١٠
٦١٨	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله . . .	صح فق	٥١١
٦١٩	كلكم يدخل الجنة إلا من شرد شراد البعير عن أهله		٥١١
٦٢٠	كان يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى ، والغاشية ، في صلاة	صح	٥١١
٦٢١	بم كان رسول الله يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة ... ؟	صح	٥١١

٨٩ - سورة الفجر

٦٢٢	ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه	صح بخ	٥١٢
٦٢٣	إن العشر عشر الضحى ، والوتر يوم عرفة والشفع يوم		٥١٣

٥١٥	صح	خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم	٦٢٤
٥١٥	صح	أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة . وقرن بين أصبعيه . .	٦٢٥
٥١٥	صح م	يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون زمام ، في كل زمام . .	٦٢٦
٥١٦		لو أن عبداً خرَّ على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت . .	٦٢٧
٥١٦		قل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَفْساً بِكَ مطمئنة تؤمن ببقائك . .	٦٢٨

٩٠ - سورة البلد

٥١٧	صح فق	ان هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض . .	٦٢٩
٥١٧	صح فق	فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا : إن الله أذن	٦٣٠
٥١٨		يا ابن آدم إن من نعمي عليك أن جعلت لك عينين . .	٦٣٠
٥١٩	صح فق	من أعتق رقبة مؤمنة اعتق الله لكل إرب منها إرباً منه	٦٣١
٥١٩	صح	الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم، صدقة و	٦٣٢
٥١٩	صح	الراحمون يرحمهم الرحمن لإرحموا من في الأرض	٦٣٣

٩١ - سورة الشمس

٥٢١	صح م	إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم .	٦٣٤
٥٢١		أفلحت نفسٌ زكّاها الله عزّ وجل	٦٣٥
٥٢١	صح	... اللهم آت نفسي تقواها أنت وليّها ومولاها . . .	٦٣٦
٥٢١		ألا أحدثك بأشقى الناس قال : بلى . قال أحيمر ثمود	٦٣٧

٩٢ - سورة الليل

٥٢٣	صح	سألت رسول الله ﷺ عن الحسن قال : الحسن : الجنة	٦٣٨
٥٢٤	صح بخ	كنّا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة . . .	٦٣٩
٥٢٥		سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول « أنذرتكم النار »	٦٤٠
٥٢٥	صح م	إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار	٦٤١
٥٢٥	صح بخ	كل أمي تدخل الجنة يوم القيامة إلاّ من أبى	٦٤٢

٩٣ - سورة الضحى

٥٢٦	صح فق	إشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة . .	٦٤٣
٥٢٦	صح	لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل	٦٤٤
٥٢٧		اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأنثر في جنبه	٦٤٥

الصفحة	درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
٥٢٧		عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من	٦٤٥
٥٢٨	صح فق	ليس الغنى عن كثرة العرض	٦٤٦
٥٢٨	صح م	قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافاً وقتعه الله بما آتاه . .	٦٤٧
٥٢٨		... واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها	٦٤٨
٥٢٨	صح	لا يشكر الله من لا يشكر الناس	٦٤٩
		٩٤ - سورة الانشراح	
٥٣٠		كان النبي ﷺ جالساً وحياله حجر فقال : لو جاء العسر	٦٥٠
٥٣٠	صح فق	لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان	٦٥١
٥٣٠	صح	إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدأوا بالعشاء . . .	٦٥٢
		٩٥ - سورة التين	
٥٣١		كان النبي ﷺ يقرأ في سفره في إحدى الركعتين (والتين ...)	٦٥٣
٥٣٢	صح	فيذا قرأ أحدكم (والتين والزيتون) ... فليقل : بلى وإنا	٦٥٤
		٩٦ - سورة العلق	
٥٣٣		قيّدوا العلم بالكتابة	٦٥٥
٥٣٣		من عمل بما علم ورثه علم ما لم يكن يعلم	٦٥٦
٥٣٣	صح فق	أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي : الرؤيا	٦٥٧
٥٣٥	صح	منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا	٦٥٨
٥٣٥	صح بخ	قال ابو جهل : لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة . . .	٦٥٩
٥٣٥	صح	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء	٦٦٠
		٩٧ - سورة القدر	
٥٣٦		رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة مما سواه . . .	٦٦١
٥٣٦	صح	قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم	٦٦٢
٥٣٧	صح	من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه	٦٦٣
٥٣٧	صح	ليلة القدر في العشر البواقي - من رمضان - من قامهن	٦٦٤
٥٣٧	صح م	انها ليلة سبع وعشرين	٦٦٥
٥٣٧	صح	انها ليلة سبع وعشرين	٦٦٦

الصفحة درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
--------------------	---------------------------	------

٥٣٧	صح	٦٦٧
٥٣٧	حسن	٦٦٨

٩٨ - سورة البينة

٥٣٨	صح	٦٦٩
٥٣٨	صح فق	٦٧٠
٥٣٩		٦٧١
٥٤٠		٦٧٢

٩٩ - سورة الزلزلة

٥٤١	صح م	٦٧٣
٥٤٢	حسن صح غريب	٦٧٤
٥٤٢		٦٧٥
٥٤٢	صح بخ	٦٧٦
٥٤٢	صح	٦٧٧
٥٤٢	صح	٦٧٨
٥٤٢	صح	٦٧٩
٥٤٢	صح	٦٨٠
٥٤٢	صح	٦٨١

١٠٠ - سورة العاديات

٥٤٣		٦٨٢
-----	--	-----

١٠١ - سورة القارعة

٥٤٦	صح فق	٦٨٣
٥٤٦	صح فق	٦٨٤
٥٤٦	صح فق	٦٨٥

١٠٢ - سورة التكاثر

٥٤٧	صح م	٦٨٦
-----	------	-----

الصفحة درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
--------------------	---------------------------	------

٥٤٧	صح فق	يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل . . . ٦٨٧
٥٤٨	صح م	بينما أبو بكر وعمر جالسان إذ جاءهما النبي ﷺ فقال: ٦٨٨
٥٤٨	صح بخ	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصّحة والفراغ . ٦٨٩

١٠٣ - سورة العصر

١٠٤ - سورة الهمزة

١٠٥ - سورة الفيل

٥٥٥	صح فق	ان الله حبس أصحاب الفيل عن مكة وسلط الله عليها . ٦٩٠
-----	-------	--

١٠٦ - سورة قريش

١٠٧ - سورة الماعون

٥٥٧		سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون ٦٩١
٥٥٧	صح	من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وحقّره . ٦٩٢
٥٥٧	صح	كنت أصلي فدخل عليّ رجل فأعجبني ذلك فذكرته ٦٩٣
٥٥٨	صح	كل معروف صدقه ٦٩٤
٥٥٨	صح	المسلم أخو المسلم إذا لقيه جاء بالسلام ويردّ عليه . . . ٦٩٥

١٠٨ - سورة الكوثر

٥٥٠	صح	بينما رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى ٦٩٦
٥٥١	صح	دخلت الجنة فإذا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ ٦٩٧
٥٦٠	صح	من صلتى صلاتنا ونسك نسكنا ، فقد أصاب النسك . ٦٩٨

١٠٩ - سورة الكافرون

٥٦١	صح م	إن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة وبُقل هو ... في ٦٩٩
٥٦١	صح م	إن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر ٧٠٠
٥٦١	صح	إن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين ٧٠١
٥٦١		إذا أويت إلى فراشك فاقرأ قل يا أيها الكافرون . . . ٧٠٢
٥٦١		قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن ٧٠٣
٥٦٢	صح	لا يتوارث أهل ملتين شتى ٧٠٤

١١٠ - سورة النصر

٧٠٥	لما نزلت : اذا جاء نصر الله ... قال ... نُعِيتُ إِلَى نَفْسِي	صح ٥٦٣
٧٠٦	كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قوله . . .	صح م ٥٦٣
٧٠٧	... جاء الفتح وجاء النصر وجاء أهل اليمن	صح ٥٦٤
٧٠٨	إن رسول الله ﷺ كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين	صح ٥٦٤
٧٠٩	إن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً وسيخرجون منه أفواجاً	صح بخ ٥٦٤

١١١ - سورة الذهب

٧١٠	إن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى :	صح بخ ٥٦٥
-----	---	-----------

١١٢ - سورة الاخلاص

٧١١	يا محمد أنسب لنا ربك فأنزل الله قل هو الله أحد . . .	صح ٥٦٧
٧١٢	لكل شيء نسبة ، ونسبة الله . قل هو الله أحد . . .	صح ٥٦٧
٧١٣	كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء ... يفتح	صح بخ ٥٦٧
٧١٤	ان رجلاً سمع رجلاً يقرأ وهو الله أحد يردّدها . . .	صح بخ ٥٦٧
٧١٥	... وقرأ فيهما : قل هو الله أحد ، (والفلق والناس)	صح بخ ٥٦٧
٧١٦	لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله	صح بخ ٥٦٨

١١٣ - سورة الفلق

٧١٧	... أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل ﷺ	صح بخ ٥٦٩
٧١٨	... ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم تر مثلهن قط . . .	صح م ٥٦٩
٧١٩	إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجن وأعين	صح ٥٦٩
٧٢٠	أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأراني القمر حين طلع وقال :	صح ٥٧٠
٧٢١	كان رسول الله ﷺ سُجِرَ حتى كان يرى	صح ٥٧٠
٧٢٢	سُجِرَ النبي ﷺ رجل من اليهود	صح ٥٧١
٧٢٣	إن جبريل جاء إلى النبي ﷺ فقال إشتكيت يا محمد ؟	صح ٥٧١

١١٤ - سورة الناس

٧٢٤	ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرينه قالوا	صح ٥٧٢
-----	--	--------

الصفحة درجة الحديث	مطلع الحديث النبوي الشريف	رقمه
٥٧٢ صح فق	إنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم	٧٢٥
٥٧٢ صح	عثر بالنبِيِّ ﷺ حماره فقلت تعس الشيطان له فقال : .	٧٢٦
٥٧٣ صح	... يا أبا ذر هل صليت ؟ قلت : لا . قال : قم فصل	٧٢٧
٥٧٣ صح	يا رسول الله إني لأحدث نفسي بالشيء لأن أخيراً من	٧٢٨

والحمد لله رب العالمين